

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

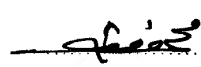
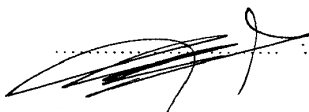

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

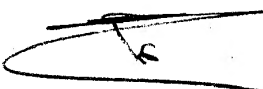
الاسم (رباعي) سعيد إبراهيم بن علي خليفه كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : العقيدة
عنوان الأطروحة : « حلال الدين السيوطي وآراؤه الأصولية عرصه ونقطة على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه ، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٦ / ٦ / ١٤٣١ هـ ، بقولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...
والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشارف	المنافش الداخلي	المنافش الخارجي
الاسم : د/ محمد مزروع	الاسم : د/ عبد العزيز بن عبد الله الشريف المرشدي	الاسم : د/ محمد بن عبد العزيز الخلف
التوقيع : 	التوقيع : 	التوقيع : 
		يعتمد

رئيس قسم العقيدة
الاسم : د/ عبد الله بن محمد القرني
التوقيع : 

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

الدراسات العليا

قسم العقيدة



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٦٩١



١٥٦٧ /

٣٦٩١

السيوطي وأمراؤه المعتقدات

عرض ونقد

على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

سعيد إبراهيم مرعي خليفة

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود محمد مزروعة

الجزء الثاني

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

المباح الرابع

{ النبوات }

الفصل الأول : مفهوم النبوة والرسالة والعلاقة بينهما .

الفصل الثاني : الأنبياء والرسول .

الفصل الثالث : الوحي وطرقه .

الفصل الرابع : طرق إثبات النبوة .

الفصل الخامس : صفات الرسول .

الفصل السادس : نبوة محمد ﷺ وخصائصه .

الفصل الأول

مفهوم النبوة والرسالة والعلاقة بينهما

المبحث الأول : النبوة والنبى في اللغة

بعد استقراء اللغة العربية واستنتاج معاجمها رأيت أن أصل لفظة " النبوة " أو " النبى " يرجع إلى ثلاثة معان :

المعنى الأول : أن النبى مشتق من النبأ الذى هو الخبر العظيم .

المعنى الثانى : أنه من النبوة أو النبوة على معنى العلو والارتفاع والعلم الظاهر .

المعنى الثالث : أنه من النبى الذى هو الطريق الواضح الذى ينهج بلا دليل وخرىت .

أما كونه من " النبأ " وهو الخبر ، فيقال : نبأ ، ونبأ ، وأنبأ ، قال صاحب القاموس : " النبأ ، محركة ، الخبر ...

والنبى المخبر عن الله تعالى " (١) . فهو فعيل : بمعنى فاعل .

ال فى الصحاح : " والنبأ : الخبر ، تقول : نبأ ، ونبأ : أي أخبره ، ومنه أخذ النبى ، لأنه أنبأ عن الله تعالى ، وهو فعيل : بمعنى فاعل " (٢) .

وكذلك قال صاحب النهاية : " النبى : فعيل بمعنى فاعل للمبالغة ، من النبأ : الخبر ، لأنه أنبأ عن الله ، أي أخبر ... يقال : نبأ ، ونبأ ، وأنبأ " (٣) .

وعن ابن فارس : " أن نبأ : قياسه الإتيان من مكان إلى مكان ... ومن هذا القياس النبأ : الخبر ، لأنه يأتي من

مكان إلى مكان ، والمنبئ : المخبر " (٤) .

القاضي عياض (٥) : " النبى يهزم ولا يهزم " (٦) إشارة إلى التسوية في معنى اللفظين .

إذا فالنبى هنا مأخوذ من النبأ ، بمعنى الخبر الهام العظيم ، المفيد فائدة عظيمة (٧) ، والأصل فيه الهمز (٨) ، لكنه قد

يترك الهمز تخفيفاً ، وهو جائز ومستساغ لغة .

وأما المعنى الثانى وهو كونه من النبوة أو النبوة ، بمعنى الارتفاع والعلو ، فقد قال ابن منظور : " ... وقيل

(١) مجد الدين الفيروز آبادي : القاموس المحيط (٣٩٣/٤) باب الهمزة فصل الميم والنون - دار المعرفة - بيروت ، بدون طبعة ولا تاريخ .

(٢) اسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح (٢٥٠٠/٦) الألف اللينة ، ت. أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين - (ط٣-١٤٠٤هـ) .

(٣) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، المعروف بابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٥) ت. طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت .

(٤) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة (٣٨٥/٥) ط٢ بدون تاريخ - ت. عبدالسلام هارون .

(٥) ابن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى ، السبتي ، عالم المغرب ، ولي قضاء " سبتة " التي ولد فيها (٤٧٦هـ-١٠٨٣م) وتوفي بمراكش ، انظر : وفيات الاعيان (٣٩٢/١) ، قضاء الأندلس (١٠١) ، وقلائد العقيان (ص ٢٢٢) ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١٢٣/١) ،

مفتاح السعادة (١٩/٢) وانظر : الاعلام (٩٩/٥) .

(٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/٢) ط المكتبة العتيقة بتونس ، ودار التراث بالقاهرة - بدون طبعة ولا تاريخ .

(٧) انظر : الراغب الأصفهاني : المفردات (ص ٤٨١) .

(٨) نفسه (ص ٤٨٢) .

المعنى مشتق من النبوة وهي الشئ المرتفع ^(١) وقال في القاموس : " والنبوة : ما ارتفع من الأرض ، كالنبوة والنبى ... ^(٢) " .

وأما المعنى الثالث للنبي وهو الطريق الواضح ، ففي اللسان : " النبي : الطريق الواضح " .

وفي القاموس : " والنبي : الطريق الواضح ، والمكان المرتفع المحدود ب ... والنبي - كغني - : الطريق " .

والنبي بهذا المعنى طريق واضح جلي إلى مرضاة الله تعالى ، وأن العرب تقول للطريق الواضح : النبي .

خلاصة : ونخلص من هذا إلى أن النبي يجمع جميع المعاني المتقدمة ، فهو نبي : فعيل بمعنى مفعول أي منبأ من الله تعالى ، وهو فعيل بمعنى فاعل : أي منبئ للخلق بما أنبأه الله من الأنباء العظيمة ، والأخبار الخطيرة ، وهو الرفيع القدر والبرهان ، ذو الرتبة الشريفة ، والمكانة النبوية عند موله ، الذي يهدي الخلق إلى أقوم الطرق ، وأفضل السبل ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

- كلام السيوطي في معنى النبوة :

والسيوطي لا يختلف كلامه في معنى النبي والنبوة عما نقلته واستخرجته من المعاجم اللغوية ، بل يتفق معها تماماً ، وإن كان قد اقتصر على معنيين اثنين فقط ، فقال : " النبأ : خبر ، ومنه اشتق النبي بالهمز ، وترك الهمز تخفيف ^(٣) " وهذا يدل على صحة اللفظين عنده ، المهموز ، وغير المهموز ، إلا أن مقصد التخفيف من النطق هو الذي يستدعي أحياناً ، أو عند بعض العلماء أو القراء ، ترك الهمز ، لكنه ينبه على أن ترك الهمز عند من يتركه يرجع إلى معنى النبوة التي هي الارتفاع ، قال السيوطي : " وقيل : إنه عند من ترك الهمز مشتق من النبوة وهي الارتفاع ^(٤) " .

وفي موضع آخر يؤكد على ما قرره فيقول : " نبئ : مشتق من الإنباء ، وهو الإخبار لقوله تعالى : (ذلك من أنباء الغيب ...) ^(٥) ، (نبئنا بتأويله) ^(٦) ، وقيل هي مشتقة من الرفعة والتفضيل لقوله تعالى : (وكان رسولاً نبياً) ^(٧) " ^(٨) . والسيوطي - كما قلت - لم يتعرض للمعنى الثالث في لفظة النبي ، وهو (الطريق الواضح) ، ولكنه يذهب إلى عدم جواز إطلاق اسم (نبي) أو (نبئ) على كل من أنبأ نبأ ، أو أخبر بخبر ، حتى ولو كان صادقاً في إخباره ، فاسم (نبي) لا يجوز إطلاقه على غير أنبياء الله تعالى ، يقول السيوطي : " لا يجوز استعمال هذا الاسم في غير الأنبياء ، وإن كان المخبر صادقاً " ^(٩) ومعنى هذا أن اسم (نبي) أصبح مصطلحاً مقصوراً على من ينبئون عن الله وحيه وأحكامه

(١) لسان العرب (١/١٦٣) .

(٢) الفروز آبادي : القاموس المحيط (٤/٣٩٣) ، وانظر منه (١/٢٩) .

(٣) معترك الأقران في اعجاز القرآن (٢/٥٣٩) .

(٤) السابق نفسه .

(٥) سورة آل عمران ، بعض الآية (٤٤) .

(٦) سورة يوسف الآية (٣٦) .

(٧) سورة مريم الآية (٥١) .

(٨) معترك الأقران (٢/٥٣٤) .

(٩) معترك الأقران (٢/٥٣٤) .

وشرائعه ، وهم أنبياء الله ورسله ، ولذا يقول : " وكل نبيئ : مخبر ، وليس كل مخبر نبي " (١) .

المبحث الثاني : الرسالة والرسول في اللغة

الإرسال يأتي في اللغة بمعان متعددة ، إلا أنها متقاربة في معناها ، فيأتي الإرسال بمعنى التوجيه ، والتتابع ، والانبعث على التؤدة ، ويأتي أيضاً بمعنى التسليط ، والتسخير ، والاطلاق أو التخليه وترك المنع ، ويأتي كذلك بما يقابل الإمساك . ولكل معنى من هذه المعاني شواهد من اللغة أو من القرآن والسنة .

والرسول فعول ، وهي من صيغ المبالغة ، و اسم المفعول منه (مرسل) بفتح السين من " أرسل " الرباعي ، واسم الفاعل (مرسل) بكسر السين ، والرسول هو متحمل القول ، ، وهذا القول الذي يتحملة الرسول هو الرسالة .

وفي قوله تعالى : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده...) (٢) .

يقول السيوطي : " الفتح في هذه الآية عبارة عن العطاء ، والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال الإطلاق بعد المنع ، والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة " (٣) .

وهذا الكلام من السيوطي متفق تماماً مع قاله الراغب في مفرداته (٤) ، كما أن السيوطي صرح فيه كذلك بأن الإرسال : الإطلاق ، أي أن الإطلاق معنى من معانيه .

ومما تقدم يتضح جلياً أن الإرسال يرد في اللغة بمعان متعددة - كما ذكرت سابقاً - وهي في حقيقتها متقاربة .

ومن هنا نعلم أن الإرسال عام وخاص ، وأنه يكون بالخير والشر ، وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة (٥) ، وأن الرسول من يبعث محملاً أو متحملاً قولاً أو أمراً أو فعلاً ليلبغه أو ينفذه .

والرسل أو الرسول في بعض آيات القرآن تعني الملائكة كما في قوله تعالى : (إنه لقول رسول كريم) (٦) أي جبريل - عليه السلام - قاله : ابن عباس ، والشعبي ، وميمون بن مهران ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ابن أنس ، والضحاك وغيرهم (٧) ، وقوله تعالى : (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) (٨) وقوله تعالى : (ولما جاءت رسلنا لوطاً سئ بهم...) (٩) ، وقوله تعالى : (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى...) (١٠) وغيرها من الآيات .

ولذا قال السيوطي في قوله تعالى : (قال ما خطبكم أيها المرسلون) (١١) أي ما شأنكم ؟ أو بأي شيء جئتم ؟ والخطاب مع

(١) السابق نفسه .

(٢) سورة فاطر الآية رقم (٢) .

(٣) معترك الأقران (٤١١/٢) .

(٤) انظر : (ص) .

(٥) انظر : نفسه .

(٦) سورة التكوين الآية (١٩) .

(٧) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٧٩، ٨٠/٣٠) وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣٦١/٨) .

(٨) سورة هود الآية (٨١) .

(٩) سورة هود الآية (٧٧) .

(١٠) سورة هود الآية (٦٩) .

(١١) سورة الحجر الآية (٥٧) .

الملائكة الذي نجاوا لإبراهيم - عليه السلام - بالبشرى^(١) فهذا من اطلاق لفظ الرسل أو المرسلين على الملائكة - كما ذكرت - .
ويقول السيوطي - أيضاً - : " وقد ذكرنا أن الرسالة والإرسال بمعنى واحد ، والرسول المتحمل للرسالة إلى الأمة^(٢) واستيفاء لمعنى الإرسال فإن شيخ الاسلام ابن تيمية يفرق بين الإرسال الكوني ، والإرسال الشرعي الديني^(٣) ، أو يسميه الإرسال العام والإرسال الخاص^(٤) .

المبحث الثالث : النبي والرسول في الاصطلاح والعلاقة بينهما

وقع خلاف كبير بين العلماء في وضع الحد الاصطلاحي الذي يوضح معنى النبي والرسول ، إلا أنني أقول بداية : إن هذا الخلاف لا يترتب عليه ضلال المخالفين لأهل السنة في هذه المسألة ، أو تبديعهم أو تفسيقهم ، نظراً لأن النصوص الشرعية غير قاطعة الدلالة على المعنى المقصود ، لكن العلماء من أهل السنة وغيرهم قد بذلوا جهودهم واستفروا وسعهم في بيان المعنى الاصطلاحي لكل من النبي والرسول والنبوة والرسالة والعلاقة بينهما .

غيره أنه يمكن إرجاع ميع التعريفات الواردة في النبي والرسول إلى مذهبين رئيسيين :

أولهما : مذهب من لا يفرق بين الرسول والنبي ، ويرى أنهما مترادفان ، وهو قول القاضي عبد الجبار^(٥) من المعتزلة ، وقد أثبتته سابقاً في التعريف رقم (٢) ، وحكاه الرازي عن المعتزلة عامة^(٦) وحكاه الملا علي القاري عن الكمال بن الهمام من الحنفية^(٧) ، وهو ظاهر كلام أبي الحسن الماوردي من الشافعية^(٨) ولأصحاب هذا الاتجاه حجج على قولهم ، فقالوا :

١- إن الذي يدل على أن الرسول والنبي بمعنى واحد هو اتفاق الكلمتين في المعنى " فهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام ، وهذا هو أمانة اثبات كلتي اللفظتين المتفقتين في الفائدة^(٩) .

٢- وأما استدلال بعض من فرق بين اللفظتين بقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...)^(١٠) لمجرد الفصل بين الرسول والنبي ، فهو لا يدل على اختلاف الجنس ، لأن الله تعالى فصل بين نبيينا محمد - صلى الله عليه

وسلم - وبين غيره من الأنبياء ولم يدل ذلك على أن نبيينا - صلى الله عليه وسلم - ليس من الأنبياء - عليهم السلام - .

٣- وقد فصل تعالى - أيضاً - بين الفاكهة وبين النخل والرمان ، ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة ،

(١) معترك الأقران (٣٤٢/٢) .

(٢) السابق نفسه (١٨٥/٢) .

(٣) انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٥١) - ط رئاسة الافتاء بالملكة العربية السعودية تصحيح وتعليق محمود عبد الوهاب فايد .

(٤) انظر : النبوات (٢٥٧-٢٥٨) .

(٥) عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، شيخ المعتزلة في عصره ، ولي القضاء بالري وتوفي فيها (٤١٥هـ-١٠٢٥م) انظر : طبقات المعتزلة (١١٢) ولسان الميزان (٣٨٦/٣) .

(٦) انظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير (٥٠/١٢) .

(٧) انظر : الملا علي القاري : شرح الفقه الأكبر (ص ٩٤) .

(٨) انظر : أعلام النبوة (ص ١٩٠٢٣) وقد نقلته في التعريف رقم (٣) .

(٩) عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة (ص ٥٧٨) ت . د/عبد الكريم عثمان ط ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م وهبة - القاهرة .

(١٠) سورة الحج الآية (٥٢) .

فكذلك لا فرق بين الرسول والنبي^(١) ، لأن الواو هي لمطلق الجمع بين اللفظتين .

٤- كما أن آية الحج المتقدمة^(٢) ، دالة على أن النبي قد يكون مرسلًا ، بالإضافة إلى قوله تعالى : (وما أرسلنا في قرية من نبي)^(٣) فالنبي مرسل ، والمرسل نبي^(٤) .

٥- أن الله تعالى خاطب محمداً - صلى الله عليه وسلم - مرة بالنبي ، ومرة أخرى بالرسول ، فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين^(٥) .

٦- أنه تعالى نص على أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - هو رسول الله وخاتم النبيين فهو رسول نبي ونبي رسول وكذلك سائرهم .

٧- أن اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ وهو الخبر ، أو من قولهم : نبا إذا ارتفع ، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة^(٦) هذه مجمل أدلة القوم المانعين من التفريق بين النبي والرسول .

ثانيهما : مذهب جمهور العلماء القائلين بوجود الفرق بين النبي والرسول وأجابوا عن أدلة أصحاب الرأي الأول بأجوبة حسنة فقالوا :

١- قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...) الآية^(٧) هي حجة عند الجمهور في التفريق بين النبي والرسول ، لأنه تعالى عطف النبي على الرسول بحرف الواو ، وهذا العطف يقتضي المغايرة لأنه لو لم يكن ثمة فرق بينهما لقال : وما أرسلنا من قبلك من نبي رسول ، أما وقد ما يز بين اللفظتين فقد دل على تمايز بين المعنيين ، فثبت الفرق .

٢- وكذلك قوله تعالى : (وكم أرسلنا من نبي في الأولين...)^(٨) هي الأخرى دليل على التفريق لأنها تدل على أنه كان نبياً فأرسله الله تعالى وجعله رسولاً ، فبعد أن كان نبياً فقط أصبح نبياً رسولاً . وهو تأييد لصحة قولنا بالتفريق^(٩) .

٣- وأما الفصل بين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبين غيره من الأنبياء فلا حجة فيه لأنه من باب عطف الخاص على العام ، فإذا قيل : " أنبياء الله " دخل فيهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وإذا قيل : " نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - " فلا يتناول الكلام غيره من الأنبياء^(١٠) .

٤- كذلك يقال في قوله تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان)^(١١) هو من باب عطف الخاص على العام ، فلفظ الفاكهة عام

(١) انظر : عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة (٥٧٨) .

(٢) هي قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...) الحج (٥٢) .

(٣) سورة الأعراف الآية (٩٤) .

(٤) انظر : الرازي : التفسير الكبير (٥٠/١٢) .

(٥) نفسه السابق .

(٦) انظر : الرازي : التفسير الكبير (٥٠/١٢) .

(٧) سورة الحج الآية (٥٢) .

(٨) سورة الزخرف الآية (٦) .

(٩) انظر : الرازي : التفسير الكبير (٥٠/١٢) .

(١٠) السابق نفسه .

(١١) سورة الرحمن الآية (٦٨) .

يشمل النخل والرمان وغيرهما من أصناف الفاكهة الأخرى ، وإذا قيل " نخل ورمضان " فلا يدخل في المعنى بقية أصناف الفاكهة ، فذلك في آية الحج (١) .

٥- كما أن خطاب الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - مرة بالنبي ، وأخرى بالرسول لا يدل على عدم الفرق لأن نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كما هو معلوم نبي رسول ، فإن خاطبه بالنبي فهو حق ، ولا يلزم من ذلك أن يكون النبي رسولاً ، وإن كان محمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً رسولاً .

وإن خاطبه بالرسول فهو حق أيضاً وقد تضمن خطابه بالنبوة ، فكأنه قال : " يا أيها النبي الرسول ، فإن كان محمد رسولاً ، فهو من باب أولى نبي ، والله تعالى يخاطبه في كل موضع بما يناسبه من مقام الخطاب " (٢) .

٦- وأما كون اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ أو من نبا إذا ارتفع والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة ، فهو غير مسلم " لأن النبي المنبأ من الله قد جمع بمجرد ذلك جميع المعاني التي اشتق منها اسمه ، وقد حصلت له الرفعة وعلو الشأن وإن لم يحصل له الرسالة " (٣) .

٧- بالإضافة إلى ذلك الحديث الوارد في عدد الأنبياء وهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، وعدد الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً (٤) ، فهذا الحديث يدل على الفرق بين الأنبياء والمرسلين وهو دليل يعضد رأي من قال بالتفريق .

ولكن هؤلاء القائلين بالفرق بين النبي والرسول لم يتفقا على وجه الفرق بينهما ، والأكثر على أن الرسول انسان حر ذكر أوحى الله إليه بالنبوة وأمره بإبلاغها إلى قوم معينين أو إلى الناس كافة ، والنبي مثله إلا أنه لم يؤمر بالتبليغ . وهو قول الأشاعرة (٥) ، وجمهور أهل السنة .

وكان ممن قال بهذا القول من أئمة أهل السنة الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٦) (ت/٣١٠هـ) ، والامام شمس الدين ابن القيم (٧) (ت/٧٥١هـ) ، وأبو الفداء اسماعيل ابن كثير (٨) (ت/٧٧٤هـ) ، وابن أبي العز الحنفي شارح

(١) انظر: سعيد إبراهيم مرعي خليفة: النبوة عند ابن تيمية ورده على المخالفين (ص ٦٧) - ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى/١٤١٠هـ .

(٢) السابق نفسه (ص ٦٩) .

(٣) السابق نفسه .

(٤) أخرجه أحمد في " المسند " (١٧٨-١٧٩) وفي سنده ثلاثة ضعفاء ، وأخرجه ابن حبان رقم (٩٤) مطولاً ، وفي سنده هشام الغساني ، قال أبو حاتم وغيره ، كذاب ، وأخرجه أحمد (٢٦٥، ٢٦٦/٥) من حديث أبي أمامة ، وفي سنده ثلاثة ضعفاء أيضاً . قال العلامة الألويسي في روح المعاني : " ورعم ابن الجوزي أنه موضوع ، وليس كذلك ، نعم قيل في سنده ضعف جبر بالمتابعة " انظر : روح المعاني (١٧٢/١٧) دار الفكر ١٣٩٨هـ . وقد أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٦٢/٢) من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال : يا رسول الله : أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم ، معلّم ومكلم " قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " قال : يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال : " ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً " . وسنده صحيح على شرط مسلم كما قال الحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في تحقيقه مشكاة المصابيح (١٢٢/٣) .

(٥) انظر في ذلك : أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية (ص ٢١٠-٢١٢) ، والملا علي القاري : شرح الفقه الأكبر (ص ٩٤) ، وحاشية الدسوقي على أم البراهين للشيخ محمد الدسوقي (ص ١٧٣) ط دار الفكر - بيروت بدون طبعة ولا تاريخ ، وانظر كذلك : أبو عبدالله السنوسي : شرح السنوسية الكبرى ، المسمى " عمدة أهل التوفيق والتسديد " (ص ٣٥٠) ت . د/ عبدالفتاح عبدالله بركة ط ١/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، - دار القلم - الكويت . وانظر كذلك : أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي : المنهاج في شعب الايمان (٢٣٩/١) - دار الفكر ط ١/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٦) انظر : جامع البيان (١٨٩/١٧) ط ١٣٨٨هـ .

(٧) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٣/١) ت. شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة (٣/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، وكذلك : طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص ٣٤٩) ط ١/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

الطحاوية^(٢) (ت/٧٩١هـ) ، والعلامة محمد بن أحمد السفاريني^(٣) (ت/١١٨٨هـ) .

وذهب بعض المعتزلة مذهب التفريق بين النبي والرسول ، حكاه سعد الدين التفتازاني^(٤) ، ورأيت في كلام الزمخشري

وهو أيضاً من المعتزلة^(٥).

لكن وجه الفرق الذي ذكره هؤلاء يرد عليه بعض الاعتراضات منها :

١- أن قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...)^(٦) تفيد أن النبي مرسل من الله ، فالرسول مرسل ، والنبي أيضاً مرسل ، والمرسل هو من يحمل رسالة من مرسل إلى مرسل إليه ولا يحصل الإرسال إلا بالتبليغ فثبت أن النبي يبلغ ما أرسله الله به إلى الناس ، وتعريفه بأنه لا يؤمر بالتبليغ يناقض مدلول هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات التي ذكرت قبل ذلك منها قوله تعالى : (وكم أرسلنا من نبي في الأولين)^(٧) مما يدل على أن النبي مرسل برسالة إلى قومه ، وهذا الاعتراض يتوجه أيضاً إلى ما نقله السيوطي عن مجاهد ، قال : " النبي وحده ، الذي يكلم ، وينزل عليه ، ولا يرسل " ^(٨) وقد اتضح مما ذكرته أن النبي يرسل ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...)^(٩) فذكر إرسالاً يعم النوعين^(١٠) .

٢- أن النبوة من معانيها الرحمة كما قال تعالى : (أهدمهم رحمة ربك ...)^(١١) ، قال الشوكاني : " يعني : النبوة " ^(١٢) ، وقال تعالى : (فوجدوا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا...) الآية^(١٣) . قال الشوكاني : " الرحمة النبوة " ^(١٤) ، وقال - أيضاً - : " أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : (آتيناه رحمة من عندنا...) قال : " أعطيناه الهدى والنبوة " ^(١٥) وهذه الرحمة قد وصفها الله تعالى بأنها قد وسعت كل شيء كما قال عز وجل : (ورحمتي وسعت كل شيء)^(١٦) وقال عن الملائكة : (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً)^(١٧) .

-
- (١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٢٣/٦) في تفسير الآية (٤٠) من سورة الأحزاب (وخاتم النبيين) .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص١٦٧) ط١٤٠٠هـ - المكتب الإسلامي - بيروت ت. اللبناني .
(٣) انظر : لوامع الأنوار البهية (٤٩/١) دار الخافقين - دمشق .
(٤) انظر : شرح المقاصد (٨٧٣/٢) .
(٥) انظر : الكشف (٣٧/٣) - دار المعرفة - بيروت .
(٦) سورة الحج الآية (٥٢) .
(٧) سورة الزخرف الآية (٦) .
(٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦٥/٦) . دار الفكر ط١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - بيروت لبنان .
(٩) سورة الحج الآية (٥٢) .
(١٠) انظر : ابن تيمية : النبوات (ص٢٥٥) دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، بيروت - لبنان .
(١١) سورة الزخرف الآية (٣٢) .
(١٢) محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير (٥٥٤/٤) . وانظر : تفسير الجلالين (ص٥٩٨) .
(١٣) سورة الكهف الآية (٦٥) .
(١٤) فتح القدير (٢٩٩/٣) ، وانظر : الشنقيطي : أضواء البيان (١٥٨/٤) .
(١٥) نفس السابقين .
(١٦) سورة الاعراف الآية (١٥٦) .
(١٧) سورة غافر الآية (٧) .

وفي ترك البلاغ من قبل النبي والانذار كتمان لرحمة الله وتضييق لها ، وتحجير لواسعها ، وجدد لنعمة الله التي أمر نبيه أن يحدث بها " كما في قوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث)^(١) ، وأعظم رحمة وأكبر نعمة هي رحمة الهداية ، ولم يثبت بقول صريح ، في نص صحيح أن الله اختص نبياً من الأنبياء وأوحى إليه وحياً ، وقال له : هذا لك خاصة لا يشركك فيه الناس . مما يدل على أن النبي يدعو ويبلغ .

٣- أنه قد وردت بعض النصوص الشرعية التي تبين أن الأنبياء كانوا يقاتلون في سبيل الله ، والقتال من أعظم واجبات الدعوة والبلاغ ، إذ هو حماية للحق ، ودحر للباطل المعوق لانتشار الخير والعدل بين الناس قال تعالى : (ألم تر إلى الملائكة إذ قالوا لنبي لهم ابعت لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله...) الآية^(٢) ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ، ولما بين بها ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقوفها ، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها ، فغزا ، فأدنى للقرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليهم... " الحديث^(٣) وهذا النبي هو يوشع بن نون - عليه السلام - وهو ليس برسول باتفاق ، وقد بلغ وحي الله وغزا في سبيله^(٤).

٤- أن اتباع الأنبياء من العلماء والأئمة ، مطالبون بالدعوة والتبليغ والجهاد ، وهم ليسوا بأنبياء ، فكيف بالأنبياء ، وهم أرفع وأفضل ، وقد اختصهم الله تعالى بالوحي ، قال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً...)^(٥) ، وقال تعالى : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيانات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)^(٦) فإذا كانت هذه حال العلماء والفقهاء الذين ورثوا علم الأنبياء ، وهم متوعدون إذا كتموا علماً يهدي الناس إلى طريق الحق والهدى ، فكيف بالأنبياء وهم المعروفون بشدة شفقتهم على أممهم ورحمتهم بهم ، ومحبة الخير والصلاح لهم فهذه أهم الاعتراضات التي وجهت لهذا الرأي ، ولذلك لجأ بعض العلماء إلى تعريفات أخرى فقال بعضهم : " الرسول من أوحى إليه بشرع جديد ، والنبي من لم يوح إليه بشرع جديد ، وإن أمر بالبلاغ والانذار "^(٧) وهذا الرأي يتمشى مع معنى الآية الكريمة التي في سورة الحج في كون الإرسال يعم الرسول والنبي ، ولكنه فرق بينهما بكون الرسول موحى

(١) سورة الضحى الآية (١١) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٦) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب فرض الخمس (٥٧) باب (٨) ح رقم (٣١٢٣) فتح الباري (٦/٢٢٠) .

ورواه أيضاً في كتاب النكاح من " صحيحه " باب (٥٨) ح رقم (٥١٥٧) فتح الباري (٩/٢٢٣) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر : " وهذا النبي هو يوشع بن نون ، كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار ، وبين تسمية القرية كما سيأتي ، وقد ورد

من طريق مرفوعة صحيحة ، أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس " . الفتح (٦/٢٢١) .

(٥) سورة فصلت الآية (٣٣) .

(٦) سورة البقرة الآية (١٥٩) .

(٧) انظر : القاضي عياض : الشفا (٢٥١/١) ، والألوسي : روح المعاني (١٧٣/٧١) ، والرازي : التفسير الكبير (٥٠/١٢) ، وهذا القول هو الذي

اختاره د. عمر سليمان الأشقر في كتابه " الرسل والرسالات " (ص ٥) ، مكتبة الفلاح - الكويت ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

إليه بشرع جديد وهو المأخذ على هذا التعريف ، لأن يوسف - عليه السلام - كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم - عليه السلام - ولم يوح إليه بشرع جديد ، كما أن داود وسليمان - عليهما السلام - كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة^(١) .

لذا ذهب البعض إلى أن الرسول من يأتيه جبريل بالوحي من عند الله لإنذار الخلق ، وأما من أوحى إليه مناماً فهو نبي وليس برسول .

قول السيوطي : " كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ، فالرسول الذي يأتيه جبريل بالوحي من عند الله لإنذار الخلق ، وأما من أوحى إليه في المنام فليس برسول "^(٢) وهذا القول موافق لقول الرازي الذي ذكره في تفسيره حيث قال : " إن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولاً أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله ، فهو النبي الذي لا يكون رسولاً وهذا هو الأولى "^(٣) وهو كلام الألويسي - أيضاً - في روح المعاني^(٤) . وهذا القول أيضاً لا يسلم من اعتراض عليه ، فيقال أولاً : إذا كان الرسول هو من يأتيه الملك ظاهراً ويأمره بالبلاغ فهو رسول ، وإن جاءه مناماً وأمره بالبلاغ فماذا يكون ؟؟ أيكون رسولاً لأنه أمره بالتبليغ ؟ فهذا خلاف ظاهر كلام السيوطي والرازي ، أم يكون نبياً فقط لأن الوحي إليه كان مناماً ؟ وعلى هذا فتكون رؤيا الأنبياء غير حق ، لأن الواقع خلاف الرؤيا ، ومن المقرر المتفق عليه بين العلماء أن رؤيا الأنبياء حق ووحي ، فما يروونه في المنام يطابق الحقيقة ، وعلى كلام السيوطي والرازي لا تتحقق هذه المطابقة .

ثانياً : كلام الرازي يلزم منه كذب الأنبياء أو بعضهم ، لأنه قال : إذا " أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله فهو النبي الذي لا يكون رسولاً " فإخبار الرسول لا يكون مطابقاً لواقع الأمر ، وهو نوع من الكذب وهذا محال .

وبناء على هذا يتضح أن كلام السيوطي والرازي من قبله غير دقيق لما ورد عليهما من الاعتراض .

ولابن تيمية رأي هو أقرب إلى الصواب أحببت أن أعرج عليه لأهميته .

يرى ابن تيمية أن الرسول هو من يبعث إلى المخالفين مكذبين ، يدعوهم إلى الإسلام ، والنبي هو من يرسل إلى موافقين له في أصل الملة التي يدعو إليها ، ولكنهم لبعد العهد بهم ، وطول الأمد عليهم ينحرفون عن بعض التعاليم التي أمروا بها ، فكل من الرسول والنبي مرسل من الله ، وكل منهما يدعو ويبلغ ، ويبشر وينذر ، وكل منهما مُنبأ من الله ، ومُنْبئ بما أنبأه الله تعالى . إلا أن النبي يدعو الموافقين ويقيم فيهم حكم الله الذي يعرفونه ويؤمنون به ، والرسول يفعل ذلك أيضاً ويزيد عليه في أنه يدعو المخالفين كذلك قال ابن تيمية : " النبي : هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبي بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبيلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد^(٥) يبلغه عن الله رسالة ، فهو نبي ، قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...)^(٦) وقوله : (من رسول ولا نبي)^(٧) فنذكر إرسالاً يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول

(١) انظر : ابن تيمية النبوات (ص ١٧٣) .

(٢) معترك الأقران (١٨٥/٢) .

(٣) التفسير الكبير (٥٠/١٢) .

(٤) انظر : (١٧٢/١٧) .

(٥) يعني : لم يرسل إلى أحد من المخالفين .

(٦) سورة الحج الآية (٥٢) .

، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف أمر الله ^(١) فمن أرسل إلى مخالفين فهو رسول ، كرسول الله نوح - عليه السلام - ، ومن أرسل إلى موافقين مؤمنين يذكرهم فهو نبي وليس برسول ، كشيث وإدريس - عليهما السلام - وقبلهما آدم - عليه السلام - فهؤلاء كانوا قبل نوح ، ونوح - عليه السلام - هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض ^(٢) ، ثبت ذلك في الصحيح ^(٣) ، " قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحى من الله بما يفعلون ، ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة ، يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول ، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة ، وقد يوحى إلى أحدهم وحى خاص في قصة معينة ، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن كما فهم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو و داود ^(٤) ، فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر والأمر والنهي ، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ^(٥) ، ولا بد أن يكذب الرسل قوم ... فإن الرسل ترسل إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم ... فقلوه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...) ^(٦) دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق ، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " العلماء ورثة الأنبياء " ^(٧) ، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة ^(٨) .

وبهذا يتضح أن الصحيح هو التفريق بين النبي والرسول ، وأن أقرب الأقوال إلى الصواب هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية لقوة أدلته وسلامته من الاعتراض .
أما قول السيوطي فهو يصح في التفريق بين النبي والرسول ، ولكنه لا يسلم من الاعتراض عليه في وجه التفريق بينهما - كما بينت ذلك عند ما نقلت كلام الرازي والسيوطي وما اعترض به عليهما .

(١) النبوات (ص ٢٥٥) .

(٢) انظر : النبوات (ص ٢٥٥) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الأنبياء (٦٠) باب (٣) ح رقم (٣٣٤٠) انظر : الفتح (٣٧١/٦) .

ورواه مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان (١) باب (٨٤) ح رقم (٣٢٧-١٩٤) انظر : صحيح مسلم (١٨٤/١) .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعِلْماً ...) الآية (٧٩) سورة الأنبياء ، روى ابن جرير بسنده عن ابن مسعود قال : كرم قد أنبتت عنا قيده فأفسدته (يعني الغنم) ، قال

فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتى

يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها ،

فذلك قوله : (ففهمناها سليمان) . جامع البيان (٥١/١٧) وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣٤٩/٥) .

(٥) جواب الشرط محذوف ، ولعل المصنف - رحمه الله - قد تركه لأنه مفهوم من السياق ، وتقديره : فهم الرسل ، أو لعله سقط سهواً من الناسخ .

(٦) سورة الحج الآية (٥٢) .

(٧) البخاري في " صحيحه " كتاب العلم (٣) باب (١٠) الفتح (١٥٩/١-١٦٠) وقال ابن حجر : " طرف من حديث أخرجه أبو داود والترمذي ،

وابن حبان ، والحاكم مصححاً من حديث أبي البرداء ، وحسنه حمزة الكناي ، وضعفه عندهم سنده لكن له شواهد يتقوى بها ، ولم يفصح

المصنف (يعني : البخاري) بكونه حديثاً ، فلهاذا لا يعد في تعاليقه لكن إirاده له في الترجمة يشعر بأن له أصلاً " (الفتح ١٦٠/١) ، وقد حسنه

العلامة المحقق ابن القيم في " مفتاح دار السعادة " (٦٣/١) في الوجه السابع والأربعين .

(٨) النبوات (ص ٢٥٦، ٢٥٧) .

الفصل الثاني : الأنبياء والرسل

المبحث الأول : وجوب الإيمان بهم جميعاً :

الإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الإيمان ، قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)^(١) وقال تعالى : (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)^(٢) .

قال السيوطي عند تفسيره الآية (٢٨٥) من سورة البقرة : " (آمن) صدق (الرسول) محمد - صلى الله عليه وسلم - (بما أنزل إليه من ربه) من القرآن (والمؤمنون) عطف عليه ، (كل) تتوین عوض من المضاف إليه (آمن بالله وملائكته وكتبه وبالجمع والإفراد)^(٣) (ورسله) ويقولون : (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى "^(٤) فهنا يبين السيوطي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المؤمنين به قد آمنوا بالرسول جميعاً من غير تفريق بينهم ، بأن يؤمنوا ببعض رسل الله دون البعض الآخر ، وهكذا المؤمنون من بعدهم ، ولم يفعلوا ما فعله اليهود والنصارى فإن اليهود كفروا بعيسى ومحمد - عليهما السلام - والنصارى كفروا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولقد كان هذا هو سبب غضب الله عليهم ولعنهم والحكم عليهم بالكفر والضلال^(٥) .

قال ابن كثير : " فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء ، لا يفرقون بين أحد منهم ، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، بل الجميع عندهم صادقون بارون ، راشدون مهديون ، هادون إلى سبل الخير ، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله ، حتى نسخ الجميع بشرع محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي تقوم الساعة على شريعته ، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين "^(٦) .

ويزيد السيوطي الأمر تأكيداً لهذا المعنى ، وإيضاحاً له ، فيجعل الكفر بالرسول أو بواحد منهم ضلالاً بعيداً عن الحق ، فيقول في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا آمنوا) داوموا على الإيمان (بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) على الرسل ، بمعنى الكتب ...

(١) سورة البقرة ، الآية (١٣٦) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٨٤) .

(٣) قراءتان (كتبه) أو (كتابه) .

(٤) تفسير الجلالين (ص ٥٧) .

(٥) الحقيقة أن النصارى كفروا بعيسى - كذلك - لأنهم لم يؤمنوا به رسلاً كما أرسله الله تعالى إليهم ، بل كفروا به رسلاً وجعلوه شريكاً لله تعالى ، وإبنا له ، فهما كفران لا كفر واحد .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٥٠٨/١) .

الثاني : أن يراد الجنس ... وانظر كيف شنع كفرهم ، وهول على فعلهم بحرف التنبيه ويتكرر أسمائهم ^(١) .

وأكد على هذا المعنى ابن كثير فقال : " (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم) ^(٢) كفروا بها ، وعصوا رسل الله ، وذلك أنه من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء ، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به ، فعاد كفروا بهود ، فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل ^(٣) .

إذاً فالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين واجب ، كما أن الكفر برسول واحد يعتبر كفراً بجميعهم ، لذلك قال تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلين) ^(٤) وقال : (كذبت عاد المرسلين) ^(٥) ، وقال : (كذبت ثمود المرسلين) ^(٦) وقال : (كذبت قوم لوط المرسلين) ^(٧) ومن المعروف أن كل أمة كذبت رسولها فقط ، ولكن هذا محمول على المعنى السابق من أن السكذوب برسول واحد يعد تكذيباً بالرسول كلهم ، إذ أنهم جميعاً حملة رسالة واحدة ، ودعاة دين واحد ، يصدقهم ربهم ، ويصدق بعضهم بعضاً ، ويبشر السابق منهم باللاحق ، ويصدق المتأخر منهم بالمتقدم .

المبحث الثاني

٢- لب دعوتهم - عليهم السلام :-

لب دعوات الرسل والأنبياء - عليهم السلام - وجوهر رسالاتهم ، هو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وترك ما يعبد من دونه ، قال تعالى عن نوح - عليه السلام - : (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ^(٨) قال السيوطي : " (إني أخاف عليكم) إن عبدتم غيره (عذاب يوم عظيم) " ^(٩) وقال أيضاً في قوله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله) ^(١٠) وحده ^(١١) .

إن عبادة الله وتوحيده هو المقصود الأعظم لرسالات الأنبياء والمرسلين ، جاءوا بها من عند الله ، وبأمر من الله ، ليعبدوا الناس لربهم وخالقهم - جل وعلا - يستوي في ذلك الكبير والصغير ، والشريف والوضيع ، والمالك والمملوك ، حتى الأنبياء أنفسهم أول العابدين ، وفي مقدمة الموحدين ، قال تعالى : (لن يستكف) أي يتكبر ويأنف (المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) عند الله ، لا يستكفون أن يكونوا عبيداً ، وهذا من أحسن الاستطراد ، ذكر للرد على من زعم أنهم آلهة أو بنات الله ، كما رد بما قبله على النصاري الزاعمين ذلك المقصود خطابهم (ومن يستكف عن عبادته

(١) معترك الأقران (٢/٦٠٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٦٣) ، وانظر : الفخر الرازي : التفسير الكبير (١٢/١٦) ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٧) ، والشوكاني : فتح القدير (٢/٥٠٦) .

(٣) سورة الشعراء الآية (١٠٥) .

(٤) سورة الشعراء الآية (١٢٣) .

(٥) سورة الشعراء الآية (١٤١) .

(٦) سورة الشعراء الآية (١٦٠) .

(٧) سورة الاعراف الآية (٥٩) .

(٨) تفسير الجلالين (ص ١٨٧) .

(٩) سورة الاعراف الآية (٦٥) .

(١٠) تفسير الجلالين (ص ١٨٧) .

ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً^(١) ثم قال تعالى : (وأما الذين استكفوا واستكبروا^(٢)) عن عبادته^(٣) (فيعذبهم عذاباً أليماً^(٤))

وبمثل ما قال السيوطي قال الامام بن جرير الطبري في قوله تعالى : (لن يستكف المسيح) الآية ، " لن يأنف ولن يستكبر المسيح أن يكون عبداً لله يعني : من أن يكون عبداً لله... ولن يستكف أيضاً من الاقرار لله بالعبودية والاذعان له بذلك رسله المقربون ، الذين قربهم الله ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه^(٥)... وأما الذين تعظموا عن الاقرار لله بالعبودية ، والاذعان له بالطاعة ، واستكبروا عن التذلل لألوته وعبادته ، وتسليم الربوبية والوحدانية له (فيعذبهم عذاباً أليماً^(٦)) يعني عذاباً موجعاً^(٧) .

فالمسيح وجميع الأنبياء - عليهم السلام - داخلون في العبودية لله ، بل هم أول المسارعين إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فهذا أعظم ما أرسلوا به ، ودعوا إليه ، فقد قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون^(٨)) وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت^(٩)) وفي تفسير هذه الآية يقول السيوطي : (أن اعبدوا الله) " وحدوه^(١٠)) (واجتنبوا الطاغوت) قال : " الأوثان أن تعبدوها^(١١) .

وبمثل هذا فسرهما ابن جرير إلا أنه فسر الطاغوت بالشيطان ، والسيوطي فسرهما بالأوثان ، وعبادة الأوثان إنما يدعو إليها الشيطان وأعوانه وأتباعه (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير^(١٢)) قال ابن جرير " يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً ، كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة... وابتعدوا عن الشيطان ، واحذروا أن يغويكم ، ويصدكم عن سبيل الله ، ففضلوا^(١٣) .

يؤكد السيوطي على تقرير هذا التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، فيقول : في تفسير قوله تعالى : (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إن أنتم^(١٤)) في عبادتكم الأوثان^(١٥)) (إلا مفترون^(١٦)) كاذبون على الله^(١٧) .

وهكذا كان كل رسول يأمر قومه بعبادة الله وحده ، واجتناب كل ما سواه من المعبودات من أوثان ، وهوى ،

(١) سورة النساء الآية (١٧٢) وانظر معها : تفسير الجلالين (ص١٢٢-١٢٣) .

(٢) سورة النساء الآية (١٧٣) .

(٣) تفسير الجلالين (ص١٢٣) .

(٤) جامع البيان (٣٧/٦) .

(٥) نفسه (٣٨/٦) .

(٦) سورة النساء الآية (١٧٣) .

(٧) جامع البيان (٣٨، ٣٩/٦) ، وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٣٣/٢) ، والشوكاني : فتح القدير (٥٤٢/١) .

(٨) سورة الانبياء الآية (٢٥) .

(٩) سورة النحل الآية (٣٦) .

(١٠) الجلالين (ص٣٢٢) وانظر كذلك (ص٢٧٠) ، (ص٢٧٤) .

(١١) نفسه (ص٣٢٢) .

(١٢) سورة فاطر الآية (٦) .

(١٣) جامع البيان (١٠٣/٦) وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٩٩/٤) .

(١٤) سورة هود الآية (٥٠) .

(١٥) تفسير الجلالين (٢٦٩) .

وشهوة وسلطان .

فما سوى الله تعالى ليس بإله ، وإن إلهية ما سواه أبطل الباطل ، وإثباتها أظلم الظلم ، فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه ، كما لا تصلح الإلهية لغيره ، فكل الذين ألخوا وعبدوا غير الله ، هم ضالون مشركون ، ليس لهم في الآخرة من نصيب .

ولا ريب أن عبادة الله وتوحيده أساسه قول : لا إله إلا الله ، فهي كلمة التوحيد ، الدالة عليه ، وهي أول واجب على العبد ، وهي أول ما يدخل به الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا قال السيوطي : " جميع الرسل جاءت بهذه الكلمة المشرفة دون سائر الطاعات ، وأول من شهد بها الله وملائكته ثم الرسل ، قال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ...)^(١) ثم أمرك بها في قوله (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)^(٢) ولا يبقى في الجنة غيرها ، والقرآن ، والحمد لله ، والحب لله ، فعليك أيها الأخ بحفظها ، ولا تندسها بالمعاصي ، وإن قُتِرَ عليك فامحها بتوبة ، كالثوب تغسله كلما تَدَنَسَ ، وإن لم تتب وتوسخ فيوم زينة المحشر ما تلبس ؟ وحرص عليها من أحببته أو تعلق بك "^(٣) .

قلت : قد ورد في الحديث أيضاً أن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس^(٤) ، وهذا أيضاً مما يبقى في الجنة ، وهو تسبيح الله تعالى وتحميده .

والسيوطي عند بيان معنى كلمة (لا إله إلا الله) وذلك في تفسير قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ...)^(٥) يورد بعض الاسئلة والمناقشات التي يتبين من خلالها معنى هذه الكلمة العظيمة ، فقال : " فإن قلت : لأي شئ ذكر الشهادة على نفسه ، مع أن الشهادة من النفس لا تقبل ؟ فالجواب : أن الله لما بعث نبيه محمداً بالرسالة ، وأمرهم بتوحيد الله ، فقال : قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، فقالوا : من يشهد أنه رسول الله ؟ قال لهم : أي شئ أكبر شهادة ، فقالوا : الله أكبر شهادة ، فأنزل الله الآية "^(٦) .

بيد أنني لم أجد في مصنفات أسباب النزول هذا الذي ذكره السيوطي هنا ، لكنه ذكر في " أسباب النزول " من تصنيفه عن ابن عباس قال : جاء النحام بن زيد^(٧) ، وقروم بن كعب^(٨) ، وبحري بن عمر^(٩) ، فقالوا : يا محمد ما تعلم مع الله إلهاً غيره ، فقال : لا إله إلا الله ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو ، فأنزل الله في قولهم : (قل أي شئ أكبر شهادة ...) الآية "^(١٠) .

(١) سورة آل عمران الآية (١٨) .

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٤) .

(٣) معترك الاقران (٤٨٦/٢) .

(٤) ورد في صحيح مسلم (٢١٨٠/٤) ح رقم (٢٨٣٥) .

(٥) سورة آل عمران بعض الآية (١٨) .

(٦) معترك الأقران (٤٨٦/٢) .

(٧) الدر المنثور (٢٥٦/٣) قروم ، وكذلك عند ابن جرير (١٤٦/٧) .

(٨) السابق نفسه .

(٩) الدر المنثور (٢٥٦/٣) بحري بن عمرو ، وعند ابن جرير بن عمير (١٤٦/٧) .

(١٠) أسباب النزول في حاشية تفسير الجلالين (ص ٢٦٤، ٢٦٥) ، والدر المنثور (٢٥٦/٣) وتابعه الشوكاني (١٠٦/٢) ، وهو عند ابن جرير (٧/١٤٦) ، كما قال السيوطي .

وروى في الدر المنثور أيضاً عن مجاهد في قوله : (قل أي شيء أكبر شهادة) قال : " أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يسأل قريشاً : أي شيء أكبر شهادة ؟ ثم أمره أن يخبرهم فيقول في قوله تعالى : الله شهيد بيني وبينكم " (١) .

فقلوه : (الله شهيد بيني وبينكم) (٢) إخبار من الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمر من الله ، وليس من كلام قريش .

ثم قال السيوطي : " ومعناها شهد شهادةً فرضيها وأمر الخلق بها بعد شهادته لنفسه في أزله ... فإن قلت : لم ذكر النفي قبل الإثبات ؟ والجواب : لإكمال المدحة ، لأن قول الرجل : لا عالم في البلد إلا فلان ، أمدح من قولك : فلان عالم في البلد ، وأيضاً فالنجاة من النار أولى من دخول الجنة ، فأمر الله أولاً بما ينجي من النار ، وهي البراءة من عبادة الأصنام (٣) ثم بالتوحيد الذي يدخل الجنة .

وأيضاً فنفي الإلهية عن الأصنام (٤) إثبات الألوهية لله ، وليس في إثبات الإلهية لله نفي الإلهية عن الأصنام ، لأن العقائل لا يكون بغير التولي إلى معبود ، فإذا نفي الإلهية عن الأصنام ثبت توليه إلى الله ، وإذا أثبت الإلهية لله فليس يتبرأ عن الأصنام ، لأنه ربما يكون لواحد معبودان ، فما أشرف هذه الكلمة المشرفة إن وفقت إليها وأماتك الله عليها " (٥) .

المبحث الثالث : عددهم

تعرض السيوطي لتعداد الأنبياء والمرسلين في " الحاوي " فقال : " مسألة - كم عدد الأنبياء والرسل ؟ الجواب : روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة الباهلي " أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم " ، قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " ، قال : كم بين نوح وإبراهيم ؟ قال : " عشرة قرون " ، قال : يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال : " ثلاثمائة وخمسة عشر " ورجاله رجال الصحيح (١) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي ذر قال : " قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : " مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً " قلت : يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير " (٢) ، وقال في " الجلالين " : " روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي ، أربعة آلاف من إسرائيل (٣) ، وأربعة آلاف من سائر الناس ، قاله الشيخ (٤) في سورة غافر " (٥) .

ذكر هذه الرواية بسندها الحافظ ابن كثير فقال : " عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "

(١) الدر المنثور (٢٥٦/٣) ، وانظر ابن جرير (١٦٢/٧) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٩) .

(٣) الأولى أن يقال : عبادة غير الله ، لأنه أعم من أن تكون العبادة للأصنام أو لغيرها من المعبودات المتعددة .

(٤) الأولى أن يقال : نفي الإلهية عن غير الله - كسابقه - .

(٥) معترك الأقران (٤٨٧/٢ ، ٤٨٦) .

(٦) تفسير ابن كثير (٤٢٣/٢) وقال : معان بن رفاع السلمي ضعيف ، وعلي بن يزيد ضعيف ، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً .

(٧) مشكاة المصابيح (١٢٢/٣) ، الحاوي (١٣٨/٢) وقال الألباني : إسناده صحيح .

(٨) هكذا " من إسرائيل " ولعلها " من بني إسرائيل " كما هو واضح من كلام شيخه المحلي في تفسير سورة غافر - الجلالين (ص ٥٧٧) .

وعند ابن كثير : " إلى بني إسرائيل " بدلاً من " من " انظر التفسير (٤٢٣/٣) .

(٩) يقصد شيخه جلال الدين المحلي .

(١٠) (ص ١٢١) وانظر تفسير سورة غافر (ص ٥٧٧) .

بعث الله ثمانية آلاف نبي ، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل ، وأربعة آلاف إلى سائر الناس ^(١) وذكرها السيوطي في " الدر المنثور " من حديث أنس أيضاً ، وعزاها للحاكم وضعفها ^(٢) .

قال السفاريني : " وتقدم أن جميع الأنبياء - عليهم السلام - من لدن آدم إلى خاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر " ^(٣) .

ويبدو أن السفاريني قد صح لديه حديث أبي ذر عند ابن حبان في صحيحه .

يرى التفتازاني أنه من الأولى ألا يذكر فيهم عدد معين ، قال : لأنه : " لا يؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم إن ذكر عدد أكثر من عددهم ، أو يخرج منهم من هو فيهم إن ذكر عدد أقل من عددهم " ^(٤) .

وذكر التفتازاني علة أخرى تمنع من تحديد عدد الأنبياء وهي أن الأحاديث الواردة في عددهم هي من قبيل الآحاد ، قال : " إن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة في أصول الفقه ، لا يفيد إلا الظن ، ولا عبارة بالظن في باب الاعتقادات خصوصاً إذا اشتمل على اختلاف رواية ، وكان القول بموجبه مما يفضي إلى مخالفة ظاهر الكتاب ، وهو أن بعض الأنبياء لم يذكر للنبي - عليه السلام - ويحتمل مخالفة الواقع ، وهو عد النبي - عليه السلام - من غير الأنبياء ، وغير النبي من الأنبياء ، بناءً على أن اسم العدد خاص في مدلوله لا يحتمل الزيادة ولا النقصان " ^(٥) .

والمحذور الذي أورده التفتازاني من احتمال دخول من هو غير نبي في الأنبياء وعكسه ، فهو إنما يقع لو أن من ذكر العدد ذكره من غير اعتماد على نص ، أما إن ورد النص عن المعصوم ، فلا محذور ، وكذلك رده حديث العدد بأنه آحاد ، إنما هو جار على مذهبه الأشعري في عدم احتجاجهم بخبر الواحد في العقائد ، وهو مردود ، والصحيح ما عليه أهل السنة والجماعة من الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقائد والأحكام على حد سواء إذا صح سنده ولم يكن به شذوذ ولا علة قاذحة ، وهنا قد ثبت نص حديث أبي ذر - رضي الله عنه - وصح ، فوجب الاحتجاج به ، مع عدم الالتفات إلى ما ذكره التفتازاني ، وأما كون الحديث يخالف ظاهر الكتاب ، فإنني أقول لا مخالفة هنا ، لأن قول الله تعالى : (...ومنهم من لم نقصص عليك) ^(٦) أي في القرآن كمن ذكرنا أسماءهم صريحة فيه وهم الخمسة والعشرون نبياً :

١- آدم ، ٢- إدريس ، ٣- نوح ، ٤- هود ، ٥- صالح ، ٦- وإبراهيم ، ٧- لوط ، ٨- إسماعيل ، ٩- إسحاق ، ١٠- يعقوب ، ١١- يوسف ، ١٢- أيوب ، ١٣- شعيب ، ١٤- موسى ، ١٥- هارون ، ١٦- يونس ، ١٧- داود ، ١٨- سليمان ، ١٩- إلياس ، ٢٠- اليسع ، ٢١- زكريا ، ٢٢- يحيى ، ٢٣- عيسى ، ٢٤- ذو الكفل عند كثير من

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢٣/٢) وقال ابن كثير : " وهذا أيضاً اسناد ضعيف فيه الربذي ضعيف ، وشيخه الرقاشي أضعف منه " وقال في المجمع (٢١٠/٨) عن الربذي "ضعيف جداً".

(٢) (٧٤٦/٢) ، وانظر : معترك الأكران (٤٢٦/٢) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢٦٣/٢) .

(٤) شرح العقائد النسفية (ص ٨٨-٨٩) ، وانظر نحوه في " تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد " للبيجوري (ص ٧٥) .

(٥) نفسه (ص ٨٩) .

(٦) سورة غافر ، بعض الآية (٧٨) .

المفسرين ، ٢٥- سيدهم وخاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وعليهم أجمعين^(١).

فهو سبحانه يخبر أنه لم يذكر بقية الأنبياء في القرآن بأسمائهم ، ويكون قد ذكرهم لنبيه بوحى في غير القرآن ، أو أنه تعالى أخبره بعددهم جملة - كما هو مقتضى الحديث - دون أن يبين له تفصيل أعيانهم وأسمائهم وعلى هذا فلا مصادمة بين القرآن والحديث ، ومالم يذكر في القرآن لا يعارضه كونه ذكر في السنة وعليه فلا اشكال .

ويجدر التنبيه على أن ابن تيمية أشار إلى أن الامام أحمد لم يثبت عنده حديث أبي ذر الذي يذكر عدد الأنبياء والرسول قال بعد كلام نقله عن الامام أحمد : " وهذا الذي ذكره أحمد ، وذكره محمد بن نصر المروزي ، وغيرهما يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسول ، وأن حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم " (٢) .

وكذلك ذهب صاحب شرح الطحاوية إلى أنه لم يرد في عدة الأنبياء نص ، فقال : " وأما الأنبياء والمرسلون ، فعلينا الايمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله ، والايمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم ، فعلينا الايمان بهم جملة ، لأنه لم يأت في عددهم نص " (٣) .

ويبدو أن الشارح - رحمه الله - لم يقف على نص حديث أبي ذر - رضي الله عنه - المتقدم ، أو لعله رأى ما رآه ابن الجوزي من أن الحديث موضوع فلم يأخذ به ، لأنه لم يثبت عنده كما قد نقلت آنفاً عن الامام أحمد مما قاله ابن تيمية لكن الصواب أن الحديث صحيح وثابت كما نقلت ذلك عن أئمة الحديث المعتمد برأيهم .

المبحث الرابع

٤- المفاضلة بينهم :

قال السيوطي في تفسير قوله تعالى : (وربك أعلم بمن في السموات والأرض)^(٤) " فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم " (٥) (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض)^(٦) " بتخصيص كلاً منهم بفضيلة كموسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة ، ومحمد بالاسراء " (٧) فهذا خبر من الله تعالى بتفضيله بعض الأنبياء على البعض الآخر ، وقال ابن جرير تفسيراً للآية " وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والأرض وما يصلحهم ، فإنه خالقهم ورازقهم ومدبرهم... فإن ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض ، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق ، وبعضهم إلى الجميع ، ورفعى بعضهم على بعض درجات " (٨) ثم روى عن قتادة : " اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، وكلم الله موسى تكليماً ، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، وهو عبدالله ورسوله ، من كلمة الله وروحه ، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وآتى داوود زبوراً ، كنا نحدث دعاء عُلِّمه داود ، تحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ،

(١) ابن كثير (٤٢٢/٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤٠٩/٧) ، وانظر السفاريني : لوامع الأنوار (٢٦٤/٢) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٤٩) .

(٤) سورة الاسراء الآية (٥٥) .

(٥) تفسير الجلالين (ص ٣٤٣) .

(٦) جامع البيان (١٠٣/١٥) والسيوطي : الدر المنثور (٣/٢) ، (٣٠٢، ٣٠٣/٥) .

و غفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر ^(١) .

ويبدو الاتفاق واضحاً بين كلام كل من السيوطي وابن جرير . و قال السيوطي في تفسير قوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ^(٢) قال : " بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره " ^(٣) . فهذا تفضيل تخصيص كل نبي بما ليس لغيره من الأنبياء ، أما تفضيل الرتب والمنازل والدرجات فقد : " أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم " ^(٤) قال تعالى : (ورفع بعضهم درجات) ^(٥) .

قال ابن كثير : " ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء " ^(٦) كما حكي السيوطي الاجماع على تفضيل أولي العزم من الرسل فقال : " إن الله فضل بعض الأنبياء والرسل على بعض ، من غير تعيين الفاضل على المفضول ، لكن الاجماع على تفضيل أولي العزم منهم ، واختلف فيالتفضيل بينهم فقيل : آدم ، لأنه أبو البشر ، وقيل : نوح لأنه أول رسول بعث في الأرض ، وقيل : ابراهيم لأنه خليل الله ، وقيل : موسى لأنه كليم الله ، وقيل عيسى لأنه روح الله ، والاجماع على أن نبينا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - سيدهم وإمامهم ... " ^(٧) .

وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بأن يصبر كما صبر أولوا العزم الذين تقدموه فهو واحد منهم ، قال تعالى : (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ^(٨) وقد ذكرهم الله تعالى في قوله : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم...) ^(٩) وذكرهم - جل وعلا - في موضع آخر فقال : (شرع لكم من الدين ما وحي به نوهاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ^(١٠) .

ولقد أورد السيوطي أقوالاً في بيان من هم أولوا العزم فقال : " وقيل أولوا العزم الثمانية عشر المذكورون في الأنعام " ^(١١) وهو قوله تعالى : (تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحي وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على

(١) المصدران السابقان .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

(٣) تفسير الجلالين (٤٩) .

(٤) عمر سليمان الأشقر : الرسل والرسالات (ص ٢١٧) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

(٦) تفسير ابن كثير (٨٥/٥) .

(٧) معترك الأقران (٢٦/٣) .

(٨) سورة الأحقاف الآية (٣٥) .

(٩) سورة الأحزاب الآية (٧) .

(١٠) سورة الشورى الآية (١٣) .

(١١) معترك الأقران (١٠٠/٣) .

العالمين) ^(١) ودليل هذا القول أن الله تعالى قال بعد هذه الآيات آمراً نبيه - صلى الله عليه وسلم - :
(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده...) ^(٢) .

" وقيل : كل من لقي من أمته شدة ، وقيل : الرسل كلهم أولو عزم ، فـ " من الرسل " على هذا لبيان الجنس ،
وعلى الأقول المتقدمة للتبعيض " ^(٣) وهذه الأقوال التي ذكرها السيوطي لا يخفى بعدها ، ذلك لأنه يكاد يكون شبه اتفاق بين
العلماء على أن أولي العزم هم الخمسة المذكورون في آية الأحزاب ^(٤) وآية الشورى ^(٥) قال ابن كثير : " ولا خلاف أن
الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن ، في
سورة الأحزاب ^(٦) ... وفي الشورى ^(٧) ... ولا خلاف أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أفضلهم ، ثم من بعده إبراهيم ، ثم
موسى على المشهور " ^(٨) وقال ابن عثيمين : " ... وأن أفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوح وعيسى ابن مريم " .
وبغض النظر عن ترتيب الأفضلية بين هؤلاء الخمسة محمد ، ونوح وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، - عليهم جميعاً
الصلاة والسلام ^(٩) - فإنه من المتفق عليه أنهم أفضل الرسل ، والرسل أفضل من الأنبياء ، والأنبياء أفضل من سائر الخلق
وبجانب آيات التفضيل هذه وردت أحاديث أيضاً تفضل بعض النبيين على بعض كما في حديث أبي هريرة عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع " ^(١٠)
وفي أول حديث الشفاعة : " أنا سيد الناس يوم القيامة " ^(١١) وورد أيضاً قوله - صلى الله عليه وسلم - " إن الله اصطفى
كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة : واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " ^(١٢) فهذه
بالقطع قيد تفضيله - صلى الله عليه وسلم - على سائر الأنبياء والمرسلين ومن باب أولى على سائر الناس ، هذا في
الوقت الذي وردت أحاديث في النهي عن المفاضلة بين الأنبياء ، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تخبروني على
موسى... " الحديث ^(١٣) ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تفضلوا بين أنبياء الله " ^(١٤) وقوله - عليه الصلاة والسلام - :

(١) سورة الأنعام الآيات (٨٣-٨٦) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٩٠) .

(٣) معترك الأقران (١٠٠/٣) .

(٤) آية رقم (٧) .

(٥) آية رقم (١٣) .

(٦) آية رقم (٧) .

(٧) آية رقم (١٣) .

(٨) تفسير القرآن العظيم (٨٥/٥) .

(٩) روى ذلك الترتيب ابن جرير : جامع البيان (٣٧/٢٦) عن عطاء الخراساني ، وانظر : ابن كثير (٢٨٨/٧) .

(١٠) الطحاوية (١٦٩) . رواه مسلم في صحيحه (٥٩/٧) وأبو داود (٤٦٧/٣) ، وابن سعد في الطبقات (٢٠/١) وأحمد (٥٤٠/٢) .

(١١) صحيح البخاري (٣٣٤/٢) ، (٢٧٢/٣) ، صحيح مسلم (١٢٧/١) ، وأحمد (٤٣٥/٢) .

(١٢) نفسه السابق . صحيح مسلم (٥٨/٧) ، والترمذي (٢٨١/٢) وقال : " حديث حسن صحيح " .

(١٣) صحيح البخاري ح رقم (٢٤١١) ، (٣٤٠٨) ، صحيح مسلم ح رقم (٢٣٧٣) (١٨٤٤/٤) .

(١٤) صحيح البخاري ح رقم (٢٤١٢) ، (٣٤١٤) ، صحيح مسلم (١٨٤٥/٤ ، ١٨٤٣) ح رقم (١٦٣) .

" لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى " وقوله : " ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى " (١) .

وقد أشكل على البعض هذا التعارض الظاهر بين نصوص التفضيل وبين النصوص التي تنهي عن التفضيل - كما تقدم -

ولكن العلماء جمعوا بين هذه النصوص على ما هو مقرر ، من أن ظواهر النصوص إذا تعارضت بحث في معرفة المتقدم والمتأخر ، فيكون السابق منسوخاً باللاحق ، وإلا جمع بينها على ما هو معلوم بين العلماء . وقد قالوا في الجمع بين هذه النصوص أجوبة منها :

أولاً : أن هذا النهي كان قد حصل منه - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يعلمه الله بالتفضيل (٢) ، وقبل أن يوحى إليه بأنه سيد ولد آدم (٣) ، وإن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل (٤) .

ثانياً : ما قاله السيوطي : " أنه قال ذلك على وجه التواضع والانبطاح والتبعية للمخاطب على ألا يتعرض لأنبياء الله ورسله بالغيبة " (٥) .

ثالثاً : ما قاله الإمام ابن حجر أنه إنما : " خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة " (٦) .

رابعاً : أنه نهى عن التفضيل بمجرد الآراء والعصبية ، ذلك لأن التفضيل إذا كان على قانون الهوى والتشهي كان مذموماً ، وهو كذلك إن جرى على وجه الحمية والعصبية - أيضاً - بل الجهاد نفسه وهو ذروة سنام الإسلام ، إن حصل من المقاتل حمية وعصبية كان كذلك مذموماً ، فإن الله قد حرم الفخر (٧) .

خامساً : لا تفضلوا ، لأن مقام التفضيل ليس إليكم ، وإنما هو إلى الله - عز وجل - وعليكم الانقياد ، والرضى والتسليم له ، والإيمان به (٨) ، ذكر هذا ابن كثير ، وقال به الشوكاني ونصره وضعف ما سواه ، وغلب جانب النهي عن التفضيل ، وذهب إلى أنه لو فرض أنه لم يرد إلا القرآن الكريم بإخبارنا بأن الله تعالى فضل بعض أنبيائه على بعض لم يكن لنا فيه دليل على جواز التفضيل بين الأنبياء ، ذلك لأن " المزاي التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله لا تخفى عليه منها خافية ، وليست بمعلومة عند البشر ، فقد يجهل أتباع نبي من الأنبياء بعض مزاياه وخصوصياته ، فضلاً عن مزايا غيره ، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً ، لا قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها ، فإن ذلك تفضيل بالجهل ، وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له وهو ممنوع " (٩) .

(١) صحيح البخاري ح رقم (٣٣٩٥ ، ٣٤١٣ ، ٣٤١٦ ، ٤٦٣٠ ، ٧٥٣٩) ، (٣٤١٥) ، (٤٦٠٤) ، (٤٦٣١) ، (٤٨٠٥) ، مسلم (٤ / ١٨٤٣) ، ح رقم (٢٣٧٣) .

(٢) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٥٢ / ٦) ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٩ / ١) ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٧١ / ٣) .

(٣) انظر : السيوطي : معترك الأقران (٢٦ / ٣) ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٩ / ١) ، القرطبي : الجامع (١٧١ / ٣) .

(٤) انظر : القرطبي : الجامع (١٧١ / ٣) .

(٥) معترك الأقران (٢٦ / ٣) ، وانظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٥٢ / ٦) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٩ / ١) .

(٦) فتح الباري (٤٥٢ / ٦) .

(٧) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧٠ - ١٧١) .

(٨) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٩ / ١) .

(٩) فتح القدير (٢٦٩ / ١) .

إذا فورود القرآن الكريم بالتفضيل لا يستلزم جواز التفضيل للبشر، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك ؟ .
 لكن قد يقال تعقيباً على كلام الشوكاني : إن القائل بالتفضيل إجمالاً ، لم يقل محذوراً ، لأنه قائل بمقتضى القرآن ، ومن قال بمقتضى كتاب الله قائل بالحق لا بالباطل ، لأن من المتفق عليه أن من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، وعليه فلا يمنع من قال : إن الله قد فضل بعض رسله على بعض ، هكذا بإطلاق ، لأنه ناطق بما نطق به الكتاب العزيز سادساً : أن النهي عن التفضيل في مثل الحال التي حصلت بين اليهودي وبين المسلم الأنصاري من الخصام ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه ذلك اليهودي ، وقال : أي خبيث ، على محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟؟

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تخبروا بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تتشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري ، أكان فيمن صَعِقَ ، أم حوسب بصعقته الأولى " (١) فقالوا : إنما ورد النهي عن المفاضلة بين الأنبياء في مثل هذه الحال من التخاصم والتشاحن والتشاجر لأنها قد تؤدي إلى تنقص أحد من الأنبياء .

سابعاً : ما ذكره القرطبي واستحسنه فقال : " إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة ، لا تفاضل فيها ، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والأطاف ، والمعجزات المتباينات ، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل ، وإنما تتفاضل بأمر آخر زائدة عليها ، ولذلك منهم رسل أولوا عزم ، ومنهم من اتخذ خليلاً . ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات " (٢) ثم قال القرطبي : " وهذا قول حسن ، فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل ، وأعطى من الوسائل ... ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل ، فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة ، واستووا في النبوة ، إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم " (٣) ثم نقل القرطبي عن ابن عطية قوله : " إن القرآن يقتضي التفضيل وذلك في الجملة دون تعيين أحد مفضول " (٤)

ثامناً : ما ذهب إليه شارح الطحاوية من أن النهي عن التفضيل إنما هو نهى عن التفضيل الخاص حيث قال : " إن قوله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تفضلوني على موسى " (٥) ، وقوله : " لا تفضلوا بين الأنبياء " (٦) نهى عن التفضيل الخاص ، أي لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه ، بخلاف قوله : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " (٧) فإنه تفضيل عام فلا يمنع منه ، وهذا كما لو قيل : فلان أفضل أهل البلد ، لا ينصب على أفرادهم ، بخلاف ما لو قيل لأحدهم : فلان أفضل

(١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الخصومات (٤٤) باب (١) ح رقم (٢٤١٢) فتح الباري (٧٠/٥) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/٣) (١٧١) .

(٣) نفسه (١٧٢/٣) .

(٤) نفسه .

(٥) شرح الطحاوية .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٩-١٧٠) .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية (١٧٠-١٧١) .

منك" (١) قال : " ثم رأيت الطحاوي - رحمه الله - قد أجاب بهذا الجواب في شرح معاني الآثار " (٢) .

وعليه فلا يجوز إثبات التفضيل إلا على وجه العموم ، وبدون تحديد مفضل بعينه .

تاسعاً : قال الإمام ابن حجر : " إنما نهى عن ذلك (التفضيل) من يقوله برأيه ، لا من يقوله بدليل ،

عاشراً : من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضل

حادي عشر : يؤدي إلى الخصومة والتنازع

ثاني عشر : المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضل فضيلة " (٣)

ثالث عشر : وقال أيضاً عن بعض أهل العلم : " الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب ،

وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخيرة ، لأن المخيرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى

الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر ، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان ، فلا يدخل في

النهي " (٤) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧١-١٧٢) .

(٢) نفسه .

(٣) فتح الباري (٤٤٦/٦) .

(٤) نفسه .

الفصل الثالث : الوحي وطرقه

المبحث الأول : الوحي :

١- الوحي في اللغة :

أصل الوحي : الإشارة السريعة^(١) الخفية^(٢) ، " ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وَحْيٌ ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض " (٣) وفي الرمز والتعريض معنى الخفاء .
وأوحيت إليه إذا كلمته بما تخفيه عن غيره ، ويقال : " وحيث إليه الكلام وأوحيت " (٤) وذلك بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة^(٥) ، " قال علقمة : قرأت القرآن في سنتين " (٦) فقال الحارث الأعور : " القرآن هين ، الوحي أشد منه ، أراد بالقرآن القراءة ، وبالوحي الكتابة والخط ، يقال : وحيث الكتاب وحيأ " (٧) لأن أصل مادتها (وحي) الثلاثي ، والوارد في القرآن الكريم الفعل الرباعي (أوحى) كما في قوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل ...) (٨) وقوله تعالى : (بأن ربك أوحى لها) (٩) .
فاللغة الظاهرة في القرآن بالألف (أوحى) وأما في غير القرآن العظيم فوحيته إلى فلان مشهورة أنشد العجاج :
" وحي لها القرار فاستقرت " (١٠)

ويطلق الوحي في اللغة على معان متعددة : فيأتي بمعنى الإلهام الحاصل للإنسان قال أبو اسحاق : " ... ولذلك صار الإلهام يسمى وحيأ " (١١) ومن ذلك قوله تعالى : (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ...) (١٢) وقوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ...) (١٣) فهذا إلهام[#] أو إعلام في خفاء قال أبو اسحاق وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء ويأتي بمعنى الإلهام الحاصل للحيوان ، ومنه قوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل ...) (١٤) ، وسماه الراغب بالتسخير^(١٥) ، فأوحى إلى النحل أي سخره سبحانه .
ويأتي بمعنى الأمر ، كما في قوله تعالى : (وإذ أوحيت إلى الحواريين ...) (١٦) على قول ، وكذا في قوله تعالى : (بأن ربك أوحى لها) (١٧) أي أمرها^(١٨) .

(١) انظر : الراغب الأصفهاني : المفردات (ص ٥١٥) .

(٢) انظر : ابن منظور : لسان العرب (٣٧٩/١٥) .

(٣) الراغب : المفردات (ص ٥١٥) .

(٤) ابن منظور : اللسان (٣٧٩/١٥) .

(٥) الراغب : المفردات (ص ٥١٥) .

(٦) اللسان (٣٨٠/١٥) .

(٧) السابق نفسه .

(٨) سورة النحل الآية (١٦٨) .

(٩) سورة الزلزلة الآية (٥) .

(١٠) ابن منظور : لسان العرب (٣٨١/١٥) وانظر : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (١٣/٦) ، والجوهري : الصحاح (٢٥-٢٠/٥) .

(١١) لسان العرب (٣٨١/١٥) .

(١٢) سورة المائدة الآية (١١) . # اظر المفردات (٥١٥) .

(١٣) سورة القصص الآية (٧) .

(١٤) سورة النحل الآية (١٦٨) وانظر اللسان (٣٨٠/١٥) .

(١٥) انظر المفردات (٥١٥) .

(١٦) سورة الزلزلة الآية (٥) .

(١٧) اللسان (٣٨٠/١٥) .

أو هو تسخير على قول الراغب^(١) ومنه قوله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق ، واضربوا منهم كل بنان)^(٢) فهذا أمر أيضاً .
ويأتي كذلك بمعنى أن تكلمه بكلام تخفيه عن غيره قال أبو ذؤيب :

فقال لها ، وقد أوتيت إليه : ألا الله أمك ما تعيف

وقريب منه قوله تعالى : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)^(٣) يعني يسر بعضهم إلى بعض^(٤) .

ويأتي - أيضاً - بمعنى الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء ، قال تعالى : (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)^(٥) ، والمعروف أن زكريا - عليه السلام - أشار إليهم إشارة وحية سريعة ولم يتكلم^(٦) ، قال الفراء : (فأوحى إليهم) أي : " أشار إليهم " ويأتي الوحي بمعنى الرسالة والبعث ، قال ابن الأعرابي : " وأوحى الرجل إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة "^(٨) .

ويأتي - كذلك - بمعنى الإيماء بالجوارح ، قال الشاعر :

نظرت إليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صفاتها

فأوحى إليها الطرف أني أحبها فأثر ذاك الوحي في وجناتها^(٩)

وقد عبر القرآن الكريم بالوحي عن وسواس الشيطان ، وتزيينه خواطر الشر للإنسان^(١٠) ، قال تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ...)^(١١) .

ويتضح مما سبق أن كل ما دلت به من كلام ، أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي^(١٢) .

وقد ذكر ابن منظور معاني أخر للوحي كأن يأتي الوحي بمعنى النار ، وبمعنى الملك (بكسر اللام) وبمعنى السيد وغيرها^(١٣) وهي بعيدة عن مقصود البحث .

٢- الوحي في الاصطلاح :

نقل الآجري بسنده عن ابن شهاب الزهري^(١٤) تعريف الوحي فقال : " الوحي : ما يوحى الله عز وجل إلى النبي من أنبيائه ، فيثبت الله - عز وجل - ما أراد من وحيه في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - يتكلم به النبي - صلى الله عليه وسلم - ويبينه ، وهو كلام الله عز وجل ووحيه "^(١٥) .

-
- (١) المفردات (ص ٥١٦) .
 - (٢) سورة الأنفال الآية (١٢) .
 - (٣) سورة الأنعام الآية (١١٢) .
 - (٤) اللسان (٣٨٠/١٥) ، وابن فارس : المعجم (٩٣/٦) .
 - (٥) سورة مريم الآية (١١) .
 - (٦) انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، وانظر : د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن (ص ٢٤) ط ١٩٧٧/١٠ م . دار العلم للملايين - بيروت ، المفردات (ص ٥١٥) .
 - (٧) اللسان (٣٨٠/١٥) .
 - (٨) نفس المصدر ، وانظر : ابن فارس : المعجم (٦٣/٦) .
 - (٩) انظر : محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي (ص ٤٣) ط ١٣٩٩/٩ هـ - ١٩٧٩ م - المكتب الاسلامي ، د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن (ص ٢٤) .
 - (١٠) انظر : المفردات (ص ٥١٥) .
 - (١١) سورة الأنعام الآية (١١٢) .
 - (١٢) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٩/١) .
 - (١٣) انظر : اللسان (٣٨١، ٣٨٢/١٥) .
 - (١٤) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب ، القرشي ، المدني ولد سنة (٥٠ هـ) توفي سنة (١٢٤ هـ) . انظر : طبقات ابن سعد قسم (٢) (١٣٥/٢) ، وجامع بيان العلم وفضله (٧٣-٧٦) ، حلية الأولياء (٣٦٩/٣) .
 - (١٥) الآجري : الشريعة (١٤٦٣/٣) رقم (٩٨٤) بإسناد حسن . انظر : د. محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٤٨) .

ونقله ابن تيمية بنصه أيضاً عن ابن شهاب^(١) . ونقله السيوطي كذلك عند تعريفه الوحي^(٢) .
وزاد عليه قال : " . . . ومنه ما لا يتكلم به ، ولا يكتبه لأحد ، ولكنه يحدث به الناس حديثاً ، ويبين لهم أن الله أمره بيبينه للناس ، ويبلغهم إياه " (٣) .

وهذا يتناول الوحي المتلو ، المتعبد بتلاوته ، وهو القرآن العظيم ، ويتناول كذلك الوحي غير المتلو ، وهو الحديث القدسي ، والحديث النبوي .

وقال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : " اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق " (٥) .

ولذلك عرفه الإمام ابن حجر تعريفاً شاملاً في كلمتين فقال : " هو : الإعلام بالشرع " (٦) .

والشرح هو كل ما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وهو ينتظم الاعتقاد ، والأحكام العملية ، والأخلاق^(٧) .

وعلى ذلك فهو ليس مطلق إعلام ، إنما هو إعلام خاص وهو الذي يكون من الله تعالى إلى أنبيائه ورسله ، ومن

هنا كان الوحي في الاصطلاح أخص منه في اللغة من وجهين :

الأول : المصدر فمصدره هو الله تعالى .

الثاني : الأشخاص الموحى إليهم وهم الأنبياء والمرسلون . (٨)

المبحث الثاني : طرقه :

للوحي طرق متعددة ، وأضرُب حسبما دل عليه قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم)^(٩) .

فقد جمعت هذه الآية الكريمة طرق الوحي في ثلاثة رئيسية ، وللعلماء فيها تقسيمات فمنهم من يقسمها إلى أربع^(١٠) ، ومنهم من يجعلها خمساً^(١١) ، ومنهم من عدّها ستة وأربعين نوعاً^(١٢) . على حسب نظرة كل منهم لطريقة التقسيم وكله اجتهاد في تفسير الآية . وقد دلت هذه الآية على أن الطرق :

١- إما (وحياً) .

٢- (أو من وراء حجاب) .

٣- أو إرسال رسول من الملائكة .

- وقوله : (إلا وحياً) يتناول : الإلهام ، والرؤيا الصادقة ، والوحي المنامي الذي يحصل مباشرة من الله تعالى لنبيه في المنام^(١٣) ، بدون وساطة الملك .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٣٩٧/١٢) .

(٢) انظر : الاتقان في علوم القرآن (٤٤/١) ، والدر المنثور (٣٦٣/٧) .

(٣) الاتقان (٤٤/١) .

(٤) سورة النجم ، الأيتان (٤ ، ٣) .

(٥) أبو داود في " سننه " (٦٠/٤) رقم (٣٦٤٦) ، وأحمد في المسند (١٦٢/٢ ، ١٩٢) ، والدارمي في " سننه " المقدمة ، باب (٤٣) رقم (٤٩٠) .

(٦) وصححه الالباني ، انظر صحيح الجامع (٣٨٥/١) رقم (١٢٠٧) .

(٧) فتح الباري (٢٩/١) .

(٨) انظر : عثمان جمعة ضميرية : الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى (ص ٣٥) ، التوحيد مفتاح دعوة الرسل (ص ٢٥) . المدخل لدراسة

العقيدة الإسلامية (ص ١١٧) .

(٩) انظر : عبد الله عبدالحى آل بكر : الوحي في الإسلام ، وإبطال الشبهات حوله - ماجستير - أم القرى ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ (ص ٨٤)

(١٠) سورة الشورى الآية (٥١) .

(١١) انظر : سعيد خليفة : النبوة عند ابن تيمية (١١٧-١٣١) .

(١٢) انظر : السيوطي : الاتقان (٤٤/١) .

(١٣) انظر : أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي : المنهاج في شعب الإيمان (٢٣٩/١-٢٥٥) وابن حجر : فتح الباري (٢٠/١) . ذكره عن الحليمي .

(١٤) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير (٢٩٧/٧) .

- والذي من وراء حجاب يتضمن كلام الله تعالى للنبي بدون أن يرى شيئاً ، فهو يسمع الصوت فقط كما حصل لموسى - عليه السلام - عندما ناداه ربه بالواد المقدس طوى وكما وقع لنبينا - صلى الله عليه وسلم - ليلة الاسراء وهو معروف .
- والذي يحصل بإرسال الرسول الملائكي ، فهو أن يرسل الله جبريل المكلف بالوحي إلى الأنبياء فيبلغ كلام الله تعالى إليهم ، وقد يأتي الملك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - مناماً ، وقد يأتيه بقطة في صورته الحقيقية الملائكية أو في صورة بشرية أو يأتيه في مثل صلصلة الجرس .

فهذه الأقسام الرئيسية وما تضمنتها من الأقسام الفرعية ، وقد سماها السيوطي " كفيات الوحي " وقسمها إلى خمس :
الأولى : " أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح ^(١) فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام ^(٢) - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ... " ^(٣) واستشهد السيوطي بدليل آخر على هذه الكيفية فقال : " وفي مسند أحمد عن عبدالله بن عمر : سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - : هل تحس بالوحي ؟ فقال : أسمع صلاصلا ، ثم اسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض " ^(٤) .

والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي ، قال الخطابي : " يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد ، وقيل : بل هو صوت حفيف أو خفق أجنحة الملك ، والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره " ^(٥) قال السيوطي : " وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه " ^(٦) وقد مضى التصريح بذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، إذ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " وهو أشده عليّ " ويفهم من هذه العبارة أن الوحي كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، قال ابن حجر : " والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسماع ، وهي هنا : إما بإتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية ، وهو النوع الأول ، وإما بإتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني ، والأول أشد بلا شك " ^(٧) .

وعلى السيوطي شدة الوحي في هذه الكيفية بكون الوحي يتضمن آية وعيد أو آية تهديد فقال : " إنه كان إنما ينزل هكذا (أي شديداً) إذا نزلت آية وعيد أو تهديد " ^(٨) وهذا الكلام فيه نظر - كما قال ابن حجر - لأن الحديث لم يبين هذه العلة ، ولأن هذه الشدة لا تختص بالقرآن ، فقد حصلت هذه الشدة حالة الوحي بالسنة الشريفة ^(٩) ، ولكن الأقرب إلى الصواب أن فائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفي والدرجات له ^(١٠) - صلى الله عليه وسلم - ، والله أعلم الثانية : " أن ينفث في روعه الكلام نفثاً ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : " إن روح القدس نفث في روعي " ^(١١) ...

(١) الاتقان (٤٤/١) ، ومعترك الأقران (٢٦٥/٢) .

(٢) الحارث بن هشام المخزومي ، أخو أبي جهل شقيقه ، أسلم يوم الفتح ، وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح الشام ، انظر ابن حجر : فتح الباري (٩٨/١) .

(٣) البخاري في " صحيحه " كتاب بدء الوحي (١) باب (٢) ح رقم (٢) الفتح (١٨/١) ، ورواه أيضاً في كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٦) ح رقم (٣٢١٥) الفتح (٣٠٤/٦) .

ورواه مسلم في " صحيحه " كتاب الفضائل (٤٣) باب (٢٣) ح رقم (٨٧-٢٣٣٣) صحيح مسلم (١٨١٦/٤) .

(٤) الاتقان (٤٤/١) ، ومعترك الأقران (٢٦٥/٢) ، وانظر : مسند الإمام أحمد (١٥٨،١٦٣،٢٥٧/٦) .

(٥) ابن حجر : فتح الباري (٢٠/١) ، والاتقان (٤٤/١) .

(٦) الاتقان (٤٤/١) ، ومعترك الأقران (٢٦٥/٢) ، وانظر حديث الحارث بن هشام المتقدم .

(٧) فتح الباري (٢٠/١) .

(٨) الاتقان (٤٤/١) ، ومعترك الأقران (٢٦٦/٢) ، ونقله ابن حجر في الفتح (٢٠/١) ولم ينسبه لأحد .

(٩) انظر : الفتح (٢٠/١) .

(١٠) نفسه .

(١١) حديث صحيح بشواهده ، انظر تحقيق الأرئوط " زاد المعاد " (٧٧،٧٨/١) .

وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى^(١) ، أو التي بعدها بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه^(٢) .

وهذه الكيفية - كما قال السيوطي - قد ترجع إلى الحالة الأولى . فالأولى : أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس ، فينفث في روعه أثناء هذه الصلصلة .

والثانية : أن يأتيه الملك فينفث في روعه دون صلصلة - والله أعلم - والنفث : هو القذف واللقاء ، فقد وردت رواية الحاكم عن ابن مسعود : " إن جبريل - عليه السلام - ألقى في روعي^(٣) والرُّوع : بضم الراء : القلب والخلد والخطر^(٤) .

الثالثة : " أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه ، كما في الصحيح : " وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول^(٥) " زاد أبو عوانة في صحيحه : وهو أهونه على^(٦) .

الرابعة : " أن يأتيه الملك في النوم ، وعد قوم من ذلك سورة الكوثر^(٧) فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال : " بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع راسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : " أنزل عليّ أنفاً سورة " فقرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شأنك هو الأبتَر) " الحديث^(٨) .

واعترض الرافعي^(٩) على كون الوحي بسورة الكوثر كان مناماً ، وفضل أن يقال : إن القرآن كله نزل في اليقظة ، ومال إليه السيوطي في الاتقان حيث قال : " قال الامام الرافعي في " أماليه " : فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة ، وقالوا : من الوحي ما كان يأتيه في النوم ، لأن رؤيا الأنبياء وحي ، قال : وهذا صحيح^(١٠) ، لكن الأشبه أن يقال : إن القرآن كله نزل في اليقظة ، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة ، فقرأها عليهم وفسرها لهم ، قال : وورد في بعض الروايات أنه أغمى عليه ، وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتربه عند نزول الوحي ، ويقال لها : برحاء الوحي أ.هـ ، قلت (أي : السيوطي) : الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه ، والتأويل الأخير أصح من الأول ، لأن قوله : أنزل عليّ أنفاً يدفع كونها نزلت قبل ذلك ، بل نقول نزلت تلك الحالة ليس الاغفاء اغفاء نوم ، بل الحالة التي كانت تعتربه عند الوحي ، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا^(١١) .

وما قاله الرافعي واستحسنه السيوطي هو الحق الذي ينبغي أن يصار إليه

الخامسة : أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء ، أو في النوم كما في حديث معاذ : " أتاني ربي فقال : فيم يختصم المملأ الأعلى... " الحديث^(١٢) ، وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم - نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة ... وبعض سورة الضحى ، وألم نشرح^(١٣) ولم أجد في كلام السيوطي ما استدل به على أن آخر سورة البقرة

(١) التي ذكرت أنه يأتيه في مثل صلصلة الجرس .

(٢) الاتقان (٤٤/١) ومعتك الأقران (٢٦٦/٢) .

(٣) الحاكم : المستدرک علی الصحيحین (٤/٢) .

(٤) انظر : السنوي : شرح صحيح مسلم (١٥٥/١٧) ط ٢ / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، وانظر ترتيب القاموس المحيط (٤١٣/٢) ، واللسان (١٣٧/٨) .

(٥) هو بقية الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة عن الحارث بن هشام - رضي الله عنهما - سبق تخريجه .

(٦) الاتقان (٤٤/١) وذكر زيادة أبي عوانة ابن حجر في فتح الباري (٢١/١) ، وانظر : معتك الأقران (٢٦٦/٢) .

(٧) الاتقان (٤٤/١) ، ومعتك الأقران (٢٦٦/٢) .

(٨) رواه مسلم في " صحيحه " (٣٠٠/١) كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) ح رقم (٤٠٠-٥٣) .

(٩) هو : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ، أبو القاسم ، الرافعي ، القزويني . انظر : فوات الوفيات (٣/٢) مفتاح السعادة (٤٤٣/١) ، طبقات الشافعية (١١٩/٥) ، وكشف الظنون (٢٠٥) والاعلام (٥٥/٤) .

(١٠) أي كون رؤيا الأنبياء وحياً ، فقد ورد هذا في صحيح البخاري عن عبيد بن عمير انظر فتح الباري (١٦٨/٤) .

(١١) الاتقان (٢٣/١) ، ومعتك الأقران (٢٦٦/٢) .

(١٢) سبق تخريجه في فصل توحيد الأسماء والصفات في (صفة الصورة) .

(١٣) الاتقان (٤٥/١) ، ومعتك الأقران (٢٦٧/٢) .

من ذلك ولكن استدلل على كون بعض سورة الضحى وألم نشرح قد أوحيت في النوم فقال : " فقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث عدي بن ثابت قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته قلت أي رب : اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً فقال يا محمد ألم أجذك يتيماً فأويت ، وضالاً فهديت ، وعائلاً فأغنيت ، وشرحت لك صدرك ، وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذُكرت معي " ^(١) وهذا ليس فيه دليل على أن الوحي كان مناماً .

قال السيوطي : " وقد اجتمع أنواع الوحي في قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب...) الآية ^(٢) ، وكلها اجتمعت في نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

(١) الدر المنثور (٥٤٤/٨) ، الاتقان (٤٥/١) ، ابن جرير (١٥٠/٣٠-١٥١) .
(٢) سورة الشورى الآية (٥١) .

الفصل الرابع : طرق إثبات النبوة

المبحث الأول : أهل السنة يثبتون النبوة بطرق كثيرة

يرى أهل السنة والجماعة أن طرق التثبت من صحة النبوة ، ومعرفة صدق مدعيها ، كثيرة ومتعددة ، ولا يقتصر على طريق واحدة . " إن طرق العلم بالرسالة كثيرة جداً ومتنوعة ، ونحن ... إذا علمنا بالتواتر أحوال الأنبياء ، وأوليائهم ، وأعدائهم ، علمنا علماً يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة " (١) وقد ذكر الحليمي عن بعض أهل العلم أن أعلام نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - تبلغ ألفاً (٢) . فإن " كل شخصين ادعيا أمراً من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا ، وكذب هذا من وجوه كثيرة إذ الصدق مستلزم للبر ، والكذب مستلزم للفجور " (٣) .

من هذه الطرق على سبيل المثال لا الحصر :

- النظر في أحوال الأنبياء وما حصل لهم من بدايات الوحي وأوائل النبوة ، كما استدل بذلك ورقة بن نوفل ، حينما سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - ما حصل له في غار حراء ، وكما استدلت به السيدة الجليلة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وكذلك هرقل ، على صدق نبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى استبان لهم بهذا المسلك أن الذي أنزل عليه هو وحي من الله تعالى كالذي حصل لموسى - عليه السلام - (٤) .
- ومنها : النظر فيما يظهر من أحوال صفاتهم وأخلاقهم وشمالهم سواء كانت قبل البعثة أم بعدها وكلها تدل على عظيم صدقهم وكمال عقولهم ، وصفاء سلوكهم ، حتى كانت أخلاقهم مضرب المثل في العلم والحلم والرفق والأناة ، مع ما امتازوا به وفاقوا البشر فيه من المدارك العقلية والمواهب الروحية ، التي تعتبر دلائل واضحة على صدق نبوتهم .
- ومنها : أن يكونوا من أشرف الناس نسباً ، ورفعة ، وأن يكونوا ذوي مكانة في أقوامهم (٥) .
- ومنها : الآيات المعجزة ، والبراهين الواضحة التي وقعت مصدقة لهم ، مؤيدة لدعواهم .
- ومنها : تبشير الكتب السابقة بمجيئهم وخبارهم عن أوصافهم ونعوتهم .
- ومنها : شهادات الخصوم والأعداء بصدقهم والاعتراف بفضلهم .
- وغيرها كثير لمن أمعن النظر في دلائل صدق الأنبياء ، وصحة دعواهم (٦) .

قال ابن تيمية : " وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله ، وشريعته من آياته ، وأتمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صالح أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث ، ومن حين بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده ، وأصله وفصله ، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً ... وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق ، وترك الفواحش والظلم ، وكل وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به ، وكفر بعد النبوة ، لا يعرف بشئ يعاب به ، لا في أقواله ، ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ، ولا جُرب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة ، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها ، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أمياً من قوم أميين ، لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والانجيل ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر وهو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبرنا بأمر لم

(١) ابن تيمية : شرح العقيدة الصغانية (ص ١٠٤) .

(٢) انظر : المنهاج في شعب الإيمان (٢٦٣/١) .

(٣) ابن تيمية : شرح الأصفهانية (ص ٨٩) .

(٤) انظر : سعيد خليفة : النبوة عند ابن تيمية (ص ٢١١) .

(٥) انظر : ابن خلدون : المقدمة (٤٠١/١) ت. د. علي عبد الواحد وافي .

(٦) للتوسع في هذه الطرق انظر : سعيد خليفة : النبوة عند ابن تيمية (ص ٢١٠-٢٩٢) .

يكن في بلده وقومه من يعرف مثله ، ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار ، ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ، ولا من ظهر كظهوره ، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دين على الأديان كلها بالعلم والحجة ، وباليد والقوة كظهوره ^(١) .

المبحث الثاني : طرق إثبات النبوة عند السيوطي

وأما السيوطي فقد ذكر من طرق إثبات النبوة ثلاثة أنواع :

- ١- أخبار الكتب السابقة .
- ٢- شهادة الخصوم .
- ٣- المعجزات .

أولاً - أخبار الكتب السابقة :

ألمح إليه السيوطي إلماحة سريعة في معترك الأقران عندما تكلم عن قوله تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) الآية ^(٢) ، قال : " أي كلفوا العمل بها ، والقيام بأوامرها ونواهيها ، فلما لم يطبقوا أمرها ، ولم يعملوا بها ، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره ، ولا يدري ما فيها ، وهم أيضاً حملوا التوراة ولم يحملوها ، لأنها تنطق بنبوءة نبينا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - فمن قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة " ^(٣) وقرر ذلك - أيضاً - الإيجي " في المواقف " حيث قال : " المسلك الثالث (في إثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -) : أخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته - عليه السلام - في التوراة والانجيل " ^(٤) .

وكذلك أبو بكر البيهقي في " الاعتقاد والهداية " فقال : " فمن دلائل نبوته التي استدل بها أهل الكتاب على صحة نبوته ، ما وجدوا في التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب ، وإن كان كثير منهم قد حرفوها عن مواضعها " ^(٥) .

وقال ابن تيمية : " وأيضاً فقد علم أن العالم ما زال فيه نبوة من آدم - عليه السلام - إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فالنبي الثاني يعلم صدقه بأمور منها أخبار النبي الأول به كما بشر بنبينا محمد - عليه أفضل الصلاة ، وأكمل السلام - الأنبياء قبله ، وكذلك بشر بالمسيح الأنبياء قبله " ^(٦) .

وهذا الأمر يكاد يكون مجمعاً عليه بين علماء المسلمين ، ولكنني لم أر السيوطي أورد نصوصاً من التوراة تنطق بنبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكنني أنقل شيئاً مما اتفق العلماء على نقله .

روى البخاري عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص - رض الله عنهما - قلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ، قال : " أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً ^(٧) للأُميين ، أنت عدي ورسولي ، سميتك المتوكّل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ^(٨) في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ^(٩) ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ^(١٠) ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويُفَتَحَ بها أعين عمي ، وأذان صم ، وقلوب غلف " ^(١١) قال البخاري :

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير (١٥٩/١) ت. الجليلند ط ١٤٠٤ هـ .

(٢) سورة الجمعة الآية (٥) .

(٣) معترك الأقران (٤٥٠/٢) .

(٤) (ص ٣٥٧) .

(٥) (ص ١٦٩) ت. كمال يوسف الحوت .

(٦) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ١) .

(٧) الحرز بكسر الحاء : الحافظ ، وأصل الحرز الموضع الحصين ، ابن حجر : الفتح (٣٤٣/٤) .

(٨) السخب : رفع الصوت بالخصام ، ويقال : الصخب ، ابن حجر : الفتح (٣٤٣/٤) .

(٩) قال ابن حجر : " زاد في رواية كعب : مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام " انظر الفتح (٥٨٦/٨) .

(١٠) أي ملة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام ، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان . ابن حجر : الفتح

(٣٤٣/٤) .

(١١) البخاري في " صحيحه " كتاب البيوع (٣٤) باب (٥٠) ح رقم (٢١٢٥) الفتح (٣٤٢/٤) .

تابعه عبدالعزيز بن أبي سلمة عن هلال^(١) عن عطاء^(٢) عن ابن سلام^(٣) (٤).

قال ابن حجر : " ومما جاء عنه (أي عبدالله بن سلام) في ذلك مجملًا ، ما أخرجه الترمذي من طريق محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده قال : " مكتوب في التوراة صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وعيسى بن مريم يدفن معه " (٥) .

وما رواه البخاري ، قد رواه أيضاً ابن جرير الطبري وفي آخره قال : " قال عطاء (ابن يسار) : ثم لقيت كعباً (أي كعب الأحبار) فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته : قال : قلوباً غلوفياً ، وأذاناً صمومياً ، وأعيناً صمومياً " (٦) .

وروى الامام احمد بسنده عن أبي صخر العقيلي قال : حدثني رجل من الأعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما فرغت من بيعتي قلت : لألقين هذا الرجل فلاسمعن منه قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهما في أقبائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرأها ، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتیان وأجمله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟؟ فقال براسه هكذا ، أي : لا ، فقال : ابنه : إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال : اقيموا اليهودي عن أخيك ، ثم وكى كفه والصلاة عليه " (٧) وروى الحاكم بسنده عن هشام بن العاص الأموي قال : بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الاسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة - يعني غوطة دمشق - فنزلنا على جيلة بن الأيهم الغساني... الحديث ، وفيه : أن جيلة هذا أرسلهم مع رسول له إلى الملك الأعظم (هرقل) فلما دخلوا عليه قالوا : (لا إله إلا الله والله أكبر) ثم تقابلوا معه فسألهم ثم صرفهم عن مجلسه حتى كان الليل فأرسل إليهم ثم دعا بشئ كهينة الربعة العظيمة مذهبها فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً فاستخرج حريرة سوداء فنشرها ، فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين ، عظيم الأليتين ، لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية ، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم - عليه السلام - وإذا هو أكثر الناس شعراً ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة نوح - عليه السلام - ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة إبراهيم - عليه السلام - ، ثم فتح باباً آخر ، فإذا فيه صورة بيضاء وإذا والله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : وبكى ، قال : والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس ، وقال والله إنه لهو ؟ قلنا : نعم ، إنه لهو ، كأنك تنظر إليه فأمسك ساعة ينظر إليها ، ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ، ولكنني عجلتكم لكم لأنظر ما عندكم... " (٨) الحديث ، وفيه : كلما فتح باباً أخرج صورة نبي من الأنبياء كما تقدم .

فهذه من النبوءات التي نقلت عن طريق علماء المسلمين ، أما التوراة التي بين أيدي اليهود الآن فقد ورد فيها ما يدل على صفة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهي بشارات كثيرة منها :

(١) هو هلال بن علي ، ويقال له : هلال ابن أبي هلال . الفتح (٣٤٣/٤) .

(٢) هو عطاء بن يسار ، انظر سند الحديث السابق في صحيح البخاري . ح رقم (٢١٢٥) .

(٣) هو : عبدالله بن سلام ، وكان من علماء أهل الكتاب - فأسلم وحسن اسلامه ، فهو صحابي جليل .

(٤) البخاري في " صحيحه " انظر الفتح (٣٤٣/٤) ، (٥٨٥/٨) .

(٥) فتح الباري (٣٤٣/٤) .

(٦) جامع البيان في تأويل أي القرآن (٨٣/٩) .

ورواه البيهقي كذلك في " الاعتقاد " (ص/١٦٩) . وابن كثير في " تفسيره " (٤٨٤/٣) .

(٧) مسند أحمد (٤١١/٥) وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٨١/٣) ، وقال ابن كثير : " هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح من حديث أنس " . انظر التفسير (٤٨١/٣) .

(٨) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٨٤-٤٨١/٣) ، ثم قال ابن كثير : " هكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي - رحمه الله - في كتاب دلائل النبوة ، عن الحاكم إجازة ، فذكره واسناده لا بأس به " .

- ١- "و أما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره واكثره كثيراً جداً ، اثني عشر رئيساً يلد ، واجعله أمة كبيرة" (١) .
والترجمة الصحيحة للنص العبراني هكذا : " وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره واكثره بمأزماًذ " .
ومعناه الصريح باللفظ العربي : " واكثره بمحمد " (٢) .
- ٢- وورد فيها أيضاً أن اسماعيل - عليه السلام - كانت سكناه بلاد الحجاز :
" وسكنوا من حويله إلى شور التي أمام مصر " (٣) لأن حويلة من أولاد يقطان ، وأولاد يقطان بجهة اليمن ،
والحجاز بين اليمن وأشور التي أمام مصر (٤) .
- وفي كتاب " تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب " قال مؤلفه (٥) : " إن جبال فاران هي مكة وأرض الحجاز لأن
فاران اسم رجل من ملوك العمالة الذين اقتسموا الأرض ، فكان الحجاز لفاران فتسمى القطر باسمه " (٦) .
- ونص التوراة يقول : " وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله ، بني اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء
الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم " (٧)
وبتفسير هنا النص نجد أن سيناء تشير إلى المكان الذي كان فيه موسى (٨) ، وأما ساعير ، فهي أرض فلسطين التي سكنها
عيسو أخو يعقوب أي أخو اسرائيل (٩) أما أرض فاران فقد ورد نص يبين موضعها :
" سمع الله صوت الغلام " (١٠) ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ما لك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد
سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملني الغلام وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينها فأبصرت بئر
ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية ، وكان ينمو رامى قوس وسكن
في برية فاران... " (١١) .
- والنص العبراني هكذا : " يا هاجر قومي سى هاجر يقي اث نادح يولى لفي دل اتمى مايو " وترجمته
الحقيقية : قومي احملني هذا الطفل واحتفظي به فإن منه محمداً ، وذريته كنجوم السماء (١٢) .
- إذا فقول موسى - عليه السلام - : " وتلألاً من جبل فاران " إنما هو تحديد لموضع ظهور النبي الخاتم محمد -
صلى الله عليه وسلم - (١٣) .
- ٣- وورد في التوراة أيضاً : " الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران سلاه ، جلالة غطى السموات والأرض
امتألت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور له من يده وشعاع ، وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت
الحمى ، وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ، ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم " (١٤) .

- (١) سفر التكوين ، الاصحاح (١٧) ، عدد (٢٠) .
(٢) محمد عزت اسماعيل الطهطاوي : محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن (ص ١٥) مطبعة التقدم - القاهرة .
(٣) تكوين اصحاح (٢٥) عدد (١٨) .
(٤) محمد عزت اسماعيل الطهطاوي : محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن (ص ١٦) .
(٥) هو الشيخ عبدالله الترجمان ، كان نصرانياً ثم أسلم . انظر : المصدر السابق (ص ١٧) .
(٦) نقلاً عن كتاب : محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن (ص ١٧) .
(٧) سفر التثنية ، الاصحاح (٣٣) عدد (١،٢) .
(٨) سفر الخروج (٢٤ : ١٦-١٨) .
(٩) سفر التكوين (٣٦ : ٨) ، وانظر : مناظرة بين الاسلام والنصرانية من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والاقتناء والدعوة
والارشاد (ص ٢٢١) . ط ١٤١٢/٢هـ - مكتبة ابن خزيمة - الرياض .
(١٠) أي إسماعيل - عليه السلام - .
(١١) سفر التكوين ، الاصحاح (٢١) عدد (١٧-١٩) .
(١٢) محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل (ص ١٩) .
(١٣) انظر : مناظرة بين الاسلام والنصرانية (ص ٢٢٤) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والاقتناء والدعوة والارشاد ، ابن تيمية : الجواب
الصحيح (٣/ ٣٠٠-٣٠٢) .
(١٤) سفر حبقوق - اصحاح (٣) عدد (٣،٤) . وانظر : المناظرة (٢٢٥) .

والترجمة الصحيحة للنص العبري : " الله جاء من تيمان ، والقديس من جبل فاران سلاه جلاله غطى السموات ، وامتألت الأرض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الأمم... " (١) .

أما النسخة المطبوعة في لندن قديماً سنة ١٨٤٨م ، والأخرى المطبوعة في بيروت سنة ١٨٨٤م فالنص فيها هكذا " القديس من جبل فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتألت الأرض من حمده " (٢) إلى أن قال : " زجرك في الأنهار واحتدام صوتك في البحار يا محمد ادنو لقد رأيتك الجبال فارتاعت " (٣) .

فإنه سمي في هذا النص محمداً - صلى الله عليه وسلم - مرتين ، باسمه الصريح ، ووصفه بمقاتله أهل الأرض ، وأنه من جبل فاران ، كما وصفه بالجهاد برأً وبحراً حتى خضعت له الأمم (٤) . والبشارات بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كثيرة اكتفيت منها بما سبق وهو دال على المطلوب إن شاء الله .

ثانياً - شهادة الخصوم :

نبه عليها السوطي عند كلامه على قوله تعالى : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء...) (الآية (٤)) .

قال : (سببها اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة فزمت كل طائفة الأخرى ، وهذا أيضاً منهم موجود في هذا الزمان ، فإن كل طائفة منهم مقرة بأن الاسلام خير من دين الفريق الآخر " (٥) .

وما ذكره السيوطي في سبب نزول الآية رواه ابن جرير عن ابن عباس قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اتهم أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شيء وكفر بعبسى بن مريم وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما أنت على شيء وجد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) إلى قوله : (فيما كانوا يختلفون) " (٦) .

إن خصوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأعداءه قد شهدوا بصدقه وأمانته ، حتى إنهم كانوا ليسمونه " الصادق الأمين ، لقد وقف النضر بن الحارث أمام سادة قریش حينما وقفوا ضد دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكذبوه فقال لهم : " يا معشر قریش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أَرْضَاكُمْ فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم " (٧) ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قریش فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم " (٨) هذا على الرغم من أن النضر بن الحارث هذا كان من شياطين قریش ، وممن كان يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة " (٩) .

قال ابن تيمية : " وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة مازالوا معترفين بصدقه - صلى الله عليه وسلم -

(١) محمد نبي الاسلام (ص ٣٩) .

(٢) نفسه .

(٣) انظر : نفسه .

(٤) سورة البقرة الآية (١١٣) .

(٥) معترك الأقران (١٣٨/٣) .

(٦) جامع البيان (٤٩٥/١) ، وابن كثير (٢٢٣/١) .

(٧) العقد ، بفتح وسكون ، أو بضم ففتح جمع عقد ، وهي التي يعقدها الساحر في الخيط ينفخ فيها بشئ يقوله بلا ريق أو معه .

(٨) سيرة ابن هشام (٢٩٩-٣٠٠) ، وانظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح (٤٩/٤) .

(٩) انظر : سيرة ابن هشام (٣٠٠/١) ، والجواب الصحيح (٥٠/٤) .

وأنهم لم يجربوا عليه كذباً ، بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة ، وأنه ليس بساحر ^(١) .

روى ابن اسحاق أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأيتم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كان الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود : فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ^(٢) ؟ فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تتازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذبنا ^(٣) على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه قال : فقام عنه الأخنس وتركه ^(٤) .

وشهادة أخرى من أبي سفيان عندما سافر إلى الشام ودعاه هرقل ملك الروم وسأله عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان فيما سأله أن قال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا ، وذكر باقي الحديث ^(٥) .

ومن هذه الشهادات أيضاً ما رواه أنس قال : " جاء عبدالله بن سلام إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقدمه المدينة ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشرار الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ والولد ينزع إلى أمه تارة ، وإلى أبيه تارة ؟ قال : " أخبرني جبريل أنفاً " قال عبدالله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، " أما أول أشرار الساعة ، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه " فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك ، فجاءت اليهود ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أي رجل عبدالله فيكم ؟ " قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا ، قال : " أرايتم إن أسلم عبدالله ؟ " قالوا : أعاده الله من ذلك ، فخرج إليهم عبدالله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا ، وتقصوه ، قال : فهذا ما كنت أخاف وأحذر ^(٦) .

وعن ثوبان قال : كنت قائماً عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلت : ألا تقول ، يا رسول الله ؟ قال : إنما سميتك

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤١/٤) .

(٢) - صلى الله عليه وسلم - .

(٣) " الجاذي كالجائي وقال ثعلب : الجنون على أطراف الأصابع ، والجنون على الركب ، وقال ابن الأعرابي : الجاذي على قدميه ، والجائي على ركبتيه ، وأما الفراء فجعلهما واحداً " لسان العرب (١٤/١٣٧، ١٣٦) مادة (جذا) .

(٤) سيرة ابن هشام (١/٣١٥، ٣١٦) .

(٥) جزء من حديث طويل في صحيح البخاري ح رقم (٧) الفتح (٣١/١) ، ورقم (٢٩٤١) الفتح (١٠٩/٦) ، ورقم (٤٥٥٣) الفتح (٨/٢١٤) ، وصحيح مسلم (٣/١٣٩٣) ح رقم (١٧٧٣) ، وأحمد في " المسند " (١/٢٦٣، ٢٦٢) .

(٦) صحيح البخاري ح رقم (٣٣٢٩) الفتح (٦/٣٦٢) ، ورقم (٣٩١١) الفتح (٧/٢٤٩) ، ورقم (٤٤٨٠) الفتح (٨/١٦٥) ، ورقم (٣٩٣٨) الفتح (٧/٢٧٢) ، وروى بعضه تعليقاً - انظر الفتح (١١/٤١٥) . ورواه مسلم في صحيحه (١/٢٥٢) رقم (٣١٥) ، ورواه أحمد في " المسند " (٣/١٠٨، ١٨٩، ٢١٧) .

باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد " ، فقال اليهودي : جئت أسألك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ينفعك شيء إن حدثتك " ؟ قال : أسمع بأذني ، فنكت بعود معه ، فقال : " سل " فقال اليهودي : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " في الظلمة دون الجسر " ، قال : فمن أول الناس اجازة ؟ قال : " فقراء المهاجرين " فقال اليهودي فيما تحفتهم حين يدخلون ؟ قال : " زيادة كبد نون " ، قال : وما غذاؤهم على أثره ؟ قال : ينخر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها " قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : " من عين فيها تسمى سلسبيلاً " ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : " ينفعك إن حدثتك " ؟ قال : أسمع بأذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : " ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة ، أذكراً بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل ، أنثا بإذن الله " فقال اليهودي : صدقت ، وإنك لنبي ، ثم انصرف ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما أعلم شيئاً منه ، حتى أتاني الله به ^(١) وإذا كنت قد أثبت شيئاً مما ورد عن الأقدمين من شهادات واعترافات بصدق الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فلا مانع أيضاً أن أدون هنا بعض ما قاله خصوم الإسلام ، وخصوم محمد - عليه الصلاة والسلام - في العصر الحديث ، والذي يؤكد على صحة الإسلام واستقامة تعاليمه ، وأنه بالقطع دين من عند الله العلي الأعلى جل وعلا وتقدس ، وذلك لكي اكمل ما ألمح إليه السيوطي في قوله : " وهذا أيضاً منهم موجود في هذا الزمان ، فإن كل طائفة منهم مقرة بأن الإسلام خير من دين الفريق الآخر " ^(٢) ولا ريب أن السيوطي كان يتحدث عن زمانه هو الذي عاش فيه ، وبالقطع قد سمع أو اطلع على ما كتب في هذا الشأن مما يشهد شهادة قاطعة على أن الإسلام دين الله الحق الذي ارتضاه للبرية في آخر الزمان .

أما وإنه قد أقر خصوم الإسلام في زماننا هذا - وهو القرن الخامس عشر الهجري - بحقيقة الإسلام وصدق رسوله ، فهي شهادات أشد دلالة ، وأعمق أثراً نظراً لبعدها الكبير عن زمان ظهور النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنما انتزعوا هذه الدلالات والآيات الشاهدة بالصدق والحق من نصوص القرآن الكريم ، والسنة الشريفة التي أخبر بها القرآن في قوله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ^(٣) .

قال د. موريس بوكاي ^(٤) : " لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق ، و بموضوعية تامة ، باحثاً عن درجة إتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظواهر الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث " ^(٥) .

وقال أيضاً : " كيف يمكن لإنسان كان في بداية أمره أمياً ^(٦) ، ... أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في

(١) رواه مسلم في " صحيحه " (٢٥٢/١) رقم (٣١٥) . وانظر : الجواب الصحيح (٥٩/٤-٦٠) .

(٢) معترك الأقران (١٣٨/٣) .

(٣) سورة فصلت الآية (٥٣) .

(٤) د. موريس بوكاي (Maurice Bucaille) الطبيب والعالم الفرنسي ، كان كتابه : " القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم " من أكثر المؤلفات التي عالجت موضوعاً كهذا ، أصالة واستيعاباً وعمقاً ، ويبدو أن عمله في هذا الكتاب القيم منحه قناعات مطلقة بصدق كتاب الله ، وبالتالي صدق الدين الذي جاء به ، دعا أكثر من مرة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي الذي ينعقد في الجزائر صيف كل عام ، وهناك أتيح له أن يطلع أكثر على الإسلام فكراً وحياة . نقلت هذا من كتاب للدكتور عماد الدين خليل بعنوان : " قالوا عن الإسلام " من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض - ط١٤١٢/١هـ - ١٩٩٢م - المملكة العربية السعودية .

(٥) القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم (ص١٣) ، وانظر : عماد الدين خليل : قالوا عن الإسلام (ص٥٦) .

(٦) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بداية أمره أمياً ، وظل بقية حياته كلها أمياً - بمعنى أنه لا يقرأ ولا يكتب - حتى آخر يوم من أيامه ، رغم ما أكرمه الله تعالى به من علم إلهي فاق به علوم الأولين والآخرين .

مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها ، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة ^(١) .
وقالت الباحثة ستشيجفسكا ^(٢) : " إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربي أمي نشأ في أمة أمية فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات ، كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة " ^(٣) .

إن هذه الباحثة قد لاحظت من القرآن جانبه التشريعي الدقيق ، الذي يملأ جوانح النفس إعظاماً لصاحب هذا التشريع العادل المحكم ، كما لاحظ " بوكاي " - من قبل - دقة آيات الذكر الحكيم في تقرير النظريات العلمية التي توصل إليها مؤخراً العلم الحديث في بحثه الدعوى .

إن الإنسان ليدعش وهو يطالع كتاب الله العزيز ويتأمل آياته البينات ، وكذلك السنة النبوية الصحيحة التي تشع سطورهما بالنور والضياء ، ولا تزال تكشف لكل باحث مستتير ، متحرر الفكر والضمير من مخلفات الوثنيات القديمة والحديثة ، عن الحقائق العلمية الدقيقة التي أخبر عنها الوحي (القرآن والسنة) وهما المعجزة الخالدة الكبرى لهذا النبي الأمي الكريم الأمين محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) ^(٤) .

٣- المعجزات :

جمع " مُعْجَزَة " وهي اسم فاعل من " أَعْجَزَ " ، قال الليث : " أعجزني فلان ، إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه " ^(٥) .

ومصدره : " الْعَجَز " الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشئ من عمل أو رأي أو تدبير ^(٦) .
والتعجيز : التثبيط ، ومُعْجَزَة النبي - صلى الله عليه وسلم - ما أَعْجَزَ به الخصم عند التحدي ، والهاء للمبالغة ^(٧) هذا هو معنى " المعجزة " في اللغة ، أما حدها في الاصطلاح فقد وردت عن العلماء عدة تعريفات ، أجمعها ما ذكره الشريف الجرجاني ، قال : " هي : أمر خارق للعادة ، داعية للخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله " ^(٨) .

وقريب منه ما ذكره النفتازاني ، قال : " هي : أمر يظهر بخلاف العادة على يدي مدعي النبوة عند تحدي المنكرين ، على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله " ^(٩) .

ولم يبعد من هذين التعريفين تعريف السيوطي للمعجزة ، وقد عرفها في موضعين فقال : " حد المعجزة : فعل ناقض للعادة في زمان التكليف ظهر على يد متحد بالنبوة " ^(١٠) .

وقال في موضع الثاني : " والمعجزة المؤيد بها الرسل : أمر خارق للعادة ، بأن يظهر على خلفاء ، كإحياء

(١) القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلوم (ص ١٥٠) .

(٢) هي : يوجينا غيانة ستشيجفسكا ، باحثة بولونية معاصرة ، درست الاسلام في الأزهر على يد أساتذة ومشرفين متخصصين زهاء خمس سنوات (١٩٦١م-١٩٦٥م) تمكنت خلالها من اللغة العربية كذلك ، وكانت قد أنهت دراستها العليا في كلية الحقوق ، وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا . عن : د. عماد الدين خليل : قالوا عن الاسلام (ص ٦٨) .

(٣) د. عماد الدين خليل : قالوا عن الاسلام (ص ٦٨) نقلاً عن " تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها (ص ١٧) للباحثة يوجينا غيانة ستشيجفسكا .

(٤) سورة سبا الآية (٦) .

(٥) لسان العرب (٣٧٠/٥) مادة " عجز " .

(٦) الفيروز آبادي : بصائر ذوي التمييز (١/٦٥) .

(٧) الطاهر الزاوي : ترتيب القاموس المحيط (٣/١٦١) .

(٨) التعريفات (ص ٢١٩) .

(٩) شرح العقائد النسفية (ص ٨٦) .

(١٠) الكنز المدفون والفلك المشحون (ص ٩٥) .

ميت ، وإعدام جبل ، وانفجار الماء من بين الأصابع ، وأن تظهر على وفق التحدي ، أي الدعوى للرسالة ^(١) .

وقد اعتبر السيوطي في هذا التعريف قيوداً يتضح بها حقيقة المعجزة ، وسماها بعضهم شروطاً وهي :

١- أن تكون فعلاً لله تعالى ^(٢) ، أو قولاً ، أو تركاً ^(٣) ، فالفعل - كما قال السيوطي - " كإحياء الميت ، وإعدام الجبل ، وانفجار الماء من بين الأصابع " ^(٤) .

والقول كالقرآن ، والترك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - ^(٥) .

فالمعجزة إذاً من مقدورات الرب سبحانه وتعالى لا من مقدورات المخلوقين ، فإن كانت من جنس مقدورات المخلوقين كحمل جبل ، فلا بد أن تكون خارقة ^(٦) ، ولذلك قال الأيجي : " أن يكون فعلاً لله أو ما يقوم مقامه " ^(٧) .

٢- أن تكون خارقة للعادة ^(٨) ، وهي ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى ، قال السيوطي : " بأن يظهر على خلافها " ^(٩) أي هذا الأمر الناقض للعادة ، يظهر على خلافها ، وهو معنى كونه خارقاً ، إذ لا يكون خارقاً ولا ناقضاً إلا إذا كان على خلافها .

قال السيوطي : " فخرج غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم " ^(١٠) إذ لا إعجاز في ذلك ، لأنه سنة كونية مطردة خلق الله الكون عليها ، لا يشذ عنها ، تحدث كل يوم ، والأنبياء وغيرهم بازائها سواء ، وسواء وجدت دعوى النبوة أو لم توجد ، فلا يجوز أن تكون دليلاً على النبوة ، ذلك لأن آية النبوة ودليلاً يجب أن يكون مختصاً بمن هو له ، وهو النبي ، لا يستوي فيه النبي وغيره ، وإذا لم يكن كذلك لا يتم كونه دليلاً للنبوة وآية لها .

٣- أن يحصل الأمر الخارق للعادة على يد مدعي النبوة أو الرسالة ، وفي ذلك يقول السيوطي : " فخرج غير الخارق ... والخارق من غير تحد " ^(١١) لأنه لو ظهر الخارق على يد أحد من الناس لكنه لم يدع نبوة ولا رسالة ، فلا يجوز أن يحكم بأنها معجزة دالة على نبوته ، ذلك لأن العلم بالنبوة متوقف على الخبر بها ، وهذا الخبر لا سبيل إلى العلم به إلا من جانب النبي نفسه ، أما وأنه لم يدع ذلك لنفسه ، فإنه لا يثبت له ذلك بمجرد ظهور الخارق عليه . إذاً لا بد أن يكون الخارق مقروناً بدعوى النبوة ، كأن يقول : إني نبي ، أو إني رسول الله إليكم .

وإني إنما قلت : إنه لا يثبت حصول النبوة بمجرد ظهور الخارق من غير ادعاء لها ، لأن الأفعال الخارقة حاصلة لغير الأنبياء ، وهم ليسوا بأنبياء قطعاً ، فلا يمكن أن تكون دليلاً على نبوتهم ، فتخرج بهذا الشرط أو القيد الكرامة الحاصلة للصالحين وغيرها ^(١٢) .

٤- أن تستعذر معارضته ^(١٣) ، وهو معنى التحدي الذي ليس في مقدور قوم النبي أن يأتوا بمثله معارضين به معجزاته ،

(١) علم التوحيد - مخطوط - لوحة رقم (٦) .

(٢) نفسه (لوحة ٥) ، وانظر : إمام الحرمين الجويني : الإرشاد (ص ٣٠٨) ، والإيجي : المواقف (ص ٣٣٩) ، والبيجوري : تحفة المريد (ص ٨٢) ، وذكره عنهم ابن تيمية في النبوات (ص ٢٨٠، ١٤٠) .

(٣) انظر : البيجوري : تحفة المريد (ص ٨٣) ، والإيجي : المواقف (ص ٣٤١) .

(٤) علم التوحيد - لوحة رقم (٦) .

(٥) انظر : الإرشاد (ص ٣٠٨) .

(٦) انظر : ابن تيمية : النبوات (ص ٢٨٠، ١٤٠) ، والإيجي : المواقف (ص ٣٣٩) .

(٧) المواقف (ص ٣٣٩) .

(٨) انظر : الكنز المدفون (ص ٩٥) ، علم التوحيد لوحة (٦) ، أبو المظفر الاسفراييني : التبصير في الدين (ص ١٦٩) .

(٩) علم التوحيد ، لوحة رقم (٦) .

(١٠) نفسه ، وانظر كذلك : البيجوري : تحفة المريد (ص ٨٣) ، والجرجاني : التعريفات (ص ١٤٦) .

(١١) علم التوحيد ، لوحة رقم (٦) ، وانظر : الكنز المدفون (ص ٩٥) والتبصير في الدين (ص ١٦٩) .

(١٢) انظر : السيوطي : علم التوحيد ، لوحة رقم (٦) ، وانظر : الإيجي : المواقف (ص ٣٣٩) .

(١٣) انظر : السفاريني : لوايح الأنوار البهية (٢/ ٢٩٠) ، والإيجي : المواقف (ص ٣٣٩) ، والبيجوري : تحفة المريد (ص ٨٣) والجويني : الإرشاد (ص ٣٠٧-٣٠٨) ، مغفور عثمان : النبوة والرسالة في الإسلام (ص ١٠٩) ، سعيد خليفة : النبوة عند ابن تيمية (ص ٣١٧) ، أبو المظفر

الاسفراييني : التبصير في الدين (ص ١٦٩) .

فإن كان الخارق مما يقدر قومه على فعل مثله ، فلا يكون معجزة له ، إذ يستوي في ذلك النبي وغيره فلا تثبت دعواه ، أو أنه يلزم منه افحام الأنبياء وانقطاع حجتهم ، ولذلك كان انقلاب عصا موسى حية عظيمة ، معجزة لم يقدر سحرة فرعون على معارضتها بمثلها^(١) .

٥- أن لا يكون الفعل الخارق مكذباً له ، قال السيوطي : " كأن يدعي نطق طفل بتصديقه ، فينطق بتكذيبه "^(١) وهذا واضح لأن الفعل الخارق ، الصادر من صاحبه ليكون آية على صدقه ، لو تحقق ولكن على وجه يكذبه ، لم يكن دليلاً ولا برهاناً على صدقه ، بل انقلب إلى العكس بحيث يكون بالدلالة على الكذب أولى من الدلالة على الصدق ، ولو قال : معجزتي أن ينطق هذا الضب ، فنطق بتكذيبه قائلاً : إنه كاذب ، لم يعلم به صدقه ، بل ازداد اعتقاد كذبه^(٢) .

الفصل الخامس : صفات الرسل

- ديباجة :

أكرم الله تعالى رسله وأنبياءه بصفات كريمة تؤهلهم لأداء مهمتهم الخطيرة ، وتمكنهم من تبليغ رسالاتهم الشاقة ، فقد أرسلهم الله جل وعلا مصابيح النظم ، وهداة الأمم ، اختارهم لتبليغ دينه ، وصنعهم على عينه .

وقد تضمن الوحي إلى الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - وصف الله تبارك وتعالى لهذه الكوكبة من المصطفين الأخيار بصفات عديدة ، تدل على رفعة الموصوفين بها عند الله جل وعلا ، وشرف مكانتهم ، وعلوم منزلتهم ، وقربهم من الله سبحانه ، وحبه لهم له عز وجل ، وحب المولى تعالى وتقدس لهم ، الأمر الذي يقتضي أن الله اصطنعهم لنفسه الكريمة ، وكلهم بالعلم والحلم والأمانة ، وأدبهم بالأدب الرباني ، وزكاهم بالخلق الإيماني .

فكانوا على ذلك مولودين على فطرة الله التامة التي لا تتبدل ولا تتغير ، بل تنمو وتزكو وتطهر ، وتظهر من الصنم إلى الكهولة والشيخوخة والكبر .

ومن النقطوع به أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد عُرِفوا بين أقوامهم بقوة الإيمان ، وكمال الأمانة ، وغاية الصنق والديانة ، والقوة في تبليغ أمر الله وشرعه ، مع العقل التام والفتنة النادرة حتى صار من المستحيل عند الناس في حقهم التذنب أو الكفر والخيانة ، أو الجحود والكتمان ، أو الغفلة والبلادة ، مع كثرتهم ، واستقرار بشريتهم وجواز الأعراض والأمراض عليهم بما لا يعد منفراً منهم ولا مقعداً لهم عن أداء مهمتهم^(٣) .

تلك أهم صفات الأنبياء الضرورية عقلاً وشرعاً في أداء الوحي وتلقيه ، والقوة في العمل به ، والدعوة إليه ، فيها وأمثالها تميزوا عن غيرهم وإن شابهوا بني آدم في البشرية ، والصورة الخلقية^(٤) .

وسأتناول الآن بشئ من التفصيل ما ذكره الجلال السيوطي من صفات هؤلاء الرسل والانبياء الكرام - عليهم

الصلوة والسلام - :

(١) السيوطي : علم التوحيد - لوحة رقم (٦) .

(٢) انظر : الأيجي : المواقف (ص ٣٣٩) ، الجويني : الإرشاد (ص ٣١٥) ، والبيجوري : تحفة المريد (ص ٨٣) .

(٣) انظر : الشهرستاني : نهاية الأقدام (ص ٤٦٢-٤٦٤) .

(٤) انظر : محمد الداه أحمد : النبوة والرسالة بين الاسام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١٦٥) ، بحث مقدم لدرجة الدكتوراة ، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٨هـ .

المبحث الأول: أنهم بشر

إن أنبياء الله ورسله بشر آدميون ، من بني آدم ، أبوهم آدم ، وأمهم حواء ، تعترتهم عوارض البشرية ، وما يعترى سائر أفراد الناس ، فيما لا علاقة له بتبليغ الرسالة وبيان الأحكام ، فهم يأكلون ويشربون كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق)^(١) وقال تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام)^(٢) وقال تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي)^(٣) وقال تعالى عن فرعون وملئه عندما أرسل الله لهم موسى وأخاه هارون فكذبوهما وقالوا : (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون)^(٤) والآيات في إثبات بشرية الرسل كثيرة ما بين إخبار من الله تعالى ، إلى اعتراف من الرسل أنفسهم كما في قوله تعالى عنهم : (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء)^(٥) إلى اعتراف المكذبين للرسل ببشريتهم ووصفهم بهذا الوصف ظناً منهم أن كونهم بشراً يخص من قدرهم ، أو ينقص من كفاءتهم لتحمل الرسالة من الله ، أو يحط من مكانتهم ومنزلتهم عند الله ، وهذا ظن سئ ، وعناد للخالق تعالى ، ومحادة لرسله .

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم) قال : " قل لهؤلاء المشركين يا محمد إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم " ^(٦) .

وقال التفاتازاني : " وقد أرسل الله رسلاً من البشر إلى البشر مبشرين لأهل الإيمان والطاعة بالجنة والثواب ، ومنذرين لأهل الكفر والعصيان بالنار والعقاب " ^(٧) .

وعلى هذا أكد السيوطي ، وقرر أن الرسل من جملة البشر فقد قال عند قوله تعالى : (قالت رسلهم : أفي الله شك)^(٨) قال : " أضاف الرسل إليهم ، ولم يقل رسلنا تنبيهاً على أن الرسل منهم بحيث يعلمون حالهم وأنهم لم يعهدوا منهم كذباً ، ولا علموا أنهم خالطوا سحرة ، فدل على أن ما جاءهم به حق " ^(٩) فقوله " تنبيهاً على أن الرسل منهم " أي من هؤلاء البشر الذين بعثوا فيهم ، وأرسلوا إليهم ، فهم بشر منهم مثلهم .

وقال السيوطي في موضع آخر عند قوله تعالى : (يتلو عليهم آياته ويزكيهم...)^(١٠) قال : " من الله على عباده ببعث رسول منهم وإليهم ، يعلمهم بيان الشرائع والفهم ، ويزكيهم ويطهرهم ، ونسب التعليم إليه ، لأنه يعلم ما في الكتب

(١) سورة الفرقان الآية (٢٠) .

(٢) سورة المائدة ، بعض الآية (٧٥) .

(٣) سورة الكهف ، بعض الآية (١١٠) .

(٤) سورة المؤمنون ، بعض الآية (٤٧) .

(٥) سورة إبراهيم - عليه السلام - ، بعض الآية (١١) .

(٦) جامع البيان (٣٩/١٦) .

(٧) شرح العقائد النسفية (ص ٨٥) .

(٨) سورة إبراهيم ، بعض الآية (١٠) .

(٩) معترك الأكران (١٥٧/٣) .

(١٠) سورة الجمعة ، بعض الآية (٢) .

وطرق النظر بما يلقي جبريل إليه ^(١) .

وفي محاوراة قوم نوح له - عليه السلام - وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونبذ عبادة الأوثان قالوا له ما حكاه الله عنهم : (ما هذا إلا بشر مثلكم) ^(٢) قال السيوطي : " هذا الكلام من قوم نوح لما قال لهم : إني رسول الله إليكم - استبعدوا أن تكون النبوة لبشر ، وأثبتوا الربوبية لحجر " ^(٣) وهذا تقرير منه بأن نوحاً وسائر الأنبياء بشر كسائر البشر وهكذا هم أهل الضلال والعناد ، يرتكبون الحماقات ويعتقدون المتناقضات .

يقول في ذلك ابن جرير : " فقالت جماعة أشراف قوم نوح ، الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوه لقومهم : ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم ، إنما هو إنسان مثلكم ، وكبعضكم (يريد أن يتفضل عليكم) ^(٤) يقول : يريد أن يصير له الفضل عليكم ، فيكون متبوعاً وأنتم له تبع " ^(٥) ، وقال الشوكاني : " (ما هذا إلا بشر مثلكم) أي من جنسكم في البشرية ، لا فرق بينكم وبينه " ومع هذه الآيات فقد ورد من الأحاديث النبوية ما يؤكد حقيقة بشرية الأنبياء والمرسلين فقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " ... لكنني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء " وقد أثر في بدنه السم الذي دسسته اليهودية له - صلى الله عليه وسلم - في طعامه ، وكذلك أثر في بدنه السحر ، وكان الأنبياء يقتلون كما فعل بنو إسرائيل - عليهم لعائن الله - بأنبيائهم ، وقد قال تعالى : (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...) ^(٦) .

وكان الأنبياء - صلوات الله عليهم يمرضون ويوعكون ، ويتألمون ، وكان يصيبهم الحر والبرد ، والجوع والعطش ، والغضب والتعب ، ونحو ذلك مما يعرض للأبدان البشرية ، دون أن يؤثر على عقولهم فيما يتعلق بإبلاغ دين الله ، ودون أن يلحقهم نقص أو عيب أو ذم بسببه ^(٧) .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال : لما بعث الله محمداً رسولاً ، انكرت العرب ذلك ، أو من انكر منهم ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ، قال : فأنزل الله (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم؟) ^(٨) وقال : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، بالبينات والزبر) ^(٩) فاسألوا أهل الذكر : يعني أهل الكتب الماضية : أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة انكرتم ، وإن كانوا بشراً فلا تتكروا أن يكون محمد رسولاً ، قال : ثم قال : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ، أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم) ^(١٠) فالغرض " أن هذه الآية الكريمة أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد - صلى الله عليه وسلم -

(١) معترك الأقران (٣/٤٣٠) .

(٢) سورة المؤمنون ، بعض الآية (٢٤) .

(٣) معترك الأقران (٢/٣٧٧) .

(٤) سورة المؤمنون ، بعض الآية (٢٤) .

(٥) جامع البيان (١٦/١٨) .

(٦) سورة آل عمران الآية (١٤٤) .

(٧) انظر : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (٦٩-٧٠) ، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص ٧٧) .

(٨) سورة يونس ، بعض الآية (٢) .

(٩) جامع البيان (١٤/١٠٩) ، وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن (٤/٤٩٢) .

عليه وسلم - كانوا بشراً كما هو بشر ^(١) ثم ساق ابن كثير الآيات التي تصرح ببشرية الرسل ^(٢) - عليهم السلام - .

قال الشيخ ابن عثيمين : " ونؤمن بأن جميع الرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية شيء ، قال الله تعالى عن نوح وهو أولهم : (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) ^(٣) وأمر الله تعالى محمداً وهو آخرهم أن يقول : (لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك) ^(٤) وأن يقول : (لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله) ^(٥) ... " ^(٦) .

فرسل الله تعالى وأنبيأؤه - عليهم السلام - بشر ، وعلى ذلك إجماع علماء الأمة لا يشذ من ذلك إلا زنديق معاند أو جاهل ضال .

وهما ينتفرع على هذا الموضوع مسألة :

نبوة الجن :

فهل كان في الجن رسل أو أنبياء منهم أرسلهم الله إليهم كما أرسل إلى الانس رسلاً وأنبياء منهم ؟

- ذهب فريق من العلماء إلى أن الله أرسل إليهم رسلاً ، كما أرسل إلى الانس منهم رسلاً ، وهذا الرأي رواه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ^(٧) ، وحكاه القرطبي عن مقاتل ^(٨) ، ونقله السيوطي عن ابن حزم ^(٩) ، وقال ابن الجوزي : " وهو ظاهر الكلام " ^(١٠) ، أي ظاهر القرآن ، وكذلك قال السبكي : " ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك " ^(١١) .

قال ابن جرير : " واختلف أهل التأويل في الجن ، هل أرسل إليهم رسل كما أرسل إلى الانس منهم رسل " ^(١٢) ثم روى عن الضحاك أنه سئل عن الجن : هل كان منهم نبي قبل أن يبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ألم تسمع إلى قول الله (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ...) ^(١٣) يعني بذلك رسلاً من الانس ، ورسلاً من الجن ، فقالوا : بلى ^(١٤) أما القرطبي فقد نسب هذا القول إلى مقاتل مع الضحاك فقال : " وقال مقاتل والضحاك : أرسل الله رسلاً من الجن ، كما أرسل من الانس " ^(١٥) لكن ابن كثير لا يوافق على ما قاله الضحاك ، ويعتبر الآية غير

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤/٤٩٢) .

(٢) انظر السابق ، وانظر كذلك : الرازي : التفسير الكبير (٣٧-٣٦/٢٠) .

(٣) سورة هود الآية (٣١) .

(٤) سورة الانعام الآية (٥٠) .

(٥) سورة الأعراف الآية (١٨٨) .

(٦) عقيدة أهل السنة والجماعة (٥٢-٥٣) .

(٧) انظر : جامع البيان (٣٦/٨) ، السيوطي : الأشباه والنظائر (ص ٢٦٠) .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٧/٧) .

(٩) انظر : لفظ المرجان في أحكام الجان (ص ٤٢) ، وكذلك في الأشباه والنظائر (ص ٢٦٠) .

(١٠) زاد المسير ، وانظر : السفاريني : لوامع الانوار (٢٢٣/٢) .

(١١) انظر : لفظ المرجان (ص ٤٣) .

(١٢) جامع البيان (٣٦/٨) .

(١٣) سورة الانعام الآية (١٣٠) .

(١٤) جامع البيان (٣٦/٨) ، الدر المنثور (٣٥٩/٨) .

(١٥) الجامع لأحكام القرآن (٥٧/٧) .

صريحة فيما ذهب إليه ، فيقول : " وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلاً واحتج بهذه الآية الكريمة وفي الاستدلال بها على ذلك نظر ، لأنها محتملة وليست بصريحة ^(١) ولكن الرازي احتج لهذا القول بوجه آخر وهو قوله تعالى : (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) ^(٢) فقال : " قال المفسرون : السبب فيه أن استئناس الإنسان يعني بالإنسان اكمل من استئناسه بالملك ، فوجب في حكمة الله تعالى أن يجعل رسول الإنس من الإنس ليكمل هذا الاستئناس ، إذا ثبت هذا المعنى ، فهذا السبب حاصل في الجن ، فوجب أن يكون رسول الجن من الجن " ^(٣) .

وقضية الاستئناس بين أفراد الجنس الواحد لا تنكر ، ولكنها غير مسلمة تماماً في موضوع نبوة الجن وارسالهم ، لأنها لو صحت كدليل تام على ذلك لما أرسل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، ولكن من المعلوم المؤكد أنه - صلى الله عليه وسلم - مرسل إلى الثقيلين جميعاً الإنس والجن ، وهذا لا خلاف فيه ^(٤) ، فكيف تعتبر قضية الاستئناس قبل ارسال نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، ولا تعتبر بعد ارساله ؟؟ .

كما أنه يمكن أن يقال : بأن صعوبة تلقي البشر عن الملائكة أمر ثابت ، فقد نقل إلينا نقلاً صحيحاً أن نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان يعاني من الوحي شدة ^(٥) ومشقة ، ولكنه لم ينقل إلينا أن الجن تحصل لهم هذه المشقة والمعاناة إذا تلقوا عن الإنس ، وعليه فلا ضرورة للجوء إلى موضوع هذا الاستئناس الذي عضد به الرازي رأي الضحاك ومن وافقه .

وأما ابن حزم فقد استدلل بدليل آخر وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة " ^(٦) والشاهد منه قوله - صلى الله عليه وسلم - " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة " ووجه استدلاله أنه إذا كان النبي بشراً ، وجب أن يبعث إلى قومه من البشر لا إلى الجن ، لأنهم ليسوا من قومه قطعاً ، فلا يكون نبياً إليهم ، ووجب أيضاً أن يبعث من الجن جني إلى قومه الجن ، لا إلى الإنس لأنهم ليسوا من قومه قطعاً ، وهذا مقتضى الحديث .

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٣٢) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٩) .

(٣) التفسير الكبير (١٣/٢٠٥) .

(٤) انظر : السيوطي : لفظ المرجان (ص ٤٤) فقد قال : " لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في أن الله تعالى أرسل محمداً إلى الإنس والجن " .

(٥) تكلمت عن ذلك بشئ من التفصيل في الفصل الثالث من الباب الثاني وهو الذي بعنوان : الوحي وطرقه ، فانظره هناك .

(٦) متفق عليه :

- صحيح البخاري : كتاب التيمم (٧) باب (١) ح رقم (٣٣٥) فتح الباري (١/٤٣٥-٤٣٦) .

وأيضاً كتاب الصلاة (٨) باب (٥٦) ح رقم (٤٣٨) فتح (١/٥٣٣) .

" كتاب فرض الخمس (٥٧) باب (٨) ح رقم (٣١٢٢) ، فتح (٦/٢٢٠) .

- وصحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ح رقم (٣) ، (١/٣٧٠) .

- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (١/٢٠٩-٢١١) كتاب الغسل والتيمم (٢٦) باب التيمم بالصعيد .

- سنن الدارمي (١/٢٦٣) كتاب الصلاة باب (١١١) ح رقم (١٣٩٦) ، (٢/١٤٤٢) كتاب السير باب (٢٩) ح رقم (٢٤٧٠) .

لكن هذا الاستدلال أيضاً ليس بشئ ، لأن الجن تتبع للأنس ، وهم في الصلاح والفساد مراتب وطوائف كما أن الانس مراتب وطوائف " فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير ، ومنهم من هو دون ذلك ومنهم البله المفضلون ومنهم الكفرة وهم الكثرة الكثيرة ، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذي استمعوا إلى القرآن : (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قعداً)^(١) أي منهم الكاملون في الصلاح ، ومنهم أقل صلاحاً ، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر " ^(٢) يقول ابن جرير " (وأنا منا الصالحون)^(٣) وهم المسلمون العاملون بطاعة الله ، (ومنا دون ذلك)^(٤) يقول : ومنا دون الصالحين (كنا طرائق قعداً)^(٥) يقول : وأنا كنا أهواء مختلفة ، وفاقاً شتى ، منا المؤمن والكافر والطرائق جمع طريقة ، وهي طريقة الرجل ومذهبه ، والقعد جمع قدة ، وهي الضروب والأجناس المختلفة " ^(٦) وقال ابن كثير : " (كنا طرائق قعداً)^(٧) أي : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة " ^(٨) ثم نقل عن أحمد بن سليمان النجاد " من أماليه " بسنده إلى الأعمش قال : " تروح إلينا جنى ، فقلت له ، ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز ، قال فأتيانهم به فجعلت أرى السلم ترفع ولا أرى أحداً فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم ، قلت فما الراضية فيكم ؟ قال : شرنا " ^(٩).

وهكذا قال القرطبي ونقل مثله عن جمع من المفسرين ففي تفسيره لقوله تعالى : (كنا طرائق قعداً)^(١٠) نقل عن السدي قال : " فرقاً شتى " ^(١١) وعن الضحاك قال : " أدياناً مختلفة " ^(١٢) ، وعن قتادة قال : " أهواء متباينة " ^(١٣) ثم نقل أيضاً عن السدي قال : " في الجن مثلكم قدرية ، ومرجئة ، وخوارج ، ورافضة ، وشيعة ، وسنية " ^(١٤) فهذا كله يثبت تبعية الجن للانس ، فهم تابعون لهم يأخذون عنهم ويتعلمون منهم ، ولا يضيرهم هذا التعلم والتلقي من الإنسان ، كما أنه لا يشق عليهم ولا يستوحشون منه ، لذلك لم يكن من الضروري أن يكون أنبياؤهم منهم ، وعليه فكل نبي يبعث في قومه من الإنسان ويتبعه معهم قوم من الجن ، ولا يمنع ذلك مانع عقلي أو شرعي .

- وأما الفريق الثاني من العلماء وهم الأكثر ^(١٥) ، وقولهم الأشهر ^(١٦) ، فذهبوا إلى أنه لم يكن من الجن رسول ولا نبي البتة - قال القرطبي : " وهو الصحيح " ^(١٧) ، ونقل الرازي ادعاء الاجماع ، ولكنه بعيد كما قال الرازي نفسه ، قال : " لأنه

(١) سورة الجن الآية (١١) .

(٢) د. عمر سليمان الأشقر : عالم الجن والشياطين (ص ٤٨) .

(٣) سورة الجن الآية (١١) .

(٤) جامع البيان (١١٢-١١١/٢٩) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢٦٨/٨) .

(٦) نفسه (٢٦٨-٢٦٩/٨) ، والسيوطي : لقط المرجان (ص ٣٣) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٩) والدر المنثور عن ابن عباس (٣٠٤/٨) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٩) .

(٩) نفسه ، وانظر ابن جرير : الجامع لأحكام القرآن (١١٢/١٩) .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (١١/١٩) ، الدر المنثور (٣٠٤/٨) .

(١١) انظر : الرازي : التفسير الكبير (٢٠٥/١٣) .

(١٢) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٣٤/٤) .

(١٣) الجامع لأحكام القرآن (٥٧/٧) .

كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف^(١) وقد مضى معنا في القول الأول جمع من العلماء قالوا بخلاف هذا القول الثاني وعليه فلا اجماع .

قال السيوطي : " جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي ، كذا روي عن ابن عباس ومجاهد ، والكلبي ، وأبي عبيد^(٢) ورواه أيضاً ابن جرير عن ابن جريج^(٣) ، وهو المروي عن القاضي أبي يعلى وابن عقيل^(٤) ، وانتصر له ابن كثير بشدة وحشد له الأدلة الكثيرة ، ولكن معظمها عمومات . قال أصحاب هذا القول : لم يرد دليل صريح عن المعصوم يدل على ما قال به أصحاب الرأي الأول من ارسال رسل أو أنبياء من الجن ، بل الدليل على خلافه فقد قال الله تعالى : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)^(٥) وانعقد الاجماع على أن المراد بهذا الاصطفاء إنما هو النبوة ، فوجب كون النبوة مخصوصة بهؤلاء القوم فقط^(٦) .

وقال تعالى أيضاً عن إبراهيم - عليه السلام - : (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)^(٧) فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس : إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته ، وقد قال تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق)^(٨) وقال : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى)^(٩) ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب^(١٠) ولهذا قال تعالى اخباراً عنهم : (وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن)^(١١) .

وأجابوا عن دليل الرأي الأول وهو قوله تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم)^(١٢) فقالوا : قوله تعالى : (منكم) أي من أحد الفريقين وهو الإنس خاصة ، فأما الجن فلم يرسل منهم إليهم رسول ولم يكن له تعالى من الجن قط رسول مرسل ، ويدل على هذا التفسير وجوه منها :

أولاً : قوله تعالى : (منكم) أي من الإنس ، وهو تغليب للإنس على الجن كما يغلب المذكر على المؤنث^(١٣) في كثير من الآيات .
ثانياً : أن قوله تعالى : (منكم) أي : في الخلق والتكليف والمخاطبة ، ولما كان الجن ممن يخاطب ويعقل قال : (منكم)

(١) التفسير الكبير (٢٠٥/١٣) .

(٢) لقط المرجان (ص ٤١) ، وانظر : الاشباه والنظائر (ص ٢٦٠) .

(٣) انظر : جامع البيان (٣٦/٨) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣٣٢/٣) .

(٤) انظر : السفاريني : لوامع الأنوار (٢٢٣/٢) نقلاً عن الفروع لابن مفلح .

(٥) سورة آل عمران الآية (٣٣) .

(٦) انظر : الرازي : التفسير الكبير (٢٠٥/١٣) .

(٧) سورة العنكبوت الآية (٢٧) .

(٨) سورة الفرقان الآية (٢٠) .

(٩) سورة يوسف الآية (١٠٩) .

(١٠) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣٣٣-٣٣٢/٣) .

(١١) سورة الأحقاف الآية (٢٩) .

(١٢) سورة الأنعام الآية (١٣٠) .

(١٣) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥٧/٧) .

وإن كانت الرسل من الإنس^(١) .

ثالثاً : قوله تعالى : (ومن كل تأكلون لحماً طرياً ، وتستخرجون حلية تلبسونها)^(٢) ولا يخرج من الأنهار حلية^(٣) ، فقوله (لحماً طرياً) أي : " منهما جميعاً "^(٤) وقوله تعالى : (حلية) أي : " اللؤلؤ من الأجاج "^(٥) فأخرج الكلام عن البحرين والمقصود واحد منهما وهذا سائغ في اللغة كنظائره التي سبقت ، وكما سيأتي .

رابعاً : قوله تعالى : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً ...)^(٦) وإنما القمر في واحدة منهن وهي السماء الدنيا ، وليس فيهن كلهن^(٧) . كما يقال : جاعني بنو تميم ، والمراد بعضهم ، أو يقال : الأمير في العراق ، ومعلوم أنه يستحيل أن يملأ الأمير حيز العراق كله ، وإنما هو جزء ضئيل منه^(٨) .

خامساً : أن الخطاب في قوله تعالى : (منكم) إنما توجه للثقلين الإنس والجن جميعاً في عرصة القيامة ، فجعل تعالى الرسل في مخرج اللفظ من الجميع ، وإن كان الرسل من الإنس دون الجن قال أبو عبدالله القرطبي : " وقيل : إنما صير الرسل في مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتها عرصة القيامة ، والحساب عليهم دون الخلق ، فلما صاروا في تلك العرصة في حساب واحد في شأن الثواب والعقاب على العبودية ولأن الجن أصلهم من مارج من نار ، وأصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا ، فمنهم مؤمن ومنهم كافر ، وعدونا إبليس عدو لهم ، يعادي مؤمنهم ، ويوالي كافرهم ، وفيهم أهواء ، شيعية وقدرية ومرجئة يتلون كتابنا "^(٩) أي : لما صاروا في تلك العرصة ، وفي حساب واحد في شأن الثواب والعقاب على العبودية خرج اللفظ جامعاً لهم ، كما يجمع رب الأسرة أسرته كبيراً وصغيراً ، ويوبخهم قائلاً : ألم أحذركم وأنهم عن عصياني ؟ وإنما أراد الكبار العاقلين المكلفين ، دون صغارهم ورضعهم ، وأخرج اللفظ للجميع باعتبارهم أهل دار واحدة ، أو كما في قول القائل لجماعة أدور^(١٠) ، إن في هذه الدور لشرأ ، وإن كان الشر في واحدة منهن ، فيخرج الخبر عن جميعهن والمراد به الخبر عن بعضهن ، وكما يقال - أيضاً - : أكلت خبزاً ولبناً : إذا اختلطاً ، ولو قيل : أكلت لبناً ، كان الكلام خطأ ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل^(١١) .

ولذلك قال السيوطي : (منكم) " أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس "^(١٢) .

(١) انظر : نفسه .

(٢) سورة فاطر الآية (١٢) .

(٣) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٣٦/٨) .

(٤) الدر المنثور (١٤/٧) عن قتادة ، وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٥٢٦/٦) .

(٥) الدر المنثور (١٤/٧) ، وانظر : الجلالين (ص ٥٢٧) .

(٦) سورة نوح الآية (١٥-١٦) .

(٧) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٣٤/٤) ، والقرطبي : الجامع (١٩٧/١٨) والجلالين (٧٠٥) والرازي : التفسير الكبير (١٤٠/٣٠) .

(٨) انظر : الشوكاني : فتح القدير (٢٩٨/٥) ، الرازي : التفسير الكبير (١٤٠/٣٠) .

(٩) الجامع لأحكام القرآن (٥٧/٧) .

(١٠) جمع دار .

(١١) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٣٦/٨) .

(١٢) تفسير الجلالين (ص ١٧٠) .

ونبه ابن تيمية على هذا الخطاب المشترك بين الإنس والجن والمقصود به اثبات نبوة الإنس فقط فقال : " والقرآن خطاب للثقلين ، والرسول منهم جميعاً كما قال تعالى : (يا معشر الجن والإنس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ)^(١) فجعل الرسل التي أرسلها من النوعين مع أنهم من الإنس"^(٢) وهذا يعتبر ترجيحاً من ابن تيمية لكون الرسل من الإنس دون الجن ، ثم قال : " فإن الإنس والجن مشتركون"^(٣) في كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين ، فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون وينسلون ، ويغتذون وينمون بالأكل والشرب ، وهذه الأمور مشتركة بينهم ، وهم يتميزون بها عن الملائكة ، فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل ، فصار الرسول من أنفس الثقلين باعتبار القدر المشترك بينهم الذي تميزوا به عن الملائكة حتى كان الرسول مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة"^(٤) .

سادساً : أن الله كان يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعون كلام الرسل فيحفظوه ويفقهوه ، ثم يأتون قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا وينذرونهم به^(٥) ، ودليله قوله تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين)^(٦) فأولئك الجن كانوا رسل الرسل^(٧) ، فأطلق عليهم رسلاً بهذا المعنى ، وهم النذر كما سماهم بعض المفسرين ، قال السيوطي في قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ)^(٨) " أي من مجموعكم... أو رسل الجن نذُرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم"^(٩) فالرسل من الإنس ، والنذر من الجن ، وهؤلاء النذر هم رسل الرسل . قال السيوطي : " تأولوه على أنهم رسل عن الرسل ، سمعوا كلامهم فأنذروا قومهم ، لا عن الله"^(١٠) وقال ابن جرير : " قال ابن عباس : " هم الجن الذين لقوا قومهم ، وهم رسل إلى قومهم ، فعلى قول ابن عباس هذا إن من الجن رسلاً للإنس إلى قومهم"^(١١) وقال مجاهد : " الرسل من الإنس والنذر من الجن ثم قرأ : (إلى قومهم منذرين)"^(١٢) قال ابن جرير : " فتأويل الآية على هذا ... أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَيُّهَا الْجِن وَالْإِنْس رَسَلٌ مِنْكُمْ ؟ فأما رسل الإنس فرسل من الله إليهم ، وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بني آدم وهم الذين إذ سمعوا القرآن ولو إلى قومهم منذرين"^(١٤) .

(١) سورة الأنعام الآية (١٣٠) .

(٢) مجموع الفتاوي (١٩٢/١٦) .

(٣) في مجموع الفتاوي : " مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين " ولعله خطأ والصواب ما أثبتته حتى يستقيم الكلام ، فهم مشتركون في كونهم أحياء ناطقين .

(٤) مجموع الفتاوي (١٩٢/١٦) .

(٥) انظر : الرازي : التفسير الكبير (٢٠٥/١٣) .

(٦) سورة الأحقاف الآية (٢٩) .

(٧) انظر : السيوطي : الدر المنثور (٣٥٩/٨) عن ابن جرير .

(٨) سورة الأنعام الآية (١٣٠) .

(٩) الجلالين (ص ١٧٠) ، وانظر : ابن جرير : جامع البيان (٣٦/٨) وابن تيمية : مجموع الفتاوي (٢٣٤/٤) .

(١٠) الانشابه والنظائر (ص ٢٦٠) .

(١١) جامع البيان (٣٦/٨) .

(١٢) سورة الأحقاف الآية (٢٩) .

(١٣) القرطبي : الجامع (٥٧/٧) ، والسيوطي : الدر المنثور (٣٥٩/٨) ، ولقط المرجان (ص ٤١) ، وذكره ابن كثير عن ابن عباس في تفسيره (٣٣٢/٣) .

(١٤) جامع البيان (٣٦/٨) ، وانظر : لقط المرجان (ص ٤٢) .

وبعد أن وضحت الرأيين كلاً بأدلته وناقشتها ، تبين لي أن الراجح منهما هو القول الثاني وهو قول من قال : إن الرسل والأنبياء جميعهم من الإنس ، ولم يرسل الله تعالى رسلاً ولا أنبياء من الجن ، وإنما الجن كان منهم نذر تلقوا علوم الأنبياء منهم فحفظوها وفقهوها ثم ذهبوا إلى أقوامهم منذرين ، وهؤلاء قد يطلق عليهم رسل باعتبار أنهم رسل مبتعثين من قبل الرسل البشريين فهم رسل رسل أو هم النذر لا غير ، وإنما رجحت هذا القول لقوة أدلته ، وتنوعها ، وجريانها على مقتضى اللسان العربي ، وهو قول جمهور أهل العلم .

المبحث الثاني : أنهم رجال

والأصل في هذا هو قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم...)^(١) قال الرازي : " دلت الآية على أنه تعالى ما أرسل أحداً من النساء "^(٢) وهذا هو قول السيوطي بعد ما ذكر هذه الآية الكريمة قال : " يدل على تخصيص الرسالة بالرجال "^(٣) وقال في موضع آخر : " فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء ، واختلف في مريم والصحيح أنها صديقة "^(٤) والواقع أن الخلاف ليس في مريم وحدها - كما سيأتي - .

أما هذه الآية الكريمة التي استدلت بها السيوطي والرازي على تخصيص الرسالة بالرجال فهي صيغة حصر ، أثبت الرسالة فيها للرجال الموحى إليهم ، وأشعر بنفي ذلك عن غيرهم ، فلا تكون أنثى نبيه^(٥) ، وهو استدلال قوي ، وعليه جمهور العلماء ، بل نقل الكرمانى الاجماع عليه^(٦) ، وحكى الاجماع عليه أيضاً القاضي أبو بكر ، والقاضي أبو يعلى وأبو المعالي^(٧) لكن حكاية الاجماع فيها نظر ، لأنه قد نقل عن أبي الحسن الأشعري أن من النساء من نبى^(٨) وهو صريح رأي ابن حزم الذي قواه ونصره بأدلة سأناقشها قريباً ، وقد حصرهن ابن حزم في ست وهن : حواء أم البشر ، وسارة أم اسحاق ، وهاجر أم اسماعيل ، وأم موسى^(٩) ، وآسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران أم عيسى^(١٠) - عليهم جميعاً السلام - والأصل الذي بنى عليه أبو الحسن الأشعري قوله - كما نقل عنه - أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهى أو باعلام مما سيأتي فهو نبي ، وقد ثبت مجئ الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله - عز وجل - ووقع التصريح بالايحاء لبعضهن في القرآن^(١١) كما في قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه...) الآية^(١٢)

(١) سورة النحل ، الآية (٤٣) .

(٢) التفسير الكبير (٣٦/٢٠) .

(٣) معترك الأقران (٣٤٩/٢) .

(٤) نفسه (٣٢٦/٢) .

(٥) انظر السفاريني ك لوامع الأنوار (٢٦٥-٢٦٦) .

(٦) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٤٧/٦) .

(٧) انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى (٣٩٦/٤) .

(٨) انظر : فتح الباري (٤٤٧،٤٧١/٦) ، ولوامع الأنوار (٢٦٦/٢) .

(٩) اسمها " يوحاذا " ، وهي في التوراة " يوكابد " بكاف بدل الخاء وبدال مهملة بدل المعجمة ، والنطق بالكاف مفخماً ، ومعناه بالعربية " جليلة " وضبطها السيوطي بحاء مهملة بدل الخاء المعجمة وبنون بدل الباء الموحدة ، انظر : السفاريني : لوامع الأنوار (٢٦٦/٢) .

(١٠) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٤٧،٤٧١/٦) ، لوامع الأنوار (٢٦٦/٢) .

(١١) انظر : فتح الباري (٤٤٧/٦) .

(١٢) سورة القصص (٧) .

وأما إتيان الملك فكما قال تعالى : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً)^(١) ، وقال أيضاً : (وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين)^(٢) ونحوها من الآيات ، كما أن الله تعالى ذكرها في جملة الأنبياء الذين ذكرهم في سورة مريم ، أما في السنة فقد ورد قوله - صلى الله عليه وسلم - : " كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران... الحديث " (٣) .

ويظهر ميل ابن حزم إلى هذا الرأي من تعريفه للنبوة في كتابه " الدرة " وهو مصرح به في كتابه الآخر " الفصل " فقد قال : " النبوة أن ينبيئ الله - عز وجل - من يشاء من عباده ، بوحى يعلمه به ما يكون قبل أن يكون " (٤) ويلزم من هذا التعريف أن كل من جاءه الوحي من الله - بمعنى الملك الذي ذكره أبو الحسن - بما يكون أو بما يحدث مستقبلاً فهو نبي ، - وعليه فأم موسى ، وأم اسحق ، وأم عيسى ، وأم اسماعيل ، وآسيا ، وحواء - كما قدمت - نبيات ، وهو ما يذهب إليه أبو محمد بن حزم صراحة ، ويدافع عنه - كما قلت آنفاً - فقد عقد فصلاً في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (٥) بعنوان " نبوة النساء " وصحح نبوتهن - كما زعم - ولم يجوز أن يكون منهن رسل ، واستدل لما ذهب إليه بأدلة كثيرة محصلها عدم القطع بما قال (٦) ، كما يلزم من قوله في تعريف النبوة أن يكون النبي غير مأمور بالتبليغ ، وهذا فيه نظر ، وقد ناقشته في الفصل الأول من هذا الباب ، وكما يلزم من كلام الامام أبي الحسن الأشعري الذي تقدم ، ومن كلام الامام ابن حزم أيضاً ما لا يصح التزامه ، وهو القول بنبوة النفر الثلاثة من بني اسرائيل ، الاقرع ، والأبرص ، والأعمى (٧) ، لأنه قد اتاهم الملك عياناً ، وهذا لم يقله أحد من علماء الأمة (٨) ، كما أن نص الحديث يرد القول بنبوتهم لأنه نص في آخره على أن الله تعالى سخط عن اثنين منهم ، ورضي عن الثالث ، حين قال الملك للأعمى : " فإنيما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط عن صاحبك " فكيف يكون من سخط الله عليه نبياً لمجرد مجئ الملك إليه ؟ كما أن ثالثهم الذي رضي الله عنه ، لم يقل أحد من الأئمة بنبوته ، لأنه لا نص فيه ولا اجتهد .

ومن هذا الباب أيضاً حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد^(٩) الله تعالى على مدرجته^(١٠) ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً

(١) سورة مريم الآية (١٧) .

(٢) سورة آل عمران الآية (٤٢) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٣٢) ح (٣٤١١) فتح الباري (٤٤٦/٦) . ومسلم (١٨٨٦/٤) ح رقم (٢٤٣١)

(٤) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٨٠) .

(٥) انظر : (١٩-١٧/٥) .

(٦) تكلم أيضاً على نفس الموضوع باختصار في كتابه : " الاصول والفروع " (٢٧٥/٢-٢٧٦) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٥١) ح رقم (٣٤٦٤) فتح الباري (٥٠٠/٦) . وصحيح مسلم (٢٢٧٥/٤) ح رقم (٢٩٦٤) .

(٨) انظر : تعليق المحقق د. أحمد ناصر الحمد على كلام ابن حزم في كتاب " الدرة فيما يجب اعتقاده " (ص ٣٨٠) .

(٩) أرصده : أقعده يرقبه ، انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٤/١٦) .

(١٠) المترجمة : بفتح الميم والراء هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون ، انظر نفس المصدر السابق ، وانظر كذلك : النووي : رياض الصالحين (ص ١٧٦) ت. الألباني .

لبي في هذه القرية ، فقال : هل لك من نعمة تربّيها^(١) عليه ؟ قال : لا ، غير أنني أحببته في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه^(٢) .

فقوله : " فإني رسول الله إليك... " نظير قوله تعالى على لسان الملك لمريم (قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً)^(٣) وهذا الرجل الزائر أخاه في الله لم يقل أحد من العلماء بأنه نبي بل قال الامام النووي : " وفيه أن الأدميين قد يرون الملائكة "^(٤) ولم يقل بأن هذا الرجل الذي رأى الملك ، بل وبلغه الملك رسالة من ربه هو نبي ، كذلك لم ينقل النووي عن أحد من الأئمة القول بنبوته ، كما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سماه " رجلاً " ولم يسمه " نبياً " بمعنى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تحدث عنه باعتباره رجلاً صالحاً أحب له أخاً في الله ، وقام بزيارته من أجل تلك المحبة لا لغرض دنيوي ولا من أجل مصلحة مادية ولا منفعة له عنده ، ولم يقل النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن ذاك الرجل الزائر هو نبي .

ومن هنا وجب القول : بأنه لا يلزم أن يكون كل من يأتيه الملك نبياً ، لمجرد ذلك الالتئان والمجيء وبه يظهر ضعف القول بنبوته النساء بصفة عامة وبنبوته مريم بصفة خاصة ، وذلك بناءً على قولهم : إن كل من يأتيه الملك فهو نبي سواء كان رجلاً أو امرأة .

وبقي الكلام الآن على بيان معنى " الاصطفاء " في قوله تعالى : (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)^(٥) .

الاصطفاء في اللغة : الاختيار .

قال في القاموس : " استصفاه : أخذ صفوه ، واختاره كاصطفاه "^(٦) وقال في اللسان : " استصفى الشيء واصطفاه : اختاره ... والاصطفاء : الاختيار ، افتعال من الصفوة "^(٧) .

وكلام المفسرين في تفسير معنى الاصطفاء في الآية الكريمة لا يبتعد عن المعنى اللغوي ، بل يتطابق معه ، قال ابن جرير : " (اصطفاك) اختارك واجتباك لطاعته وما خصك به من كرامته ، وقوله (وطهرك) يعني طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم (واصطفاك على نساء العالمين) يعني : اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه فضلك عليهم "^(٨) ، ففسر ابن جرير - كما نرى - الاصطفاء بالاختيار وهو معناه اللغوي الذي سبق أن نقلته من معاجم اللغة ، فجعل (اصطفاك) الأولى : اختياره سبحانه وتعالى لمريم ابنة عمران ليجعلها محل كرامته

(١) تربّيها : تقوم باصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك ، شرح النووي (١٢٤/١٦) .

(٢) رواه مسلم في " صحيحه " (١٩٨٨/٤) كتاب البر والصلة والآداب (٤٥) باب (١٢) ح رقم (٣٨-٢٥٦٧) .

(٣) سورة مريم - عليها السلام - الآية (١٩) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢٤/١٦) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٤٢) .

(٦) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة (٨٣٤/٢) .

(٧) (٤٦٣/١٤) ، والرازي : مختار الصحاح (ص ٣٢١) .

(٨) جامع البيان (٢٦٢/٣) والأولى أن يقال : فضلك عليهن ، لأن الآية في تفضيلها على النساء .

ورعايته فنشأت كريمة صالحة تقية عابدة ، وهذا محض فضل منه سبحانه وتعالى على أمته مريم .

وجعل (اصطفاك) الثانية : اختياره تبارك وتعالى لها مرة أخرى ليجزيها الجزاء الأوفى ، والثواب الأحسن لما رأى منها من الاجتهاد في العبادة والطهر والتقوى ، فاختارها لتكون من أفضل نساء العالمين ، ولتكون أمّاً لعبده ورسوله عيسى - عليه السلام - وهذا أيضاً محض فضل وكرم وإحسان منه تبارك وتعالى ، فالفضل منه سبحانه بتوفيقها للطاعة والطهر والعبادة ، والفضل منه سبحانه وتعالى أيضاً بإثابتها وتفضيلها على غيرها من النساء .

والسيوطي كذلك فسر الاصطفاء بالاختيار ولم يخالف من سبقه من المفسرين فقال : " (يا مريم إن الله اصطفاك) اختارك (وطهرك) من مسيس الرجال ^(١) (واصطفاك على نساء العالمين) أي أهل زمانك ^(٢) والمفسرون - كما هو ملاحظ من تفاسيرهم - منهم من جعل تفضيل مريم - عليها السلام - على نساء زمانها ، وهو رأي ابن جرير والسيوطي ، ومنهم من جعل تفضيلها على نساء العالمين مطلقاً إلى يوم القيامة وهو كلام الشوكاني - كما سبق - وهو مقتضى كلام القرطبي في تفسيره لأنه جعلها نبية ، وسيأتي كلامه ومناقشته قريباً .

حكى هذين الرأيين أبو المظفر السمعاني في " تفسيره " ، وابن حجر في " الفتح " . قال السمعاني : " اختارك وطهرك من الحيض والنفاس ^(٣) ، وقيل : من الذنوب ، (واصطفاك على نساء العالمين) منهم من قال : على نساء عالمي زمانها ، ومنهم من قال : على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ^(٤) ، ولم يكن ذلك لأحد من نساء العالم ^(٥) . وقال ابن حجر في شرحه لقوله - صلى الله عليه وسلم - " خير نسائها مريم ^(٦) " قال : " أي نساء أهل الدنيا في زمانها ... و (اصطفاك على نساء العالمين) ظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء ، وهذا لا يمتنع عند من يقول إنها نبية ، وأما من قال : ليست بنبية فيحمله على عالمي زمانها ، وبالأول جزم الزجاج وجماعة ، واختاره القرطبي ، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني اسرائيل ، أو نساء تلك الأمة ، أو " من " فيه مضمرة ، والمعنى : أنها من جملة النساء الفاضلات ^(٧) .

وبعد هذا النقل لكلام المفسرين فإنني لم أفهم من تفاسيرهم أن الاصطفاء هو اصطفاء النبوة ، وإنما هو اصطفاء التفضيل والاكرام ، إلا ما كان من كلام الامام القرطبي وهو رأي مرجوح سيظهر - إن شاء الله تعالى - عند إيراد كلامه قريباً .
إذاً فالاصطفاء في الآية الكريمة - كما قلت - هو اصطفاء الهداية والتكريم والتوفيق للعبادة والطاعة والتفضيل

(١) أي طهرها من مسيس الرجال بالحرام .

(٢) تفسير الجلالين (ص ٦٤) .

(٣) بل قد نفست بعيسى - علي السلام - .

(٤) الأولى أن يقال : ولدت بلا زوج ، لأن المرأة تلد عن طريق اقترانها بزوج لا أنها تلد بآب ، وإن كان المعنى المقصود أنها ولدت بلا أب لوليدها ، لكن الأولى ما قلته .

(٥) أبو المظفر السمعاني : تفسير القرآن (٣١٨/١) .

(٦) جزء من حديث رواه البخاري في " صحيحه " من حديث عبدالله ابن جعفر قال : سمعت علياً - رضي الله عنه - يقول : " سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : خير نسائها مريم ابنة عمران ، وخير نسائها خديجة " كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٥) ح رقم : (٣٤٣٢) ، انظر الفتح (٤٧٠/٦) .

(٧) فتح الباري (٤٧١/٦) .

على الغير ، وكلها هبات وإحسان منه جل وعلا لبعض عباده دون بعض ، كما اصطفى تعالى أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - ليكون صاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ووزيره الأول دون غيره من الأصحاب ، واصطفى تعالى أصحابه - صلى الله عليه وسلم - دون غيرهم لينعموا بشرف الصحبة لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا والآخرة ، واصطفى تعالى له من النساء زوجاته الفضليات - رضي الله عنهن - ليكن له زوجات في الدنيا والآخرة ، وكم من امرأة تآقت لأن يكرمها ربها تعالى فتكون زوجة له - صلى الله عليه وسلم - ولكن لم يحصل لها ما أرادت ورجت

وكل هذا اصطفاء واختيار لأنواع عديدة من الاكرام والتفضيل والاحسان وليس فيه شئ من معاني النبوة .

ولا ضير عليّ أن أعضد ما قلته بكلام الفخر الرازي في تفسيره الكبير حيث قال : " اعلم أن المذكور في هذه الآية^(١) . أولاً : هو الاصطفاء ، وثانياً : التطهير ، وثالثاً : الاصطفاء على نساء العالمين ، ولا يجوز أن يكون الاصطفاء أولاً من الاصطفاء الثاني ، لما أن التصريح بالتكرير غير لائق ، فلا بد من صرف الاصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة في أول عمرها ، والاصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها .

أما النوع الأول من الاصطفاء : فهو أمور :

أحدها : أنه تعالى قبل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الاناث .

وثانيها : قال الحسن : إن أمها لما وضعتها ما غدتها طرفة عين ، بل ألقتها إلى زكريا ، وكان رزقها يأتيها من الجنة .

وثالثها : أنه تعالى فرغها لعبادته ، وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة .

ورابعها : أنه كفاها أمر معيشتها ، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال الله تعالى : (...أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله...)^(٢) .

وخامسها : أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً ، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها ، فهذا هو المراد من الاصطفاء الأول .

- وأما التطهير : ففيه وجوه :

أحدها : أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية فهو كقوله تعالى في أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ويطهركم تطهيراً)^(٣) .

وثانيها : أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال (أي بالحرام) .

وثالثها : طهرها عن الحيض ، قالوا : كانت مريم لا تحيض .

ورابعها : وطهرها من الافعال الذميمة ، والعادات القبيحة .

وخامسها : وطهرها عن مقالة اليهود وتهمهم وكذبهم .

- وأما الاصطفاء الثاني : فالمراد أنه تعالى وهب لها عيسى - عليه السلام - من غير أب ، وأنطق عيسى حال انفصاله

(١) هي الآية (٤٢) من سورة آل عمران ، وهي قوله تعالى : (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ على نساء العالمين)

(٢) سورة آل عمران ، بعض الآية (٣٧) .

(٣) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٣٣) .

منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة ، وجعلها وابنها آية للعالمين ، فهذا هو المراد من هذه الألفاظ الثلاثة ^(١) .

ومن هذا الذي نقلته عن الرازي ومن قبله يتأكد القول بأن الاصطفاء هو اختيار اكرام واحسان وإفضال ، وليس بصريح في إثبات نبوة مريم كما قرر ابن حجر ^(٢) ، حيث قال : " استدل بقوله تعالى : (إن الله اصطفىك) على أنها كانت نبيه وليس بصريح " ^(٣) وأما ذكرها - عليها السلام - في سورة مريم مع من ذكر من الأنبياء ^(٤) ، فليس صريحاً كذلك على كونها نبيه ، وإنما ذكرت من أجل نبوة ابنها عيسى - عليها السلام - وليس لنبوتها هي ، قال الفخر الرازي : " أعلم أن مريم - عليها السلام - ما كانت من الأنبياء لقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً من أهل القرى) ^(٥) وإذا كان كذلك كان ارسال جبريل - عليه السلام - إليها ، إما أن يكون كرامة لها ، وهو مذهب من يجوز كرامات الأولياء ، أو إرهاباً لعيسى - عليه السلام - وذلك جائز عندنا " ^(٦) وأما التصريح بالايحاء لبعض النساء في القرآن كما قال ابو الحسن الأشعري ^(٧) ، فليس فيه أيضاً - ما يدل على النبوة ، لأن الإيحاء هنا لأم موسى هو الإلهام الحاصل للإنسان - كما قد وضحته في الفصل الثالث عند الكلام عن تعريف الوحي وقلت هناك بأن الإلهام أحد معانيه ، قال أبو اسحاق : " ...ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً ^(٨) ومنه قوله تعالى : (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ...) ^(٩) ومنه - أيضاً - قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى) ^(١٠) فهو إلهام ^(١١) يحصل لأحد الناس توفيقاً منه تعالى لعبده ورحمة به وهو ما حدث لأم موسى - عليهما السلام - وليس فيه ما يؤكد نبوتها .

والحديث الذي ورد في كمال النساء وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : " كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ... " ^(١٢) فقد كان هذا الحصر في الحديث مما استدلوا به على أن آسية ومريم نبيتان ، قالوا : " لأن اكمل النوع الانساني الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء ، فلو كانت غير نبيتين للزم ألا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة ، فكأنه قال ولم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة ، وقو قال لم تثبت صفة الصديقة أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة لم يصح ، لوجود ذلك في غيرهن

(١) التفسير الكبير (٤٧/٨) .

(٢) انظر : فتح الباري (٤٧٠/٦) .

(٣) فتح الباري (٤٧٠/٦) .

(٤) ذكر السيوطي هذا القول عن السبكي في " الحلييات " قال : " ويشهد لنبوتها ذكرها في سورة مريم مع الأنبياء وهو قرينة ، قال : وقد اختلف في نبوة نسوة غير مريم كأم موسى وآسية وحواء وسارة ولم يصح عندنا في ذلك شيء " انظر : الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية للسيوطي (ص ٢٤٠) وانظر فتح الباري (٤٧١/٦) .

(٥) سورة يوسف الآية (١٠٩) .

(٦) التفسير الكبير (٤٧/٢٠) .

(٧) انظر فتح الباري (٤٤٧/٦) .

(٨) لسان العرب (٣٨١/١٥) .

(٩) سورة المائدة الآية (١١) .

(١٠) سورة القصص الآية (٧) .

(١١) انظر : الراغب : المفردات (ص ٥١٥) .

(١٢) سبق تخريجه ، وهو في الصحيحين .

، إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك ^(١) .

والظاهر من الحديث أن المراد هو كمال غير الأنبياء وكمال كل جنس بحسبه ، فأعلى درجات الكمال في جنس الرجال بلوغ النبوة والرسالة فضلاً من الله ونعمة . ومقتضى حكمة إلهية ، وأعلى درجات الكمال في جنس النساء الصديقية ، كما أخبر تعالى عن مريم فقال : (وأمه صديقة) ^(٢) وإذا كان فيهن من بلغت رتبة الصديقية ففيهن أيضاً الولاية والشهادة ، ولا يستلزم نفي النبوة عنهن ، نفي ما سواها من الصديقية والولاية والشهادة فنفي الأعلى لا يستلزم نفي الأدنى ويصح عكسه ، فأبو بكر صديق ، وعمر ولي وشهيد ، والاجماع منعقد على أفضلية أبي بكر - رضي الله عنه - ، وبه ظهر أن المراد في الحديث كمال غير الأنبياء ويؤيد ما قلته قول الكرمانى : " لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتها - أي مريم - ، لأنه يطلق لتمام الشئ وتناهيه في بابيه ، فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء ، قال : وقد نُقل الاجماع على عدم نبوة النساء ^(٣) وقد سبق الكلام على نقل الاجماع .

ويؤيده كذلك ما قاله السيوطي في رد قول من قال بنبوة مريم ، وأكد على أنها صديقة وليست نبية قال السيوطي : (صديقة) ^(٤) " بناءً مبالغة من الصدق أو من التصديق ، ووصف مريم بهذه الصفة دون النبوة ، يدفع قول من قال إنها نبية ^(٥) وبناءً على هذا يتضح ضعف الأدلة التي استدل بها على نبوة النساء كل من الأشعري وابن حزم والقرطبي ، وسيأتي كلام القرطبي قريباً ورد القاضي عياض عليه .

كما يؤيد ما قلته - أيضاً - كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقد وصف كلام ابن حزم بالشذوذ ، فقال : " وبالجملة فهذا قول شاذ ، لم يسبق إليه أحد من السلف ، وأبو محمد (يعني ابن حزم) مع كثرة علمه وتبحره ، وما يأتي به من الفوائد العظيمة ، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة ، وهذا كقوله : إن مريم نبية ، وإن آسية نبية ، وإن أم موسى نبية ، وقد ذكر القاضي أبو بكر ، والقاضي أبو يعلى ، وأبو المعالي ، وغيرهم : (الاجماع على أنه ليس في النساء نبية ، والقرآن والسنة دلا على ذلك) (يعني على صحة الاجماع) كما في قوله : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى) ^(٦) ، وقوله : (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة...) ^(٧) ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه : الصديقية ^(٨) .

وكان ممن قال بنبوة النساء - أيضاً - القرطبي ، ولكنه أسقط منهن سارة وهاجر ، ونقله في " التمهيد " عن أكثر

(١) ابن حجر : فتح الباري (٤٤٧/٦) .

(٢) سورة المائدة الآية (٧٥) .

(٣) ابن حجر : فتح الباري (٤٤٧/٦) .

(٤) سورة المائدة ، بعض الآية (٧٥) .

(٥) معترك الأقران (٥٨١/٢) .

(٦) سورة يوسف الآية (١٠٩) .

(٧) سورة المائدة الآية (٧٥) .

(٨) مجموع الفتاوى (٣٩٦/٤) .

الفقهاء^(١) ، قال القرطبي : " والصحيح أن مريم نبيه " ^(٢) وقال عياض : " الجمهور على خلافه " ^(٣) " ونقل النووي في " الاذكار " أن إمام الحرمين^(٤) نقل الاجماع على أن مريم ليست نبيه ، وعن الحسن : ليس في النساء نبيه ولا في الجن ^(٥) وما قاله القاضي عياض ، والإمام النووي والجويني وما نقل عن الحسن هو الحق الذي ترجحه الأدلة ، وهو ما رجحه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وكذلك الفخر الرازي من قبله^(٦) ، وتأكيذاً لذلك أنقل نصاً آخر من كلام ابن تيمية فقد قال : " ومريم بنت عمران ، وآسيا زوجة فرعون من أفضل النساء ، والفواضل من هذه الأمة كخديجة وعائشة وفاطمة - رضي الله عنهن - أفضل منها^(٧) ، كما أن المفضلين من رجال هذه الأمة أفضل من فضلاء رجال غيرها ، فإن الصواب الذي عليه عامة المسلمين ، وحكى الاجماع عليه غير واحد أنها ليستا نبيتين ، وإنما غايتهما الصديقية ، كما دل عليه القرآن ، وصديقوا هذه الأمة رجالها ونساؤها أفضل من صديقي غيرها " ^(٨) .

المبحث الثالث : أنهم صادقون

رسل الله وأنبيأؤه - عليهم جميعاً السلام - صادقون مصدقون ، بارون راشدون كرام بررة أتقياء ، أمناء ، هداة مهتدون ، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون ، بلغوا جميع ما أرسلهم الله تعالى به ، ولم يكتموا شيئاً ، ولم يغيروا أو يبدلوا ، ولم يزيّدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) ^(٩) ولقد كانوا جميعهم على الحق المبين ، والهدى المستبين ، ودلائل صدقهم كثيرة أذكر منها ثلاثة أنواع :

أولها : وهو أعظمها شهادة الله تعالى لهم بأنهم صادقون قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) ^(١٠) ، وقال تعالى أيضاً : (... هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ^(١١) . وقال عز شأنه عن اسماعيل - عليه السلام - : (إنه كان صادق الوعد) ^(١٢) وقال تبارك اسمه عن إبراهيم - عليه السلام - : (إنه كان صديقاً نبياً) ^(١٣) وقال عز وتقدس : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين) ^(١٤) فسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب^(١٥) ، قال د. هراس : " ثم يسلم على رسله - عليهم الصلاة والسلام -

(١) فتح الباري (٤٧١/٦) و " التقريب لكتاب التمهيد " مخطوط في خزانة القرويين بفاس برقم (١١٧/٨٠) .

(٢) فتح الباري (٤٧١/٦) ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥٣/٤) .

(٣) فتح الباري (٤٧١/٦) ، (٤٧٣/٦) .

(٤) انظر : فتح الباري (٤٧١، ٤٧٣/٦) .

(٥) نفسه (٤٧١، ٤٧٣/٦) .

(٦) انظر : التفسير الكبير (٤٧/٨) .

(٧) هكذا بضمير الأفراد والصواب أن يقال : أفضل منهما ، لأن سياق الكلام عن مريم وآسيا - عليهما السلام - ، ولعل الخطأ من النسخ أو الطباعة .

(٨) مختصر الفتاوي المصرية (ص ٢٠١) .

(٩) سورة النحل الآية (٣٥) .

(١٠) سورة الزمر الآية (٣٣) .

(١١) سورة يس ، بعض الآية (٥٢) .

(١٢) سورة مريم ، بعض الآية (٥٤) .

(١٣) سورة مريم ، بعض الآية (٤١) ، وكذلك قال عن سيدنا إدريس - عليه السلام - في الآية (٥٦) .

(١٤) سورة الصافات الآيات (١٨٠-١٨٢) .

(١٥) انظر : العقيدة الواسطية (ص ٣٠) مع شرحها لهراس .

بعد ذلك للإشارة إلى أنه كما يجب تنزيه الله - عز وجل - وإبعاده عن كل شائبة نقص وعيب ، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل عيب كذلك ، فلا يكذبون على الله ، ولا يشركون به ، ولا يغشون أممهم ، ولا يقولون على الله إلا الحق ^(١) فالرسل هم أصدق الخلق على الإطلاق ، يقول الله تعالى في تأكيد هذا الصدق : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) ^(٢) أي لو كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما يزعمون مفترياً علينا " فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا - وليس كذلك - لعاجلناه بالعقوبة (لأخذنا منه باليمين) ... لانقمنا منه باليمين ، لأنها أشد في البطش ... (ثم لقطعنا منه الوتين) ... وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه " ^(٣) يقول سيد قطب : " وفي النهاية يجبي ذلك التهديد الرعيب ، لمن يفترى على الله في شأن العقيدة وهي الجد الذي لا هوادة فيه ، يجي لتقرير الاحتمال الواحد الذي لا احتمال غيره ، وهو صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه ، بشهادة أن الله لم يأخذه أخذاً شديداً ، كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ ... ومفاد هذا القول من الناحية التقريرية أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - صادق فيما أبلغهم ، وأنه لو تقول بعض الأقاويل التي لم يوح بها إليه لأخذه الله فقتله على هذا النحو الذي وصفته الآيات ، ولما كان هذا لم يقع فهو لا بد صادق " ^(٤) وهذا المعنى بعينه متحقق في جميع الرسل كما هو متحقق في رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فكلهم رسل الله ، وجميعهم أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ^(٥) ، وحكمهم في الصدق كذلك حكم واحدة ، وهم فيه قد بلغوا الغاية ، وبدل على ما قلته أن هذه الآية قرئت (ولو تقول) على البناء للمفعول - كما ذكر أبو عبدالله القرطبي ^(٦) - وهي صيغة تعم كل من تقول على الله تعالى ، سواء كان محمداً - صلى الله عليه وسلم - وحاشاه - أم كان غيره ، وقد قال الله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثلاً أنزل الله) ^(٧) أي ومن أخطأ قولاً ، وأجهل فعلاً ممن افترى على الله كذباً ، يعني : ممن اختلق على الله كذباً ، فادعى عليه أنه بعثه نبياً ، وأرسله نذيراً ، وهو في دعواه مبطل ، وفي قلبه كاذب ، وهذا تسفيه من الله لمشركي العرب ، وتجهيل منه لهم في معارضة عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، والحنفي مسيلمة ^(٨) ، لنبي الله - صلى الله عليه وسلم

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص ٣٠) .

(٢) سورة الحاقة الآيات (٤٤-٤٧) .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٢٤٥/٨) ، ونقل ذلك عن ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحكم ، وقتادة ، والضحاك ، ومسلم البطين ، وأبو حميد بن زياد ، وانظر ابن جرير : جامع البيان (٦٦،٦٧/٢٩) .

(٤) في ظلال القرآن (٣٦٨٩/٢٩) .

(٥) ورد هذا في حديث رواه البخاري في " صحيحه " ، كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٨) ح رقم (٣٤٤٢، ٣٤٤٣) فتح الباري (٤٧٧، ٤٧٨/٦) ورواه مسلم في " صحيحه " (١٨٣٧/٤) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤٠) ح رقم (١٤٣، ١٤٤، ١٤٥) ، وانظر : صحيح الجامع (١٤/٢) . ورواه أبو داود في " سننه " وأحمد في " مسنده " .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٧٨/١٨) .

(٧) سورة الأنعام الآية (٩٣) .

(٨) مضت ترجمته ، وزوجه سجاح .

- ونفي منه عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - اختلاق الكذب عليه ، ودعوى الباطل^(١) .

وما أخبرنا الله تعالى به من أن الكاذب عليه سبحانه يؤخذ أخذاً شديداً رعيياً ، نرى صدقه واقعياً مشاهداً وقد سجل لنا التاريخ هذا الشاهد القوي ، فإن النبي الصادق في دعواه ، ينصره الله تعالى ويؤيده ، ويظهر أمره فيستمر على ذلك حتى ينتهي الأجل المقدر .

أما الكذاب المفترى فلا يدوم أمره إلا قليلاً ، ثم ينقطع ذكره ويضمحل أمره فلا يبقى له من باقية ، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية : " أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبئ الكذاب لا يدوم إلا مدة يسيرة ، وهذه من حجج أحد ملوك النصارى الذين يقال بأنهم من ولد قيصر ... حيث رأى رجلاً يسب النبي - صلى الله عليه وسلم - من رؤوس النصارى ويرميه بالكذب ، فجمع علماء النصارى وسألهم عن المتنبئ الكذاب كم تبقى نبوته ؟ فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء : أن الكذاب المفترى لا يبقى إلا كذا وكذا سنة لمدة قريبة ، إما ثلاثين سنة أو نحوها ، فقال لهم : هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة أو ستمائة سنة وهو ظاهر مقبول متبوع ، فكيف يكون هذا كذاباً ، ثم ضرب عنق ذلك الرجل^(٢) . إذاً لا يوجد مدع للنبوة كذاب إلا ولابد أن ينكشف ستره ، ويظهر أمره ، أما الأنبياء الصادقون فلا يزال يظهر صدقهم ، ويعلو أمرهم كما هو مشاهد ، وأن أخبارهم الصادقة لا تزدد مع الأيام إلا ثباتاً ووثوقاً وظهوراً ، ومع تداول الفرق ، وكثرة طعون الأعداء ، وحرصهم على توهينها وتضعيف أصلها إلا قوة وقبولاً ، وللطاعين عليها إلا حسرة وغليلاً ، على عكس أخبار الكذابين التي لا أصل لها فإنه لا بد مع مرور الأزمان ، وتداول الناس من انكشاف كذبها ، وظهور بطلانها وخمول ذكرها^(٣) .

ثانيها : الآيات الباهرة ، والبراهين القاهرة التي أظهرها الله على أيديهم تنطق بصدقهم ، وتلوح بتأييدهم ، قال تعالى : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين)^(٤) وقال تعالى : (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)^(٥) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ... " ^(٦) .

قال ابن حجر : " الآيات : المعجزات الخوارق ... وهذا دال على أن النبي لا بدله من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقته ، ولا يضره من أصر على المعاندة ... والمعنى : أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها " فكل نبي أعطاه الله تعالى آية خاصة به لم يعطها بعينها غيره ، تحدى بها قومه ، وكانت آية كل نبي (معجزته) تقع مناسبة لحال قومه الذين أرسل إليهم ، فمن كان في قومه السحر فاشياً أعطاه آية مناسبة لما برعوا فيه من السحر كعصا موسى - عليه السلام - فإنها جاءت على صورة ما يصنع السحرة لكنها ليست بسحر إنما هي آية

(١) انظر : ابن جرير (٢٧٢/٧) ، وابن كثير (٢٩٥/٣) ، والقرطبي (٢٧/٧) .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٩٥، ٩٦) .

(٣) انظر : القاضي عياض : الشفا (٣٥٦/١) .

(٤) سورة الانفال الآية (٦٢) .

(٥) سورة الصف الآية (١٤) .

(٦) متفق عليه ، رواه البخاري في " صحيحه " كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (١) ، ح رقم (٤٩٨١) فتح الباري (٣/٩) ، ورواه أيضاً في كتاب الاعتصام بالسنة (٩٦) باب (١) ح رقم (٧٢٧٤) فتح الباري (٢٤٧/١٣) . ورواه مسلم في " صحيحه " (١٣٤/١) كتاب الإيمان (١) باب (٧٠) ح رقم (٢٣٩) .

خارقة تلقفت ما صنعوه ولفقوه ، فأعجزتهم وبهرتهم حتى آمن بموسى صانعوا السحر أنفسهم ، لأنهم تيقضوا بخبرتهم أنها ليست بسحر مثل سحرهم الذي يافكونه ، ولم يقع ذلك بعينه لغير موسى - عليه السلام - فاختص بها دون سواه من الأنبياء ، وكذلك لما كان الطب والحكمة فاشيان في عهد عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وأن الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور أيده الله تعالى بآية من جنس علمهم بما لم تصل قدرتهم إليه ، فكان عيسى - عليه السلام - يحي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص من غير معالجة منه كما يفعل أطباء عصره . ومن غير أن يتعلم الطب كما تعلموه ونبغوا فيه وذلك كما كان نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أمياً لا يقرأ ولا يكتب وفاق قومه فيما أوحاه الله إليه من الكلام الفصيح البليغ المعجز وهو القرآن الكريم ، فإن قوم عيسى كانوا فائقين في علاج بلاء الأبدان ، فتفوق عليهم فيه وأعجزهم أن يأتوا بمثله ، وهم مع تفوقهم لم يصلوا إلى أنهم يحيون الموتى البتة ، لكن الله تعالى أيد رسوله عيسى بأنه كان يحي الموتى بإذنه تعالى ، فكانت آية له قاهرة بهرتهم ، فتيقنوا بخبرتهم الطبية أن هذا الذي يأتي به عيسى - عليه السلام - خارج عن نطاق الطب بالكلية ، ولا يستطيعه بشر ، إنما هو آية ربانية لبيان حق ودلالة صدق .

وكذا لما كان العرب الذين بعث فيهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في غاية البلاغة والفصاحة ، أكرم الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بآية أعجزت ألسنتهم - وهم ملوك اللسان والبيان - عن محاكاته ، وهو القرآن العظيم ، فتحدهم بأن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذلك ، فأيقنوا بخبرتهم الفائقة في صناعة الكلام وتركيب الالفاظ السني تعتبر قمة في الفصاحة والبلاغة والبيان آنئذ ، لما سمعوا نظم القرآن الكريم ، وتراكيب الفرقان الحكيم ، أدركوا أنه فوق طاقة البشر ، وأنه آية ناطقة بصدقه - عليه الصلاة والسلام - وهكذا أعطى الله كل نبي آية تخصه وبجانبيها آيات كثيرة آمن بسببها كثير من البشر ، كانت من أدل الدلائل على صدق هؤلاء الرسل الكرام .

وثالثاً : دلالة العقل على صدق الرسل والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - والصدق هو مطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم^(١) فلو لم يكن الرسل صادقون للزم الكذب في خبره تعالى ، ولكن كذب خبره محال ، فما أدى إليه وهو عدم صدقهم محال ، فيجب لهم الصدق .

ودليل هذه الملازمة : أن الله صدقهم بالآية (المعجزة) النازلة منزلة قوله : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني ، وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض كذب ، وهو محال في حقه تعالى ، فملزومه وهو عدم صدقهم محال ، وإذا استحال عدم صدقهم ، وجب صدقهم وهو المطلوب .

قال تعالى : (... وصدق الله ورسوله...)^(٢) وقال : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين)^(٣) لكننا لم نأخذ منه باليمين ، ولم نقطع منه الوتين ، فدل على أنه لم يتقول علينا ، بل كان صادقاً فيما

(١) انظر : السفاريني : لوامع الأنوار (٣٠٧/٢) .

وانظر : ابراهيم بن محمد البيجوري : تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص ٧٦) ، حسن السيد متولي : مذكرة التوحيد (ص ٣٣) .

(٢) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٢٢) .

(٣) سورة الحاقة ، الآيات (٤٤-٤٦) .

بلغه عنا .

قال السفاريني : " والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه وبالجمله فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج إلى تقريره ، وفي قصة هرقل مع أبي سفيان كما في الصحيح^(١) عند سؤال هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن أوصاف النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب أي على الناس ؟ قال : لا ، وإن كان ليدعي فينا بالأمين ، فقال : لقد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم ليكذب على الله تعالى ، فيشعر هذا أن عقلاء الأمم مطبقون على استحالة كذب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - " (٢) .

وإذا كان قد علم صدق الأنبياء والرسول - عليهم السلام - بدلالة المعجزة ، وغيرها من دلائل النبوة ، وجب تصديقهم في كل ما أتوا به عن الله ، ويستحيل عليهم الكذب عقلاً وشرعاً - كما بينت آنفاً - .

قال الجلال السيوطي : " والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق ، وأما المعارض فهي جائزة^(٣) والمعارض هي : " ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح " (٤) .

المبحث الرابع : أنهم معصومون

من المقطوع به أن الأنبياء والرسول هم صفوة البشر ، خلقهم الله تعالى على الفطرة السليمة ، النقية عن الآفات الخلقية ، وقد هيا لهم الله جل وعلا نشأة أعدهم بها لتحمل أمانة دعوة الخلق إلى التوحيد والعمل الصالح ، فهم مكلفون من الله جل وعلا بهداية الخلق بالبيان الواضح ، وإقامة الحجة الدامغة ومقارعة الخصوم ، يزين ذلك عقل راجح ، وفطانة راشدة تبهر عقول المعاندين والمجادلين بالباطل (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت

(١) هذا ورد في حديث متفق عليه ، رواه البخاري في " صحيحه " كتاب بدء الوحي (١) باب (٦) ح رقم (٧) انظر : الفتح (٣١/١) ، ورواه أيضاً في كتاب الجهاد (٥٦) باب (١٠٢) ح رقم (٢٩٤١) فتح (١٠٩/٦) ، وفي كتاب التفسير (٩٥) باب (٤) ، ح رقم (٤٥٥٣) فتح (٨/٢١٤) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (١٣٩٣/٣) كتاب الجهاد (٣٢) باب (٢٦) ح رقم (٧٤-١٧٧٣) وأحمد (٢٦٢، ٢٦٣/١) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٣٠٧/٢) ، وانظر : تحفة المريد (ص ٧٦) ، وحاشية محمد بن محمد الأمير على شرح الجوهرة لعبد السلام المالكي (ص ١١٤) .

(٣) معترك الأقران (٧٢/٣) .

(٤) التعريفات (ص ٦٢) .

وقال في اللسان (١٨٢/٧) : " وعرض لي بالشئ لم يبينه " وقال أيضاً (١٨٢/٧) : " والمعارض من الكلام ما عرض به ولم يصرح ، وأعراض الكلام ، ومعارضه ومعارضه : كلام يشبه بعضه بعضاً في المعاني ، كالرجل تسأله : هل رأيت فلاناً ؟ فيكره أن يكذب وقد رآه فيقول : إن فلاناً ليرى . ولهذا المعنى قال عبدالله ابن العباس : ما أحب بمعارض الكلام حمر النعم ، ولهذا قال عبدالله بن رواحة حين اتهمته امرأته بجارية له وقد كان حلف ألا يقرأ القرآن وهو جنب ، فألحت عليه بأن يقرأ سورة ، فأنشأ يقول :

شهدت بأن وعد الله حق
وأن العرش فوق الماء طاف
وتحملة ملائكة شداد
وفوق العرش رب العالمينا
وأن النار مثوى الكافرينا
ملائكة الإله مسومينا

قال : فرضيت ، لأنها حسبت هذا قرأنا ، فجعل ابن رواحة هذا عرضاً ومعرضاً فراراً من القراءة ... والمعارض خلاف التصريح ، والمعارض : التورية بالشئ عن الشئ " والتورية هي : " أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره مثل أن يقول في الحرب : مات إمامكم ، وهو ينوي به أحداً من المتقدمين " (التعريفات ص ٧١) ، وفي الحديث عن عمران بن حصين مرفوعاً : " إن في المعارض لمنذوحة عن الكذب " أي سعة .

الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين ^(١) ومنع ذلك فهم يبلغون ما أوحاه الله إليهم بكل دقة وأمانة لا يغيرون ولا يبذلون ولا يتقولون ، (... قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي) ^(٢) .
(ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) ^(٣) .

وهذه الأمانة هي ما اصطلح على تسميتها بالعصمة ، فهذه الصفوة المختارة قد عصمهم الله تعالى من كل ما من شأنه أن يعيق دعوتهم أو ينفر من سلوك طريقته ، أو يدخل في قلوب المدعويين أدنى ريب من جهة البلاغ والبيان .
فهم القدوة الحسنة لجميع البشر ، وهم المثل الأعلى ، والنموذج الأكمل في جميع نواحي الكمال الخلقي والسمو الروحي ، وذلك ببعدهم عن اقتراف المعاصي والآثام ، وعزوفهم عن الانكباب على الشهوات واجتنابهم كل ما يخل بالمروءة أو يهدر الكرامة ، ومن أجل ذلك أمر الله تبارك وتعالى بالاعتداء بهم ، والنسج على منوالهم ، والتخلق بأخلاقهم والالتزام بمنهجهم قولاً وعملاً واعتقاداً . (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ^(٤) .

- تعريف العصمة في اللغة :

العصمة في كلام العرب تعني : المنع والحفظ .
وَعَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْماً : منعه ووقاه ^(٥) . واسم الفاعل : عاصم ، قال تعالى : (يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد) ^(٦) .
والعاصم هنا بمعنى : مانع ودافع ^(٧) وقد يطلق ويراد به اسم المفعول ، كما في قوله تعالى وتقدس حكاية عن ابن نوح - عليه السلام - : (... قال : سأوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ...) ^(٨) . أي : لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله تعالى ، أي : لا " معصوم إلا المرحوم " ^(٩) .
وذكر الراغب الأصفهاني أن العَصْم : الامساك والاعتصام : الاستمسك ^(١٠) ، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه ، وفي التتزيل العزيز قوله جل وعلا : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ...) ^(١١) أي : تمسكوا بعهد الله ^(١٢) ، أو بدينه

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٨) .

(٢) سورة سيدنا يونس - عليه السلام - ، بعض الآية (١٥) .

(٣) سورة الحاقة الآيات (٤٤،٤٥،٤٦) .

(٤) سورة الأنعام ، بعض الآية (٩٠) .

(٥) لسان العرب (٤٠٣،٤٠٤/١٢) .

(٦) سورة غافر الآية (٣٣) .

(٧) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٦٢/٢٤) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (١٣٣/٧) ، والسمعاني : تفسير القرآن (١٩/٥) ، الشوكاني : فتح القدير (٤٩١/٤) ، حسنين محمد مخلوف : كلمات القرآن تفسير وتبيان (ص ٣٩٥) بهامش المصحف الشريف ، الجلالين (ص ٥٧٢) .

(٨) سورة سيدنا هود - عليه السلام - الآية (٤٣) .

(٩) لسان العرب (٤٠٣/١٢) .

(١٠) انظر : المفردات (ص ٣٣٦) .

(١١) سورة آل عمران ، بعض الآية (١٠٣) .

(١٢) اللسان (٤٠٤،٤٠٥/١٢) ، وانظر : جامع البيان (٣٠/٤) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٧٣/٢) ، والشوكاني : فتح القدير (٣٦٩/١) .

أو بكتابه^(١) فالعصمة إذا معناها : المنع ، والحفظ ، والإمساك والوقاية .

- تعريف العصمة في الاصطلاح :

وأما العصمة في الاصطلاح : فقد اختلفت في ذلك عبارات العلماء فقال بعضهم : " هي حفظ الله تعالى عبده مما يوبقه " ^(٢) ولفظة " عبده " في هذا التعريف غير دقيقة إذ أنها تشمل غير الأنبياء ، مع أن الاتفاق بين علماء الأمة على ثبوتها للأنبياء والرسل فقط دون غيرهم من سائر البشر ، وعلى ذلك فهو تعريف جامع غير مانع . وقريب منه تعريف الجرجاني حيث قال : " العصمة : هي ملكة اجتتاب المعاصي مع التمكن منها " ^(٣) فهل هذه الملكة تحصل للأنبياء وغيرهم ؟ والجواب المؤكد أنها ليست ثابتة لغير الأنبياء ، ثم إن معنى كون العصمة ملكة ، أنه يمكن اكتسابها ، ذلك لأن الملكة حالة ترسخ في النفس مع كثرة المران والدربة

لذلك قال الجرجاني نفسه في تعريفها (أعني الملكة) : " هي صفة راسخة في النفس ، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية ، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال ، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة ، وبالقياص إلى ذلك الفعل عادة وخلقاً " ^(٤) فكل ذي حرفة أو صناعة أو فن من العلوم بكثرة ممارسته له والانشغال به ، تصبح لديه ملكة في تلك الحرفة أو الصناعة أو الفن ، وذلك كالفقيه الذي رسخت لديه ملكة استنباط الأحكام من الأدلة بحيث يمكنه معرفة الحكم الشرعي لكل جزئية من تصرفات البشر من الحل أو الحرمة أو الكراهة أو غير ذلك ، فهي ملكة مكتسبة بالتعلم والدراسة والمناقشة والنظر في أقوال العلماء وسماع طرق اجتهداهم والوقوف على موارد نزاعهم مع الصبر والدأب في ذلك ، حتى تحصل له تلك الملكة .

إذا فهي صفة أو حالة تكتسب بالمراس والتعود وهي قابلة للزوال ، ولكن العصمة التي للأنبياء ليست كذلك ، بل هي محض فضل الله جل وعلا ، ولذا عرفها بعضهم بقوله : " هي محض فضل الله تعالى بحيث لا اختيار للعبد فيه وذلك إما بخلقهم " ^(٥) على طبع يخالف غيرهم بحيث لا يميلون إلى المعصية ، ولا ينفرون عن الطاعة كطبع الملائكة ، وإما بصرف همتهن عن السيئات وجذبهم إلى الطاعات ، جبراً من الله تعالى بعد أن أودع في طبائعهم ما في طبائع البشر " ^(٦) .

وفي القول بجبر الأنبياء على الطاعة ، وسلب اختيارهم نظر ، لأنهم إذا كانوا مجبورين على ذلك كان لا فرق بينهم وبين الملائكة ، إذ لا يصح أن يقال إن الملائكة معصومون ، لأنهم لا اختيار لهم بين الطاعة والمعصية إنما جبلهم الخالق جل وعلا على الطاعة لا غير ، إنما العصمة نقال في حق من أودع فيه الاختيار بين هذا وذاك ، ولكنهم (أي الأنبياء - عليهم السلام -) حفظوا بفضل من الله جل وعلا عن واقعة الاثم .

(١) انظر : ابن جرير ك جامع البيان (٣٠، ٣١/٤)، والسيوطي: الدر المنثور (٢٨٤-٢٨٧) والشوكاني : فتح القدير (٣٦٩/١) .

(٢) محمد الخضر بن الناجي ضيف الله : عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة والرد على الشبهات الواردة عليها (ص ١٩) .

(٣) التعريفات (ص ١٥٠) .

(٤) التعريفات (ص ٢٢٩) .

(٥) أي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .

(٦) الملا علي القاري الحنفي : شرح الفقه الأكبر (ص ٩٤) .

ومن أجل هذا قال بعضهم : " العصمة فضل من الله ولطف منه ، ولكن على وجه يبقى اختيارهم بعد العصمة في الاقدام على الطاعة والامتناع عن المعصية وإليه مال الشيخ أبو منصور الماتريدي حتى قال : العصمة لا تزيل المحنة . أي : الابتلاء والامتحان ، يعني لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية ، بل هي لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار ، تحقيقاً للابتلاء والاختبار " (١) .

قال د. أحمد بن ناصر الحمد ، حيث عرف العصمة فقال : " إنها حفظ الله تعالى لأتباعه من تغير الفطرة ، ومن الخطأ فيما يبلغون عنه من وحي ، ومن اقتراف الكبائر ، وما يستقذر " (٢) .

وأفضل من هذا وأجمع ما استخلصه د. أحمد آل عبداللطيف بقوله : " العصمة : هي حفظ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم مما تستبجحه الفطر السليمة قبل النبوة ، وحفظهم من الكبيرة وصغائر الخسة بعدها ، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر ، وعدم اقرارهم عليها " (٣) .

فالعصمة بهذا المعنى ثابتة للأنبياء - عليهم السلام - وهي من صفاتهم التي أكرمهم المولى جل وعلا بها وميزهم عن سائر البشر ، ولا تكون هذه العصمة البتة إلا للأنبياء الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - حيث وهبهم الله جل جلاله ومنّ عليهم بهذه النعمة العظمى ، ولقد كان للسيوطي رأيه في هذه المسألة ، والذي سأبينه فيما يلي .

- رأي السيوطي في العصمة :

يرى السيوطي أن الأنبياء - عليهم السلام - يتمتعون بالعصمة من الذنوب والآثام ، وذلك لكرامتهم على الله تعالى ، وهو في هذا لا ينفرد عن بقية علماء الأمة . فهم متفقون جميعاً على إثبات هذه العصمة للأنبياء والمرسلين ، ولذلك قال : " ونعتقد أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون ، لا يصدر عنهم ذنب ، لا كبيرة ولا صغيرة ، لا عمداً ولا سهواً ، لكرامتهم على الله تعالى بل ومن المكروه ، لأن وقوع المكروه من النبي نادر فكيف من النبي ؟ " (٤) .

فهو - كما نرى من كلامه - ينفي وقوع الذنوب من الأنبياء ، أو صدورها عنهم أي كانت هذه الذنوب فهم لا يصدر عنهم لا كبيرة ولا صغيرة ، ولا حتى فعل مكروه ، وعلى ذلك بأن المؤمن النقي يندر منه وقوع الأفعال الكروية شرعاً ، فمن باب أولى ألا يصدر من النبي مكروه من المكروهات .

وإن كان من المتبع غالباً عند جل العلماء والباحثين أن يفرقوا بين العصمة قبل النبوة وبعدها ، إلا أن السيوطي هنا لم يفصل هذا الأمر هل هذه العصمة التي أثبتها هي ثابتة للنبي قبل وبعد النبوة ، أم أنها بعد النبوة فقط ؟ .

والذي يبدو من كلام السيوطي أنه يتناول العصمة بعد النبوة ، إذ أن النبي بعد اكرام الله تعالى له بها يكون موضع الأسوة والقُدوة والتشريع ، أما قبلها فليس كذلك .

(١) تأويلات أهل السنة (١/٢٤١، ٥٥٠)، وانظر : الملا على القاري : شرح الفقه الأكبر (ص ٩٤) ، د. علي عبدالفتاح المغربي : أبو منصور الماتريدي إمام أهل السنة وآراؤه الكلامية (ص ٣٥١) .

(٢) ابن حزم : الدرة فيما يجب اعتقاده (ص ٣٧٨) هامش المحقق د. أحمد بن ناصر الحمد .

(٣) د. أحمد عبداللطيف آل عبداللطيف : عصمة الأنبياء (ص ٢٤) . رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى .

(٤) علم التوحيد (لوحة رقم ٢٩) مخطوط .

أولاً - العصمة قبل النبوة : يرى أكثر العلماء أنه لا دليل على ثبوت العصمة للأنبياء قبل النبوة ، وهذا هو رأي جمهور الأشاعرة وبعض المعتزلة . وهو كذلك رأي أهل السنة وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .

فأبو الحسن الأمدي يرى عدم عصمة الأنبياء قبل النبوة ، فقد يصدر عنهم المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة ، إذ لا دلالة للمعجزة على عصمة الأنبياء فيما قبل ظهورها على أيديهم ، كما أنه لا توجد دلالة سمعية على عصمتهم قبل بعثتهم ^(١) .

وكذلك هو مذهب أبي بكر بن الطيب الباقلاني ^(٢) ، وأكثر أصحابه ^(٣) .

وذهب إليه كذلك العضد الإيجي ^(٤) في المواقف ^(٥) والفخر الرازي في " عصمة الأنبياء " ^(٦) ، والبغدادى في أصول

الدين ^(٧) ويتضح من ذلك - كما قلت - أن جمهور الأشاعرة يذهب إلى نفي العصمة قبل البعثة لأنه لا دليل عليها ، ولما

كان السيوطي ينتسب إلى مذهب الأشاعرة كما يظهر من كتاباته ومؤلفاته ^(٨) فهو - على الظن الغالب - قائل بقولهم ، لأنه

لو كان لديه خلاف ما هم عليه لأظهره وبينه ، أما وإنه قد سكت عنه فإن الأصل أن يكون على مذهبهم إلا أن يظهر

خلافه ، أقول : إن أغلب الظن أن يكون على رأي الأشاعرة في هذه المسألة ولا أقطع بنسبة شئ إليه لم يقله .

ثانياً - أما العصمة بعد النبوة ، ففيها مسائل :

الأولى - العصمة في التبليغ : ولقد اتفقت كلمة طوائف الاسلام بل أهل الشرائع قاطبة على عصمة الأنبياء

والرسل عن تعمد كل ما يخل بصدقهم في دعوى الرسالة وتحملها ، وأمانتهم في التبليغ عن الله عز وجل ^(٩) ، فهم لا ينسون

شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم ، إلا شيئاً قد نسخ ، وقد تكفل الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بأن يقرئه القرآن فلا

ينسى شيئاً فيه إلا ما نسخه الله وأراد أن ينسيه إياه ، قال تعالى : (سنقرئك فلا تنسى {٦}) إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر

وما يخفى {٧}) ^(١٠) وتكفل الله تعالى أيضاً بأن يجمعه في صدره ، قال جل شأنه :

(لا تحرك به لسانك لتعجل به {١٦} إن علينا جمعه وقرآنه {١٧} فإذا قرأناه فاتبع قرآنه {١٨}) ^(١١) والعصمة في

التبليغ عن الله تعالى وحيه وأحكامه وإن كان السيوطي لم يذكرها بخصوصها إلا أنه لا يتصور من إمام كالسيوطي أن

(١) ابتكار الأفكار (١٤٠/٢) ق ب - (١٤١) ق ب .

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني ، القاضي ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه رئاسة مذهب الأشاعرة ، ولد بالبصرة (٣٣٨هـ - ٩٥٠م) وسكن بغداد وتوفي بها (٤٠٣هـ - ١٠١٣م) له العديد من المصنفات انظر : وفيات الأعيان (٤٨١/١) ، قضاة الاندلس (ص ٣٧-٤٠) ،

تاريخ بغداد (٣٧٩/٥) ، دائرة المعارف الاسلامية (٢٩٤/٣) ، تبين كذب المفترى (٢١٧-٢٢٦) ، الاعلام (١٧٦/٦) .

(٣) انظر : الأحكام في أصول الأحكام (١٦٩/١) .

(٤) محمد بن عبدالرحمن الإيجي .

(٥) انظر : المواقف في علم الكلام (ص ٣٥٩) .

(٦) انظر : (ص ٣) .

(٧) انظر : (ص ١٦٨) .

(٨) صرح السيوطي بانتسابه إلى المذهب الأشعري حيث قال : " وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول ... أن من مات ولم يبلغه

الدعوة مات ناجياً " ، انظر : مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ص ١١) ضمن الرسائل التسع (ط ١٤٠٥هـ) - دار إحياء العلوم - لبنان .

(٩) انظر في نقل هذا الإجماع : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٨٩، ٢٩٠/١٠) ومنهاج السنة النبوية (٤٧٠/١-٤٧٣) والرازي : عصمة الأنبياء

(ص ٥٦) ، التفاتراني : شرح العقائد النسفية (ص ٨٩) ، السفاريني : لوامع الأنوار البهية (٣٠٤/٢) ، الأشقر : الرسل والرسالات (ص ٩٧) .

(١٠) سورة الأعلى - جل جلاله - ، الآيةان (٦،٧) .

(١١) سورة القيامة الآيات (١٦، ١٧، ١٨) .

يقول بخلاف ما قرره العلماء الذين اتفقوا جميعاً على ذلك ، ولولا أن المسألة في عداد الأمور الراسخة المتفق عليها لتكلم عنها وذكرها ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن هذه العصمة قد اتفق عليها العامة والخاصة ، إذ قد أيقنوا وآمنوا جميعاً بمعنى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ^(١) لأن من لا ينطق عن الهوى كان معصوماً من قبل الله - جل وعلا - .

إن دين الله الذي شرعه لهداية البشر للتي هي أقوم إنما يعرف من قبل الرسل الكرام ، وليس ثمة طريق آخر يستطيع البشر الاهتداء به إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه ، أو يبغضه جل وعلا ويأباه ، فالأنبياء والرسل هم السبيل الوحيد لمعرفة دين الله ، ومعرفة الله جل وعلا وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهم الوسطة بين الحق والخلق ، فلا طريق إلا طريقهم ، ولا منهاج للسعادة إلا منهاجهم ، ولا باب يوصل إلى جنات الله والنعيم المقيم إلا بابهم ، فلو كذب هؤلاء الرسل الكرام فيما أنزله الله تعالى عليهم لتبليغه إلى عباده فنقصوا منه أو زادوا عليه شيئاً من تلقاء أنفسهم ، أو لو بدلوا فيه أو غيروا أو حرفوا لكانت عقيدة الناس وشريعتهم على وجه غير صحيح ، وليس من حكمة الله تعالى وعدله ورحمته بخلقه أن يرسل إليهم رسلاً كذبة يفترون على الله - جل وعلا - ما لم ينزل به سلطاناً ومن المشاهد في سنن الله عز وجل في إرسال الأنبياء والمرسلين إلى الناس ، أنه تعالى يُثَبِّتُ من اصطفاهم لهذه المهمة العظيمة على الصدق والحق ، ولو ذاقوا من أقوامهم ما حكاه الله عنهم من الأذى والتعذيب والتنقيط (ولولا أن ثبتناك لقد كذبت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) ^(٢) .

ومن المعلوم أيضاً من سنن الله تعالى مع رسله وأنبياؤه الكرام أنه لم يخز ولم يعذب ولم يهلك أحداً منهم عقاباً له على كذب في تبليغه أو في دعواه فدل ذلك على عصمتهم من الكذب وغيره من كل ما يقدر في صدقهم وأمانتهم ، ودقة بلاغهم عن الله تعالى ، وشدة خوفهم منه سبحانه وتعظيمهم له ولأمره ونهيه .

ولما كان الجلال السيوطي منتسباً إلى المذهب الأشعري - كما قلنا - فمن المؤكد أن رأيه في هذه المسألة هو رأيهم ، وقوله هو قولهم لأنني لم أجد له كلاماً يخالفهم فيها ، ولذلك سأوضح رأيهم في هذه المسألة فأقول :

اتفق الأشاعرة على عصمة الأنبياء - عليهم السلام - عن الكذب في دعوى النبوة وكذلك في تبليغهم ما أرسلوا به من قبل الله تعالى يقول شارح المواقف : " أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم عن تعدد الكذب ، فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الخلائق ، إذ لو جاز عليهم النقول والافتراء في ذلك عقلاً لأدى إلى إبطال دلالة المعجزة وهو محال " ^(٣) .

وقريب من هذا قال أبو المعالي - رحمه الله - : " فإن قيل بينوا لنا عصمة الأنبياء وما يجب لهم ، قلنا : تجب

(١) سورة النجم ، الآيتان (٣ ، ٤) .

(٢) سورة الاسراء الآيتان (٧٤ ، ٧٥) .

(٣) الجرجاني : شرح المواقف (٢٦٢ / ٨) .

عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة وهذا مما نعلمه عقلاً ، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون ^(١) .

وبمثل ما قال الجرجاني والجويني قال أبو الحسن الأمدي : " وأما بعد النبوة فقد اتفق أهل الملل وأرباب الشرائع على وجوب عصمة الأنبياء - عليهم السلام - عن الكذب عمداً فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه وذلك في دعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الأمة بطريق التبليغ عنه ، وإلا فلو جاز عليهم النقول والتخرص في ذلك عقلاً لأفضى إلى إبطال دلالة المعجزة وهو محال ^(٢) .

ومن كلام الأمدي وغيره يتضح أن عصمة الأنبياء لم تكن محل خلاف بين أهل الإسلام ، بل لم تكن كذلك بين أهل الشرائع كافة ، لكن الجميع متفقون على عصمتهم عن تعمد ما يخل بصدقهم وأمانتهم وهذا ما أكده السيوطي بقوله : " الكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق ^(٣) بل يذهب السيوطي إلى أبعد من ذلك فيذكر أن المشركين لم يكونوا يعتقدون كذب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكنهم كذبوا جحوداً منهم للحق مع علمهم بصدقه ، فقد قال عند قوله تعالى : (...فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ^(٤) قال : لا يكذبونك بتشديد الذال ، بمعنى : لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون الحق مع علمهم به .

ومن هنا يتضح أطباق أهل الأرض على تصديق الأنبياء مؤمنهم وكافرهم أما المتبعون لهم فظاهر وأما المكذبون لهم فظاهر أمرهم التكذيب والرفض ، وباطنه التصديق المحض وهو المقصود من إثبات العصمة لهم - صلوات الله تعالى عليهم أجمعين - .

لكنه قد حصل خلاف بين الأئمة في جواز وقوع الكذب من الأنبياء عن طريق الغلط والنسيان فأكره البعض وجوزه آخرون .

قال الأمدي : " واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان ، فمنع منه الأستاذ أبو اسحاق ^(٥) وكثير من الأئمة ، لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة ، وجوزه القاضي أبو بكر ^(٦) مصيراً منه إلى أن ما كان من النسيان وفلتات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة ، وهو الأشبه ^(٧) وبقوله قال الإيجي بلفظ يكاد ينطبق على لفظه ، حيث قال : " وفي جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان خلاف : فمنعه الاستاذ ^(٨) وكثير من الأئمة لدلالة المعجزة على صدقهم ، وجوزه القاضي ^(٩) مصيراً منه إلى عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة ^(١٠) وهذا الخلاف

(١) الجويني : الارشاد (٣٥٦) .

(٢) أباكار الأفكار (١٤١ ق أ) .

(٣) معترك الأقران (٧٢/٣) .

(٤) سورة الأنعام ، بعض الآية (٣٣) .

(٥) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأسفرائيني ، ركن الدين الشافعي ، فقيه ومتمكلم أصولي (ت ٤١٨هـ) بنيسلور ، نظر : وفيت الأعيان (٨/١) ، شذرت لذهب

(٢١٠٩-٢٠٩/٣) ، طبقات الشافعية (١١٤-١١١/٣) ، العبر (١٢٨/٣) ، معجم البلدان (٢٤٧/١) ، تبين كذب المقتري (ص ٢٤٣-٢٤٤) .

(٦) محمد بن الطيب الباقلاني - رحمه الله - .

(٧) إحكام الأحكام (١٧٠/١) ، وأباكار الأفكار (١٤١/٢ ق أ) .

(٨) أبو اسحاق الأسفرائيني - رحمه الله - .

(٩) محمد بن الطيب الباقلاني - رحمه الله - .

الذي نقله إلينا كل من الأمدي والأيجي مبني على كون الغلط والنسيان داخلاً تحت دلالة التصديق المقصود بالمعجزة ، أو غير داخل تحتها ، فالاستاذ أبو اسحاق ومن وافقه يرون أنه داخل تحت دلالة التصديق المقصود بالمعجزة ولذلك امتنع عندهم أن يقع غلط من النبي أو نسيان ذلك لأن المعجزة قائمة مقام قول الله جل وعلا : صدق عبيدي في كل ما يبلغ عني ، فإذا وقع الغلط أو النسيان ، كان ذلك ناقضاً لدلالة المعجزة على الصدق ، وذلك ممتنع ، فامتنع وقوع الغلط والنسيان .

وأما الأمدي والقاضي الباقلاني ومن وافقهما يزون أن الغلط والنسيان وفلتات اللسان غير داخل تحت دلالة التصديق المقصود بالمعجزة ، ذلك لأن : " المعجزة إنما تدل على صدق الرسول فيما هو متذكر فيه ، عامد له ، وأما ما كان من النسيان وفلتات اللسان فلا تدخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة ، ولا المعجزة دالة على نفسه ، وعلى هذا فلا تكون صورة النسيان ناقضة لدلالة المعجزة " (٢) وبمثل هذا قال الجرجاني في " شرح المواقف " (٣) .

ومن هنا يتضح أن الرأي الراجح لدى جمهور الأشاعرة جواز وقوع الغلط أو السهو أو النسيان من النبي .

أما السيوطي فهو يرى ما رآه الاستاذ أبو إسحاق خلافاً لجمهورهم من امتناع وقوع السهو من النبي وقد قال فيما نقلناه عنه قبل قليل : " ونعتقد أن الأنبياء معصومون ، لا يصدر عنهم ذنب لا كبيرة ولا صغيرة ، لا عمداً ولا سهواً... " (٤) فهو بذلك لا يرى وقوع السهو أو الغلط من النبي وكلامه في هذا صريح كما رأينا مما نقلنا عنه .

الثانية - العصمة من الكبائر : أما الكبائر فقد حكى غير واحد اتفاق أهل العلم على عدم تعدد الأنبياء - عليهم السلام - لارتكاب الكبائر والسيوطي ممن قال بهذا القول فوافق اتفاق العلماء على ذلك ، وقد سبق نقل كلامه في أن الأنبياء لا يقع منهم الذنوب الكبائر لا عمداً ولا سهواً (٥) .

قال الأمدي : " فإن كان من الكبائر ، فقد اتفق المحققون والأئمة على وجوب عصمتهم عن تعمد من غير نسيان ولا تأويل ، ولم يخالف في ذلك غير الحشوية (٦) " (٧) .

ونحن نحوه الجرجاني حيث قال : " أما الكبائر - أي صدورها عنهم عمداً - فمنعه الجمهور من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية " (٨) .

(١) المواقف (ص ٣٥٨) .

(٢) الأمدي : أبقار الأفكار (١٤١/٢ ق أ) .

(٣) انظر : (٢٦٣/٨) .

(٤) علم التوحيد (لوحة ٢٩) .

(٥) علم التوحيد (لوحة ٢٩) .

(٦) أول من استعمل لفظ " الحشوية " عمرو بن عبيد (المعتزلي) قال : كان عبدالله بن عمر حشويّاً ، يريد بالحشوية الأميين ، ثم صار من يقدر العقل ويؤثره على النقل كالمعتزلة يرمون بها علماء الحديث كأحمد بن حنبل ومن على شاكلته من أهل الحديث من أئمة السنة والجماعة ، فأعداء أهل السنة عموماً ينزّون أهل السنة بمثل هذه الألقاب على سبيل الانتقاص ، انظر : تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي على هذه اللفظة في كتاب الأمدي : أحكام الأحكام (١٧٠/١) وانظر كذلك : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٩/٤) ، والشهرستاني : الملل والنحل (ص ١٠٥) في معرض كلامه عن المشبهة ، وانظر : د. عبدالمنعم الحفني : الموسوعة الفلسفية (ص ١٦٩) .

(٧) أبقار الأفكار (١٤١/٢ ق أ) وأحكام الأحكام (١٧٠/١) .

(٨) شرح المواقف (٢٦٤/٨) .

ولممثل قولهما^(١) ذهب السعد التفتازاني في " شرح المقاصد "^(٢) وكذلك في " شرح العقائد النسفية "^(٣) والبيضاوي في " طوالع الأنوار "^(٤).

وأما إن كان قصدهم من ذكر " الحشوية " نيز أهل السنة بهذا اللقب ، فهذا من الباطل الذي زلت به السنة وأقلام بعض الفضلاء أمثال التفتازاني والإيجي والجرجاني ، وما كان يليق بمثلهم الوقوع في مثل هذا الصنيع .

ذلك لأن أهل السنة والجماعة كما هو مشهور عنهم ومعلوم ،

يقولون بعصمة الأنبياء عن تعمد الكبائر ، وسيوضح لنا ذلك عند عرضنا لرأي أهل السنة بعد قليل - إن شاء الله - فرأيهم أفضل الآراء ، ومذهبهم في هذا وفي غيره أنصح المذاهب وأوضحها ، وهو الحق الذي لا مرية فيه .

الثالثة - عصمة الأنبياء من الصغائر : يقسم متكلموا الاشاعرة الصغائر إلى قسمين :

أولهما : قسم يوجب الحكم على فاعله بالخسة ، ودناءة الهمة ، سقوط المروءة ، وذلك كسرقة لقمة ، والتطيف بحبة ، ونحو ذلك .

والثاني : لا يوجب على فاعله الحكم بالخسة كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب .

ويلحقون القسم الأول بالكبائر في وجوب عصمة الأنبياء - عليهم السلام - منه ، وحكى بعضهم الاجماع على ذلك وفي هذا يقول الأمدي : " وأما ما ليس بكبيرة فإما أن يكون من قبيل ما يلحق فاعله بالأرازل والسفل والحكم عليه بالخسة ودناءة الهمة ، وسقوط المروءة ، كسرقة حبة ، أو كسرة ونحوه ، فالحكم فيه حكم الكبيرة "^(٥) بمعنى أنه تجب عصمتهم منه كما تجب عصمتهم من تعمد ارتكاب الكبائر .

وحكى القاضي عياض اجماعهم على ذلك حيث قال : " وقال بعض أئمتنا لا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ تلحقها بالكبائر ، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة واسقطت المروءة ، وأوجب الزراء والخساسة فهذا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعاً "^(٦) .

وأما القسم الثاني فيرون جواز صدوره من الأنبياء عمداً وسهواً ، وهو مذهب الأمدي وأكثر أصحابه ، وأكثر المعتزلة عدا الجبائي^(٧) ، الذي قال بعصمة الأنبياء عن تعمد الصغائر ، وأن ذلك لا يجوز عليهم إلا بطريقة السهو أو الخطأ في التأويل وقد سبق الجبائي كل من النظام^(٨) ، وجعفر بن مبشر^(٩) في هذا القول .

(١) أي الأمدي والجرجاني .

(٢) انظر (٥٠/٥) .

(٣) انظر : (ص ٨٩) .

(٤) انظر : (ص ٢١٤) .

(٥) أباكار الأفكار (١٤١/٢ ق أ) وانظر : إحكام الأحكام (١٧١/١) .

(٦) الشفا (٢٣٠/٢) .

(٧) محمد بن عبد الوهاب ، أبو علي الجبائي ، نسبة إلى بلده " جي في خوزستان كان رأساً في الاعتزال (ت ٢٩٥هـ) انظر : الشهرستاني : الملل والنحل (٧٨/١)

(٨) إبراهيم بن سيار النظام ، أبو اسحاق ، رأس الغرقة النظامية المعتزلية (ت ما بين ٢٢٣، ٢٢١هـ) . الشهرستاني : الملل والنحل (٥٣/١) .

(٩) أبو محمد جعفر بن مبشر من رجال المعتزلة ، وهو وجعفر بن حرب زعيما الجعفرية من فرق الاعتزال ، انظر : الفرق بين الفرق (ص ١٦٧)

وفي حكاية هذا يقول الأمدي :

"وأما ما لا يكون من هذا القبيل كنظرة أو كلمة سفه نادرة في خصام ونحو ذلك ، فهذا مما اتفق أكثر أصحابنا ، وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً ... وذهب الجبائي إلى أن ذلك لا يجوز إلا بطريق السهو أو الخطأ في التأويل ، وذهب النظام وجعفر بن مبشر إلى أن ذلك لا يجوز منهم إلا على طريق الغفلة والسهو غير أنهم يؤخذون بذلك ، وإن لم تؤخذ أممهم به ، لعلوم رتبهم وقوة معرفتهم بالله تعالى" (١) .

فإذا كان جمهور الأشاعرة قد جوزوا وقوع الصغائر التي لا توجب الخسة والدناءة من الأنبياء - عليهم السلام - عمداً وسهواً ، وجوزها جمهور المعتزلة سهواً لا عمداً ، فإن السيوطي قد منع من ذلك مطلقاً سواء كان عن طريق العمد أو كانت عن طريق السهو (٢) ذهاباً منه إلى أن ذلك لا يقع منهم - عليهم السلام - لكرامتهم على الله تعالى ، فإن الأنبياء لهم كرامة ومنزلة رفيعة ، ورتبة خاصة وزلفى لديه جل وعلا ، وهو تعالى يكرمهم بذلك بأن يعصمهم من الوقوع في شيء من الذنوب والآثام ، حتى ولو سميت صغيرة ، كما أن وقوع الصغائر والمكروهات من الرجل الصالح التقى نادر ، فمن باب أولى أن لا يقع فيها مطلقاً من هم أفضل منه وأتقى وأعلى وهم الأنبياء - عليهم السلام - وإنه ليُشكر للسيوطي هذه الغيرة والمحبة وعدم المساس بجناب الأنبياء الكرام ، ولكن ينبغي التنبيه والحذر من أن تحملنا هذه المحبة والغيرة على تنزيه الأنبياء عن شيء لا يقدح في عدالتهم ولا يؤثر على عظيم كرامتهم وعلو مكانتهم عند الله جل وعلا ، بل هو مقتضى بشريتهم ، ودليل عليها ، ومع ذلك فإنهم ينبهون أو يعاتبون كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله .

وأما قول السيوطي بأن وقوع المكروه من التقى نادر ، فأولى ألا يقع مكروه من النبي ، كلام فيه نظر ، لأن وقوع المكروه من النبي أندر من النادر ومع ذلك قد يقع منه ما لا يؤثر ذلك على ما أكرمهم الله تعالى به من علو الرتبة ، ورفيع المنزلة ، ولكن - كما قلنا - لا يقرهم الله عليها ، بل ينبههم تنبيهاً ، وقد يعاتبهم عتاباً ، ولا يعاقبهم عقاباً ، بل عتاب المحب لحبيبه ، ويأتي - إن شاء الله - مزيد تفصيل لهذا عند بيان رأي أهل السنة ، فإلى رأيهم .

رأي أهل السنة والجماعة في العصمة

أولاً : العصمة قبل النبوة :

أهل السنة والجماعة لا يرون عصمة الأنبياء قبل النبوة مطلقاً ، خلافاً للرافضة (٣) ، وأكثر المعتزلة ، أما الرافضة فيذهبون إلى عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة من جميع الذنوب صغارها وكبارها ، وأن وقت العصمة عندهم يبدأ منذ الولادة ، ويستمر إلى الوفاة ، والأنبياء بأي حال من الأحوال لا تجوز عليهم المعاصي لا سهواً ولا عمداً ولا ذهولاً ،

(١) أبكار الأفكار (٢/١٤١ ق ب) وانظر : الابكي : المواقف (ص ٣٥٩) والقاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة (ص ٥٧٥) ، المغني (١٥/٢٨٠) والأشعري : مقالات الاسلاميين (١/٢٩٧) .

(٢) انظر : رسالة في علم التوحيد (لوحة رقم ٢٩) .

(٣) الرافضة أو الروافض : فرقة من فرق الشيعة كانوا من أتباع زيد بن علي بن الحسين حين طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر ، فقال : لقد كانا وزيرين جدي فلا أتبرأ منهما ، فرفضوه ، وتفرقوا عنه فسموا رافضة ، انظر : مقالات الاسلاميين (ص ١٦) ، ص ٦٥) بتصحيح هلموت ريتز ، وانظر : مروج الذهب (٣/٢٢٠) .

سواء كانت تلك المعاصي من الكبائر أم الصغائر (١) .

وأما أكثر المعتزلة فيرون عصمة الأنبياء عن الكبائر وما يجري مجراها في التنفير قبل البعثة (٢) .

وقد ألجأ كلا الفريقين هذا القول إلى تأويل نصوص القرآن الكريم التي أخبرت بما وقع من الرسل والأنبياء من

التوبة من الذنوب ، ومغفرة الله تعالى لهم ورفع درجاتهم بذلك (٣) .

وقد بين ابن تيمية - رحمه الله - منشأ الخطأ في قول من يقول بقول كل من الرافضة والمعتزلة فيقول رحمه الله

: " وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول : إن الله لا يبعث نبياً إلا من كان معصوماً قبل النبوة ، كما يقول ذلك طائفة من

الرافضة وغيرهم .

وكذلك من قال إنه لا يبعث نبياً إلا من كان مؤمناً قبل النبوة فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصاً وإن تاب

التائب منها ، وهذا منشأ غلطهم ، فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصح يكون ناقصاً فهو غلط غلطاً عظيماً ،

فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلاً ، لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة

فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله ، والأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - كانوا لا

يؤخرون التوبة ، بل يسارعون إليها ، ويسابقون إليها ، ولا يؤخرون ولا يصرون على الذنب ، بل هم معصومون من ذلك (٤) .

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الاتفاق على " جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به

الرسول من قبله من النبوة والشرائع ، وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر ، والرسول لا تعلمه فضلاً عن

أن تقر به ، قال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره ...) (٥) الآية ، وقال : (...يلقي الروح من أمره على من يشاء

من عباده لينذر يوم التلاق) (٦) فجعل انذارهم بالتوحيد كالانذار بيوم التلاق ، وكلاهما عرفوه بالوحي (٧) .

ثم بين شيخ الإسلام - رحمه الله - أن من نشأ من الأنبياء بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان

على مثل دينهم وقد عرف عنه الصدق والأمانة والبعد عما ينفر من القبول ، فالرسل يبعثون من خيار أمتهم ، وقد استنبط

شيخ الإسلام هذا الفهم من قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب - عليه السلام - (قال الملأ الذين استكبروا من قومه

لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين ، قد افترينا على الله كذباً إن

عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها...) (٨) الآية .

والشاهد من هذا قوله تعالى : (...أو لتعودن في ملتنا...) فالعود في ملة المشركين يدل على أن شعيباً - عليه

(١) انظر : الأمدي : أبعاد الأفكار (١٤٠/٢) ورقة ب ، ١٤١ ق أ .

(٢) انظر : القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة (ص ٥٧٣) ، والمغني (٣٠٤/١٥) .

(٣) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (١٥٠/١٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٩/١٠) .

(٥) سورة النحل ، بعض الآية (٢) .

(٦) سورة غافر ، بعض الآية (١٥) .

(٧) مجموع الفتاوى (٣٠، ٣١/١٥) .

(٨) سورة الأعراف الآية (٨٨) ، وبعض الآية (٨٩) .

السلام - كان قبل أن يكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة على دين قومه ويدل عليه أيضاً قول شعيب - عليه السلام - الذي حكاه الله تعالى عنه : (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها...) فمن كانت حاله من الأنبياء مثل حال شعيب لم يكن عليه نقص في ذلك ، يقول شيخ الإسلام : " إن الله سبحانه إنما يصطفى لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب - كما في حديث هرقل ، ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم ، إذا كان معروفاً بالصدق والأمانة ، وفعل ما يعرفون وجوبه وترك ما يعرفون قبحه ، قال تعالى : (...وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)^(١) فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب ، وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم ، ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحاً^(٢) .

بل قد بين شيخ الاسلام - رحمه الله - أن الرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم أكمل من غيره ممن نشأ بين أهل الايمان والنبوة ، وأنه ليس بالضرورة أن يبغض كل رسول ما كان عليه قومه من العبادة الوثنية قبل مبعثه ، أما ما حصل لنبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من بغض لما كان عليه قومه من عبادة الأوثان فهو خاص به - صلى الله عليه وسلم - ، يقول شيخ الإسلام : " وما ذكر أنه بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي ، فإنه سيد ولد آدم ، والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره ، من وجهة تأييد الله له بالعلم والهدى ، وبالنصرة والقهر ، كما كان نوح وإبراهيم ، ولهذا يضيف الأمر إليهما في مثل قوله : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم...)^(٣) الآية ، (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم...)^(٤) الآية^(٥) .

وهكذا يتضح أن أهل السنة والجماعة لا يرون عصمة الأنبياء عن الكفر والمعاصي قبل البعثة ، وإنما يرون وجوب عصمتهم عما ينفر الناس عن القبول لدعوتهم ، فهم يبعثون من خيار أمتهم نسباً وأخلاقاً وأن أعظم ما يتصفون به من الخلق الصدق والأمانة .

أما السيوطي فقد قدمت أنه أغفل الكلام عن العصمة قبل النبوة ، إما لأنه يرى - والله تعالى أعلم - أنه لا يتعلق بهم أسوة ولا قدوة قبل النبوة ، وإما موافقة منه لرأي جمهور الأشاعرة الذي بينته فيما سبق ، وهو أنهم يذهبون إلى عدم عصمة الأنبياء قبل النبوة تماماً كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة .

ثانياً - العصمة بعد النبوة :

وفيها أربعة مسائل هذه رؤوسها :

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| الأولى : العصمة في تحمل الرسالة . | الثانية : العصمة في التبليغ . |
| الثالثة : العصمة من كبائر الذنوب . | الرابعة : العصمة من صغائرها . |

(١) سورة الاسراء ، بعض الآية (١٥) .

(٢) مجموع الفتاوي (٣٠/١٥) .

(٣) سورة الحديد ، بعض الآية (٢٦) .

(٤) سورة آل عمران ، بعض الآية (٣٣) .

(٥) مجموع الفتاوي (٣١/١٥) .

المسألة الأولى : العصمة في تحمل الرسالة :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - معصومون في تحملهم لرسالات ربهم جل وعلا ، فهم يحفظون ما أوحاه الله تعالى إليهم من نصوص وأحكام ، فلا ينسون شيئاً منه إلا ما قد أراد الله تعالى نسخه قال جل وعلا : (سنقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى)^(١) .

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : " وهذا إخبار من الله - عز وجل - ووعد منه له ، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها " (٢) .

وقال الإمام ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " يقول تعالى ذكره : سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه ، إلا ما شاء الله ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله : (فلا تنسى إلا ما شاء الله) فقال بعضهم : هذا إخبار من الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - أنه يعلمه هذا القرآن ، ويحفظه عليه... وقال آخرون : معنى النسيان في هذا الموضع : الترك ، وقالوا : معنى الكلام : سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشئ منه ، إلا ما شاء الله أن تترك العمل به مما ننسخه " (٣) ثم اختار القول الأول .

المسألة الثانية - العصمة في التبليغ :

إذا ثبتت العصمة في التحمل والتلقي ، فإن أهل السنة والجماعة كذلك يثبتون العصمة للأنبياء والرسل في تبليغ ما حفظوه عن الوحي ، بمعنى أنهم يستحيل أن يكذبوا على الله تعالى ، أو أن يقولوا عليه سبحانه ما لم يقله ، أو يكتفوا شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم ، فإن فعل شئ من ذلك خيانة ، وهو من المستحيل في حق رسل الله تعالى وأنبيائه - عليهم السلام - قال جل وعلا : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)^(٤) " فسيح - سبحانه وتعالى - نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب " (٥) .

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون - تعالى وتقدس - عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال : (سبحان ربك رب العزة) أي : ذي العزة التي لا ترام (عما يصفون) أي : عن قول هؤلاء المعتدين المفترين (وسلام على المرسلين) أي : سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم ، وصحته وحقيقته " (٦) .

فالرسل والأنبياء - عليهم السلام جميعاً - صادقون مصدقون ، في كل ما يخبرون به عنه - جل وعلا - معصومون من الكذب عليه والإخبار عنه بما يخالف الواقع ، وأنه لو حدث شئ من الكتمان أو التغيير أو التبديل لما أوحاه

(١) سورة الأعلى الآيتان (٦،٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٠١/٨) .

(٣) جامع البيان (١٥٤/٣٠) .

(٤) سورة الصافات الآيتان (١٨٠،١٨١) .

(٥) ابن تيمية : العقيدة الواسطية - مع شرحها لمحمد خليل هراس (ص ٣٠) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤١/٧) .

الله تعالى إلى أحد منهم لعاجله الله تعالى بالعقوبة وانتزاع النبوة منه ، قال - جل وعلا - : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين)^(١) .

ويدل على العصمة في التبليغ أيضاً قوله - جل وعلا - : (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)^(٢) .
ومن هنا كانت عصمة الأنبياء في التبليغ محل اتفاق الأمة كلها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
فإنهم - أي العلماء - متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله - تعالى - ، وهذا هو مقصود الرسالة ، فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وخبره ، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين ، بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ^(٣) .

وقال في موضع آخر : " إن الأنبياء - صلوات الله عليهم - معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه ... بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء الله ... وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة ... والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة ، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين^(٤) .

وقال ابن حمدان^(٥) : " وأنهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى^(٦) وقال ابن عقيل^(٧) في الارشاد : " إنهم - عليهم الصلاة والسلام - لم يعتصموا في الأفعال بل في نفس الأداء قال : ولا يجوز عليهم الكذب فيما يؤدونه عن الله تعالى^(٨) وقال السفاريني : " وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ ، فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع ، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً على تفصيل في بعض ذلك^(٩) ومن العصمة في التبليغ عصمة الأنبياء - عليهم السلام - من تناقص أقوالهم ، فلا يجوز أن يصدر عنهم " خبران متناقضان في الحقيقة ، ولا أمران متناقضان في الحقيقة إلا وأحدهما ناسخ والآخر منسوخ^(١٠) وذلك لأن الله تعالى " قد ضمن حفظ الذكر الذي أنزله على رسوله ، ولم يضمن حفظ ما يؤثر عن غيره ولأن ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة هو هدي الله الذي جاء من عند الله ، به يعرف سبيله ، وهو حجتة على عباده ، فلو وقع فيه ضلال لم يبين لسقطت حجة الله في ذلك ، وذهب

(١) سورة الحاقة ، الآيات (٤٦، ٤٥، ٤٤) .

(٢) سورة النجم الآيتان (٤، ٣) .

(٣) منهاج السنة النبوية (١/٤٧١، ٤٧٠) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٢٨٩، ٢٩٠) ، وانظر : النبوات (ص ٣٣٣-٣٣٥) .

(٥) هو : أحمد بن حمدان بن شبيب النميري الحراني ، فقيه حنبلي ، أديب ولد عام (٦٢٠هـ) بحران ، ونشأ بها ، كف بصره بعدما أسن ، توفي في القاهرة عام (٦٩٥هـ) انظر : العليمي : المنهج الأحمد (ص ٤٠٥) والدر المنضد (١/٤٣٦) .

(٦) انظر : السفاريني : لوامع الأنوار (٢/٣٠٤) .

(٧) هو : علي بن عقيل بن محمد ، أبو الوفاء ، عالم العراق ، وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، توفي (٥١٣هـ) ، انظر : ابن رجب : طبقات الحنابلة (٢/٢٥٩) والعليمي : الدر المنضد (١/٤٣٦) .

(٨) انظر : السفاريني : لوامع الأنوار البهية (٢/٣٠٤) .

(٩) لوامع الأنوار (٢/٢٠٧) .

(١٠) ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٤/١٦٨) .

هداه ، وعميت سبيله ^(١) .

وهذه العصمة في التبليغ ثابتة بالشرع والعقل والإجماع حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٢) ، وغيره .

المسألة الثالثة : العصمة من كبائر الذنوب :

اتفق السلف على عصمة الأنبياء من الكبائر وما فحش من الذنوب والآثام ، يؤكد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : "...فلن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الأمدي ، أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابه والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول ^(٣) .

وحكى القاضي عياض إجماع المسلمين على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والموبقات ^(٤) ، كما حكى أبو الحسن الأشعري إجماع المعتزلة على ذلك ^(٥) ، وألمح الشوكاني إلى هذا المعنى في تفسيره ^(٦) ، وصرح به في إرشاد الفحول حكاية عن القاضي أبي بكر بن العربي ، وابن الحاجب وغيرهما ^(٧) .

وهذه العصمة بعد النبوة أما قبل البعثة وقبل نزول الوحي فقد قدمنا أن أهل السنة لا يثبتون العصمة للأنبياء ووافقهم في هذا الأشاعرة ، قال التفتازاني : "...وأما قبل الوحي فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة ^(٨) وقد فصلت القول في ما سبق بما يغني عن الإعادة هنا .

المسألة الرابعة : العصمة من الصغائر :

جوز أهل السنة والجماعة وقوع الذنوب الصغائر من الأنبياء ومعنى هذا أنهم لا يثبتون لهم العصمة من الصغائر ، ولكنهم مع ذلك ذهبوا إلى أن الله تعالى لا يقر الأنبياء على هذه الصغائر بل ينبههم وقد يعاتبهم على ذلك فلا يقرون عليها ، بل يتداركهم ربهم جل وعلا بعنايته فيسير لهم التيقظ والتفطن لملاحظتها ثم يمن عليهم بتوبة عاجلة يسارعون إليها مسارعة ، ويسابقون إليها مسابقة ، فيتبين لمتبعيهم أنها معصية ، ويتبين من جهة أخرى صدق الرسل والأنبياء وأما نتهم في نقل الوحي الذي يعاتبهم الله تعالى به فلا يكتمون منه شيئاً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "والأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - كانوا لا يؤخرون التوبة ، بل يسارعون إليها ، ويسابقون إليها ، لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك ^(٩) .

كما يبين - رحمه الله - فيما نقلت عنه آنفاً ، أن عدم عصمة الأنبياء من الذنوب الصغائر هو قول أكثر علماء

(١) نفسه (١٦٨/٤-١٦٩) .

(٢) انظر : السابق (٢٩٥/١٠) .

(٣) مجموع الفتاوي (٣١٩/٤) .

(٤) الشفا (٣٣٧/٢) .

(٥) انظر : مقالات الاسلاميين (٢٩٧/١) .

(٦) انظر : فتح القدير (٨/٣) .

(٧) انظر : (١٥٩/١) ت.د. شعبان محمد اسماعيل ، دار الكتيبي ط١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

(٨) شرح العقائد النسفية (ص٨٩) .

(٩) مجموع الفتاوي (٣٠٩/١٠) .

الإسلام ، فهو قول أكثر علماء الكلام ، وأكثر أهل التفسير ، والحديث ، والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول^(١) .

قال القاضي عياض : " وأما الصغائر ... فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء ، وهو مذهب أبي جعفر الطبري ، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين " ^(٢) .

وهؤلاء الذين منعوا من وقوع الصغائر ظنوا أن نسبة هذه الصغائر إلى الأنبياء طعن بهم ، وغض من منازلهم الشريفة ، واعتداء على مقام النبوة ، ولكنهم في نفس الوقت وجدوا بعض نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تثبت وقوع شيء من هذه الصغائر من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فتحملوا لذلك تأويل النصوص الشرعية اخضاعاً لها تحت ما يتوهمون ، وكان العكس هو الواجب ، بمعنى أنه كان ينبغي عليهم أن يتقبلوا النصوص بالتسليم والرضى واخضاع العقول والنفوس لأحكامها بدلاً من تأويلها الذي يصل إلى درجة التحريف ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - " ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة ، لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية ... وتأويلاتهم تبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه " ^(٣) .

على أن القائلين بالعصمة من الصغائر لا دليل لديهم ولا حجة على رأيهم ، غير حجج ضعيفة هي في حقيقتها شبهات وفي هذا يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : " والقائلون بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ، ليس لهم حجة من كتاب وسنة رسول ، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها ، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء ، كالروافض والمعتزلة ، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم " ^(٤) .

أما الشبهات التي بني عليها هؤلاء القائلون بالعصمة فهي شبهتان :

الأولى : قالوا : إن الله تعالى قد أمرنا باتباع الرسل ، والتأسي بهم ، والأمر باتباع الرسول والاعتداء به يستلزم أن تكون اعتقاداته وأقواله وأفعاله جميعها طاعات لا محالة ، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى لحصل تناقض في واقع الحال ، إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول - صلى الله عليه وسلم - والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهى عنها ، وهذا تناقض فلا يمكن أن يأمر الله عبداً بشئ في حال أنه ينهاه عنه ، فوجب أن يكون النبي معصوماً من مقارفة جميع المعاصي أيأ كان صغيرة أم كبيرة^(٥) .

(١) نفسه (٣١٩/٤) .

(٢) الشفا (٣٢٨/٢) ، وانظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوي (٣٠٩/١٠-٣١٦) ، وجامع الرسائل (٢٢١/١-٢٢٦، ٢٢٦-٢٧٩) ، والأمدي : أبحار الأفكار (١٤٢/٢ ق ب-١٥٦ ق ب) ، وقد أورد الأمدي أدلة كثيرة على جواز صدور الصغائر من الأنبياء بعد البعثة ، حيث بلغت أكثر من عشرين دليلاً

، وانظر : الأشقر : الرسل والرسالات (ص ١٠٧-١٠٩) .

(٣) مجموع الفتاوي (٣١٣/١٠-٣١٤) .

(٤) جامع الرسائل (٢٧٦/١) .

(٥) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوي (٢٩٣/١٠) .

وجوابها : كما يقرر ابن تيمية أنه اعتراض غير صحيح ، وقد يكون له وجهة لو أن معصية النبي من الأنبياء أو الرسول بقيت خافية غير ظاهرة بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية ، أما وأن الله تعالى بنبه رسله وأنبياءه إلى ما وقع منهم من مخالفات ويوفقهم إلى المسارعة للتوبة منها من غير تأخير ، فإن ما أورده لا يصح دليلاً ، " والاقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر ، فأما المنسوخ والمنهي عنه والمتوب منه فلا قدوة فيه بالاتفاق .

فإذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها ، فالأفعال التي لم يقر عليها أولى بذلك ^(١) .

إذاً فالإقتداء والتأسي بهؤلاء الأنبياء في هذه الحالة إنما يكون منصباً على الإسراع في التوبة عند وقوع المعصية وعدم التسويف في ذلك ، تأسيًا برسول الله وأنبيائه الكرام في مبادرتهم بالتوبة من غير تأخير ^(٢) .

والثانية : توهمهم أن الذنوب تنافي الكمال ، وأنها تكون نقصاً وإن تاب منها التائب ^(٣) ، أو أنها تؤدي إلى التنفير منهم ، وعدم السكون إليهم والأخذ عنهم .

والجواب : أن هذا التوهم غير صحيح ، فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصاً فهو غلط غلطاً عظيماً ، فإن التوبة تغفر الحوبة ، ولا تنافي الكمال ، ولا يتوجه إلى صاحبها لوم ولا عقاب ، بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيراً منه قبل مقارفته للمعصية وذلك لما يحصل في قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى ، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء ، ولما يجهد به نفسه كذلك من القيام بصالح الأعمال ليلاً ونهاراً يرجو بذلك أن تحو الصالحات تلك السيئات ، وقد ورد عن بعض السلف أنه قال : " كان داود - عليه السلام - بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة " ^(٤) ، وورد أيضاً عن غيره : " لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخلق عليه " ^(٥) .

يؤيد ذلك ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال " لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دوية مهلكة ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فأصلحها ، فخرج في طلبها حتى إذا أدركه الموت ولم يجدها ... فغلبته عينه ، فاستيقظ فإذا راحلته عند راسه عليها طعامه وشرابه وما يصلحه ... " ^(٦) وقد أخبر الله تعالى أنه يحب التوابين ، والأنبياء والرسل أعظم التوابين قال تعالى : (... إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ^(٧) وقال جل وعلا مبيناً ثواب التائبين : (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) ^(٨) .

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار ، يدلنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء - عليهم السلام - إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار فأدم وزوجه عصيا فبادرا بالتوبة قائلين : (... ربنا ظلمنا أنفسنا

(١) ابن تيمية : جامع الرسائل (٢٧٦/١) ، وانظر : مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٠) .

(٢) انظر : الأشقر : الرسل والرسائل (ص ١١٠) .

(٣) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٠-٣٠٩) ، الأمدي : إبداء الأفكار (١٥٧/٢ ق ١٥٩-ب) .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٩٤/١٠) .

(٥) نفسه .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري ، في صحيحه ، كتاب الدعوات (٨٠) باب (٤) ح رقم (٦٣٠٨) انظر الفتح (١٠٢/١١) ، ومسلم في

صحيحه (٢١٠٢/٤) كتاب التوبة (٤٩) باب (١) ح رقم (١-٢٦٧٥) ، ٢، ٣، {٢٧٤٤} ، ٥، ٤، ٦، {٢٧٤٥} ، ٦، {٢٧٤٦} ، ٧، {٢٧٤٧} ، ٨ .

(٧) سورة البقرة ، بعض الآية (٢٢٢) .

(٨) سورة الفرقان الآية (٧٠) .

وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (١).

وما كادت ضربة موسى - عليه السلام - تقضي على القبطي فيسقط قتيلاً حتى سارع موسى - عليه السلام - طالباً الغفران والرحمة من ربه جل وعلا قائلاً : (...رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي...) (٢) ونبي الله داود - عليه السلام - ما كاد يشعر بخطيئته حتى خر راکعاً منيباً إلى ربه جل وعلا ، قال الله تعالى عنه : (...فاستغفر ربه وخر راکعاً وأنبأ) (٣) .

فالأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - لا يقرون على الذنب من جهة ، ومن جهة أخرى فإنهم لا يؤخرون التوبة ، فالله تعالى قد عصمهم من ذلك ، وهم بعد التوبة والإنابة أكمل منهم قبلها (٤) .
وبهذا يتبين غلط من ذهب إلى عصمة الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - من الصغائر لدلالة الكتاب والسنة على نقيض ما ذهبوا إليه ، وهاتان الشبهتان المتقدمتان هما أهم ما تمسك به هؤلاء ، وبدحضهما يحصل المقصود من اثبات صحة ما ذهب أهل السنة والجماعة ، وحسب المؤمن الأدلة الواضحة البينة التي تهدي للتي هي أقوم .

(١) سورة الأعراف ، بعض الآية (٢٢) .

(٢) سورة القصص ، بعض الآية (١٦) .

(٣) سورة ص ، بعض الآية (٢٤) .

(٤) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٠-٢٩٦) ، وجامع الرسائل (٢٧٦/١-٢٧٩) ، الأشقر: الرسل والرسالات (ص ١٠٩-١١١) .

الفصل السادس: نبوة نبينا محمد - ﷺ - وخصائصه

المبحث الأول: دلائل نبوة نبينا محمد - ﷺ -

تناولنا فيما مضى - وفي الفصل الرابع من هذا الباب - طرق إثبات النبوة عند الجلال السيوطي ، بصفة عامة ، أما هنا وفي هذا الفصل ، فإننا - بحول الله تعالى - نتكلم عن نبوة الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله - صلوات الله وسلامه عليه - خاصة ، وسنحاول أن نبرز من خلال هذا الفصل - إن شاء الله تعالى رأي السيوطي فيها .

والسيوطي - كغيره من العلماء - يشهد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - عبدالله ونبيه ورسوله^(١) ، صاحب الطريقة الغراء ، التي من رغب عنها فهو الهالك^(٢) ، سيد العرب والعجم نبي سري^(٣) ، قدره علي ، وبرهانه جلي^(٤) ، مشيد أركان البلاغة والفصاحة ، ومؤيد دعائم الجود والسماحة^(٥) .

رحم الله العالمين بإرسال هذا النبي الرحيم إليهم ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى ، وعلمهم بعد الجهالة ، وهداهم بعد الضلالة^(٦) .

" أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين إن جاءهم أن يؤمنوا به وينصروه^(٧) ، ولو أدركوه لما وسعهم إلا أن يتبعوه ، ويعزوه ويوقروه^(٨) ، وأرسله إلى جميع الخلق كافة ... وأجرى على يديه من المعجزات ألوف أجمله ، وآتاه من الخصائص ما لم يؤته نبياً قبله ... " ^(٩) .

إنه - صلى الله عليه وسلم - أفضل الخلق على الإطلاق^(١٠) ، قد ختم الله تعالى به النبيين والمرسلين ، فلا نبي بعده ولا رسول^(١١) .

والناظر في كلام السيوطي هذا يجده قد اشتمل على ثلاثة عناصر رئيسية ، وهي :

١- الإقرار بنسبة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - والإيمان بأنه رسول الله حقاً ، يدل على صدق نبوته أدلة كثيرة منها المعجزات الكثيرة التي أيده الله تعالى بها ، وأن أعظم هذه المعجزات هي المعجزة الخالدة على مر العصور وكر الدهور ، وهو القرآن العظيم^(١٢) .

٢- أن الله تعالى جعله خاتم النبيين فلا نبي بعده ولا رسول^(١٣) .

وسأتناول إن شاء الله كلاً من هذين العنصرين في مطلب مستقل ، أما العنصر الثالث وهو خصائصه - صلى الله عليه وسلم - فسأتناوله في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

(١) انظر : الكنز المدفون والفلك المشحون (ص ٣) .

(٢) انظر : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك (٢/١) .

(٣) لسري : صاحب المروعة في شرف ، لو السخاء في مروعة ، والمعنى : السيد الشريف لسخي .

(٤) انظر : المقامة السندسية في النسبة المصطفوية (ص ١١٢) ضمن الرسائل التسع .

(٥) انظر : شرح مقامات السيوطي (٢٢١/١) .

(٦) انظر : معترك الأقران (١٩٠/٢) .

(٧) قال تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران الآية (٨١) .

(٨) قال الله تعالى : (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) سورة الفتح الآية (٩) .

(٩) المقامة السندسية (ص ١١٥) .

(١٠) علم التوحيد ، لوحة رقم (٢٣) .

(١١) نفسه ، لوحة رقم (٥) .

(١٢) انظر : الكنز المدفون (ص ٣٩) ومعترك الأقران (٣/١) .

(١٣) انظر : المقامة السندسية (ص ١١٥) والخصائص الكبرى كله .

المطلب الأول : معجزاته - ﷺ

قدمت في الفصل الرابع تعريف المعجزة في اللغة ، وفي الإصطلاح ، بما يعني عن إعادته هنا ، وقد تعرض السيوطي لبيان بعض المعجزات التي أيد الله تعالى بها نبيه ورسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - فكانت دلائل باهرة على نبوته وإكرام الله تعالى له بالرسالة . ولكن المعجزة الكبرى التي أفاض في بيانها والكلام عنها السيوطي هي المعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم ، ومن المعجزات التي تناولها السيوطي بالبيان ما يأتي :

المعجزة الأولى - خاتم النبوة :

وهو جلد ناشئ قليلاً عن بقية جلد الجسد مثل بيضة الحمامة ، كالخال الذي هو عبارة عن شامة سوداء في البدن ، وقيل هي نكتة سوداء فيه ، والجمع خيلان ... وفي صفة خاتم النبوة عليه خيلان هو جمع خال وهي الشامة في الجسد^(١) . وموضع هذا الخاتم أو الخال أو الشامة في جسد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بين كتفيه الشريفين . قال السيوطي : " اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبه بما سُنح له ، فواحد قال كزِرَّ الحجلة^(٢) وهو بيض الطائر المعروف أو زر البُشْخَانَة^(٣) وآخر : كبيضة الحمامة ، وآخر : كالنقاعة ، وآخر بَصْنَة لحم ناشزة ، وآخر : كالمحجمة ، وآخر : كركبة العنز ، وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ، ومن قال : شَعْر ، فلأن الشعر حوله متراكب عليه "^(٤) . ثم روى السيوطي في إثبات هذا الخاتم بعض الآثار منها :

١- عن السائب بن يزيد قال : " قمت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة "^(٥)

٢- عن جابر بن سمرة قال : " رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده "^(٦) .

٣- عن عبدالله بن سَرْجَس قال : " نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، عند نُغْضِ كتفه اليسرى ، جُمْعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل "^(٧) وقد أورد السيوطي آثاراً غير هذه ، بعضها مقبول وبعضها ضعيف^(٨) ، وفيما أوردناه في هذا غنية .

(١) انظر : لسان العرب (٢٢٩/١١) ، وانظر : ابن الأثير : الكامل (٢٠٨/٢) .

(٢) الحجلة طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين ، وهو يعيش في الصرود العالية ، انظر : لسان العرب (١٤٣/١١) وحاشية المحقق لكتاب

الخصائص الكبرى (١٥٠/١) .

(٣) البُشْخَانَة ، طائر كالحجلة .

(٤) الخصائص الكبرى (١٥٠/١) ، ت.د. محمد خليل هراس ، وانظر هذه الأقوال كلها عند ابن حجر : فتح الباري (٥٦٣/٦) .

(٥) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الوضوء (٤) باب (٤٠) رقم (١٩٠) انظر الفتح (٢٩٦/١) ، ومسلم في " صحيحه " (١٨٢٣/٤) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٣٠) رقم (١١١-٢٣٤٥) ، والترمذي في " سننه " كتاب المناقب (١١) .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " (١٨٢٣/٤) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٢٩) رقم (١٠٩) ، والترمذي في " سننه " كتاب المناقب (١١) وأحمد (٢/٢٢٦) ، (٩٠/٥) .

(٧) رواه مسلم في " صحيحه " (١٨٢٣/٤) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٣٠) رقم (١١٢) .

(٨) انظر : الخصائص (١٥١-١٤٧/١) أورد السيوطي في هذا الباب آثاراً تفيد بأن خاتم النبوة مكتوب عليه " محمد رسول الله " أو مكتوب عليه " الله وحده لا شريك له محمد رسول الله " قال د. محمد خليل هراس : " كل ما ورد من وجود كتابة في الخاتم أو غيره بلحم أو بشعر كذب موضوع " انظر الخصائص (١٥٠/١) حاشية (١) .

المعجزة الثانية - انشقاق القمر :

تكلم السيوطي عن معجزة انشقاق القمر ، واستدل عليها بما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية^(١) .
 قال تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر)^(٢) وقد وقعت معجزة انشقاق القمر في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - " وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات "^(٣) وسبب هذه المعجزة أن كفار مكة سألوه - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر آية حجة على صدقه ، وحقيقة نبوته ، ولكنهم بعد ما أراهم تلك المعجزة الباهرة أعرضوا وكذبوا وقالوا : هذا سحر مستمر ، سحرنا محمد^(٤) .

ومن الأحاديث التي دلت على هذه الآية العظيمة :

١- عن أنس - رضي الله عنه - قال : " إن أهل مكة سألو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين "^(٥) .

ولفظ البخاري أنه " أراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما "^(٦) .

٢- عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه - رضي الله عنه - قال : " انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل فقالوا : سحرنا محمد "^(٧) .

٣- عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : " انشق القمر في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - "^(٨) .

(١) انظر : الخصائص الكبرى (٣١٢/١) .

(٢) سورة القمر ، الآية (١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٤٧/٧) ، وانظر : ابن جرير : جامع البيان (٨٤/٢٧) .

(٤) (صلى الله عليه وسلم) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٨٤/٢٧) .

(٥) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير (٦٥) باب (١) رقم (٤٨٦٧-٤٨٦٨) انظر الفتح (٦١٧/٨) ، ومسلم في " صحيحه " (٢١٥٩/٤) .

كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب (٨) رقم (٤٦-٢٨٠٢) ، وأحمد في " المسند " (١٦٥/٣) ، وابن جرير : جامع البيان (٨٤/١٧) .

(وعزه السيوطي في الدر المنثور (٦٧٠/٧) إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ، وانظر : الخصائص (٣١٢/١) .

(٦) البخاري في " صحيحه " كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب (٣٦) رقم (٣٨٦٨) انظر الفتح (١٨٢/٧) ، وابن جرير : جامع البيان (٨٥/٢٧) ،

وانظر : الدر المنثور (٦٧٠/٧) .

(٧) انظر : الخصائص الكبرى (٣١٣/١) .

والحديث رواه ابن جرير : في " جامع البيان " (٥١/٢٧) من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به ، وتقرئ به الإمام أحمد من هذا الوجه ،

وأسنده السيوطي في " الدلائل " من طريق محمد بن كثير ، عن أخيه سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن ، ورواه البيهقي أيضاً من

طريق إبراهيم ابن طهمان وهشيم ، كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره . انظر : ابن كثير :

تفسير القرآن العظيم (٤٤٨/٧) وزاد السيوطي عزوه في الدر المنثور (٦٧١/٧) إلى عبد بن حميد ، والترمذي والحاكم وأبي نعيم .

(٨) رواه البخاري في " صحيحه " ، كتاب التفسير (٦٥) تفسير سورة اقتربت الساعة (٥٤) باب (١) ح رقم (٤٨٦٦) .

ورواه البخاري أيضاً في " صحيحه " كتاب المناقب (٦١) باب (٢٧) ح (٣٦٣٨) ومسلم في " صحيحه " (٢١٥٩/٤) كتاب صفات المنافقين (٥٠)

باب (٨) ح رقم (٤٨-٢٨٠٣) من حديث بكر بن مضر عن جعفر ابن ربيعة ، عن عراك بن مالك به مثله .

ورواه ابن جرير بسنده إلى ابن عباس أيضاً في " جامع البيان " (٨٥/٢٧) .

قال ابن كثير : " وروى العوفي ، عن ابن عباس نحو هذا " انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٤٨/٧) .

وفي رواية ابن جرير قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه " (١) .

٤- عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال في قوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) (٢) : وقد كان ذلك على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انشق فلقين ، فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اللهم اشهد " (٣) .

٥- عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اشهدوا " (٤) .

وعنه أيضاً - رضي الله عنه - قال : " كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنى ، فانشق القمر ، فأخذت فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اشهدوا ، اشهدوا " (٥) .

وبناءً على هذه الأدلة المتقدمة فمعجزة انشقاق القمر ثابتة بما لا يدع مجالاً للشك في وقوعها على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال السيوطي : " قال العلماء : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر " (٦) .

وقد حكى القاضي عياض أجماع المفسرين وأهل السنة على وقوعه (٧) فثبتت هذه المعجزة بالكتاب والسنة

والإجماع .

وعزه السيوطي في " الدر المنثور " (٦٧١/٧) إلى ابن مردويه ، والبيهقي في " الدلائل " .

(١) جامع البيان (٨٦/٢٧) .

(٢) سورة القمر الآية (١) .

(٣) رواه مسلم في " صحيحه " (٢١٥٩/٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب (٨) ح رقم (٢٨٠١) ، والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد ، به ، قال مسلم : كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ، وقال الترمذي : " حسن صحيح " انظر : تحفة الأحاديث ، تفسير سورة القمر (١٧٥/٩) ح رقم (٣٣٤٢) .

وابن جرير في " جامع البيان " (٨٥/٢٧) .

وعزه السيوطي في " الدر المنثور " (٦٧١/٧) إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، وانظر : الخصائص الكبرى (٣١٣/١) .

(٤) متفق عليه .

- رواه البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير (٦٥) سورة اقتربت الساعة (٥٤) باب (١) ح رقم (٤٨٦٥) الفتح (٦١٧/٨) ، وكتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب (٣٦) ح رقم (٣٨٦٩) انظر : الفتح (١٨٣/٧) .

- ورواه مسلم في " صحيحه " (٢١٥٨/٤) ح رقم (٤٤) ورواه أبو داود بلفظ : " انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت قریش : هذا سحر ابن أبي كبشة ، قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك " انظر : منحة المعبود (١٢٣/٢) أبواب ما جاء في معجزاته - صلى الله عليه وسلم - باب ومن معجزاته - صلى الله عليه وسلم - انشقاق القمر .

وابن جرير في " جامع البيان " (٨٥/٢٧) من حديث المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود ، وزاد : " فأنزل الله عز وجل : (اقتربت الساعة وانشق القمر) ، وانظر ابن كثير في " تفسيره " (٤٨٠/٧) .

ورواه الإمام أحمد (٣٧٧/١) ح رقم (٣٥٨٣) ، (٤١٣/١) ح رقم (٣٩٢٤) ، (٤٤٧/١) ح رقم (٤٢٧٠) ، (٤٥٦/١) ح رقم (٤٣٦٠) .

(٥) ابن جرير ك جامع البيان (٨٥/٢٧) . وانظر : الخصائص الكبرى (٣١٢/١) .

(٦) الخصائص الكبرى (٣١٤/١) .

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٩٦/١) .

المعجزة الثالثة - شفاء عين علي بن أبي طالب عليه السلام ببركة بصاق النبي صلى الله عليه وسلم وإخباره - عليه السلام - بفتح خبير :

ذكرها السيوطي ضمن المعجزات التي جمعها في كتاب الخصائص الكبرى^(١) ، ثم استدلل عليها بما رواه الشيخان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خبير : " لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطي ، فغدوا كلهم يرجوه ، فقال : " أين علي ؟ " فقيل يشتكي عينيه ، فبصق في عينيه ، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه فقال : ... " (٢) الحديث .

وفي بعض الروايات : " ... فبات الناس يدوكون^(٣) ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجون أن يعطاها ، فقال : " أين علي بن أبي طالب ؟ " فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : " فأرسلوا إليه " فأتى به ، فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه ، ودعا له فبرأ ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية... " (٤) .

وفي رواية لمسلم : " ... فأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الراية ، ففتح الله عليه " (٥) .

ففي هذا الحديث الشريف معجزتان اثنتان لا معجزة واحدة أولاهما : شفاء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بسبب بركة بصاق النبي - صلى الله عليه وسلم - في عينيه ، فقد برأ علي^٦ - رضي الله تعالى عنه - من رمده الذي كان في عينيه بمجرد أن بصق فيهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقام كأن لم يكن به وجع ، قال ابن حجر : " وعند الحاكم من حديث علي نفسه قال : فوضع رأسي في حجره ثم بزق في الية راحته فذلك بها عيني ، وعن بريدة في " الدلائل " للبيهقي : " فما وجعها علي^٦ حتى مضى لسبيله " أي مات ، وعند الطبراني من حديث علي^٦ : " فما رمدت ولا صُدعتُ مذ دفع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الراية يوم خبير " وله من وجه آخر : " فما اشتكتها حتى الساعة ، قال : ودعالي فقال : " اللهم أذهب عنه الحر والقر " ، قال : فما اشتكتها حتى يومي هذا " (٦) .

وأما المعجزة الثانية : فهي تحقق خبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بفتح خبير - كما في رواية مسلم - " ففتح الله عليه وهي معدودة من دلائل نبوته - عليه الصلاة والسلام - .

وكون علي - رضي الله عنه - لم يشتك عينيه بعد ما بصق فيهما النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى مات

(١) انظر (٥٢/٢) .

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري في " صحيحه " في مواضع ، في كتاب الجهاد (٥٦) باب (١٠٢) ح رقم (٢٩٤٢) انظر الفتح (١١١/٦) ،

وفي نفس كتاب الجهاد (٥٦) باب (١٤٣) ح رقم (٣٠٠٩) انظر الفتح (١٤٤/٦) ، وفي كتاب فضائل الصحابة (٦٢) باب (٩) رقم

(٣٧٠١) عن سهل بن سعد الساعدي ، رقم (٣٧٠٢) عن سلمة ، وكتاب المغازي (٦٤) باب (٣٨) رقم (٤٢٠٩) ، رقم (٤٢١٠) .

ورواه مسلم في " صحيحه " (١٨٧١/٤) رقم (٣٣-٢٤٠٥) عن أبي هريرة ، (١٨٧٢/٤) رقم (٣٤-٢٤٠٦) عن سلمة بن الأكوع .

(٣) أي : يخوضون ويتحدثون في ذلك ، والدوكة بالكاف الاختلاط - فتح (٤٧٧/٧) .

(٤) البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٣٨) رقم (٢١٠) الفتح (٤٧٦/٧) ، ومسلم في " صحيحه " كتاب فضائل الصحابة (٤٤)

باب (٤) رقم (٣٤-٢٤٠٦) ، (١٨٧٢/٤)

(٥) صحيح مسلم (١٨٧٢/٤) ، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٤) رقم (٣٥-٢٤٠٧) .

(٦) فتح الباري (٤٧٧/٧) .

معجزة ثالثة ، من معجزات - صلى الله عليه وسلم - وكونه أيضاً لم يشترك الحر والقر بعدما دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - معجزة رابعة تضاف إلى رصيد المعجزات النبوية .

المعجزة الرابعة : إخباره - ﷺ - عن أبيي بلاء حسناً في القتال ، أنه من أصحاب النار^(١) :

وأورد السيوطي في ذلك حديث سهل بن سعد ، وأبي هريرة - رضي الله عنهما - الذي رواه الشيخان :

١- عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألتقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل لا يدع لهم شاة^(٢) إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان^(٣) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أما إنه من أهل النار " ، فقال رجل من القوم : أنا صاحبه^(٤) أبداً ، قال فجرح معه ، كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال : فخرج الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه^(٥) بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : " وما ذاك ؟ " قال : الرجل الذي ذكرت أنفاً أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه ، حتى جرح جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك : " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة " ^(٦) ، (اللفظ لمسلم) .

٢- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : شهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حنيناً^(٧) ، فقال لرجل ممن يُدعى بالاسلام : " هذا من أهل النار " فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة ، فليل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت له أنفاً إنه من أهل النار^(٨) ، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إلى النار " فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك ، إذ قيل : إنه لم يمت ولكن به جراحاً شديداً ،

(١) انظر : الخصائص الكبرى (٦٣/٢) .

(٢) الشاذ والشاة : الخارج والخارجة عن الجماعة ، وأنت الكلمة على معنى النعمة ، أو تشبيه الخارج بشاة الغنم ، يقال : فلان لا يدع شاة ولا فاذة ، إذا كان شجاعاً ، لا يلقاه أحد إلا قتله .

(٣) أي : ما كفى وأغنى عنا أحد غناه وكفايته .

(٤) أي : أنا أصحابه في خفية والأزمره لأنظر السبب الذي يصير به من أهل النار .

(٥) ذباب السيف هو طرفه الأسفل ، أما طرفه الأعلى فمقبضه أو نصله .

(٦) متفق عليه ، رواه البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٣٨) رقم (٤٢٠٢) الفتح (٤٧١/٧) ، وفي كتاب الرقاق (٨١) باب (٣٣) رقم (٦٤٩٣) الفتح (٣٣٠/١١) ، وفي كتاب الجهاد (٥٦) باب (٧٧) رقم (٢٨٩٨) الفتح (٨٩/٦) .

- ورواه مسلم في " صحيحه " (١٠٦/١) كتاب الإيمان (١) باب (٤٧) رقم (١١٢) ، وأورده السيوطي في الخصائص (٦٢/٢) .

(٧) كذا وقع في الأصول ، قال القاضي عياض : " صوابه خير " ويؤيده رواية البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٣٨) رقم (٤٢٠٣) انظر الفتح (٤٧١/٧) .

(٨) أي الذي قلت في شأنه أنه من أهل النار .

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك ، فقال : " الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله " ثم أمر بلالاً فنادى في الناس ، " إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " (١) ، (اللفظ لمسلم) .

والمعجزة في هذا واضحة جلية لا تحتاج إلى بيان ، وهو وقوع ما أخبر به الصادق المصدوق قبل وقوعه ، وهي من الدلالات العظيمة على صدق نبوته ورسالته ، التي أرسله الله تعالى بها ، فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى . كما ذكر السيوطي في معرض كلامه عن غزوة خيبر عدة معجزات آخر ، منها :

المعجزة الخامسة : شفاء ساق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من الضربة التي ضربها يوم خيبر

عن يزيد بن أبي عبيد قال : " رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع فقلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فنفت فيه ثلاث نفثات فما اشتكت حتى الساعة " (٢) وفي هذا أيضاً شفاء الضربة التي ضربها سلمة - رضي الله عنه - بسبب بركة ريق النبي - صلى الله عليه وسلم - .

المعجزة السادسة : إخباره - رضي الله عنه - عن الشاة المسمومة :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - شاة فيها سم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود " فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إنني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ " فقالوا : نعم يا أبا القاسم : فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من أبوكم ؟ " قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كذبتكم ، بل أبوكم فلان " قالوا صدقت وبررت ، فقال : " هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ " فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من أهل النار ؟ " فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً " ثم قال لهم : " هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ " قالوا : نعم ، فقال : " هل جعلتم في هذه الشاة سماً ؟ " فقالوا : نعم ، فقال : " ما حملكم على ذلك ؟ " فقالوا : أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك (٣) .

وتمام قصة هذه الشاة المسمومة ذكرها ابن اسحاق بغير اسناد - كما قال ابن حجر (٤) - ، قال ابن اسحاق :

(١) متفق عليه .

- رواه البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٣٨) رقم (٤٢٠٣) الفتح (٤٧١/٧) ، وفي كتاب التدر (٨٢) باب (٥) رقم (٦٦٠٦) الفتح (٤٩٨/١١) .

- ورواه مسلم في " صحيحه " (١٠٥/١) كتاب الإيمان (١) باب (٤٧) رقم (١٧٨)- (١١١) .

(٢) البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٣٨) رقم (٤٢٠٦) انظر الفتح (٤٧٥/٧) .

(٣) البخاري في " صحيحه " كتاب الجزية والموادعة (٥٨) باب (٧) رقم (٣١٦٩) فتح الباري (٢٧٢/٦) ، الخصائص الكبرى (٦٣/٢) .

(٤) انظر : فتح الباري (٢٤٥/١٠) .

لما اطمأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ قيل لها : الذراع ، فأكثرته فيها من السم ، فلما تناول الذراع لآك منها مضغاً ولم يسغها ، وأكل معه بشر بن البراء بن معرور فأسأغ لقمته ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيُخبر ، قال : فتجاوز عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومات بشر من أكلته^(١) .

وقد أورد هذه القصة ابن سعد مطولة من طرق عن ابن عباس بسند ضعيف^(٢) ، ووقع في مرسل الزهري^(٣) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تناول الكنف فنهش^(٤) منها فلما ازدرد لقمته قال : " إن الشاة تخبرني " يعني أنها مسمومة ، وأوردها أيضاً البيهقي موصولة من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، فقال لأصحابه : " أمسكوا فإنها مسمومة " ثم قال لها أي للمرأة : " ما حملك على ذلك ؟ " ^(٥)... الخ

ومعجزة إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن الشاة مسمومة ثابتة ولا خلاف بين العلماء في وقوعها ، وهي تعد من دلائل نبوته - صلى الله عليه وسلم - ولذلك ذكرها البيهقي وغيره في دلائل النبوة ، أما الخلاف فقد وقع بين العلماء في قتل زينب بنت الحارث اليهودية التي وضعت ذلك السم في الشاة ، فقال بعضهم : إنها لما اعترفت تركها النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن ينتقم لنفسه ، وقيل : لأنها أسلمت لما رأت هذه المعجزة منه - صلى الله عليه وسلم - فلما أسلمت خلى سبيلها ولم يتعرض لها . حكى إسلامها الزهري ، وجزم به سليمان التيمي في " مغازية " ولفظه بعد قولها : وإن كنت كاذباً أرحتُ الناس منك ، قالت : " وقد استبان لي الآن أنك صادق ، وأنا أشهدك ومن حضرني على دينك ، وأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله " ، قال : فانصرف عنها حين أسلمت ، وقال البعض : بل قتلها ، وأجابوا عن القول الأول بأنه - صلى الله عليه وسلم - تركها في بادئ الأمر لما أسلمت ولكن بعدما مات بشر بن البراء الذي أكل من الشاة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قتلها به قصاصاً ، لأنه بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه^(٦) .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية (٣٣٧/٢) ، وانظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٩٧/٧) .

(٢) انظر : فتح الباري (٢٤٥/١٠) .

(٣) وهو عند أبي داود في السنن ، وانظر فتح الباري (٤٩٧/٧) وقال ابن حجر : " وهذا منقطع لأن الزهري لم يسمع من جابر " وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة نحوه مرسلأ . قال البيهقي : " وصله حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة " انظر الفتح (٤٩٧/٧) .

(٤) نَهَسَ اللَّحْمَ يَنْهَسُهُ نَهْسًا وَنَهَسًا ، بالسین المهملة ، انتزع بالثأيا للأكل ، أما النَّهَشُ بالشين المعجمة فهو أخذ اللحم بجميع الأسنان ، انظر اللسان (٢٤٤/٦) مادة نَهَسَ ، (٣٦٠/٦) مادة : نَهَشَ .

(٥) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٩٧/٧) .

(٦) حكى هذا الخلاف ، وهذه الأقوال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٩٧/٧) ونقلتها باختصار .

المعجزة السابعة : نعيه - ﷺ - قواد جيشه في غزوة مؤتة إلى أصحابه ، قبل أن يصل خبرهم إليه :

ومؤتة بأدنى البلقاء من أرض الشام كانت في جمادي الأولى سنة ثمان^(١) ، وقد بعث إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البعوث ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وقال : " إن قُتل زيد فجعفر ، وإن قُتل جعفر فعبده الله بن رواحة " ^(٢) ، قال أنس - رضي الله عنه - : نعى النبي - صلى الله عليه وسلم - زيداً ، وجعفرأ ، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : " أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تنرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليه " ^(٣) .

وهذا السيف من سيوف الله الذي فتح الله عليه هو خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فقد اصططح الناس عليه بعد مقتل الثلاثة الأول^(٤) - رضي الله عنهم - ، قال ابن حجر : " وفيه عَمَ ظاهر من أعلام النبوة " ^(٥) أي في هذا الحديث ، وفيه أيضاً " فضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد ولمن ذكر من الصحابة " ^(٥) - رضي الله عنهم - .

وقد ذكر السيوطي روايات متعددة في تقرير هذه المعجزة ، لا تصح^(٦) ، وقد اقتصرنا في هذا على ما صح منها وفيه غنية والحمد لله .

المعجزة الثامنة : إخباره - ﷺ - عن الظلمة التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش :

حدث هذا أثناء استعداد النبي - صلى الله عليه وسلم - لفتح مكة المكرمة ، وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ، ورسوله وجنده وحزبه الأمين ، واستنفذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأشرق وجه الأرض ضياءً وابتهاجا ، خرج له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتائب الإسلام ، وجنود الرحمن سنة ثمان ، لعشر مضين من شهر رمضان المبارك ، واستعمل على المدينة المنورة أبا رُمَ كلثوم بن حصين الغفاري ، وقيل : استعمل عبدالله بن أم مكتوم - رضي الله عنهما^(٧) - .

وقد عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المسير إلى فتح مكة بعد ما نقضت قريش العهد الذي عقده معه في صلح الحديبية ، بإعانتها حلفاءها بني بكر بن عبدمناة بن كنانة ، على حلفاء النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر : ابن القيم : زاد المعاد (٣/٣٣٦) .

(٢) البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٤٤) رقم (٤٢٦١) ، انظر فتح الباري (٧/٥١٠) ، وأحمد في " المسند " (٥/٢٩١،٣٠٠،٣٠١) .

(٣) البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٤٤) رقم (٤٢٦٢) انظر فتح الباري (٧/٥١٢) .

(٤) زاد المعاد (٣/٣٣٨) .

(٥) فتح الباري (٧/٥١٣) .

(٦) انظر : الخصائص الكبرى (٢/٧٠-٧٥) .

(٧) انظر : زاد المعاد (٣/٣٤٧) .

من خزاعة ، وهم على ماء يقال له الوثير ، وقتلوا منهم عدداً^(١) .

فلما عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المسير إلى مكة المكرمة أعلم أصحابه بذلك ، وأمرهم بالجد والتجهيز وقال : " اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس لذلك^(٢) .

فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش كتاباً يخبرهم بمسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في قرون رأسها . ذكر السيوطي روايات ما فعله حاطب في ذلك بعضها في الصحيحين ، وبعضها في أحدهما ، والباقي ما نقله عن ابن اسحاق والبيهقي والحاكم وغيرهم^(٣) .

فمن ذلك ما رواه الشيخان عن عليّ - رضي الله عنه - قال : بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا والزبير والمقداد فقال : " انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها " ، قال : فانطلقنا نعدّ بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا لها : أخرجي الكتاب ، قالت ما معي كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يخبرهم ببعض أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا حاطب ، ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل عليّ ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش - يقول : كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أما إنه قد صدقكم " فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : " إنه شهد بديراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بديراً قال : اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم " فأنزل الله السورة^(٤) (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق - إلى قوله - فقد ضل سواء السبيل^(٥)) . وفي هذه القصة أكثر من دليل على معجزته - صلى الله عليه وسلم - :
أولها : إخباره - صلى الله عليه وسلم - بما فعل حاطب - رضي الله عنه - وكتابتها الكتاب إلى قريش ، والحديث فيه اعتراف حاطب - رضي الله عنه - بذلك ، وعدم انكاره ، كما أن كتابه شاهد مادي آخر غير اعترافه ، وهما دليلان على صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى نبوته .

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية (٣٩٤/٢-٣٩٥) نقله عن ابن اسحاق بغير سند ، ووصله الطبراني في الصغير (ص ٢٢٢) من حديث ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - بإسناد ضعيف ، وانظر : زاد المعاد (٣/٣٤٨) ، وابن حجر : الفتح (٥١٩/٧) - وتخريج ابن حجر للرواية (٥٢٠) .

(٢) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية (٣٨٩/٢-٣٩٨) عن ابن اسحاق بلا سند ، وانظر : زاد المعاد (٣/٣٥١-٣٥٠) .

(٣) انظر : الخصائص الكبرى (٧٦/٢-٨٩) .

(٤) سورة الممتحنة الآية (١) .

(٥) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجهاد (٥٦) باب (١٤١) رقم (٣٠٠٧) انظر الفتح (١٤٣/٦) وباب (١٩٥) رقم (٣٠٨١) الفتح (٦/١٩٠) والمغازي (٦٤) باب (٤٦) رقم (٤٢٧٤) الفتح (٥١٩/٧) .

ومسلم في " صحيحه " (١٩٤١/٤) كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٦) رقم (١٦١١-٢٤٩٤) ومن أبي داود - كتاب الجهاد ، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً ، وانظر تحفة الأحوذ (٩/١٩٨-٢٠٢) رقم (٣٣٦٠) .

الثاني: إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن الكتاب دفعه حاطب إلى طعينة أي امرأة من مزينة^(١) ، وشهد الواقع بصدقه - صلى الله عليه وسلم - .

الثالث: إخباره - صلى الله عليه وسلم - بمكانها وهو : روضة خاخ ، وقد أدركها علي وصاحبه في نفس المكان .
قال ابن حجر - رحمه الله - : " وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشئ "^(٢) .

المعجزة التاسعة : نبع الماء من بين أصابعه الشريفة - ﷺ - :

جمع السيوطي تحت هذه المعجزة كثيراً من الأحاديث منها صحاح ومنها غير ذلك^(٣) ، وأحاديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة تعددت طرقها الصحيحة حتى بلغت حد التواتر المعنوي ، فمنها ما اتفق عليه في الصحيحين ، ومنها ما انفرد به أحدهما ، ومنها ما ورد في غيرهما ، وقد انتقيت لتقرير هذه المعجزة وغيرها ، ما كان حديثاً صحيحاً ، وأعرضت عن كثير مما جمعه السيوطي ولم يضح ، لأن في الصحيح الغنية عن غيره في إثبات المقصود وقد انتقيت من تلك الأحاديث التي أوردها السيوطي خمسة أحاديث صحيحة :

- ١- حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .
 - ٢- حديث أنس - رضي الله عنه - .
 - ٣- حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - .
 - ٤- حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - .
 - ٥- حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - .
- ١- أما الأول : فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : " عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - بين يديه رِكْوَةٌ^(٤) ، فتوضأ ، فجَهِشَ الناس نحوه ، فقال : " مالكم " ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الرِكْوَة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة "^(٥) .
- ٢- الثاني :

(١) انظر : السيرة النبوية (٣٩٨/٢) ، ابن حجر : فتح الباري (٥٢٠/٧) وذكر ابن حجر أن هذه المرأة اسمها " سارة " - فيما نقله عن ابن اسحاق - وهو في سيرة ابن هشام (٣٩٨/٢) ، ونقل ابن حجر عن الواقدي أن اسمها " كنود " وقال : " وفي رواية " سارة " وفي رواية أخرى " أم سارة " ، كما ذكر ابن هشام في " السيرة " النبوية أن هذه المرأة كانت ضمن الذين أهدر الرسول دماءهم يوم فتح مكة لأنها كانت تغني بهجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت مولاة لبعض بني عبدالمطلب ، السيرة النبوية (٤١٠/٢) .

(٢) فتح الباري (٦٣٥/٨) .

(٣) انظر : الخصائص الكبرى (٢١٤/٢-٢٢٦) .

(٤) الرِكْوَة : مثلثة الراء ، وهي إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء ، اللسان (٣٣٣/١٤) .

(٥) رواه البخاري في " صحيحه " في مواضع وهي : كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) ، رقم (٣٥٧٦) الفتح (٥٨١/٦) وفي كتاب المغازي (٦٤) باب (٣٥) رقم (٤١٥٢) الفتح (٤٤١/٧) ورقم (٤١٥٣) الفتح (٤٤٣/٧) ، كتاب الأشربة (٧٤) باب (٣١)

رقم (٥٦٣٩) الفتح (١٠١/١٠) ورواه أحمد في " المسند " (٣٦٥/٣، ٣٥٣، ٣٤٣، ٣٢٩) . وأورده السيوطي في " الخصائص الكبرى " (٢١٤/٢) .

(أ) - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوضوء فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم ^(١) .

فهذا من طريق إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس - رضي الله عنه ^(٢) - .

(ب) - ومن طريق ثابت عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : دعا بإناء من ماء ، فأتى بقدر رَحْزَاحٍ فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه ، قال أنس : فجعلت انظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه قال أنس فحزرت من توضعاً ما بين السبعين إلى الثمانين ^(٣) .

قال الحافظ ابن حجر : " قوله : (رَحْزَاح) بمهملات ، الأولى مفتوحة بعدها سكون ، أي متسع الفم ، وقال الخطابي : الرحراح : الإناء الواسع الصحن القريب القعر ، ومثله لا يسع الماء الكثير فهو أدل على عظم المعجزة ^(٤) .

(ج) - ومن طريق حميد عن أنس - رضي الله عنه - قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار إلى أهله وبقي قوم ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمخضب ^(٥) من حجارة فيه ماء فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه ، فتوضأ القوم كلهم ، قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة ^(٦) .

(د) - ومن طريق الحسن قال : حدثنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : " خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض مراحجه ، ومعه ناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون ، فحضرت الصلاة " فلم يجدوا ماء يتوضئون ، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدر من ماء يسير ، فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - فتوضأ ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : " قوموا فتوضئوا فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء وكانوا سبعين أو نحوه ^(٧) .

(هـ) - ومن طريق قتادة عن أنس - رضي الله عنه - قال : " أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بإناء وهو بالزوراء ، فوضع يده في الإناء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم ، قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة ، أو زهاء ثلاثمائة ^(٨) .

(١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الوضوء (٤) باب (٣٢) رقم (١٦٩) الفتح (٢٧١/١) .

(٢) انظر : الخصائص الكبرى (٢/٢١٤) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الوضوء (٤) باب (٤٦) رقم (٢٠٠) انظر : فتح الباري (٣٠٤/١) . ورواه مسلم في " صحيحه " (٤/١٧٨٣) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٢) رقم (٤-٢٢٧٩) ولفظه : (ما بين الستين إلى الثمانين) . ورواه أحمد في " المسند "

(٤) (١٤٧/٣) ، وانظر : السيوطي : الخصائص الكبرى (٢/٢١٥) .

(٥) فتح الباري (٣٠٤/١) .

(٦) (٥) المِخْضَبُ : وعاء يشبه المِرْكَنَ لغسل الثياب أو خضبها .

(٦) رواه البخاري " صحيحه " كتاب الوضوء (٤) باب (٤٥) رقم (١٩٥) الفتح (٣٠١/١) ، وكتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧٥) الفتح (٦) /٥٨١) ، ورواه أحمد في " المسند " (١٠٦، ١٧٥، ٢٤٨، ٢٤٩/٣) . وانظر : الخصائص الكبرى (٢/٢١٥) .

(٧) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧٤) الفتح (٥٨١/٦) .

(٨) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧٢) الفتح (٥٨٠/٦) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (٤/١٧٨٣) .

٣- الثالث : حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - :

عن عبدالله قال : " كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر فقل الماء ، فقال : " اطلبوا فضلة من ماء " فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حيّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله^(١) ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل^(٢) .

٤- الرابع : حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - :

قال - رضي الله عنه - كنا في سفر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل ، وقعنا وقعة ، ولا وقعة أحلى عند المسافرين منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس ، وكان أول من استيقظ فلان ، ثم فلان ، ثم فلان ، - يسميهم أبو رجاء^(٣) فنسي عوف^(٤) - ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ ، لأننا لا ندري ما يحدث له في نومه ، فلما استيقظ عمر ، ورأى ما أصاب الناس - وكان رجلاً جليداً - فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال : " لا ضير " - أو " لا يضير " ارتحلوا " ، فارتحل ، فصار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس ، فلما انقضى من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم قال : " ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم ؟ قال : أصابتنى جنابة ولا ماء ، قال : " عليك بالصعيد فإنه يكفيك " ، ثم سار النبي - صلى الله عليه وسلم - فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلاناً - يسميه أبو رجاء نسيه عوف - ودعا علياً فقال : " اذهبا فابتغيا الماء " فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين^(٥) - أو سطحيحتين^(٦) - من ماء على بعير لها ، فقالا لها : أين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ، ونفرنا خلوصاً^(٧) ، قالوا لها : انطلقي إذا ، قالت : إلى أين ؟ قالوا : إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قالت : الذي يقال له الصابئ ؟ قالوا : هو الذي تعنين^(٨) ، فانطلقنا ،

(كتاب الفضائل (٤٣) باب (٢) رقم (٧) ، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (٢١٥/٢) .

(١) قال الدكتور محمد خليل هراس : " ما أجمل هذه العبارة في هذه المناسبة ففيها احتياط للتوحيد ، ونفي لكل ما يتوهم من نسبة هذه الآيات إلى غير الله عز وجل ، مما كان سبباً في ضلال كثير من الناس ، حيث ألهاوا بعض من أجريت على أيديهم هذه الأمور ، كما فعل النصارى بالنسبة للمسيح - عليه السلام - " ، انظر : الخصائص الكبرى (٢١٨/٢) حاشية رقم (٤) .

(٢) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧٩) الفتح (٥٨٧/٦) ، الترمذي في " سننه " كتاب المناقب (٦) ، والدارمي في " سننه " المقدمة (٥) ، والنسائي طهارة (٦٠) ، وأحمد في " المسند " (٤٦٠/١) ، وأورده السيوطي في " الخصائص الكبرى " (٢١٨/٢) .

(٣) الراوي عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - .

(٤) الراوي عن أبي رجاء ، فالحديث يرويه عوف عن أبي رجاء عن عمران .

(٥) المزادة : أكبر من القرية ، والمزادتان حمل بعير ، سميت مزادة لأنه يزداد فيها من جلد آخر من غيرها ، وتسمى أيضاً السطيحة . الفتح (١/٤٥٢) .

(٦) السطيحة هي المزادة ، انظر : الفتح (٤٥٢/١) .

(٧) تريد أن رجالها تخلفوا لطلب الماء ، انظر : الفتح (٤٥٢/١) .

(٨) هذا الرد فيه أدب حسن ، ولو قالوا لها : لا ، لفات المقصود ، ولو قالوا لها : نعم ، لم يحسن بهما إذ فيه تقرير ذلك فتخلصاً أحسن تخلص - انظر : الفتح (٤٥٢/١) .

فجاء بها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وحدثاه الحديث ، قال : فاستنزلهما عن بعيرها ، ودعا النبي - صلى الله عليه وسلم - بإناء ففرغ فيه من أفواه المزدتين - أو السطحيحتين ، وأوكأ أفواههما وأطلق العزالي^(١) ، ونودي في الناس : اسقوا^(٢) ، واستقوا ، فسقى من شاء ، واستقى من شاء ، وكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء قال : " اذهب فأفرغه عليك " وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها ، وإيم^(٣) الله لقد ألقع عنها ، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاة منها حين ابتدأ فيها ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اجمعوا لها " ، فجمعوا لها - من بين عجوة ودقيقة وسويقة - حتى جمعوا لها طعاماً ، فجعلوها^(٤) في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها ، قال لها : " تعلمين ما رزقنا من مائك شيئاً ، ولكن الله هو الذي أسقانا " ، فأنت أهلها وقد احتبست عنهم ، قالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت : العجب ، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ، ففعل كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه ، وقالت بأصبعها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء ، تعني السماء والأرض - أو أنه لرسول الله حقاً ، فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرّم^(٥) الذي هي منه ، فقالت يوماً لقومها : ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً ، فهل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها ، فدخلوا في الإسلام .

قال أبو عبدالله^(٦) : صبا : خرج من دين إلى غيره^(٧) .

٥- حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - :

" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في سفر فأسرى ثم نام فما استيقظ إلا والشمس في ظهره ، فدعا بميضأة^(٨) كان معي فيها شئ من ماء فتوضأ منها ، ثم قال : احفظ علينا ميضأتك ستكون لها نبأ ، فسار حتى امتد النهار ، فقال الناس : هلكنا وعطشنا ، فقال : " لا هلك^(٩) عليكم " ثم قال : " انطلقوا إلى غُمري^(١٠) " ، يعني القدح الصغير - فدعا بالميضأة فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) العزالي : بفتح المهملة ، والزاي وكسر اللام ، ويجوز فتحها : جمع عزلاء بإسكان الزاي ، قال الخليل : هي مصب الماء من الرواية ، ولكل مزادة عزلاوان من أسفلها " يفرغ منهما الماء ، انظر : الفتح (٤٥٢/١) .

(٢) أسقوا بهمزة قطع مفتوحة من أسقى ، أو بهمزة وصل من سقى ، (انظر : الفتح (٤٥٢/١) والمراد أنهم سقوا غيرهم من الدواب ، واستقوا هم .

(٣) أصله : أيمن الله ، بهمزة وصل مفتوحة أو مكسورة والميم مضومة ، وهو اسم وضع للقسم هكذا ، ثم حذفت النون تخفيفاً . انظر فتح الباري (١) (٤٥٣/١) .

(٤) أي الأطعمة التي جمعوها لها .

(٥) بكسر الصاد المهملة : أي الأبيات المجتمعة من الناس ، انظر : الفتح (٤٥٣/١) .

(٦) هو : محمد بن اسماعيل البخاري في " صحيحه " انظر : الفتح (٤٤٧/١) .

(٧) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب التيمم (٧) باب (٦) رقم (٣٤٤) ، الفتح (٤٤٧/١) ، وفي باب (٩) رقم (٣٤٨) الفتح (٤٥٧/١) وفي كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧١) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (٤٧٤/١) كتاب المساجد (٥) باب (٥٥) رقم (٣١٢-٦٨٢) ، ورواه

أحمد في " المسند " (٤٣٥/٤) .

(٨) الميضأة : هي الإناء الذي يتوضأ به ، كالركوة .

(٩) (لا هلك عليكم) أي لا هلك .

(١٠) الغُمَر : كَصُرْد ، القدح الصغير ، وهو في الحديث مضاف إلى ياء المتكلم .

- : " أحسنوا الملا^(١) ، كلكم سيروي حتى ما بقي أحد " ^(٢) .

هذا ما انتقيته مما جمعه السيوطي ، وهو كاف في إثبات هذه المعجزة العظيمة ، الدالة دلالة ظاهرة على صدق

نبوة - نبينا وحبيبنا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

المعجزة العاشرة : تكثير الطعام القليل :

وهي أن يكون الطعام قليلاً لا يكاد يكفي فرداً واحداً ، فيدعو فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالبركة ،

أو يضع يده الشريفة عليه ، فيكثر الطعام ببركة ذلك حتى يكفي العدد الكثير من الناس .

والأحاديث الواردة في إثبات هذه المعجزة كثيرة وصحيحة كما وقع في غزوة الخندق ^(٣) وغيرها .

والسيوطي كعادته يجمع من الأحاديث الصحيح والضعيف في الموضوع عنوان البحث ولكنني سأنتقي ما صح فيه

١- عن أنس - رضي الله عنه - قال : " قال أبو طلحة^(٤) لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم

ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقرصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها فلفت فيه

الخبز ببعض ، ولائنتني^(٥) ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فذهبت به ، فوجدت رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد ومعه الناس ، فقامت عليهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أرسلك

أبو طلحة ؟ ، فقلت : نعم ، قال : " بطعام ؟ " قلت : نعم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لمن معه : " قوموا " .

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته قال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم

وسلم - بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " هلمي^(٦) يا أم سليم ما عندك " فأنت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الله عليه وسلم - ففتت ،

وعصرت أم سليم عكّة^(٧) فأدمنته ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه ما شاء الله أن يقول^(٨) ، ثم قال : " انذن

(١) (أحسنوا الملا) الملا : الخلق والعشرة ، يقال : ما أحسن ملا فلان أي خلقه وعشرته ، ، وما أحسن ملا بني فلان أي عشرتهم وأخلاقهم ، ذكره

الجوهري وغيره ، وأنشد الجوهري تَنَادَوْا يَالْ بُهَّةَ إِذْ رَأَوْنا فَعَلْنَا : أحسن ملا جَهَنَّا وهو في صحيح مسلم (٤٧٤/١) كتاب المساجد (٥) باب (٥٥)

(٥٥) رقم (٣١١-٦٨١) ، ورواه أحمد في " المسند (٢٩٨/٥) .

(٢) هكذا أورد السيوطي في الخصائص الكبرى (٢٢٤/٢) مختصراً جداً ، وهو في صحيح مسلم (٤٧٤/١) كتاب المساجد (٥) باب (٥٥) رقم (٣١١-٦٨١) ، ورواه أحمد في " المسند (٢٩٨/٥) .

(٣) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية (٢١٨/٢) ، صحيح البخاري ، كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧٨) انظر : الفتح (٥٨٦/٦) ، وذكر

ابن حجر أن هذا كان حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق . انظر : الفتح (٥٨٨/٦) . وسيأتي الحديث بتمام بعد قليل - إن شاء الله

تعالى - ، وانظر : الفتح (٣٩٢/٧) .

(٤) هو : زيد بن سهل الأنصاري زوج أم سليم والدة أنس ابن مالك - رضي الله عنهم - وقد اتفقت الطرق على أن الحديث من مسند أنس ، وقد

واقفه على ذلك أخوه لأمه عبدالله بن أبي طلحة فرواه مطولاً عن أبيه أخرجه أبو يعلى من طريقه بإسناد حسن . الفتح (٥٨٨/٦) .

(٥) لائنتني ببعضه : أي لفتني به ، يقال : لاث العمامة على رأسه أي عصبها . الفتح (٥٨٩/٦) .

(٦) في بعض الروايات (هلم) وهي لغة حجازية ، هلم عندهم لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع ، ومنه قوله تعالى : (...والقاتلين لإخوانهم هلم إلينا...)

الأحزاب (١٨) والمراد بذلك طلب ما عندهما . انظر الفتح (٥٩٠/٦) .

(٧) المراد أنها صيرت ما خرج من العكّة له إداماً ، والعكّة بضم المهملة وتشديد الكاف إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالباً والعسل . انظر

الفتح (٥٩٠/٦) .

لعشرة " فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : " ائذن لعشرة فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : " ائذن لعشرة " فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : " ائذن لعشرة " فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (٢) .

وفي بيان قلة الطعام الذي كان عند أم سليم - رضي الله عنها - ورد في رواية يعقوب بن عبدالله بن أبي طلحة ، قال أنس - رضي الله عنه - : " فدخل أبو طلحة على أمي فقال : هل من شيء ؟ فقالت : نعم ، عندي كسر من خبز وتمرات فإن جاءنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحده أشبعناه ، وإن جاء آخر معه قل عنهم " (٣) فلما دعا رسول الله فيه بالبركة - أكل منه ثمانون رجلاً حتى شبعوا ففي رواية عبدالله بن عبدالله بن أبي طلحة عند مسلم : " وأفضلوا ما أبلغوا جيرانهم " (٤) أي أنه فضل من الطعام شيء أهده إلى جيرانهم ، وهذا ببركة دعائه - صلى الله عليه وسلم - .

٢- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم - فتبسم حين رأيته ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : " يا أبا هر " قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : " إلهي " ومضى ، فتبعته ، فدخل فاستأذن فأذن لي ، فدخل فوجد لبناً في قدح ، فقال : " من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهده لك فلان - أو فلانة - قال : " أبا هر " قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : " إلهي إلى أهل الصفة فادعهم لي " قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فسألتني ذلك (٥) ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحمق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : " يا أبا هر " ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : " خذ فأعطهم " فأخذت القدح

(١) في رواية سعد بن سعيد " فمسحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودعا فيها بالبركة " وفي رواية النضر بن أنس " فجئت بها ففتح رباطها ثم قال : " بسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة " وعرف بهذا المراد بقوله : " وقال فيها ما شاء الله أن يقول " انظر : الفتح (٥٩٠/٦) .

(٢) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الصلاة (٨) باب (٤٣) رقم (٤٢٢) الفتح (٥١٧/١) ، وكتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) رقم (٣٥٧٨) الفتح (٦) / (٥٨٦) ، كتاب الأطعمة (٧٠) باب (٦) رقم (٥٣٨١) الفتح (٥٢٦/٩) ، وكتاب الأطعمة - أيضاً - (٧٠) باب (٤٨) رقم (٥٤٥٠) الفتح (٥٧٤/٩) ، وكتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (٢٢) رقم (٦٦٨٨) ، الفتح (٥٧٠/١١) .

ورواه مسلم في " صحيحه " (١٦١٢/٣) كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٠) رقم (١٤٢) - (٢٠٤٠) ، ورواه الترمذي - كتاب المناقب (٦) ، ومالك في " الموطأ " - صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - (١٩) .

(٣) صحيح مسلم (١٦١٤/٣) كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٠) رقم (١٤٣) .

(٤) نفسه .

(٥) يعني ساءه أن يأتي هذا العدد الكبير من أهل الصفة ، واللبن قليل يخاف أن لا يبقى منه شيء يشربه يتقوى به ، وهو أكثرهم جوعاً - رضي الله عنهم - .

فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدر ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروي ، ثم يرد علي القدر ، فيشرب حتى يروي ثم يرد علي القدر ، حتى انتهت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد روي القوم كلهم فأخذ القدر فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم ، فقال : " يا أبا هر " قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : " بقيت أنا وأنت " قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : " أقعد فأشرب " فقعدت فشربت فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول : " اشرب " حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلماً ، قال : " فأرني " فأعطيته القدر ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة... " (١) .

٣- عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - : " أن أباه استشهد يوم أحد ، وترك ست بنات ، وترك عليه ديناً ، فلما حضره جذاذ النخل أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يا رسول الله قد علمت أن والذي استشهد يوم أحد وترك عليه ديناً كثيراً ، وإنني أحب أن يراك الغرماء ، قال " اذهب فبيِّنْ (٢) كل تمر على ناحية " ، ففعلت ثم دعوته ، فلما نظروا إليه أغروا بي (٣) تلك الساعة ، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيِّدراً ثلاث مرات ، ثم جلس عليه ، ثم قال : " ادع أصحابك " فمزال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والذي ، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والذي ، ولا أرجع إلى أخواتي تمر ، فسلم والله البيِّدِ كلها حتى أني أنظر إلى البيِّدِ الذي عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنه لم ينقص تمر واحدة " (٤) .

هذه الأحاديث الثلاثة التي انتقيتها من المجموع الذي جمعه السيوطي تحت هذه المعجزة ، وهي ثلاثة أحاديث صحيحة تثبت ما نحن بصدد من المعجزة في تكثير الطعام القليل ببركة دعائه - صلى الله عليه وسلم - فيه ، أو مسه له بيده الشريفة وقد إكتفيت هنا بما صح في ذلك .

وهذه المعجزات العشرة تعد من الدلائل الباهرة على صدق نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد أثبتنا كمثال هنا على ما يستدل به من علامات النبوة وإلا فهي غيوض من فيض ، وسطر من كتاب ، وموجة من عباب مما جمعه السيوطي وغيره في هذا الباب العظيم من دلائل النبوة وعلاماتها ، ولو أني ذهبت استقصى ما سطره يراع السيوطي فيه لطال البحث وخرج عن مقصوده الذي ينحصر في بيان طريقته ومنهجه الذي اتبعه في هذا المقام .

وبقي أن أتكلم هنا عن معجزة كبرى ، هي أعظم المعجزات على الإطلاق ، ألا وهي معجزة القرآن الكريم ، المعجزة الخالدة على مر العصور وكر الدهور ، ولقد أخرتها هنا لتكون مسك الختام .

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق (٨١) باب (١٧) رقم (٦٤٥٢) انظر : الفتح (٢٨١/١١) .

ورواه الترمذي - كتاب القيامة (٣٦) وأحمد في " المسند " (٤٤٠/٣) .

(٢) بيِّنْ : بفتح الموحدة ، وسكون التحتانية ، بعدها دال مكسورة بصيغة فعل الأمر ، أي : اجعل كل صنف في بيِّنْ - أي جرير - يخصه ، انظر : الفتح (٤١٤/٥) ، والمراد : أن يكون جابر - رضي الله عنه - الله عنه - كل صنف من التمر في كوم ويضعه في مكان منفرد عن الآخر ، والبيد أو الجرير هو الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس .

(٣) أغروا بي : بفتح الهمزة وضمها ، فبالفتح معناها : هيجوا بي ، ومنه قوله تعالى : (فأغرياً بينهم العداوة والبغضاء ...) المائدة ، بعض الآية (١٤) ، وبضم الهمزة معناها : لهج به وأولع ، والإغراء : هو التهيج والإفساد . انظر : الفتح (٤١٤/٥) .

(٤) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٦) رقم : (٢٧٨١) الفتح (٤١٣/٥) وكتاب المغازي (٦٤) باب (١٨) رقم (٤٠٥٣) الفتح (٣٥٧/٧) . ورواه النسائي في " سننه " كتاب الوصايا (٣) . وأحمد في " المسند " (٢٦٥/٣) . وأورده السيوطي في " الخصائص الكبرى " (٢٤٢/٢) .

المعجزة الحادية عشرة : { القرآن الكريم } المعجزة الخالدة :

١- تمهيد :

القرآن الكريم هو : كلام الله تعالى الذي أنزله سبحانه وتعالى على قلب نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بلسان عربي مبين ، بواسطة الملك جبريل الأمين - عليه السلام - بلفظه ومعناه ، المكتوب في المصاحف ، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس .

تكلم الله تعالى به على الحقيقة فسمعه منه جبريل - عليه السلام - وتكلم به جبريل - عليه السلام - فسمعه منه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وتكلم به النبي - صلى الله عليه وسلم - فسمعه منه أمته ، وحفظته عنه ، فهذا المحفوظ في الصدور ، المقروء بالأسنة ، المكتوب في المصاحف هو كلام الله حقيقة ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القارئ ، أنزله الله تعالى لنقراه تدبراً ، وتأمله تبصراً ، ونسعد به تذكراً ، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه ، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه ، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته ، وطريقه الموصلة السالكة إليه ، ونوره المبين ، وصراطه المستقيم الذي لا تميل به الآراء ، والذكر الحكيم الذي لا تريغ به الأهواء ، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء ، لا تفنى عجائبه ، ولا تقلع سحائبه ، ولا تنقضي آياته ، ولا تختلف دلالاته ، فهو نور البصائر من عماها ، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها .

لقد أنزله الله تعالى على رسوله ، وقال له : (... وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)^(١) لقد نالت معجزة القرآن الإهتمام الأكبر من فكر جلال الدين السيوطي فقد تكلم عنها بإسهاب بالغ حتى لقد وضع لها مؤلفاً مستقلاً من ثلاثة مجلدات^(٢) ليبين دلالة إعجاز القرآن ، وهو يبدأ كلامه عن القرآن وإعجازه فيبين أن الله تعالى جعل معجزات هذه الأمة عقلية ، لفرط ذكائها ، وكمال عقولها وأفهامها ، وفضلهم على من تقدمهم من الأمم^(٣) .

وقد أنزل الله تعالى هذا الكتاب المعجز على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وخصه بالإعانة على التبليغ ، فلم يقدر أحد من مناوئيه على معارضته بعد تحديدهم ، وكانوا أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء ، وأمهلهم طوال السنين فعجزوا ، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم : (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)^(٤) .

يقول السيوطي^(٥) : " فأخبر تعالى أن الكتاب آية من آياته ، قائم مقام معجزات غيره من الأنبياء^(٦) لفنائها بفنائهم ،

(١) سورة النحل ، الآية (٤٤) .

(٢) هو كتاب : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه : أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) انظر : معترك الأقران (٣/١) .

(٤) سورة العنكبوت الآيتان (٥١، ٥٠) .

(٥) معترك الأقران (٤-٣/١) .

وكانوا أحرص الناس على إطفاء نوره ، وإخفاء أمره ، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها تقوية لحججهم ، بل عدلوا إلى العناد تارة ، وإلى الاستهزاء أخرى ، فتارة قالوا ساحر ، وتارة قالوا : أساطير الأولين ، كل ذلك من تحيرهم ، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم ، وسبى ذراريهم وحرّمهم ، واستباحة أموالهم ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له ، وقتل من عليتهم وأعلامهم ، وأعمامهم وبنى أعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بأن يأتوا بسورة واحدة ، وآيات يسيرة ، إذ هي انقص لقلوبه ، وأفسد لأمره ، وأبلغ في تكذيبه ، وأسرع في تفريق أتباعه من بذل نفوسهم وخروجهم من أوطانهم ، مع أنهم أشد الخلق أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم^(١) ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة ، قالوا له : أنت تعرف من حال الأمم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، فقال لهم : هاتوها مفتريات لتبكيتهن ، فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولا طبع^(٢) منه أو تكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيره ويحميه ، نصرة لدينهم ، بل أظهر الله دينه ، وخرق العادة في أسلوب كلامه ، وبلاغته وحلاوته ، حتى ألتذوا بسماعه ألد من أهل اللهو في لهوهم ، وأبقى ذلك فيه إلى صفحات الدهر ، ليراها ذور البصائر كما قال - صلى الله عليه وسلم - : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة "^(٣) .

نعم لقد تحدى القرآن نفسه جميع البشر أن يأتوا بمثله ، أو بمثل سورة منه ، فما استطاع واحد منهم ، أو جماعة - منذ بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - حتى يوم الناس هذا - أن يعارضه بكتاب مثله ، أو بمثل سورة منه رغم كثرة أعداء الإسلام في مختلف عصور التاريخ ، ومنهم دول عظمى ، وهم يتمنون لو يستطيعون معارضة هذا القرآن العظيم لاشتروا ذلك بالقناطر المقنطرة من أنفس ما يملكون .

قال تعالى في هذا المقام - مقام التحدي للمشرّكين - : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)^(٤) فهذا تحدٍ لتأكيد تعجيزهم عن مضاهاة كلامه - جل وعلا - ثم قال عز من قائل : (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)^(٥) فقله تعالى : (ولن تفعلوا) لنفي التأييد أو تأييد النفي أي : ولن تفعلوا ذلك أبداً وهذه أيضاً معجزة أخرى وهو أنه أخبر أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبداً في مستقبل الزمن ، وحتى يوم الدين ، وكذلك وقع الأمر ولم يُعارض القرآن من لدنه إلى زماننا هذا ، ولا يمكن ذلك وأنّى يتأتى ذلك لأحد ، والقرآن كلام الله خالق كل شيء ، وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين^(٦) ؟

(١) وانظر : الباقلائي : إعجاز القرآن (ص ٣٥) .

(٢) هذا كلام السيوطي في معترك الأقران (٣، ٤/١) ، وانظر في معناه : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١) .

(٣) هكذا في نص كلام السيوطي ولا أدري ما معناه .

(٤) البخاري في " صحيحه " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩٦) باب (١) رقم (٧٢٧٤) الفتح (٢٤٧/١٣) ، كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (١) رقم (٤٩٨١) ، ورواه مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان (١) باب (٧٠) رقم (٢٣٩) . صحيح مسلم (١٣٤/١) .

(٥) سورة البقرة الآية (٢٣) .

(٦) سورة البقرة الآية (٢٤) .

(٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٨٩/١) .

والعجيب أن هذا التحدي من الله تعالى وقع في غير موضع من كتاب الله - جل وعلا - ، فقد قال تعالى : (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما^(١) أتبعه إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)^(٢) .

وقال في موضع آخر : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)^(٣) .

وقال تعالى في موضع ثالث : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بكتاب مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)^(٤) .

وقال - جل وعلا - في موضع رابع : (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)^(٥) وهذه الآيات الأربع مكية ، ثم تحداهم أيضاً في المدينة بآية سورة البقرة التي أوردتها في أول آيات التحدي ، وجعل التحدي فيها مستمراً إلى يوم القيامة .

٢- العلماء المصنفون في إعجاز القرآن :

يذكر السيوطي أنه قد سبقه ثلثة من العلماء بالتصنيف في بيان إعجاز القرآن ، اذكر منهم على سبيل المثال :

- ١- الإمام ، أبو سليمان ، حمّاد^(٦) بن محمد بن إبراهيم الخطابي^(٧) ، البستي ، (ت ٣٨٨هـ) وهو عالم جليل سني المنهج ، سلفي المعتقد ، مع بعض المآخذ عليه التي لا تغض من قدره ومكانته . وله مصنفات شهيرة منها : " معالم السنن " ^(٨) ، و " شأن الدعاء " ^(٩) و " أعلام الحديث " ^(١٠) و " بيان إعجاز القرآن " ^(١١) وغيرها .

(١) قال ابن كثير - رحمه الله - " أي التوراة والقرآن " انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٥٢، ٢٥٣/٦) ، وانظر : الرازي : التفسير الكبير (٢٦١/٢٤)

(٢) سورة القصص الآيتان (٤٩، ٥٠) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

(٤) سورة سينا هو - عليه السلام - الآية (١٣) .

(٥) سورة سينا يونس - عليه السلام - الآية (٣٧) .

(٦) بفتح الحاء وسكون الميم ، وهو الصواب في اسمه ، وقد سماه أبو عبيد الهروي بأحمد ووافقه الثعالبي في اليتيمة (٣٣٤/٣) وتبعهما على ذلك

ياقوت في معجمه وآخرون غيره ، قال أبو طاهر السلفي في مقدمة معالم السنن (كما في مختصر سنن أبي داود) (١٦١/٨) : " والصواب

" في اسمه حمد كما قاله الجم الغفير والعدد الكثير لا كما قاله " يعني الهروي والثعالبي . وقد ذكر ابن خلكان عن سمع أبا سليمان يقول :

اسمي الذي سميت به حمد ، ولكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه . وفيات الأعيان (٢١٥/٢) .

(٧) نسبة إلى جده الخطاب (وفيات الأعيان ٢١٥/٢) وقيل لزيد بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو ابن نفيل بن عبد العزيز القرشي العدوي أخو

عمر بن الخطاب لأبيه ، وله شرف الصحبة . الاستيعاب (٥٥٣-٥٥٠/٢) .

(٨) " معالم السنن " في تفسير كتاب السنن لأبي داود السجستاني " وبعضهم يقول في شرح كتاب السنن بدل تفسير . طبع في حلب بتحقيق محمد

راغب الطباخ ، وطبع في القاهرة سنة ١٩٤٨م بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي .

(٩) وقد سمي بتفسير أسامي الرب - عز وجل - وبشرح دعوات ابن خزيمة ، وبشرح الاسماء الحسنى انظر : معجم الأدباء (٢٥٢/٤) ، (١٠/

٢٦٩) وتذكره الحفاظ (١٠١٩/٣) وطبقات الشافعية للسبكي (٢٨٣/٣) وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٤٠٤) ، وقد طبع الكتاب بدار المأمون

للتراث سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م بتحقيق أحمد يوسف الدقاق .

٢- أبو الحسن ، علي بن عيسى الرُّماني^(٣) ، وهو من شيوخ المعتزلة ، وكانت له مشاركة في الحياة العامة ببغداد ، وتوفي عام (٣٨٦هـ)^(٤) .

٣- الإمام فخر الدين ، أبو عبدالله ، محمد بن عمر الرازي ، الشافعي ، صاحب " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب " المتوفي (٦٠٤هـ) .

ولم يذكر السيوطي اسم مصنف الرازي الذي صنّفه في إعجاز القرآن ، ولعله الموسوم بـ " مختصر في الإعجاز " والرازي من علماء المذهب الأشعري ، ويعتبره البعض مذهب المذهب ومقعد أصوله .

٤- الإمام القاضي ، أبو بكر ، محمد بن الطيب الباقلائي ، وهو من فضلاء المذهب الأشعري ، ولعله أفضلهم ، ولم يذكر السيوطي كذلك اسم مصنفه في الإعجاز ، وهو مشهور ومطبوع ومتداول بعنوان : " إعجاز القرآن " .

٣- عدد وجوه إعجاز القرآن الكريم :

ذكر السيوطي أن بعض العلماء أنهى وجوه إعجاز القرآن إلى ثمانين وجهاً^(٥) .

لكنه قال : " والصواب : أنه لا نهاية لوجوه إعجازه " ^(٦) والسيوطي نفسه لم يثبت في كتابه من وجوه الإعجاز سوى خمسة وثلاثين وجهاً ، ضمنها الجزء الأول من مصنفه ، وجعل الجزأين الآخرين في تفسير وبيان بعض الألفاظ والعبارات والآيات ، يستنبط منها بعض الفوائد والنكت ، ويورد في بيانها بعض الروايات والقصص التي قد لا يصح بعضها .

إن معجزات الأنبياء السابقين على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت معجزات مادية ، تنقضي بإنقضاء وقتها ولا يبقى لها أثر بعد ذلك إلا في نفوس من رآوها وشاهدوها وبموتهم وفنائهم ينتهي كل ما للمعجزة من أثر ، أما معجزة القرآن الكريم فهو المعجزة الكبرى لختام الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم - معجزة خالدة بحقيقتها وآثارها إلى يوم الدين .

كما أن المعجزات المادية السابقة تعتبر مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة ، وأهداف الوحي ، أما القرآن الكريم فدلالته على صفة النبوة وحقيقة الدين ، وأصل الشريعة وأهداف الوحي ، لأنه معجزة وتشريع ، وهو دليل باهر على النبوة ، ونظام حياة شامل لمن آمن بها وصدق بصاحبها .

فهو معجزة الإسلام ، وأصل الدين ، يطلع عليه الأجيال في كل زمن ، ويتلونه في كل عصر ، وهو البرهان

(١) ذكر لهذا الكتاب نحو أحد عشر اسماً ، انظر مقدمة محققه د. محمد بن سعد ابن عبدالرحمن آل سعود (١/٦٤-٦٥) وقد طبع في جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م بتحقيق د. محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود ثم طبع مرة أخرى بالمغرب بتحقيق د. يوسف الكتاني .

(٢) نشره عبدالله بن الصديق الغماري سنة ١٣٧٢هـ بمطبعة دار التأليف بالقاهرة ونشر أخيراً بطبعة - دار المعارف ت محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغول سلام .

(٣) علي بن عيسى بن علي بن عبدالله باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة (ت ٣٨٤هـ) .

(٤) رسالته في إعجاز القرآن سماها " النكت " نشرت مع رسالتين إحداهما للجرجاني والثانية للخطابي من نشر دار المعارف .

(٥) معترك الأقران (٥/١) .

(٦) ونقله عن السكاكي في " المفتاح " .

العظيم الذي يلامسون وجوه إعجازه فيستدلون به على أمور :

الأول : أن هذا الكتاب هو كلام الله حقاً ، وليس بكلام بشر .

الثاني : أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - صادق في رسالته ، لأنه هو الذي بلغه إلينا عن ربه - جل وعلا - ولم نعلم

به إلا عن طريقه - صلى الله عليه وسلم - .

الثالث : أن معجزات الأنبياء السابقين ، لولا القرآن الكريم لم نعلم بها بطريق يقيني ثابت ، فالذي يعرفنا بها بيقين إنما هو

القرآن الكريم نفسه ، فمتى ثبت هو ثبتت هي .

٤- هل يُعلم الإعجاز ضرورة أم استدلالاً ؟ :

يتساءل السيوطي عن هذه المسألة ثم يجيب عليها فيقول : " ظهور ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال "(١) وحكى عن الأشعري أن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك من ليس ببليغ ، أما البليغ الذي أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة ، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله "(٢) .

٥- هل العجز يتناول الجن والملائكة ؟؟ :

أما عن هذا العجز فهل يتناول الجن والملائكة أم أنه مختص بالإنس فقط دون غيرهم ؟ يقول السيوطي : " إنما وقع العجز في الإنس دون الجن ، لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، وإنما ذكروا في قوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٣) تعظيماً لشأنه ، لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ، فإذا فرض اجتماع الثقليين ، وظاهر بعضهم بعضاً وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز ، وقال بعضهم : " بل وقع للجن أيضاً والملائكة منويون في الآية لأنهم لا يقدرُونَ أيضاً على الإتيان بمثل القرآن "(٤) ، وذكر السيوطي عن بعض العلماء أنه إنما اقتصر في الآية على ذكر الجن والإنس لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان مبعوثاً إلى الثقليين دون الملائكة (٥) .

والذي أراه - والله أعلم - أن هذا التحدي يشمل جميع المخلوقين ، سواء كانوا جنأ أم ملائكة ، ذلك لأن كلام الله جل وعلا لا يمكن أن يضاهيه مخلوق لا ملك ولا جن ولا غيرهما ، إذ لو قدر أن تأتي الملائكة أو الجن بمثل كلام الله - تعالى - لم يكن لكلام الله تعالى الخالق مزية على غيره من كلام المخلوقين ، ولا ستوى كلام الخالق وكلام المخلوق ، وهذا لا يقوله عاقل . كما أن ذكر الجن في آية سورة الإسراء (٦) صريح في بيان عجزهم عن الإتيان بمثل كلامه عز وجل

(١) معترك الأقران (٧/١) .

(٢) انظر : معترك الأقران (٧/١) ، والاتقان (١٢٣/٢) ، الباقلائي : إعجاز القرآن (ص ١٦٤) ، (ص ٣٢٩) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

(٤) معترك الأقران (٧/١) .

(٥) نفسه ، نقله السيوطي عن الكرمانلي في " غرائب التفسير " .

(٦) الآية رقم (٨٨) .

، حتى ولو اجتمع عالم الجن بعالم الإنس وتظاهروا على ذلك ، فإذا ثبت عجز الثقليين مجتمعين ، كان أمر كل عالم منفرداً عن الآخرين أشدّ عجزاً عن ذلك ، وهو إثبات لتفرد كلام الله - تبارك وتعالى - وتميزه الفائق عن كل كلام سواه .
ومن هنا يتضح أن الصواب قول من قال : بحصول العجز للإنس والجن والملائكة ، فجميع الخلق عاجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

٦- هل غير القرآن الكريم من كلام الله تعالى معجز ؟

أو يقال : التوراة والإنجيل اللذان أنزلهما الله تعالى على موسى وعيسى - عليهما السلام - هل يقع فيهما الإعجاز كما وقع في القرآن الكريم ؟

الجواب عند السيوطي وبه شيء من التفصيل ، حيث يفرق السيوطي : بين جانب النظم والتأليف ، وبين جانب الإخبار بالمغيبات .

١- أما جانب النظم والتأليف بالنسبة للتوراة والإنجيل فينقي السيوطي وقوع الإعجاز فيه .
٢- وأما جانب الإخبار بالمغيبات ، فيثبت تضمنه للإعجاز . يقول السيوطي : " فإن قلت : هل يقال : إن غير القرآن من كلام الله معجز ، كالتوراة والإنجيل ؟ فالجواب : ليس شيء من ذلك معجزاً في النظم والتأليف وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب ^(١) ولمثل هذا الذي قاله السيوطي ، ذهب القاضي أبو بكر الباقلاني ^(٢) .

ويستدل السيوطي على عدم إعجاز التوراة والإنجيل بأدلة نجلها فيما يلي :

أولاً : أن الله تعالى لم يصفهما بما وصف به القرآن الكريم من الإعجاز .

ثانياً : أنا قد علمنا أنه لم يقع التحدي فيهما كما وقع في القرآن الكريم ، والآيات التي نقلناها فيما سبق ناطقة بذلك ، بخلاف غيره من الكتب .

ثالثاً : أن اللسان الذي أنزل به التوراة والإنجيل لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز ^(٣) .

ثم نقل السيوطي تأييداً لكلامه عن ابن جنى ^(٤) في قوله تعالى : (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول

من ألقى) ^(٥) أن العدول عن قوله : أن نلقي ، لغرضين :

أحدهما : لفظي ، وهو المزاجية لرؤوس الآي .

والثاني : معنوي ، وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطاعتهم على موسى ، فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منهم في أسنادهم الفعل إليه .

(١) معترك الأقران (١٠/١) ، الإتيان (١٢٤/٢) .

(٢) انظر : إعجاز القرآن (٣٣٠-٣٣١) .

(٣) انظر : معترك الأقران (١٠/١) ، الإتيان (١٢٤/٢) .

(٤) عثمان بن جنى الموصلي ، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو (ت ٣٩٢هـ) .

(٥) سورة طه الآية (٦٥) .

ثم أورد سؤالاً ، وهو أننا نعلم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان ، فنذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام . وأجاب بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان^(١) من القرون الخالية ، إنما هو معرب عن معانيهم ، وليس هو بحقيقة ألفاظهم ، ولهذا لا يُشَكُّ أن قوله تعالى : (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى)^(٢) إن هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم^(٣) .

٧- ما موضع الإعجاز من كتاب الله تعالى ؟ :

ينقل السيوطي جواب هذا السؤال عن أبي حيان التوحيدي^(٤) ، ومفاده أنه لا يشار إلى موضع بعينه من القرآن الكريم بتحقيق فيه الإعجاز دون غيره ، بل القرآن الكريم بجملته ينطبق عليه هذا الوصف ، وكان مما قاله : " هذه مسألة فيها حيف على المفتي ، وذلك أنه شبهه بقولكم ما موضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان ، بل متى أشرت إلى جملته قصدت حقيقته ، ودلت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله ، وأهدى لقائله ، وليس في طاقة البشر الاحاطة بأغراض^(٥) الله في كتابه فاذلك حارت العقول ، وتاهت البصائر عنده^(٦) .

٨- القدر المعجز من القرآن :

أختلف في القدر المعجز من القرآن على أقوال حكاها السيوطي في الاتقان ، نجمها فيما يلي :

الأول : قول الأشاعرة تبعاً لأبي الحسن قالوا : إن أقل ما يُعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها . فإذا كانت الآية بقدر حروف السورة ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز ، ولم يَقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر^(٧) .

الثاني : قول المعتزلة حيث ذهبوا إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة ، وقد حكى عنهم نحو القول الأول إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ، بل شرط الآيات الكثيرة^(٨) .

ونسب السيوطي إلى بعضهم أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن^(٩) ، بمعنى أنه لا يحصل الإعجاز إلا بالقرآن كله جملة وهذا مردود بقوله تعالى : (...فأتوا بسورة من مثله...)^(١٠) وقوله تعالى : (...فأتوا بعشر سور مثله مفتريات...)^(١١) .

(١) أي : اللسان العربي .

(٢) سورة طه الآية (٦٣) .

(٣) معترك الأقران (١٠/١) ، الاتقان (١٢٤/٢-١٢٥) .

(٤) هو : علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، فيلسوف متصوف معتزلي ، قال ابن الجوزي كان زنديقاً ، ولد في شيراز ، وتوفي نحو (٤٠٠هـ-١٠١٠م) . انظر : طبقات السبكي (٢/٤) بغية الوعاة (٣٤٨) ، ميزان الاعتدال (٣٥٥/٣) الاعلام (٣٢٦/٤) .

(٥) لا ينبغي أن يعبر بلفظ " أغراض الله " لأنه لم يرد في النصوص الشرعية وإنما يقال : " مراد الله " لأن الإرادة من صفاته تعالى .

(٦) معترك الأقران (١٠/١) ، الاتقان (١٢٤/٢-١٢٥) .

(٧) انظر : الباقلائي : إعجاز القرآن (ص ٣٢٤) .

(٨) انظر : نفسه .

(٩) انظر : الاتقان (١٢٣/٢) .

(١٠) سورة البقرة ، بعض الآية (٢٣) .

الثالث : أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره ، لقوله تعالى : (فليأتوا بحديث مثله ...)^(٦) .

قال السيوطي : " ولا دلالة في الآية لأن الحديث التام لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة "^(٧) والرأي الأول هو الأقرب إلى الصواب - والله أعلم - إذ أن الإعجاز إنما يتحقق بمحصل كلام تام المعنى وإن كان قصيراً كسورة الكوثر أو آية بقدرها ، وقد علم يقيناً أن العرب قاطبة قد عجزوا عن مثل ذلك ولم يستطع أحد منهم الإتيان به وإلحاقاً بهذه المسألة أورد السيوطي اعتراضاً قال فيه : " فإن قال قائل : فلعل السور القصار يمكن فيها المعارضة قيل لا يجوز فيها ذلك من قبل أن التحدي قد وقع بها فظهر العجز عنها "^(٨) في قوله تعالى : (فأتوا بسورة ...)^(٩) أي أن قوله " سورة " تشمل القصار والطوال ، وقد تحدى بها ولم يُعارض ، فظهر بذلك العجز كما حكى هذا الاعتراض كل من الرماني ، والباقلاني ، أما عبارة الرماني فهي التي نقلتها عن السيوطي ، وأما الباقلاني فقال : " فإن ادعى ملحد أو زعم زنديق أنه لا يقع العجز عن الإتيان بمثل السور القصار ، أو الآيات بهذا المقدار ، قلنا له : إن الإعجاز قد حصل بما بيناه ، وعرف بما وقفنا عليه ، من عجز العرب عنه ثم فيه شيء آخر ، وهو أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد لأنه يزعم أنه ليس في القرآن كله إعجاز ، فكيف يناظره على تفصيله ، وإذا ثبت لنا معه إعجازه في السور الطوال قامت الحجة عليه ، وثبتت المعجزة ، ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات .

ونحن نعلم أن إعجاز البعض بما بيناه ، والبعض الآخر بأنه إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا... "^(١٠) ويكمل السيوطي الاعتراض الذي ذكره الرماني عن بعض المعترضين فيقول : " فإن قال : فإنه يمكن في القصار أن تغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها فهل يكون ذلك معارضة ؟ قيل له : لا ، من قبل أن المفهم يمكنه في قوافي الشعر مثل ذلك وإن كان لا يمكنه أن ينشئ بيتاً واحداً ، ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون ، فلو أن مفهماً رام أن يجعل بدل قوافي قصيدة روبة^(١١) :

وقائم الأعماق خاوي المخترق
مشتبّه الأعلام لماع الخفق
يكل وفدُ الريح من حيثُ انخرق

فجعل بدل " المخترق " الممزق ، وبذل " الخفق " الشفق وبذل " انخرق " انطلق ، لأمكن ذلك ، ولم يثبت له

(١) سورة سيدنا هود - عليه السلام - ، بعض الآية (١٣) .

(٢) سورة الطور ، بعض الآية (٢٤) .

(٣) الاتفاق (١٢٣/٢) ، وانظر : الباقلاني : إعجاز القرآن (ص ٣٢٤-٣٢٥) .

(٤) الاتفاق (١٢٥/٢) ، وانظر : الرماني : السنكت في إعجاز القرآن (ص ١١١) ضمن " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " للرماني والخطابي والجرجاني ، ت. محمد خلف الله أحمد ، دكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف - القاهرة ط٤ .

(٥) سورة البقرة ، بعض الآية (٢٣) .

(٦) إعجاز القرآن (ص ٣٢٦-٣٢٧) .

(٧) رؤية بن عبدالله العجاج بن رؤية التميمي السعدي ، أبو الجحّاف أو أبو محمد ، راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كان أكثر مقامه في البصرة ، توفي (١٤٥هـ-٧٦٢م) انظر : وفيات الأعيان (١٨٧/١) البداية والنهاية (٩٦/١٠) لسان الميزان (٢/

٤٦٤) ، الاعلام (٣٤/٣) .

به قول الشعر ، ولا معارضة رؤية في هذه القصيدة عند أحد له أدنى معرفة ، فكذلك سبيل من غير الفواصل ^(١) .

٩- وجوه إعجاز القرآن الكريم :

أسهب السيوطي في بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وهو باطلاعه عما صنّف من قَبْل مُصنّفه في الإعجاز قد وضع مصنّفه جامعاً لمحاسن من تقدمه من العلماء ، لكن السيوطي لا يستحسن كل ما كتب في هذه المسألة لذلك يقول : " لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز ، وقد خاض الناس في ذلك كثيراً فبين محسن ومسيء ^(٢) ولعل السيوطي يقصد بالمسيئين هؤلاء الذي قالوا بأن التحدي وقع بالكلام القديم ، أي الصفة الذاتية ، وهي كون الله تعالى متصفاً بصفة ذاتية هي صفة الكلام ، وهي التي يعبر عنها المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم بقولهم الكلام النفسي ، أي الصفة القائمة به - جل وعلا - لا يقصدون بذلك القرآن الكريم ، وإنما يقصدون الكلام النفسي الذي إذا عبر الله تعالى عنه بالعبرية كان توراتاً ، وإذا عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، فالتوراة والقرآن - على زعمهم - ليست كلام الله تعالى على الحقيقة ، وإنما هما عبارة عن كلام الله - جل وعلا - وإنما يقال عنهما كلام الله مجازاً ، عندهم وكلام الله عندهم هو الصفة القديمة القائمة بالذات . وقد نقضنا هذا القول - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - عند كلامنا عن صفة الكلام في فصل الأسماء والصفات . والمقصود أن السيوطي يخطئ من قال : إن التحدي وقع بهذه الصفة القديمة أي الكلام النفسي ، ويصفهم بالإساءة ، وهو كما قال ، لأن الكلام النفسي لا يمكن لأحد الإطلاع عليه ، فكيف يُتحدى بأن يأتي بمثله ؟ ولذلك قال : " فزعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق ، وبه وقع عجزها ^(٣) ثم رد السيوطي ذلك القول بما قدمنا معناه آنفاً فقال : " وهو مردود لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به ^(٤) ثم يرجح السيوطي رأي جمهور الأشاعرة فيقول : " والصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم ، وهو الألفاظ ^(٥) وهو بقوله " الدال على القديم " يقصد القرآن الكريم ، فالقرآن عنده - كبقية الأشاعرة - ليس هو كلام الله حقيقة ، وإنما هو ألفاظ دالة على الكلام النفسي ، وهم يقولون عنه إنه عبارة عن كلام الله - كما قدمت ذلك ورددت عليه في فصل الأسماء والصفات عند صفة الكلام .

وفي كلام السيوطي هذا رد عليه وعلى الأشاعرة عموماً ، لأنه إن كان هذا القرآن ليس كلام الله تعالى حقيقة ، فكيف يتحداهم الله بما ليس من كلامه ؟

إنما الحق ما عليه أهل السنة أن القرآن الكريم هو كلام الله حقيقة تكلم الله تعالى به على الحقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وتحدى به العرب فهو كلامه المعجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

(١) الاتقان (٢/١٢٥) ، النكت في إعجاز القرآن (ص ١١١-١١٢) .

(٢) الاتقان (٢/١١٨) .

(٣) الاتقان (٢/١١٨) .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

- الكلام عن الإعجاز بالصرفة :

ذهب النظام - من المعتزلة - أن وجه إعجاز القرآن كان بالصرفة ، بمعنى أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته ، وسلب عقولهم عن ذلك ، وأن الإعجاز لم يكن راجعاً إلى صفة القرآن في نفسه ، بل كان مقدوراً لهم لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات^(١) .

وقد صور الباقلاني هذا المذهب بعبارة رائعة فقال : " فإن قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله ، مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات ؟ وهلا قلتم : إن من قدر على جميع هذه الوجوه السديعة ، وتوجه من هذه الطرق الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادراً ، وإنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرباً من المنع ، أو تقصر دواعيه دونه مع قدرته عليه ، ليتكامل ما أراد الله من الأدلة ، ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة ، لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلهما ، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى ، وكذلك الثالثة . حتى يتكامل قدر الآية والسورة " (٢) .

والجواب عن هذا القول الفاسد من وجوه :

أولها : قال السيوطي عن هذا القول : إنه قول فاسد بدليل قوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)^(٣) فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لإجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره^(٤) .

الثاني : انعقاد الإجماع على إضافة الإعجاز إلى القرآن ، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة الإعجاز ، بل المعجز في الحقيقة - والحال هذه - هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم على الإتيان بمثله^(٥) .

الثالث : أنه يلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي ، وزمان التحدي مرهون بوجود الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فبعد أن لحق النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى يزول التحدي وبزواله يزول الإعجاز عن القرآن الكريم ، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن^(٦) .

الرابع : أن الإعجاز إن كان بالصرفة لم يكن كلام الله تعالى معجزاً ، وإنما الإعجاز يكون بالصرفة ، وعليه فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه^(٧) ، قال القاضي أبو بكر الباقلاني : " وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم أن

(١) انظر : الاتقان (١١٨/٢) .

(٢) إعجاز القرآن (ص ٥٥-٥٦) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

(٤) الاتقان (١١٨/٢) .

(٥) الاتقان (١١٨/٢) .

(٦) السابق نفسه .

(٧) نفسه .

الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه ، لو تعلموه لوصلوا إليه به ، ولا بأعجب من قول فريق منهم : إنه لا فرق بين كلام البشر ، وكلام الله تعالى في هذا الباب ، وإنه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد ^(١) .

الوجه الأول من وجوه الإعجاز

كونه حقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

فهو الكتاب الخالد الذي لا يتطرق إليه باطل في نصه ولا في أحكامه ، ولا في أي حقيقة علمية عرضها ، أو أي مبدأ من مبادئه وتشريعاته أو أي خبر تاريخي أخبر به من أنباء الغيب الماضية ، أو أي خبر أخبر عن وقوعه في المستقبل ، كما أنه لا يأتيه باطل ألبته بتحريف أو تبديل أو ضياع أو نسيان .

قال الله - جل وعلا - (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ^(٢) .

وقال - تعالى - مبيناً تعهده بحفظه وصيانيته : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) ^(٣) .

وهذا الواقع يشهد أن القرآن الكريم لم يأت به باطل بحال من الأحوال ، ولا من وجه من الوجوه ، وكذلك لن يأتيه الباطل من أي وجه من الوجوه ، مهما توالى الدهور ، واتسعت تجارب الحياة وزادت مكتشفات العلوم .

إن اكتشاف الحقائق العلمية الثابتة بيقين ، تثبت دوماً يوماً بعد يوم أن القرآن الكريم حق لا يأتيه الباطل ، وإنه كتاب الله المسطور الذي يؤيده كتاب الله المنظور الذي هو هذا الكون بحقائقه وسننه فالقرآن كلام الله ، والكون خلق الله ، وكل منهما يؤيد الآخر ويؤكد ، وأنه يستحيل تعارضها أو تنقضهما .

وكذلك فإن هذا الكتاب العظيم لا يأتيه الباطل في أي خبر تاريخي أخبر به عن القرون الماضية ، والأمم الخالية ، قال تعالى : (ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) ^(٤) .

وقال تعالى : (إن هذا القرآن يقرئ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) ^(٥) . وقد جاءت حديثاً دلائل الآثار الأرضية بعد قرون من نزول القرآن ، فصدقت حقائقها التي توصل إليها علماء الآثار الأخبار التي أتى بها القرآن الكريم ، وذلك من إعجاز القرآن الكريم الدال على أنه كلام الله وليس من كلام البشر ^(٦) .

وكذلك فإن هذا الكتاب العظيم المعجز لا يأتيه الباطل في أي خبر أخبر به عما سيحدث في مستقبل أيام الدهر ، والأمثلة على تحقق الكثير من هذه الأخبار كثيرة نذكر منها .

(١) الاتقان (١١٨/٢) ، إعجاز القرآن (٥٨) .

(٢) سورة فصلت الآية (٤٢) .

(٣) سورة الحجر الآية (١٥) .

(٤) سورة سجدنا هود - عليه السلام - الآية (٤٩) .

(٥) سورة النمل الآية (٧٦ ، ٧٧) .

(٦) أنظر : الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني : العقيدة الإسلامية وأسسها (ص ٢٢١) ط ٧ / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - دار القلم - دمشق .

١ - قول الله - جل وعلا - : (...لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ...)^(١) وقد تحقق ما أخبر الله تعالى به في هذه الآية الكريمة ، فدخل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، غير خائفين .

٢ - وقوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ويبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)^(٢) وقد وفى الله تعالى للمؤمنين هذا الوعد الحق ، فكانت دولة الإسلام هي الدولة المستخلفة في الأرض ، والممكنة بتمكين الله تعالى لها ، ولم يشهد التاريخ دولة مثلها في قوة الإيمان ، وقوة العدل ، وقوة البأس ، بفضل إيمانها وتمسكها بحبل الله ونصرها لله تعالى ودينه ورسوله .

٣ - وقوله تعالى : (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب...)^(٣) وقد تحقق ذلك فتم نصر الله للمؤمنين ، والفتح المبين - فتح مكة - ثم فتح الممالك العظمى التي كانت صاحبة السيادة والسلطان في الأرض .

٤ - وقوله تعالى : (وإذ يعذبكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين)^(٤) .

وكان ذلك قبل غزوة بدر الكبرى ، وتحقق وعد الله تعالى لهم ، فانتصروا على المشركين نصراً مؤزراً ، وغنموا منهم رغم قلة عدد المسلمين بالنسبة لهم .

٥ - وقوله تعالى : (ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين قلبي الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون)^(٥) .

وقد تحقق ذلك بإجماع أهل التاريخ ، فانتصر الروم على فارس بعد أن غلبوا ، وذلك في بضع سنين كما أخبر الكتاب العزيز المعجز .

والآيات في هذا الباب معلومة ما من وعد ولا خبر أخبر بوقوعه في المستقبل إلا ووقع كما أخبر واضحاً جلياً مثل قلق الصبح ، ولا زالت الأنباء والأخبار والحقائق تظهر لتؤكد هذا الإعجاز الباهر .

الوجه الثاني من وجوه الإعجاز :

هذا السلطان العجيب لآيات القرآن العظيم في هدايته ، وتأثيره المعنوي على عقول الناس وقلوبهم ، وفي الخشبة والرهبة التي تحدثها تلاوته في قلوب سامعية واستيلاء مواعظه عليها الأمر الذي حدا بحضومه أن يصفوه بالسحر ، إذ هو

(١) سورة الفتح ، بعض الآية (٢٧) .

(٢) سورة النور الآية (٥٥) .

(٣) سورة الصف ، بعض الآية (١٣) .

(٤) سورة الأنفال الآية (٧) .

(٥) سورة الروم الآيات (١ - ٦) .

سحر البيان الذى يستولي على الأبواب فتخشع القلوب وتذل الرقاب لعظمة بلاغته وتأثيره العجيب .

لقد كان هذا السلطان الروحي هو السر في تجمع مختلف الشعوب والأمم حوله - عرباً وعجماً على سواء - إذ بسر هذا التأثير تركت عصبياها القومية ، ومعتقداتها الدينية الباطلة الموروثة ، وهجرت تقاليدھا وأعرافها وعاداتها الجاهلية المتبعة ، ولا غرو أن يصفه الله تعالى بأنه هدى للناس وبينات من الهدى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)^(١) .

ولا غرو كذلك أن يحدث هذه الخشية والخشوع في القلوب والنفوس والعقول فقط ، وإنما يحدثها كذلك في الجمادات الصماء التي لا تعقل ولا تعي تأثراً بسلطانه العجيب (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)^(٢) .

ومن أمثلة تأثير القرآن الكريم في النفوس :

١- لما قرأ جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - القرآن على النجاشي ومن حوله من القسيسين والرهبان ، وأخذت الخشية تغشاهم فأجهشوا جميعاً بالبكاء حتى فرغ جعفر - رضى الله عنه - من القراءة، ثم إن النجاشي أرسل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجموعة من علماء النصارى فقرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليهم سورة " يس " فبكوا وآمنوا^(٣) ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)^(٤) .

٢- وعن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)^(٥) كاد قلبي يطير للإسلام^(٦) .

يقول الإمام أبو سليمان الخطابي في بيان هذا الوجه : (قلت : في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعة بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن ، منظوماً ولا منثوراً ، وإذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

(٢) سورة الحشر الآية (٢١) .

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٣ / ١٣٠) وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه عن سعيد بن جبير ، وروى نحوه ابن جرير في " جامع البيان " (٧ / ٥) عن السدى ، وقال الحافظ ابن كثير : وقد روى النسائي عن عمر بن عبد الله عن علي الفلاس ، عن عمر بن علي بن مقدم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت هذه الآية في النجاشي وفي أصحابه : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) . تفسير القرآن العظيم (١٥٩ / ٣) .

(٤) سورة المائدة الآية (٨٣) .

(٥) سورة الطور الآيات (٣٥-٣٧) .

(٦) متفق عليه : رواه البخارى في " صحيحه " كتاب التفسير (٦٥) باب (١) رقم (٤٨٥٤) أنظر : الفتح (٦٠٣/٨) .
ومسلم في " صحيحه " (٣٣٨/١) كتاب الصلاة (٤) باب (٣٥) رقم (٧٤ - {٤٦٣}) .

منه إليه ، تستبشر به النفوس ، وتشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة ، وقد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق نقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها فكمن من عدو للرسول - صلى الله عليه وسلم - من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله ، وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالمتهم ويدخلوا في دينه ، وصار عداوتهم موالاة ، وكفرهم إيماناً ، خرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعمد لقتله ، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ سورة طه ، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن^(١) وبعث الملاء من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليوافقوه على أمور أرسلوه بها ، فقرأ عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آيات من حم السجدة ، فلما أقبل عتبة وأبصره الملاء من قريش قالوا : أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به^(٢) .

ومصدق ما وصفناه في القرآن في قوله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله...)^(٣) . وفي قوله : (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله...)^(٤) . وقال سبحانه : (... أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم...)^(٥) . وقال سبحانه : (... وإذا تلايت عليهم آياتنا زادتهم إيماناً ...)^(٦) . وقال سبحانه : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ...)^(٧) في أي ذوات عدد منه ، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد ، وهو من عظيم آياته ، ودلائل معجزاته)^(٨) .

أما السيوطي فيجعل لتأثير القرآن الكريم على قلوب سامعيه حالين :

الأولى: حال المؤمن إذا سمع آيات الله تعالى تتلى فإنه يقشعر جلده ، ويمتلئ قلبه روعة وهيبة وانجذاباً وتلذذاً بسماع كلام الله - جل وعلا - فيزداد بسماعه لذة واستمتاعاً وإيماناً^(٩) ، فسامعه لايجمه ، وقارئه لا يمله فتلذذ له الأسماع ، وتشغف له القلوب ، فلا تزيده تلاوته لإحلاوة ، ولا ترديده إلا محبة ، ولا يزال غصاً طرياً ، وغيره من الكلام - ولو بلغ في الحسن والبلاغة - مبلغه - يمل مع التردد ، ويعادى إذا أعيد ، لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد ، وكتابنا بحمد الله تعالى يُستلذ به في الخلوات ويؤنس به في الأزمان ، وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك ، حتى أحدث لها أصحابها لحونا

(١) انظر: قصة إسلام عمر في سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) وما بعدها .

(۲) سیاتی نص الحديث بذلك قريباً - إن شاء الله تعالى - .

(٣) سورة الحشر ، بعض الآية (٢١) .

(٤) سورة الزمر ، بعض الآية (٢٣) .

(٥) سورة العنكبوت ، بعض الآية (٥١) .

(٦) سورة الأنفــال ، بعض الآية (٢) .

(٧) سورة المائدة ، بعض الآية (٨٣) .

(٨) بيان إعجاز القرآن (ص ٧٠-٧١) ضمن ثلاث رسائل .

(٩) انظر معترك الأقران (١٨٢/١-١٨٣).

وطربا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ، أما القرآن الكريم فإنه لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عبره ، ولا تفنى عجائبه هو الجد ليس بالهزل ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، فيه نبأ الأولين والآخرين ، فتح الله به أعيناً عمياً ، وأذنأ صماً ، وقلوباً غلفاً ، فيه ينابيع العلم ، وفهم الحكمة^(١) .

الثانية : حال الكافر المكذب الذي إذا سمع كلام الله - جل جلاله - أحس كأنه سياط وقوارع ، فتعثر به الهيبة والخوف والوجل ، ولذلك كان بعضهم يستثقل سماعه ، ويزداد نفوراً كما قال تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً)^(٢) .

و "الوقر" هو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعاً ينفعهم ويهتدون به^(٣) .

وتوليهم ونفورهم بسبب اشمئزاز قلوبهم من ذكر الله تعالى قال - جل وعلا - : (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون)^(٤) .

يقول السيوطي : (الوجه العشرون من وجوه إعجاز : الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعثرهم عند تلاوته لقوة حاله ، وإبانة خطرته ، وهى على المكذبين به أعظم ، حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفوراً ، كما قال تعالى ، ويودون انقطاعه لكرهتهم له ... وأما المؤمن فلا تزال روعته به ، وهيئته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه ، وتصديقه به ... وهذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده : فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ، ومنهم من كفر^(٥) ثم ساق السيوطي حديث جبير بن مطعم الذي نقلته قبل قليل ، وساق أيضاً حديث عتبة بن ربيعة لما جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - من خلاف قومه ، فتلا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حم السجدة ، قال الإمام ابن كثير :

" قال الإمام العلم عبد بن حميد في مسنده : حدثني ابن أبي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن الذيال ابن حرملة الأسدي ، عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد : فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر : معترك الأقران (١/ ١٨٤-١٨٥) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٤٦) .

(٣) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٥ / ٧٩) .

(٤) سورة الزمر ، الآية (٤٥) .

(٥) معترك الأقران (١ / ١٨٢ - ١٨٣) .

- ، فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة ^(١) قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ! والله ما ننظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف ، حتى نتفانى ! أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فلنزوجك عشراً . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرغت ؟ قال : نعم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل من الرحمن الرحيم) ^(٢) حتى بلغ (فلين أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ^(٣) . فقال عتبة : حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال : " لا " فرجع إلى قريش ، فقالوا ، : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته . قالوا : فهل أجابك ؟ قال : لا ، والذي نصبها بنية ^(٤) ما فهمت شيئاً مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويحك ! يكلمك الرجل بالعربية ما تدري ما قال ؟! قال : لا ، والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة .

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده ، عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده ، مثله سواء .

وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندي - وقد ضعف بعض الشيء عن الذيال بن حرمة ، عن جابر ، فذكر الحديث إلى قوله : (فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ^(٥) فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم : فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حبسك عنا إلا أنك صبت إلى محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت لك حاجة جمعنا لك فغضب وقال : لقد علمتم أني أكثركم مالا ، ولكني أتيت وقصصت عليه فأجابني بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله : (فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ^(٦) ، فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب . وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى ، والله أعلم .

وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط ، فقال :

حدثني " يزيد " بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم

(١) السخلة : ولد الشاه من المعز والضأن . والسخل : المولود المحبب إلى أبيه . وهو في الأصل ولد الغنم .

(٢) سور فصلت الآيتان (١،٢) .

(٣) سورة فصلت ، الآية (١٣) .

(٤) يعني بالبنية : الكعبة . وكانت تدعى بنية إبراهيم - عليه السلام - ، لأنه بناها ، وقد كثر قسمهم برب هذه البنية .

(٥) يعني بالبنية : الكعبة . وكانت تدعى بنية إبراهيم - عليه السلام - ، لأنه بناها ، وقد كثر قسمهم برب هذه البنية .

(٦) سورة فصلت ، الآية (١٣) .

إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمور لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء وكيف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزدون ويكثر ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة^(١) في العشرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفحت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنتظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " قل يا أبا الوليد أسمع " . قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً . وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً^(٢) تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع^(٣) على الرجل حتى يداوي منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه قال : " أفرغت يا أبا الوليد؟ " قال : نعم . قال : " فاستمع مني " قال : أفعل . قال : (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) . ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرأها عليه . فلما سمع عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة (منها) فسجد ، ثم قال : " قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك " . فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأيتني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة . يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم^(٤) .

وهذا السياق أشبه من الذي قبله ، والله أعلم .

وقد ساق السيوطي هذا الحديث مختصراً ليدلل على الهيبة والروعة التي يتركها القرآن الكريم في نفوس الناس عامة وفي نفوس المعاندين بصفة خاصة ، وهذا دليل على أن هذا ليس كلام مخلوق بل هو كلام الله - جل وعلا - ويزيد السيوطي الأمر تأكيداً فيذكر أن بعض المعاندين أراد أن يعارض القرآن فاعتزته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فيقول : "

(١) السطة - بكسر السين - : الشرف .

(٢) الرئى - بفتح الراء ، وبنو تميم يكسرونها - : ما يتراءى للإنسان من الجن .

(٣) التابع : ما يتبع الإنسان من الجن .

(٤) سيرة ابن هشام : (١/٢٩٣-٢٩٤) .

روي أن ابن المقفع^(١) طلب ذلك ورامه ، وشرع فيه ، فمر بصبي يقرأ : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك...)^(٢) فرجع ومحا ما عمل ، وقال : أشهد أن هذا لا يعارض ، وما هو من كلام البشر ، وكان أفصح أهل وقته ، وكان يحيى بن حكيم الغزال^(٣) ، بليغ الأندلس في زمنه ، فحكى أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذوا على مثالها ، وينسخ - بزعمه - على منوالها ، قال : فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والأوبة^(٤) .

الوجه الثالث : بلاغته وفصاحته :

إن القرآن الكريم - بوصفه كتاب هدى للعالمين - على ذروة سنام الفصاحة والبلاغة ، وفي المنزلة التي لا يستطيع البشر - أحدهم أو كلهم ، أو كلهم مع عالم الجن - مهما أوتوا من بلاغة وبيان أن يرقوا إلى مستواه ، وقد شهد بذلك العدو والصادق ، والمؤمن والكافر .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : " .. ثم انظر في آية آية ، وكلمة كلمة ، هل تجدها كما وصفنا من عجب النظم ، وبديع الرصف ؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها ، تجري في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها ، ثم من قصة إلى قصة ، ومن باب إلى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل ، وحتى يُصور لك الفصل وصلاً ، ببديع التأليف وبليغ التنزيل^(٥) لقد عجز العرب - وقت نزول القرآن - عن الإتيان بمثله ، يدل لذلك أنه تحداهم حتى طال التحدي ، وقد جعله الله تعالى بذلك دليلاً على صدق رسوله - صلى الله عليه وسلم - ونبوته ، وضمن أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم ، وسبى ذراريهم ، فلو كانوا يقدرين على تكذيبه لفعلوا ، وتوصلوا إلى تخلص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه ، بأمر قريب هو عاداتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم ، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال وإكثار المراء والجدال ، وعن الجلاء عن الأوطان ، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي ، فلما لم يحصل هناك معارضة منهم ، علم أنهم عاجزون عنها ، وذلك لبلوغه في البلاغة والفصاحة والبيان الذروة ، والدرجة القصوى ، التي عجز عن مضاهاتها كل فصيح ، وقعد عن معارضتها كل بليغ ، وبلاغة القرآن المعجزة تتجلى في أمور منها :

أولاً : أن اللفظ القرآني في مفرداته وتراكيبه في مقام الذروة من الفصاحة والبلاغة والبيان ، فهو قد بلغ الغاية في " حسن

(١) عبدالله بن المقفع ، من أئمة الكتاب ، وقيل أنه من عنى في الإسلام بكتب المنطق وترجمتها ، أصله من الفرس ، ولد بالعراق (١٠٦هـ - ٧٢٤م) مجوسياً (مزدكياً) وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي ، وترجم له كتب أرسطوطاليس الثلاثة في المنطق ، وكتاب " المدخل إلى علم المنطق " المعروف " ببايساغوجي " وترجم عن الفارسية كتاب " كيلة ودمنة " وهو أشهر كتبه ، أتهم بالزندقة فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلب (١٤٢هـ - ٧٥٩م) انظر : أمراء البيان (٩٩-١٥٨) ، لسان الميزان (٣/٣٦٦) ، البداية والنهاية (٩٦/١٠) ، دائرة المعارف الإسلامية (٢٨٢/١) الأعلام (٤/١٤٠) .

(٢) سورة سينا هود - عليه السلام - ، بعض الآية (٤٤) .

(٣) هو : يحيى بن الحكم وليس ابن حكيم - البكري الجبائي ، المعروف بالغزال ، شاعر مطبوع من أهل الأندلس ، امتاز نظمه الجيد الحسن بالفكاهة المستلحة - انظر : بغية الملتبس (٤٨٥) ، نفخ الطيب (٤٤٩/١) ، المطرب من أشعار أهل المغرب (١٣٣-١٥١) ، الأعلام (٨/١٨٤) .

(٤) السيوطي : معترك الأقران (١/١٨٣-١٨٤) وهذا قريب من معنى الصرفة التي يدعيها النظام من المعتزلة .

(٥) إعجاز القرآن (ص ٢٥١-٢٥٢) ، وانظر : الاتقان (٢/١١٨-١١٩) .

تأليفه ، والتتأم كلمه ، وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن ^(١) **ثانياً :** أن أساليب القرآن المختارة للدلالة على المعاني المرادة هي أروع الأساليب وأجملها ، وأكملها وأحكمها ، وفي القمة من الإبداع وجمال التصوير ، فلا يستطيع أحد أن يداني " صورة نظمه العجيب " والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ^(٢) فهو خارج بفصاحته وبلاغته عن جنس كلام العرب من النظم والنثر ، والخطب والشعر ، أقول إنه خارج خروج تفوق على ما ألفوه من فنون التعبير ، وأساليب الكلم ، مع كون حروفه في كلامهم ، ومعانيه في خطابهم ، وألفاظه في حروفهم ، لكنه بذاته قبيل غير قبيل كلامهم ، ورتبة أخرى متميزة عن رتب خطابهم ، فهو الأسلوب المعجز للتقلين أجمعين ، الجامع بين " صفتي الجزالة والعذوبة ، وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر " ^(٣) ، إنه يكاد يكون إجماع بين علماء الإسلام على سمو الأسلوب القرآني ، ورفعة منزلته فوق كل أسلوب ، ولذلك وجدنا علماء السنة ، والأشاعرة ، والمعتزلة ، لا يشذ أحد منهم عن الإقرار بهذا ، يقول الرماني (من شيوخ المعتزلة) : " وأما نقض العادة : فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة ، منها : الشعر ، ومنها السجع ، ومنها الخطب ، ومنها الرسائل ، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة ، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة " ^(٤) .

ثالثاً : أن المعاني القرآنية المرادة ، في مقام الذورة أيضاً من الإبداع والجمال والكمال ، والمطابقة لحال مهمة الرسالة ، مع الصدق فيها ، وموافقة الحق والواقع ، واستيفائها لكل ما يضمن المصلحة العامة والخاصة ، ويحقق السعادة لجميع الناس ، أفراداً وجماعات ، وشعوباً وحكومات . قال تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) ^(٥) وقال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ...) ^(٦) وقال عز من قائل : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) ^(٧) وقال عز شأنه وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً يهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ^(٨) .

ولنأتي هنا بمثال واحد يدل على كمال المعاني التي يتضمنها الأسلوب القرآني ، وشرفها وعلو منزلتها بما لا

(١) السيوطي : معترك الأقران (٢٣/١) ، الاتقان (١٢٢/٢) ، وانظر : القاضي عياض : الشفا (٣٥٨/١) .

(٢) معترك الأقران (٢٣/١) ، الاتقان (١٢٢/٢) ، انظر الشفا (٣٦٩/١) .

(٣) الاتقان (١٢٢/١) .

(٤) النكت في إعجاز القرآن (ص ١١١) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، وانظر : الاتقان (١٢٢/٢) .

(٥) سورة المائدة الآيتان (١٥-١٦) .

(٦) سورة الإسراء ، بعض الآية (٩) .

(٧) سورة البقرة الآيتان (١،٢) .

(٨) سورة الشورى الآية (٥٢) .

يدانيه كلام آخر ، قال السيوطي في قوله تعالى : (...ولكم في القصاص حياة...)^(١) قال : " معناه كثير ، ولفظه يسير ، لأن معناه أن الانسان إذا علم أنه متى قُتل به ، كان ذلك داعياً إلى ألا يُقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص ، كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة لهم "^(٢) فهذا ما تتضمنه هذه اللفظة الوجيزة من معنى شريف وهذا على سبيل الإجمال ، وللعلماء بإعمال فكرهم ، وتدبر نظرهم في هاتين الكلمتين : (القصاص حياة) لمحوا فضلهما عما كان مثلاً سائراً بين العرب وهو قولهم : " القتل أنفى للقتل " بنحو عشرين وجهاً ذكرها السيوطي بقوله : " وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى ، وهو قولهم : " القتل أنفى للقتل " بعشرين وجهاً أو أكثر "^(٣) وأنا أجتزئ منها عشرة :

أولها : أن العبارة القرآنية أقل حروفاً ، فإن حروفها عشرة ، وحروف : القتل أنفى للقتل - أربعة عشر - .

ثانيها : أن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصة على ثبوتها ، التي هي الغرض المطلوب منه .

ثالثها : أن تنكير " حياة " تفيد تعظيماً فتدل على أن القصاص فيه حياة متطاولة ، والمثل ليس كذلك .

رابعها : أن الآية مطردة بخلاف المثل ، فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكون أدعى له وهو القتل ظلماً وإنما ينفى قتل خاص ، وهو القصاص ، ففيه حياة أبداً .

خامسها : أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن فيه حذف " من " التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها ، وحذف " قصاصاً " مع القتل الأول ، وحذف " ظلماً " مع القتل الثاني ، والتقدير : القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه .

سادسها : أن الآية اشتملت على فن من البديع ، وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده وهو الحياة ، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة فكأنه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بإدخال " في " عليه .

سابعها : أن في الآية طباقاً ، لأن القصاص مشعر بضد الحياة ، بخلاف القتل .

ثامنها : أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر ، لأن الشيء لا ينفي نفسه .

تاسعها : سلامة الآية من لفظ القتل المشعر بالوحشة ، بخلاف لفظ الحياة ، فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل .

عاشرها : أن لفظ القصاص مشعر بالمساواة ، فهو ينبئ عن العدل ، بخلاف مطلق القتل^(٤) .

وذكر السيوطي وجوهاً أخرى أثرت الإقتصار على هذه العشرة اجتزاءً بها عن بقيتها ، وهي كالمثال لغيرها .

فانظر إلى روعة الأسلوب القرآني الذي لا يضاهيه قول مخلوق كان أو يكون ، فهو بديع النظم ، عجيب التأليف

متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه ، ولذلك قيل : " البلاغة ، إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة "^(٥) .

(١) سورة البقرة ، بعض الآية (١٧٩) .

(٢) معترك الأقران (٢٢٧/١) .

(٣) معترك الأقران (٢٢٧/١) .

(٤) انظر هذه الوجوه وغيرها : السيوطي : معترك الأقران (٢٢٧/١-٢٣٠) .

(٥) الرماني : النكت في إعجاز القرآن (ص ٧٥-٧٦) .

فبلاغة القرآن الكريم معجزة ، إنما تتناول اللفظ والمعنى معاً ، إذ لا يتصور أن ينفك المعنى المعجز عن لفظ يحملته هو معجز أيضاً ، لأن الألفاظ هي ظروف المعاني التي تحملها وتحتويها ، فإذا كانت الألفاظ فصيحة جزلة ، وجب أن يتضمن ترتيبها وتأليفها بنظمها وضم بعضها إلى بعض معاني سامية هي تكميل لوجه إعجازها .

يقول الباقلاني : " ... فإن ادعى إعجازها لألفاظها ، ونظمها وتأليفها ، فإني لا أدفع ذلك ، وأصححه " (١) .

على أن الإمام عبدالقاهر الجرجاني يرى أن الإعجاز لا يتعلق بالكلم المفرد ، بل يتعلق بالتركيب والنظم الذي ينتج معنى معجزاً ، إذ أنه لو قيل إن الكلمات المفردة التي هي أوضاع اللغة هي التي يتعلق بها الإعجاز لزم أن يكون قد حدث لها وصف لم يكن موجوداً قبل نزول القرآن أوجب لها ذلك الإعجاز ، وهذا محال ، فلا يجوز أن يكون ذلك الوصف في الألفاظ المفردة التي هي بوضع اللغة لأنه يؤدي إلى أن يكون هذا الوصف قد تجدد في معنى الحمد ، الرب ، ومعنى العالمين ، والملك ، واليوم ، والدين ، وهذا وصف لم يكن قبل نزول القرآن ، وهذا إن كان صحيحاً لم يكن شئ أبعد من المحال منه (٢) .

ويؤكد الشيخ عبدالقاهر على هذا في موضع آخر فيقول : (إن الفصاحة ، والبلاغة ، وسائر ما يجري في طريقهما أوصاف راجعة إلى المعاني ، وإلى ما يُدل عليه بالألفاظ دون اللفاظ أنفسها) (٣) ويذهب يدلل الشيخ عبدالقاهر على هذا فيذكر أن المعارضة لا يتصور حصولها في الألفاظ ، لأن من جاء بلفظ فوضعه مكان لفظ آخر نحو : أن يقول بدل " أسد " " ليث " ، وبدل " بُعد " " نأى " ، وبدل " قُرب " " دنا " ، لم تكن هذه المعارضة ، والإلكان كل تفسير للألفاظ هو معارضة لها ، وعلى هذا فينبغي أن يُصار إلى أن المعارضة ترجع إلى جهة معاني الكلام المعقولة ، دون الألفاظ المسموعة (٤) .

ولكني أقول : إنه لولا تميز اللفظ في مفرداته وتركيبه لما تميز المعنى على غيره ، فلو قيل : " زيد كالأسد " كان تشبيهاً لزيد بالأسد ، ولكن إن قيل : " زيد أسد " كان المعنى أبلغ في هذه العبارة الثانية منه في العبارة الأولى ، وإنما تغير المعنى تبعاً لتغير تركيب الكلام ، إذا فالمعنى فرع عن تركيب اللفظ ، وما شرفت المعاني إلا بشرف بلاغة الألفاظ في تركيبها وترتيب بعضها على بعض .

وهكذا يقال في القرآن إن إعجازه في لفظه ، وفي معناه ولا يقال إن التحدي كان في المعنى دون اللفظ ، وإنما وقع التحدي كما هو معلوم على الإتيان بمثله ، لفظاً ومعنى ، وهذا هو الذي أعجز العرب ، ولذا كان القرآن الكريم بياناً ، وتبييناً لكل شئ ، قال تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) (٥) لكن بيان الإنسان مما يليق به كمخلوق أما بيان الله تعالى على ما يليق به جل وعلا وهو الخالق سبحانه فقد وصف القرآن بأنه بيان قال تعالى : (... هذا بيان

(١) إعجاز القرآن (ص ٣٤٤) .

(٢) انظر : دلائل الإعجاز (ص ٢٤٨) .

(٣) دلائل الإعجاز (١٧٢-١٧٣) .

(٤) انظر : السابق نفسه .

(٥) سورة الرحمن الآيات (١، ٢، ٣) .

للناس ... (١) ووصفه بأنه تبيان لكل شئ فقال تعالى : (... ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدي ورحمة ...) (٢) وقال : (بلسان عربي مبين ...) (٣) فكرر في مواضع أنه مبين ، فالقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه ، وطرقه وأبوابه ، من تعديل النظم وسلامته ، وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول ، وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ، ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسناً وبهجة وسناء ورفعة (٤) .

فالكلام إذا علا في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتأثير في النفوس ، ما يذهل ويبهج ، ويقلق ويؤنس ، ويطمع ويؤيس ، ويضحك ويبكي ، ويحزن ويفرح ، ويهز الأعطاف ، ويبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجوداً ، وكلام الله حاز المنزلة العليا من هذه الأوصاف فقد عجز العرب عن معارضته لمزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتبويه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة وبرهان ، وصفة وتبيان ، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشراً عشراً ، وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ، ولفظه ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أخرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول ، وأعجز الفحول ، ونظاماً والتزاماً ، واتقاناً وإحكاماً ، لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حك بنافوخه السماء - موضع طمع ، حتى خرست الألسن عن أن تدعي أو تقول ، وخلدت الأفهام فلم تملك أن تصول .

هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرتها هي أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وقد ذكر السيوطي وجوهاً آخر بلغت خمسة وثلاثين وجهاً ، فذكر من وجوه إعجازه : مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض ، وكذلك افتتاح السور وخواتمها وذكر فيها ما احتوى عليه القرآن في سورة من براعة الاستهلال ، وذكر كذلك من وجوه إعجازه وقوع ناسخه ومنسوخه ، وانقسامه إلى محكم ومتشابه ، وما احتواه من قراءات سبع متواترة ، وتقديم بعض ألفاظه وتأخيرها ، واحتواؤه على جميع لغات العرب ، وما فيه من عموم وخصوص ، وإجمال وتفصيل ، وما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وأحوال القرون السالفة ، وتيسير الله تعالى حفظه وتلاوته ، ووقوع التشبيه والاستعارة ، والكناية والتعريض والإيجاز والاطناب ، ووقوع البدائع البليغة فيه من الالتفات والاستدراك ، وغيرها من بدائع الأسلوب ، وكذلك احتواؤه على الخبر والإنشاء ، والوعد والوعيد ، وغير ذلك مما ذكره السيوطي من وجوه إعجازه .

وقد اقتصررت على ذكر الوجوه الثلاثة الأولى تفصيلاً ، لأن البعض قد ينازع في كون الوجوه الأخرى وجوهاً للإعجاز ومثال ذلك أن يقال - مثلاً - : إن من وجوه إعجازه احتواؤه على الأخبار الغيبية المستقبلية وكذلك إخباره بأحوال

(١) سورة آل عمران ، بعض الآية (١٣٨) .

(٢) سورة النحل ، بعض الآية (٨٩) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (١٩٥) .

(٤) انظر : الباقلائي : إعجاز القرآن (ص ٣٤٤-٣٤٥) .

الأمم السابقة وأيامها الخالية مما أصبح في عداد الغيبات المنسية التي لا يمكن معرفتها إلا من طريق هذا القرآن العظيم ، ولا شك أن هذا وجه من وجوه إعجازه وأنه من عند الله تعالى وليس من كلام أحد من البشر ، ولكن ليست جميع آيات القرآن الكريم تخبر بمغيبات مستقبلية أو ماضية ، وبمقتضى ذلك يمكن لقائل أن يقول ليس القرآن كله معجزاً ، لأن بعض الآيات تتضمن هذه الأخبار ، وبعضها الآخر لا يتضمن شيئاً من ذلك ، فما تضمنها فهو معجز ، وما لم يتضمن شيئاً منها فهو غيره معجز ، مع أن المعلوم المجمع عليه أن القرآن كله معجز ، وكل آية فيه معجزة ، وكل سورة كذلك لأن الله تعالى لما ذكر آيات التحدي لم يخصص شيئاً منه ، وإنما تحدى به كله أو بأي سورة منه ، ولم يعين سورة بعينها ، من أجل هذا فصلت القول في الوجوه الثلاثة الأولى لأنها وجوه جامعة للقرآن كله ، والباقي لا يعدو كونه دلائل على أنه من عند الله تعالى ، لأن النبي الأمي - عليه الصلاة والسلام - ما كان ليُدري شيئاً من هذه الغيوب إلا بإذن الله تعالى وإطلاعه عليها .

المطلب الثاني : أنه - ﷺ - خاتم النبيين

قال السيوطي : " أرسل (الله) تعالى رسله مؤيدين منه بالمعجزات الباهرة ، أي الظاهرة ، وختم بهم^(١) محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، كما قال تعالى : (... ولكن رسول الله وخاتم النبيين ...)^(٢) " ختم النبوة والرسالة بنبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وكذلك ختم الرسل والأنبياء به - عليهم جميعاً السلام - أمر مقرر بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فلا نبي بعد نبينا ورسولنا سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا رسول ، ولا نبوة بعد نبوته ولا رسالة .
- أما بالقرآن : فلقوله تعالى : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)^(٤) ففي هذه الآية الكريمة تصريح بخاتمته - صلى الله عليه وسلم - للأنبياء قبله ، فلا نبي بعده ولا رسول ، وهذا هو الذي فهمه أئمة المفسرين لكتاب الله تعالى من صدر الإسلام وحتى اليوم .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أباً زيد بن حارثة ولا أباً أحد من رجالكم الذين لم يُلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقاكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء " ^(٥) ثم روى عن قتادة في قوله تعالى : (وخاتم النبيين) . أي آخرهم^(٦) .

(١) هكذا العبارة عند السيوطي في رسالته : في علم التوحيد (مخطوط) لوحة رقم (٥) ، وصحة العبارة أن يقال : وختمهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لا أن يقال : ختم بهم محمداً - صلى الله عليه وسلم - .

(٢) سورة الأحزاب ، بعض الآية رقم (٤٠) .

(٣) رسالة في علم التوحيد ، لوحة رقم (٥) .

(٤) سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

(٥) جامع البيان (١٦/٢٢) .

(٦) جامع البيان (١٦/٢٢) وأورد هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور (٢٠٤/٥) عن عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وقال البغوي : " ختم الله به النبوة " وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : " يريد - أي الله تعالى - لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً " (١) .

وقال الزمخشري : " يعني أنه لو كان له ولد بالغ فبلغ مبلغ الرجال لكان نبياً ، ولم يكن هو خاتم الأنبياء " (٢) .

وقال ابن الجوزي : " من قرأ خاتم بكسر التاء فمعناه : وختم النبيين ، ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين " (٣) ثم أورد كلام ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي ذكره البغوي .

وقال القرطبي : " قال ابن عطية : هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفاً وسلفاً متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضيه نصاً أنه لا نبي بعده - صلى الله عليه وسلم - " (٤) .

وقال ابن كثير : " فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حديث جماعة من الصحابة - رضي الله عنه - " ثم ساق عدداً من الأحاديث (٥) وذكر المحلي في الجلالين أنه - صلى الله عليه وسلم - لا نبي بعده (٦) .

فهذه أقوال المفسرين ، مما نقلنا عنهم ، ومما لم ننقل لا يخرج كلامهم عن مثل هذا الذي نقلنا ، وكلهم متفقون على أن المراد بالآية ختم النبوة المحمدية ، وأن رسول الله محمد بن عبدالله هو آخر الأنبياء والمرسلين ، ولم يخالف أحد منهم في هذا .

أما أدلة السنة : في هذا فهي صريحة كذلك في تقرير ختم النبوة بنبوته سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من ذلك :

- ١- قوله - صلى الله عليه وسلم - : "... وإنه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي " (٧) .
- ٢- في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إليه - صلى الله عليه وسلم - فيقولون : " أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك... " (٨) .
- ٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون " (٩) .
- ٤- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل

(١) الحسين بن مسعود الغراء البغوي : معالم التنزيل (٥٦٥/٦) .

(٢) محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف (٢٣٩/٣) .

(٣) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي : زاد المسير (٣٩٣/٦) .

(٤) أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/١٤) .

(٥) أبو الفداء اسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٩٣/٣) .

(٦) تفسير الجلالين (١١٠/٢) .

(٧) سنن أبي داود (١٣٨/٤) ، سنن الترمذي (٤٦٦/٦) وقال الترمذي : حديث صحيح ، وسند أحمد (٢٧٨/٥) وله أصل في صحيح مسلم (٤/

٢٢١٥) وابن ماجه (١٣٠٤/٢) .

(٨) متفق عليه ، رواه البخاري في " صحيحه " (١٠٦/٦) ، ومسلم في صحيحه (١٨٤/١) .

(٩) البخاري في " صحيحه " (٢٠٦/٥) ، ومسلم في صحيحه (١٤٧١/٣) ، وأحمد في المسند (٢٩٧/٢) ، وابن ماجه في سننه (٩٥٨/٢) .

رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ^(١) .

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة - رضي الله عنهم - على قتال المتنبئين بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وسيروا الجيوش إلى قتالهم ، كما فعلوا مع مسيلمة وغيره ، ولو كانوا غير معتقدين بختم النبوة وانتهائها بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما تعجلوا في ذلك ولطالبوا المتنبئين بالدليل على دعوام تلك ، ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يعلمون علم اليقين أنه لا نبي بعد محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقد ذكر البغدادي أسباب تكفير بني حنيفة وبني أسد وأن من ذلك دعوام نبوة مسيلمة وطلحة فقال : " فأما المرتدون من بني حنيفة وبني أسد فإنهم كفروا من وجهين : أحدهما : إسقاط وجوب الزكاة ، والثاني : دعوام نبوة مسيلمة وطلحة " ^(٢) .

كما حكى البغدادي أيضاً إجماع علماء المسلمين على أن آخر الأنبياء هو رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - . فقال : " أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم - عليه السلام - وآخرهم عند المسلمين محمد - صلى الله عليه وسلم - " ^(٣) وقال أيضاً : " كل من أقر بنبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل ، وأقر بتأييد شريعته ، ومنع من نسخها " ^(٤) .

وهذا يبين مدى رسوخ هذه العقيدة في نفوس المسلمين من صدر الإسلام وعلى مدار التاريخ وحتى الآن ، ولا يزال علمائنا يؤكدون هذه العقيدة ، ويتصدون لمن يخالفها ، مما جعلها أمراً مجمعاً عليه ، ولا يسع أحداً الخروج عليه . كما أكد على هذا الإجماع القاضي عياض ^(٥) ، والغزالي أبو حامد ^(٦) ، وهو مقتضي كلام أبي عبد الله القرطبي ^(٧) وغيره . وإذا ذهبنا نستقصي كلام علماء أمة الإسلام في تقرير هذه العقيدة لطال بنا البحث وخرج عن مقصوده ، والذي يهمنا أن الجلال السيوطي واحد من هؤلاء العلماء الذين قد انعقد بهم الإجماع على عقيدة ختم النبوة بنبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

المبحث الثاني : خصائصه - ﷺ -

لقد اختص الله تعالى نبيه ورسوله - محمداً - صلى الله عليه وسلم - بخصائص عظيمة باهرة ، مشرقة إشراق البدر السافرة ، امتن سبحانه وتعالى عليه بها ، واختصه دون الأنبياء والمرسلين ، تفضيلاً وإكراماً ، وتبجيلاً وإعظاماً ، حتى كان إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، فهو إمامهم إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، صلوات الله تعالى عليه وعلى آله

(١) رواه البخاري في " صحيحه " (٢٢٦/٤) ، ومسلم في " صحيحه " (١٧٩٠/٤) ، وأحمد في " المسند " (٢٩٨/٢) ، والحميدي في " مسنده " (٤٤٨/٢) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص ٢٣١) .

(٣) أصول الدين (ص ١٥٩) ، والفرق بين الفرق (ص ٣٣٢) .

(٤) أصول الدين (ص ١٦٢) .

(٥) انظر : الشفا (٢/٢٧١) .

(٦) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٢٥) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/١٤) .

وصحبه، وأنصاره وحزبه، والتابعين من تبعهم إلى يوم الدين .

والسيوطي صنف مصنفاً ضخماً في خصائصه - صلى الله عليه وسلم - سماه " الخصائص الكبرى " أو " كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب " (١) ، جمع فيه كثيراً من الأخبار فيها الصحيح والضعيف والموضوع ، ولسوف اقتصر هنا على بعض ما صح نقله في هذا الكتاب .

فمن هذه الخصائص :

الأولى : أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به (٢) :

قال تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٣) ورد في تفسير هذه الآية الكريمة :

١- أن علياً وابن عباس قالوا : لم يبعث الله عز وجل نبياً ، آدم فما بعده ، إلا أخذ عليه العهد في محمد ، لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة...) (٤) الآية (٥) .

٢- وعن قتادة قال : " هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ويصدقوه وينصروه " (٦) .

٣- وعن السدي قال : " لم يبعث الله عز وجل نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولننصرنه إن خرج وهو حي ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ، ولننصرنه إن خرج وهم أحياء " (٧) .

قال السيوطي : " واذكر (إذ) حين (أخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق ، وكسرهما متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أي الذي (آتيتكم) إياه ، وفي قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم إن أدركتموه وأمهم تبع لهم في ذلك (قال) تعالى لهم (أقررتم) بذلك (وأخذتم) قبلتم (على ذلكم إصري) عهدي (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) على أنفسكم وأتباعكم بذلك (وأنا معكم من الشاهدين)

(١) حققه فضيلة الشيخ الدكتور - محمد خليل هراس - رحمه الله - ونشره دار الكتب الحديثة بالقاهرة - مصر ، بدون طبعة ولا تاريخ .

(٢) انظر : الخصائص الكبرى (٢٢/١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٨١) .

(٤) ابن جرير : جامع البيان (٣٣٢/٣) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٥٩/٢) ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٨٠/٤-٨١) ، والسيوطي : الدر المنثور (٢٥٢/٢-٢٥٣) .

(٥) سورة آل عمران ، بعض الآية (٨١) .

(٦) ابن جرير : جامع البيان (٣٣٣/٣) ، والسيوطي : الدر المنثور (٢٥٣/٣) .

(٧) ابن جرير : جامع البيان (٣٣٢/٣) ، والسيوطي : الدر المنثور (٢٥٣/٣) ، والخصائص الكبرى (٢٢/١) .

عليكم وعليهم" (١) .

وهذا الذي ذكرته في الآية أحد وجهي تفسيرها والوجه الثاني : أن المقصود بالآية : أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويأمر بعضهم بالإيمان بعضاً ، فذلك معنى النصرة بالتصديق ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وطاووس ، والحسن ، وروى عن قتادة والسدي (٢) قال القرطبي : " وهو ظاهر الآية ، قال طاووس : أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخر " (٣) .

الثانية : عموم بعثته إلى جميع الإنس والجن :

حكى السيوطي الإجماع على أنه - صلى الله عليه وسلم - مبعوث إلى جميع الإنس والجن (٤) .
ولذلك فلا يشك عاقل أنه من بدهيات الإسلام أن رسول الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - أرسل للناس كافة أحمرهم وأبيضهم وأسودهم ، وليس لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم ، يدل لذلك قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً...) (٥) وقوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً...) (٦) والدلالة في هاتين الآيتين صريحة في اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بإرساله إلى عموم البشر ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - رسول الله إلى الناس جميعاً ، وكما أنه رسول الله إلى جميع الناس في عصره ، فهو كذلك رسوله المرسل إلى جميع الناس في جميع العصور والأزمان من بعده ، قال تعالى : (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ...) (٧) فكل من بلغه هذا الكتاب العظيم فهو مطالب بالإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبكتابه وبدينه وشريعته (٨) ، فيجب على كل أحد الإيمان به واتباعه وحبّه وتعظيمه وتوفيره ، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه حتى يفوز بخيري الدنيا والآخرة .
وقد وردت أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - تؤيد عمومية بعثته إلى جميع البشر فمن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : " ...وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " (٩) وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ...وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون " (١٠) وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ...وبعثت إلى الأحمر والأسود " (١١)

(١) الجلالين (ص ٧٠) .

(٢) انظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٨٠/٤)، ابن جرير: جامع البيان (٣٣١-٣٣٢) السيوطي: الدر المنثور (٢٥٢/٣) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨٠/٤) .

(٤) انظر: الخصائص (١٣٧/٣) .

(٥) سورة سبأ ، بعض الآية (٢٨) .

(٦) سورة الأعراف ، بعض الآية (١٥٨) .

(٧) سورة الأنعام ، بعض الآية (١٩) .

(٨) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٢٤٠/٣) .

(٩) رواه البخاري في " صحيحه " (٩١/١) ، والنسائي في " سننه " (٢٠٩/١) ، والدارمي في " سننه " (٣٢٢/١) .

(١٠) رواه مسلم في " صحيحه " (٣٧١/١) ، وأحمد في " المسند " (٤١٢/٢) .

(١١) رواه الإمام أحمد في " المسند " (١٤٥/٥) وقال في مجمع الزوائد (٢٥٩/٨) رجاله رجال الصحيح ، وأبو داود الطيالسي في " مسنده "

بترتيب البنا المسمى بمنحة المعبود (١٢٢/٢) .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ...أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم... " (١) .

فهذه الأحاديث تدل على عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم - لكافة الناس ، من غير استثناء أو تقييد بزمان دون زمن ، مما يؤكد أن المراد بذلك العموم ، هو عموم مكاني بحيث لا يخرج عنه مكان في الأرض كلها ، وعموم زماني كذلك بحيث يمتد منذ وجوده - صلى الله عليه وسلم - إلى قيام الساعة ، وهذه خصوصية من خصائصه - ﷺ -

الثالثة : أنه رحمة للعالمين :

كان إرساله - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ، وهذا صريح قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٢) .

قال السيوطي : " اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بأنه بعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الأمم المكذبة " (٣) .

وورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قيل يا رسول الله ادع على المشركين ، قال : " إنني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة " (٤) .

قال ابن كثير : " فإن قيل : فأى رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر ابن جرير : حدثنا اسحاق بن شاهين ، حدثنا اسحاق الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له : سعيد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف " (٥) .

الرابعة : أنه - صلى الله عليه وسلم - أكثر الأنبياء تابعا :

لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أوتي جوامع الكلم من القرآن والسنة ، وكانت صحبة قوية دامغة ، وبرهانه ساطعا كثر أتباعه والمؤمنون به ليتقنهم من صدقه وأمانته ، وأنه رسول مرسل بالحق من قبل الله جل وعلا ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : " ما من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته

(١) رواه أحمد في " المسند " (٢٥٦/٥) وقال الهيثمي : رجاله ثقات (٣٦٧/١٠) من مجمع الزوائد ، وقال أحمد شاكر : " اسناده صحيح " ، (١٣/٢٦) من المسند بتحقيقه .

(٢) سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

(٣) الخصائص (١٣٧/٣) .

(٤) انفرد بإخراجه مسلم في " صحيحه " كتاب البر ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٠٠٦/٤) رقم (٨٧) ، وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣٨٠/٥) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٨٢/٥) ، وابن جرير : جامع البيان (١٠٦/١٧) قال ابن كثير : " وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث المسعودي عن أبي سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس فذكر بنحوه ، والله أعلم ، وقد رواه أبو القاسم الطبراني عن عبدان بن أحمد عن عيسى بن يونس الرملي ، عن أيوب بن سويد ، عن المسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال : من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلي به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف " انظر تفسير القرآن العظيم (٣٨٢/٥) .

وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" (١) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " قوله : فأرجو أن أكثرهم تابعاً يوم القيامة) رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته ، وعموم نفعه ، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون ، فعم نفعه من حضر ومن غاب. ومن وجد ومن سيوجد ، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك وهذه الرجوى قد تحققت ، فإنه أكثر الأنبياء تبعاً" (٢) .

وقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أيضاً أنه قال : " أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً" (٣) وقال أيضاً : " أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة" (٤) وكونه - صلى الله عليه وسلم - أول من يقرع باب الجنة هي خصوصية أخرى له - صلى الله عليه وسلم - .

الخامسة : أنه أعطى خمساً لم يعطهن نبي قبله :

خصه الله تعالى بخمسة أشياء لم يعطها لأحد من الأنبياء السابقين وردت في قوله - صلى الله عليه وسلم - " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة" (٥) فهذه رواية البخاري ، وأما رواية مسلم فهي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : " فضلت على الأنبياء بست ... فذكر أربعاً من هذه الخمس ، وزاد اثنتين ، وهما قوله : " أعطيت جوامع الكلم ، وختم بي النبيون " فأما ختم النبيين بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد سبق الحديث عنه في المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا الفصل ، وأما جوامع الكلم فهي أيضاً من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - ، وردت في أحاديث أخر رواها البخاري (٦) ومسلم (٧) وغيرهما (٨) وفي قوله - صلى الله عليه وسلم - : " نصرت بالرعب مسيرة شهر " هو بأن يقذف الله تعالى الرعب في قلوب أعدائه قبل أن يأتي إليهم أو يأتوا إليه بمدة شهر (٩) ، قال ابن حجر - رحمه الله - : " وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته من بعده ؟ فيه احتمال" (١٠)

(١) متفق عليه ، سبق تخريجه في الكلام على معجزة القرآن .

(٢) فتح الباري (٧/٩) .

(٣) رواه مسلم في " صحيحه" (١٨٨/١) كتاب الإيمان (١) باب (٨٥) ح رقم (٣٣٠) .

(٤) نفسه .

(٥) انظر الخصائص (٣/١٦١، ١٥٦، ١٥٤، ١٥٣، ١٣٤) .

(٦) رواه البخاري في " صحيحه" كتاب التيمم (٧) باب (١) رقم (٣٣٥)، الفتح (٤٣٥، ٤٣٦/١) كتاب الصلاة (٨) باب (٥٦) رقم (٤٣٨) الفتح (١/٥٣٣) ورواه مسلم في " صحيحه" (٣٧٠/١) كتاب المساجد (٥) رقم (٣) على اختلاف في الترتيب بينه وبين رواية البخاري ، وقال ابن حجر في الفتح " مدار هذا الحديث على هشيم بهذا الاسناد وله شواهد من حديث ابن عباس وأبي موسى وأبي ذر من رواية عمر وابن شعيب عن أبيه عن جده رواها كلها أحمد بأسانيد حسان " الفتح (٤٣٦/١) .

(٧) الحديث رقم (٢٩٧٧) و (٦٩٩٨) و (٧٠١٣) .

(٨) الحديث رقم (٥٢٣) .

(٩) رواه أيضاً الإمام أحمد في " مسنده" (٢٥٠، ٢٦٤/٢) ، والترمذي رقم (١٥٥٣) ، والنسائي (٤-٣/٦) .

(١٠) انظر : ابن حجر : الفتح (٤٣٧/١) .

(١١) نفسه .

- وقد جعل الله تعالى له - صلى الله عليه وسلم - الأرض كلها مسجداً يصلي هو وأمته حيث أدركتهم الصلاة ، وكانت الأمم قبلنا لا يصلون إلا في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع وكذلك جعل له تربتها طهوراً ، أي مطهراً لغيره ، بمعنى أنه يرفع الحدث عند عدم الماء ، أي بالتيمم ، كما ورد في حديث حذيفة - رضي الله عنه - : " وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء " (١) .

- وأما الغنائم فقد أحلت له - صلى الله عليه وسلم - ولأمته من بعده ، ولم يكن ذلك لأحد من قبله ، وقد كان الأمم المتقدمة على ضربين : منهم لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم غنائم ، ومنهم من أذن له فيه لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه ، وجاءت نار فأحرقته (٢) .

- وأما الشفاعة ، فالمقصود بها الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف ولا خلاف في وقوعها ، جزم بذلك غير واحد من العلماء (٣) .

ورد حديث الشفاعة العظمى من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بمن ؟ ، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويُسْمِعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم ؟ ألا تنتظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم . فيأتونه ، فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة فعصيت . نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح... " الحديث (٤) وفيه أنهم يذهبون إلى نوح - عليه السلام - ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى يأتون إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيسجد تحت العرش فيقال له : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع ، وسل تعطه ، وهذه الشفاعة كما هو واضح من نص الحديث أنها خصوصية من خصائصه - عليه الصلاة والسلام - كما ذكر السيوطي (٥) وابن خزيمة (٦) وغيرهما .

السادسة : أن كتابه معجز :

اختص الله تعالى نبيه وحبيبه محمداً بالكتاب العزيز ، القرآن الكريم الذي أعجز الانس والجن أن يأتوا بمثله فهو كتاب معجز ، محفوظ من التبديل والتخريف على مر الدهور ، جامع لكل ما يحتاجه البشر من الهداية والارشاد والتشريع (

(١) رواه مسلم في " صحيحه " (٣٧١/١) كتاب المساجد (٥) رقم (٤) .

(٢) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٣٨/١) .

(٣) انظر : فتح الباري (٤٣٨/١) .

(٤) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الأنبياء (٦٠) باب (٣) رقم (٣٣٤٠) الفتح (٣٧١/٦) كتاب التفسير (٦٥) باب (٥) رقم (٤٧١٢) الفتح (٨/

٣٩٥) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (١٨٤/١) كتاب الإيمان (١) باب (٨٤) رقم (٣٢٧) ، والترمذي (٦٢٢/٤) ، وأحمد (٤٣٥/٢) .

(٥) انظر : الخصائص (٢٢٣/٣) .

(٦) التوحيد (٥٨٩/٢-٥٩٦) .

وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً... (١) أي صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأحكام ، وأنه كتاب مستغن عن غيره ، ميسر للحفظ والذكر ، نزل منجماً على سبعة أحرف (٢) ، وقد تعهد الله تعالى بحفظه ، وأخبر أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد تكلمنا عن إعجاز القرآن فيما مضى في بحث المعجزات .

السابعة : اختصاصه بالفاتحة وخواتيم سورة البقرة :

ورد في الحديث الصحيح أن الله تعالى آتاه - صلى الله عليه وسلم - سورة الفاتحة ، وخواتيم سورة البقرة ، ولم يؤتها أحداً من الأنبياء قبل كما روى أنهما من كنز تحت العرش (٣) .

أورد السيوطي في ذلك حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً (٤) فوقه ، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال : " هذا باب قد فتح من السماء ، ما فتح قط ، قال فنزل منه ملك ، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته " (٥) .

وعن عقبة بن عامر الجهني قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فإني أعطيتها من تحت العرش " (٦) .

ويدل على خصوصيته بهما ما ورد في حديث حذيفة وفيه : " ... لم يعطها أحد قبلي ، ولا يعطاها أحد بعدي " (٧) ، وكذلك في حديث ابن عباس .

الثامنة : اختصاصه بليلة القدر :

ذكر السيوطي أن ليلة القدر مما اختص الله تعالى به نبيه - صلى الله عليه وسلم (٨) - بل نقل الإجماع على هذا عن بعض العلماء ، فقد نقل عن الإمام النووي - رحمه الله قال : " ليلة القدر مختصة بهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً ، لم تكن لمن قبلنا ، قال مالك في الموطأ : بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرى أعمال الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك ، فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغه غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر " (٩) قال السيوطي : " وله شواهد بينتها في التفسير المسند " (١٠) قال الحافظ ابن كثير : وهذا الذي قاله مالك

(١) سورة الأنعام ، بعض الآية (١١٥) .

(٢) انظر : الخصائص (١٢٧/٣) .

(٣) انظر : الخصائص (١٣٣/٣ ، ١٦٦) .

(٤) النقيض : الصوت .

(٥) رواه مسلم في " صحيحه " (٥٥٤/١) كتاب الإيمان (١) باب (٤٣) رقم (٢٥٤) ، والنسائي في " سننه " كتاب الصلاة (١) ، أحمد في " المسند " (١٥١، ١٨٠/٥) ، (٣٨٧، ٤٢٢/١) .

(٦) أحمد في " مسنده " (١٤٧/٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٠٦/١) ثم قال : " هذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه في كتبهم " وعزاه السيوطي في " الدر المنثور " (١٣٧/٢) إلى أبي عبيد ، ومحمد بن نصر ، وأورده أيضاً في الخصائص (١٦٦/٣ ، ١٣٣) .

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٠٦/١) .

(٨) الخصائص الكبرى (١٩٢/٣ - ١٩٣) .

يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب " العدة " أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فانه أعلم ، وحكى الخطابي عليه الإجماع ^(١) وفي هذا الإجماع الذي حكاه الخطابي - رحمه الله - نظر ، فقد ذكر ابن كثير خلافاً في هذه الخصوصية ، وما حكاه صاحب " العدة " من أن الجمهور على القول بالخصوصية دليل على وجود المخالف ، ولذلك قال ابن كثير ك " اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة ، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين ... والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضية كما هي في أمتنا " ^(٢) .

التاسعة : اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بالإسراء :

قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) ^(٣) هذه الآية الكريمة صريحة في وقوع الإسراء لنبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بجسده وروحه الشريفيين ، يقظة لا مناماً ، فقد ابتدئت بكلمة (سبحان) التي تدل على أن ما بعدها أمر عجيب الشأن ، والإسراء بالروح وحدها أمر عادي لا عجب فيه ثم قال تعالى : (أسرى بعبده) والإسراء السير ليلاً ، والعبد اسم للشخص الذي هو مجموع الروح والجسد ، ولو كان الإسراء بالروح فقط لقال تعالى : روح عبدنا ، ثم قال جل وعلا : (لنريه من آياتنا) ليدل على أنه لا بد أن تكون الرؤية بصرية ، فإن الرؤيا في النوم تقع لكل أحد فلا تظهر فيها خصوصية له - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا فالإيمان بالإسراء واجب ، وأما المعراج وهو الرحلة السماوية فهي ثابتة بالأحاديث الصحيحة التي يفيد مجموعها التواتر وتدلل عليه كذلك الآيات من أور سورة النجم .

قال السيوطي : " أعلم أن الإسراء ورد مطولاً ومختصراً من حديث :

- أنس .
- وأبي بن كعب .
- وبريدة .
- وجابر بن عبدالله .
- وحذيفة بن اليمان .
- وسمرة بن جندب .
- وسهل بن سعد .
- وشداد بن أوس .
- وصهيب .
- وابن عباس .
- وابن عمر .
- وابن مسعود .
- وعبدالله بن أسعد بن زرارة .
- وعبدالرحمن بن قرط .
- وعلي بن أبي طالب .
- وعمر بن الخطاب .
- ومالك بن صعصعة .
- وأبي أمامة .
- وأبي أيوب الأنصاري .

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٨) .

(٣) سورة الاسراء الآية (١) .

- وأبي ذر . - وأبي سعيد الخدري .
- وأبي سفيان بن حرب . - وأبي ليلي الأنصاري .
- وأبي هريرة . - وعائشة .
- وأسماء ، بنتي أبي بكر . - وأم هانئ .
- وأم سلمة - رضي الله عنهم جميعاً - (١) .

ثم أورد السيوطي أحاديث هؤلاء الصحابة جميعاً ، ومنها ما هو في الصحيحين ، ومنها ما هو في أحدهما ، وبقيتها في كتب السنن والمسانيد ، وأنا أورد هنا بعض ما صح من هذه الأحاديث لإثبات المطلوب وهو بيان خصوصيته - صلى الله عليه وسلم - بهذه المنقبة العظيمة .

١- حديث أنس - رضي الله عنه - :

- روى مسلم من طريق ثابت البناني عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أتيت بالبراق^(٢) (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس^(٣) . قال ، فربطته بالحلقة^(٤) التي يربط به الأنبياء . قال ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين . ثم خرجت . فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن . فاخترت اللبن . فقال جبريل - صلى الله عليه وسلم - اخترت الفطرة^(٥) " الحديث^(٦) .

وهذا القدر من الحديث يثبت إسراء النبي - صلى الله عليه وسلم - كما هو واضح وهو حديث طويل وبقيته تثبت معراج عليه الصلاة والسلام إلى السموات العلى ، فبعد هذا القدر المذكور بقول : " ثم عَرَجَ بنا إلى السماء... إلخ . وأخرجه البخاري وابن جرير من طريق شريك بن عبدالله بن أبي نمر عن أنس قال : " ليلة أُسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال أحدهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر

(١) الخصائص الكرى (٣٧٨/١) .

(٢) " أتيت بالبراق " قال أهل اللغة : البراق اسم الدابة التي ركبها - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء .

(٣) " بيت المقدس " قال أبو علي الفارسي : لا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً . فإن كان مصدراً كان كقوله تعالى : إليه مرجعكم ، ونحوه من المصادر . وإن كان مكاناً فمعناه بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة . أو بيت مكان الطهارة . وتطهير إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها .

(٤) " فربطته بالحلقة " قال صاحب التحرير : المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس .

(٥) " اخترت الفطرة " فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة . ومعناه ، والله أعلم ، اخترت علامة الإسلام والاستقامة . وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً سائغاً للشاربين ، سليم العاقبة . وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمال .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان (١) باب (٧٤) رقم {٢٥٩-١٦٢} انظر (١/٤٥٠) ، ورواه الإمام أحمد في " المسند " بهذا

السياق (٣/٢٨٦، ١٤٨٠) ، قال : حدثنا حسن ابن موسى ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البناني عن أنس ابن مالك ... الحديث .

زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمةً ، فحشا به صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء " الحديث ^(١) .

٢- حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - :

- عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لما كذبتني قریش حين أسرى بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " ^(٢) .

٣- حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - :

قال : " لما أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتهى إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة ، إليها ينتهي ما يُعرج به... " ^(٣) .

٤- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - :

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لقد رأيتني في الحجر وقریش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكُربتُ كرباً ما كُربتُ مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به " ^(٤) .

العاشره : أنه سيد ولد آدم - عليه السلام - وأول من ينشق عنه الأرض وأول من يجيز على الصراط :

عد ذلك السيوطي من خصائصه ^(٥) ، وهو كذلك دليله قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع " ^(٦) .
وأما إنه أول من يجيز على الصراط فلقوله - صلى الله عليه وسلم - " يضرب الصراط بين ظهرائي جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته " ^(٧) .

-
- (١) البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد (٩٧) باب (٣٧) رقم (٧٥١٧) انظر الفتح (٤٧٨/١٣) ، كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٦) رقم (٢٢٠٧) الفتح (٣٠٢) من طريق قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة - رضي الله عنهما - ورواه ابن جرير في تفسيره (٣/١٥) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (١٤٨/١) كتاب الإيمان (١) باب (٧٤) رقم (٢٦٢، ٢٦٤) .
- (٢) رواه البخاري في " صحيحه " مناقيل الأنصار (٦٣) باب (٤١) رقم (٣٨٨٦) الفتح (١٩٦/٧) ، ورواه مسلم في صحيحه (١٥٦/١) رقم (٢٧٦) .
- (٣) رواه مسلم في " صحيحه " (١٥٧/١) كتاب الإيمان (١) باب (٧٦) في ذكر سدره المنتهى حديث رقم (١٧٩) ، من طريق مرة الهذلي . وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن طريق الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة ، ثم قال : " وهذا الذي ذكره عبدالله بن مسعود طرف من حديث المعراج .
- (٤) رواه مسلم في " صحيحه " (١٥٦/١) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، كتاب الإيمان (١) باب (٧٥) ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، رقم (٢٧٨) .
- (٥) انظر : الخصائص (٢٢٠، ٢٤٠، ٢٤١/٣) .
- (٦) رواه مسلم في " صحيحه " (١٧٨٢/٤) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٢) رقم (٢٢٧٨) ، وأورده السيوطي في الخصائص (٢٢٠/٣) . ورواه أبو داود في " سننه " (١٣) ، ابن ماجه في " سننه " كتاب الزهد (٣٧) وأحمد في " المسند " (٥/١) .
- (٧) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الأذان (١٠) باب (١٢٩) رقم (٨٠٦) انظر الفتح (٢٩٢/٢) ، وأحمد في " المسند " (٢٩٣/٢) . وأورده السيوطي في الخصائص (٢٤٠/٣) .

الحادية عشرة : أنه أول من يخلق من الصلوة :

ذكرها السيوطي واستدل عليها بقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ... لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان موسى فيمن صَعِقَ فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل " (١) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - أيضاً : " يصعق الناس حين يصعقون ، فأكون أول من قام... " (٢) الحديث .

الثانية عشرة : أن الله تعالى لم يناده في القرآن الكريم باسمه بل بألقبه :

ذكر السيوطي أن من خصائصه - عليه الصلاة والسلام - أن الله تعالى لم يخاطبه في القرآن الكريم باسمه المجرد بل خاطبه بلقب من ألقابه ، كما قال تعالى يخاطب نبيه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - : " يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " (٣) وقال تعالى : (يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال ...) (٤) وقال تعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ...) (٥) (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم...) (٦) (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين...) (٧) (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (٨) (يا أيها النبي إنا أحلّلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك...) (٩)

(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) (١٠) (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك...) (١١) (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن...) (١٢) (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك...) (١٣) وفي خطاب الله تعالى لزوجاته - رضي الله عنهن - لم يقل لهن يا

(١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٣) رقم (٦٥١٧) ، انظر الفتح (٣٦٧/١١) ، ورواه في كتاب الخصومات (٤٤) باب

(١) رقم (٢٤١١) ، (٢٤١٢) الفتح (٧٠/٥) ، وكتاب التوحيد (٩٧) باب (٣١) رقم (٧٤٧٢) الفتح (٤٤٧/١٣) .

- ورواه مسلم - (١٨٤٣-١٨٤٤) كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤٢) ، رقم (١٥٩،١٦٠،١٦١،١٦٢) ، وأبو داود في " سننه " كتاب

السنة ، باب (١٣) ورواه أحمد في " المسند " (٢٦٤/٢) ، (٤١/٣) .

(٢) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٣) رقم (٦٥١٨) الفتح (٣٦٧/١١) .

(٣) سورة الأنفال الآية (٦٤) .

(٤) سورة الأنفال ، بعض الآية (٦٥) .

(٥) سورة الأنفال ، بعض الآية (٧٠) .

(٦) سورة التوبة ، بعض الآية (٧٣) ، سورة التحريم ، بعض الآية (٩) .

(٧) سورة الأحزاب ، بعض الآية (١) .

(٨) سورة الأحزاب الآية (٤٥) .

(٩) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٥٠) .

(١٠) سورة الأحزاب الآية (٥٩) .

(١١) سورة الممتحنة ، بعض الآية (١٢) .

(١٢) سورة الطلاق ، بعض الآية (١) .

(١٣) سورة التحريم ، بعض الآية (١) .

نساء محمد ، إنما قال تعالى : (يا نساء النبي...)^(١) وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...)^(٢) وغيرها ، وقال : (يا أيها المزمل)^(٣) ، (يا أيها المدثر)^(٤) أما سائر الأنبياء - عليهم السلام - فخاطبهم بأسمائهم دون الألقاب كما قال تعالى : (... يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك...)^(٥) ، (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا...)^(٦) (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة...)^(٧) ، (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي...)^(٨) (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك...)^(٩) ، (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض...)^(١٠) (يا زكريا إنا نبشرك بغلام...)^(١١) ، (يا يحيى خذ الكتاب بقوة...)^(١٢) .

ولا شك أن خطاب الله تعالى لحبيبه محمد - صلى الله عليه وسلم - بالألقاب الشريفة التي وردت في الآيات ، دون خطابيه باسمه المجرد ، فيه معنى الإعزاز والتكريم والتشريف ، وإنه لأعظم تشريف وتكريم إن كان من الله تعالى لأحد من خلقه ، ومن هذا تتضح الخصوصية التي اختصه الله تعالى بها .

الثالثة عشرة : تحريم ندائه باسمه على الأمة :

من تكريم الله تعالى لنبيه ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أنه حرم تعالى على أمته مناداته باسمه الشريف مجرداً وإذا كان الله تعالى لم يناده باسمه الشريف مجرداً ، تكرماً منه تعالى وتشريفاً فمن باب أولى ألا يناديه أحد من البشر باسمه المجرد بل بلقب من ألقابه الشريفة التي تدل على التعظيم والتوقير .

قال السيوطي : " ومن خصائصه تحريم ندائه باسمه على الأمة بخلاف سائر الأنبياء فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم " ^(١٣) .

قال الله جل وعلا : (... قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)^(١٤) ، وقال تعالى : (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين)^(١٥) . أما رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد قال الله تعالى في حقه : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء

(١) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٣٢) .

(٢) سورة المائدة ، بعض الآية (٦٧) .

(٣) سورة المزمل الآية (١) .

(٤) سورة المدثر الآية (١) .

(٥) سورة سينا هود - عليه السلام - ، بعض الآية (٤٨) .

(٦) سورة الصافات ، بعض الآية (١٠٤) ، بعض الآية (١٠٥) .

(٧) سورة البقرة ، بعض الآية (٣٥) وسورة الأعراف ، بعض الآية (١٩) .

(٨) سورة الأعراف ، بعض الآية (١١٤) .

(٩) سورة المائدة ، بعض الآية (١١٠) .

(١٠) سورة ص ، بعض الآية (٢٦) .

(١١) سورة مريم - عليها السلام - ، بعض الآية (٧) .

(١٢) سورة مريم - عليها السلام - ، بعض الآية (١٢) .

(١٣) الخصائص الكبرى (١٤١/٣) نقله عن أبي نعيم .

(١٤) سورة الأعراف ، بعض الآية (١٣٨) .

(١٥) سورة المائدة الآية (١١٢) .

بعضكم بعضاً... (١).

فهذا نهى منه سبحانه أن ينادوه باسمه أو بكنيته ، كأن يقولوا : يا محمد ، أو يا أبا القاسم ، بل ينادوه بما فيه تشريف له - صلى الله عليه وسلم - قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبا القاسم ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - قال : فقالوا : يا رسول الله ، يا نبي الله " (٢) وهو قول الضحاك ، وقتادة ، ومقاتل ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن (٣) . وهو أحد الوجهين في تأويل الآية الكريمة . والوجه الثاني : أن معنى الآية : لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره فإن دعاءه مستجاب فافادحروا أن يدعو عليكم فتهلكوا (٤) . حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، والحسن البصري ، وعطية العوفي (٥) ، واختار هذا الوجه ابن جرير - رحمه الله - ورجح ابن كثير الوجه الأول وهو الذي أراه راجحاً ، ذلك لأن قول القائل : دعا زيد عمراً ، غير قوله : دعا عليه ، فدعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - مناداته ، بدليل قوله تعالى : (كدعاء بعضكم بعضاً) ولم يقل كدعاء بعضكم على بعض فإذا تعدى الفصل بنفسه كان في معنى النداء ، كقوله ادع فلاناً ، والله تعالى أعلم .

الرابعة عشرة : أقسام الله تعالى بحياته - صلى الله عليه وسلم - :

أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بحياة رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - اعتبر السيوطي هذا من خصائصه - عليه الصلاة والسلام (٦) - قال الله تعالى : (لعمرك إنهم لمن سكرتهم يعمهون) (٧) يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش (... في سكرتهم يعمهون) (٨) يقول : لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون (٩) ، يقول ابن كثير - رحمه الله - : " أقسم تعالى بحياة نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - وفي هذا تشريف عظيم ، ومقام رفيع وجاه عريض " (٩) روى ابن جرير - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد - صلى الله عليه وسلم - وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره " (١٠) وروى أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد - صلى

(١) سورة النور ، بعض الآية (٦٣) .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٩٦/٦) ، وعزاه السيوطي في " الدر المنثور " (٢٣٠/١٨) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل

(٣) انظر : ابن جرير : جامع البيان (١٧٧/١٨) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٩٦/٦) ، والسيوطي الدر المنثور (٢٣١/١٨) .

(٤) انظر : ابن جرير : جامع البيان (١٧٧/١٨) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٩٧/٦) .

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٩٧/٦) .

(٦) انظر : الخصائص (١٣٨/٣) .

(٧) سورة الحجر الآية (٧٢) .

(٨) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٤٤/١٤) .

(٩) تفسير القرآن العظيم (٤٦٠/٤) .

(١٠) جامع البيان (٤٤/١٤) ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٦٠/٤) ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٠) ، وعزاه السيوطي في

" الدر المنثور " (٨٩/١٤) إلى ابن أبي شيبة ، والحرث بن أبي أسامة ، وأبي يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ،

والبيهقي معاني الدلائل ، وفي الخصائص (١٣٨/٣) لابن عساكر .

الله عليه وسلم - قال : وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا (إنهم لفي سكرتهم يعمهون)^(١) ولهذا ذهب المفسرون فقد قالوا : أقسم الله تعالى ها هنا ب حياة رسوله ومصطفاه محمد - صلى الله عليه وسلم - تشريفاً له وتكريماً وتعظيماً لشأنه ، وقد حكى القاضي عياض اجماع أهل التفسير على ذلك^(٢) ، وأصل كلمة (لعمرك) ضم العين ، من العمر ، ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ، وفي هذا نهاية التعظيم ، وغاية البر والتشريف^(٣) .

الخامسة عشرة : إسلام قرينه من الجن :

ذكر السيوطي أن الله تعالى اختص نبيه - صلى الله عليه وسلم - بإسلام قرينه من الجن^(٤)، وذكر في ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن " قالوا : وإياك يا رسول الله ، قال : " وإياي . إلا أن الله أعانني عليه فأسلم . فلا يأمرني إلا بخير "^(٥) وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج من عندها ليلاً ، قالت : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : " مالك يا عائشة ! أغرت ؟ " فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أقد جاءك شيطانك ؟ " قالت : يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال : " نعم " قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : " نعم " قلت : ومعك ؟ يا رسول الله ، قال : " نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم "^(٦) .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الأول : " إلا أن الله أعانني عليه فأسلم " وفي الثاني : " حتى أسلم " روى " أسلم " بضم الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته ، أي يكتب الله لي السلامة من وسوسته بالشر ، ومن فتح الميم قال : إن القرين أسلم ، من الإسلام ، وصار مؤمناً فلا يأمرني إلا بخير . واختلفوا في الأرجح منهما ، فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضي عياض الفتح واختاره الإمام النووي - رحمه الله - وذلك لقوله - صلى الله عليه وسلم - : " فلا يأمرني إلا بخير "^(٧) . واختلفوا على رواية الفتح : قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد ، وقيل معناه : صار مؤمناً وهذا هو الظاهر . قال القاضي عياض - رحمه الله - " واعلم " أن الأمة مجمعة على عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الشيطان وكفايته منه ، لافي جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوساوس "^(٨) .

ومن فوائد هذا الحديث الإشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا - صلى الله عليه وسلم -

(١) جامع البيان (٤٤/١٤) .

(٢) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٢٧/١٠) .

(٣) انظر : السابق نفسه .

(٤) انظر : الخصائص (١٣٩/٣) .

(٥) رواه مسلم في " صحيحه " (٢١٦٧/٤) كتاب صفة القيامة "كتاب صفات المنافقين وأحكامهم" (٥٠) باب (١٦) رقم (٦٩-٢٨١٤) وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٥٥٨/٨) ، ورواه أحمد في " مسنده " (١/٤٦٠، ٤٠١، ٣٩٧، ٣٨٥) .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " (٢١٦٨/٤) كتاب صفة القيامة من كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) ، باب (١٦) رقم (٧٠-٢٨١٥) .

(٧) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/١٧) ، والقاضي عياض : الشفا (٧٣/٢) .

(٨) الشفا (٧٣٥/٢) .

بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان أما إسلام قرينه - صلى الله عليه وسلم - فهي خصوصية له ، ليست لأحد سواه .

السادسة عشرة : أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(١) :

قال الله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً)^(٢) .

نقل السيوطي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أن من خصائصه أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة ، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك ، بل الظاهر أنه لم يخبرهم ، بدليل قولهم في الموقف يوم القيامة نفسي نفسي^(٣) ، وبدل لذلك أيضاً قول عيسى - عليه السلام - عندما يذهب الناس إليه في موقف القيامة : اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا يدل على خصوصيته بذلك قال ابن كثير : " هذا من خصائصه - صلوات الله وسلامه عليه - التي لا يشاركه فيها غيره ، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو - صلوات الله وسلامه عليه - في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة "^(٤) ، وهذا يؤكد كلام السيوطي في اعتبار ذلك خصوصية له - صلى الله عليه وسلم - .

السابعة عشرة : تحريم نكاح زوجاته من بعده :

قال تعالى : (...وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً)^(٥) .

قال السيوطي : " ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء "^(٦) يعني في تحريم نسائه أن يتزوجن غيره من بعده ، فكان ذلك خصوصية له - صلى الله عليه وسلم - وفي معنى هذه الآية يقول الله عز وجل : وما ينبغي لكم أن تتكحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهن أمهاتكم ، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه .

وقد ذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب قيل : هو طلحة بن عبيد الله^(٧) - رضي الله عنه - ، قال : لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه ، قيل : هي عائشة^(٨) - رضي الله عنها - فأنزل الله تبارك وتعالى : (...وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده أبداً...) الآية^(٩) .

(١) انظر الخصائص (١٦١/٣) .

(٢) سورة الفتح ، الآيتان (١،٢) .

(٣) انظر : الخصائص (١٦١/٣-١٦٢) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣١٠/٧) .

(٥) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٥٣) .

(٦) الخصائص (١٤٤/٣) .

(٧) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٥/٦) ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٤٧/١٤) وهذا الكلام لا يليق بصحابي جليل من المبشرين بالجنة وسيأتي نقص هذا الكلام بعد قليل : انظر (ص ٩٠٠) .

(٨) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٤٠/٢٢) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤/٦) .

وقد علل السيوطي تحريم نكاح أزواج النبي من بعده - صلى الله عليه وسلم - و - رضي الله عنهم - لأنهن أزواجه في الجنة ولأنهن أمهات المؤمنين وأن في ذلك غصاصة ينزه عنها منصبه الشريف^(١) .

وتحصل مما سبق أنه يحرم على أي أحد من الأمة أن ينكح واحدة من زوجات نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم

- وذلك لسببين :

أولهما : أنهن أمهات المؤمنين ، بنص القرآن الكريم قال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم...)^(٢) ونكاح الأمهات محرم أيضاً بنص القرآن الكريم قال تعالى : (حرمت عليكم أمهاتكم ...)^(٣) فهن - رضي الله عنهن - أمهات للمؤمنين بنص كلام الله جل وعلا ، والتحريم بهذا النص أقوى في الحرمة والتعظيم من أمهات النسب ، فإذا حرم نكاح أمهات النسب على أبنائهن فأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - أولى بالتحريم والتعظيم منهن .

الثاني : أن أزواجه - رضي الله عنهن - هن أزواجه في الجنة وذلك لأنهن لما خيرن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكافأهن الله تعالى على ذلك بأن جعلهن زوجات لنبيه في الجنة^(٤) .

ولهذين السببين أجمع علماء الأمة قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أزواجه

أنه يحرم على غيره أن يتزوجها من بعده - صلى الله عليه وسلم^(٥) - .

والخلاف بين العلماء فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين .

ومنشأ هذا الخلاف : أن من طلقها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حياته هل تدخل في عموم قوله تعالى :

(... من بعده ...) أم لا ؟

فمن قال بأنها داخلة في هذا العموم ذهب إلى التحريم . فيكون معنى قوله تعالى : (... من بعده ...) أي من

بعد فراق لها سواء بالتطليق أم بالموت .

ومن قال أنها ليست داخلة فيه ذهب إلى الجواز اقتصاراً في التحريم على من فارقتها - صلى الله عليه وسلم -

بالموت دون التطليق . قال القرطبي - رحمه الله - : " والصحيح جواز ذلك "^(٦) أما من تزوجها - صلى الله عليه وسلم

- ثم طلقها قبل أن يدخل بها فيقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : " فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه - نزاعاً ،

والله أعلم "^(٧) .

وقد اتضح من هذا أن تحريم نكاح زوجاته - صلى الله عليه وسلم - على كل أحد من بعده خصوصية من

(١) انظر الخصائص (١٤٥/٣) .

(٢) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٦) .

(٣) سورة النساء ، بعض الآية (٢٣) .

(٤) انظر : الخصائص (١٤٥/٣) حاشية (٢) للمحقق الشيخ هراس .

(٥) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٥/٦) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٤٨/١٤) .

(٧) تفسير القرآن العظيم (٤٤٥/٦) .

خصائصه تمييزاً لشرفه وتنبيهاً على رفيع مرتبته ، وأن من استحل ذلك فهو كافر كما قد نقل عن الإمام الشافعي (١) - رحمه الله - .

وما نقل عن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - أنه هو الذي قال : لئن مات محمد - صلى الله عليه وسلم - لأتزوجن امرأة من نسائه ، فقد نقل القرطبي - رحمه الله - أن ذلك لا يصح عنه وإنما كان ذلك من أحد المنافقين ، وأن الصحابة ينزهون عن مثل هذا ، يقول القرطبي : " وحكى مكي عن معمر أنه قال : هو طلحة بن عبيد الله ، قلت : وكذا حكى النحاس عن معمر أنه طلحة ، ولا يصح ، قال ابن عطية : لله در ابن عباس ، وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله ، قال شيخنا أبو العباس : وقد حكى هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله ، والكذب في نقله ، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال . يروي أن رجلاً من المنافقين قال : حين تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم سلمة بعد أبي سلمة ، وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا ! والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه فنزلت الآية في هذا... " (٢) والحق ما قاله القرطبي - رحمه الله - فإن الصحابة جميعاً - رضي الله عنهم - كانوا ينظرون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظرة إعظام وإكبار ، وتقدير وإجلال ، ولم يدر بخلد واحد منهم أن يصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشوكة فما دونها فضلاً عن أن يتمنى أحدهم موته ، أو يتربص به ذلك لكي ينكح واحدة من زوجاته ، فهذا لا يليق بأدنى مؤمن ينظر تلك النظرة ، أو تخطر بباله تلك الخطرة ، في حق زوجات إمام من أئمة المسلمين أو خليفة من خلفائهم أو عالم مقدم من علمائهم ، فضلاً عن أن يكون ذلك في حق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونبيه ومصطفاه ، فهو في مقام الأب لجميع المؤمنين ، وزوجاته في منزلة الأمهات لهم ، ولو لم يأت نص كريم يقرر ذلك .

الثامنة عشرة : منزلة الوسيلة في الجنة (٣) :

ثبت له - صلى الله عليه وسلم - هذه الخصوصية بصحيح السنة مغل ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة " (٤) .

والوسيلة فسرّها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنها منزلة في الجنة ، وفسرها أهل اللغة بأنها المنزلة عند المالك (٥) وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " أنا هو " خبر كان ، وقع موقع إياه ، وهذا على تقدير أن يكون " أنا " تأكيداً

(١) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٤٧/١٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤٧/١٤) .

(٣) السيوطي : الخصائص (٢٤٢/٣) .

(٤) رواه مسلم في " صحيحه " (٢٨٨/١) كتاب الصلاة (٤) باب (٧) رقم (١١-٣٨٤) ، ورواه أبو داود في " سننه " كتاب الصلاة (٣٦) ، والترمذي في " سننه " كتاب المناقب (١) والنسائي في " سننه " كتاب الأذان (٣٧) ، وأحمد في " المسند " (١٦٨/٢) .

(٥) انظر : لسان العرب (٧٢٤/١١) ، ترتيب القاموس المحيط (٦١٢/٤) .

للضمير المستتر في " أكون " ويحتمل أن يكون " أنا " مبتدأ و " هو " خبر ، والجملة خبر " أكون " . وقوله : " حلت له " أي وجبت وقيل نالته^(١) .

التاسعة عشرة : أن الله يرضيه في أمته ولا بسوءه^(٢) :

وفي ذلك يقول عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - تلا النبي - صلى الله عليه وسلم - قول الله - عز وجل - في إبراهيم : (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبغني فإنه مني...) الآية^(٣) وقال عيسى - عليه السلام - : " إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم " ^(٤) فرفع يديه وقال : " اللهم أمتي أمتي " وبكى فقال الله - عز وجل - يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل - عليه السلام - فسأله ، فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما قال - وهو أعلم - فقال الله : يا جبريل : اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك " ^(٥) . وهذا من كرامته على ربه وكرامته منزلته عند الله - جل وعلا - .

العشرون : أن الله تعالى أنكحه زينب من فوق سبع سموات :

قال الله تعالى : (... فلما قضى زيداً منها وطراً زوجناكها ...) ^(٦) نزلت هذه الآية الكريمة في شأن زينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله عنها - وكانت قبل أن يتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وكان قد اتخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له ابناً بالتبني ، وكان العرب يأنفون أن يتزوج الرجل زوجة ابنه بالتبني إذا فارقتها ، فأراد الله تعالى أن يبطل هذه العادة الجاهلية ، فأنزل هذه الآية الكريمة بتزويج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزينب - رضي الله عنها^(٧) - .

قال ابن كثير : " وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله - عز وجل - بمعنى : أنه أوحى إليه أن يدخل عليها ، بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر " ^(٨) .

وفي هذا تقول زينب أم المؤمنين - رضي الله عنها - : " زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات " ^(٩) وفي دخوله - صلى الله عليه وسلم - عليها بغير إذن ولا عقد ولا شهود يقول أنس - رضي الله تعالى عنه - : " لما انقضت عدة زينب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لزيد : " فاذكرها علي " ^(١٠) قال : فانطلق زيد حتى أتاها

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٨٦/٤) .

(٢) انظر : السيوطي : الخصائص الكبرى (٢٣٦/٣) .

(٣) سورة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - ، بعض الآية (٣٥) .

(٤) سورة المائدة الآية (١١٨) .

(٥) رواه مسلم في " صحيحه " (١٩١/١) كتاب الإيمان (١) باب (٨٧) رقم {٣٤٦-٢٠٢} .

(٦) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٣٧) .

(٧) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/١٤) .

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤٢٠/٦) .

(٩) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب التوحيد (٩٧) باب (٢٢) رقم (٧٤٢٠) . الفتح (٤٠٣/١٣) .

(١٠) أي : فاخطبها لي من نفسها .

وهي تخمر عجينها^(١) . قال : فلما رأيتها عظمت في صدري^(٢) . حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي^(٣) فقلت : يا زينب ! أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكرك ، قالت ، ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي ، فقامت إلى مسجدها^(٤) ، ونزل القرآن^(٥) ، وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليها بغير إذن...^(٦) وظاهر هذا كما قال ابن كثير أنه - صلى الله عليه وسلم - دخل على زينب أم المؤمنين بغير إذن ، وبدون عقد ولا شهود من البشر ولا ولي ، فالذي تولى عقدها وكان ولياً لها وشاهداً على نكاحها هو الله جل وعلا وهو خير الشاهدين وأنعم به تعالى من ولي يتولى الصالحين .

الحادية والعشرون : أن الله أباح له النكاح من وهبت نفسها له :

عد السيوطي من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - أن الله تعالى أباح له النكاح بلفظ الهبة ، وبلا مهر ابداءً وانتهاءً^(٧) . وشاهد هذا قوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي ءاتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات أخالك وبنات أخالتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمنهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً)^(٨) .

يقول ابن كثير في قوله تعالى : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ...) " أي : ويحل لك - أيها النبي - المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك ، وهذه الآية توالى فيها شرطان^(٩) وهما قوله تعالى : (إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها...) ونظير هذا في القرآن في آيات عدة منها قوله تعالى إخباراً عن نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن

(١) أي : تجعل في عجينها الخمير .

(٢) قوله : (عظمت في صدري) معناه أنه هابها واستجلها من أجل إرادة النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجها ، فعاملها معاملة من تزوجها - صلى الله عليه وسلم - في الإعظام والإجلال والمهابة ، وقوله : (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) هو بفتح الهمزة من أن أي من أجل ذلك أي : ما أستطيع أن أنظر إليها من أجل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرها .

(٣) أي رجعت ، وكان جاء إليها ليخطبها وهو ينظر إليها على ما كان من عادتهم ، وهذا قبل نزول الحجاب ، فلما غلب عليه الإجلال تأخر وخطبها وظهره إليها لئلا يسبقه النظر إليها .

(٤) أي : موضع صلاتها من بيتها - رضي الله عنها - .

(٥) أي : نزل قوله تعالى : (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) فدخل عليها - صلى الله عليه وسلم - بغير إذن لأنها صارت بذلك زوجة له .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " (١٠٤٨/٢) كتاب النكاح (١٦) باب (١٥) باب زواج زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ، ونزول الحجاب ، وإثبات وليمة العرس .

- ورواه النسائي في " سننه " كتاب النكاح (٢٦) . - ورواه أحمد في " مسنده " (١٩٥/٣) .

(٧) الخصائص (٣٠٢/٣) .

(٨) سورة الأحزاب الآية (٥٠) .

(٩) تفسير القرآن العظيم (٤٣٤/٦) .

يغويكم... (١) وقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال : (...يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) (٢) ويدل على خصوصيته - صلى الله عليه وسلم - بمن تهب له نفسها ما ورد عن عكرمة أنه قال في قوه تعالى : (...خالصة لك من دون المؤمنين...) " أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئاً " (٣) .

وكذا قال مجاهد ، وقتادة (٤) ، والشعبي (٥) . وروى نحوه عن إبراهيم النخعي ، وطاووس ، ومكحول والزهري وعطاء (٦) . وقال ابن جرير - رحمه الله - في قوله تعالى : (...قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم...) " يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك ، وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة إلا بولي عسبة وشهود عدول ، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع " (٧) .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : " إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بها وجب لها عليه مهر مثلها ، كما حكم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بَرُوع بنت واشق لما فوضت ، فحكم لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها ، والموت والدخول سواء في تقرير المهر ، وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي - صلى الله عليه وسلم - فأما هو - عليه السلام - فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها ، لأن له أن يتزوج بغير صداق ، ولا ولي ، ولا شهود ، كما في قصة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - " (٨) ونقل الرازي عن الشافعي - رحمهما الله - في الآية أن معناها : إباحة الوط بالهبة ، وحصول التزوج بلفظها من خواصك (٩) . وهذه الأقوال من المفسرين تدل بمقتضى الآية على خصوصية - صلى الله عليه وسلم - بذلك .

وهل كان عنده - صلى الله عليه وسلم - امرأة موهوبة أم لا ؟ على قولين للعلماء :

١- فمنهم من قال : لم تكن عنده - صلى الله عليه وسلم - امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين ، أما الهبة فلم يكن عنده منهن أحد وهو مروي عن ابن عباس (١٠) - رضي الله عنهما - ومجاهد (١١) .

(١) سورة سيدنا هو - عليه السلام - ، بعض الآية (٣٤) .

(٢) سورة سيدنا يونس - عليه السلام - ، بعض الآية (٨٤) .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٦) .

(٤) انظر : نفسه .

(٥) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٢٢/٢٢) .

(٦) انظر : السيوطي : الدر المنثور (٦٣٠/٢٢) .

(٧) جامع البيان (٢٣/٢٢) .

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٦) .

(٩) انظر : التفسير الكبير (٢٥١/٢٥) .

(١٠) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٢٣/٢٢) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، والقرطبي : الجامع (١٤/١٣٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٣٠/٢٢) إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في السنن ، وانظر : فتح الباري (٥٢٩/٨) .

وقال إسناداه حسن .

(١١) انظر ابن جرير : جامع البيان (٢٣/٢٢) .

وقال آخرون : بل كان عنده - صلى الله عليه وسلم - منهن ، ثم اختلفوا في تسميتها :

أ- فليل : هي ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - وهو قول قتادة ، وروى عن ابن عباس^(١) - رضي الله عنهما - وعكرمة^(٢) .

ب- وقيل : هي زينب بنت خزيمة الأنصارية - رضي الله عنها - التي كانت تدعى أم المساكين ، وهو قول الشعبي^(٣) .

ج- وقيل : هي أم شريك بنت جابر الأسدية ، وهو قول علي ابن الحسين^(٤) ، والضحاك مقاتل^(٥) ، وعروة بن الزبير^(٦) .

د- وقيل : هي خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص السلمية ، وهو قول عائشة^(٧) - رضي الله عنها - وعروة بن الزبير^(٨) .

هـ - وقيل : هي فاطمة بنت شريح^(٩) .

و- وقيل : هي ليلي بنت قيس بن الخطيم^(١٠) .

والذي يظهر لي أنه أصح هذه الأقوال أنها خولة بنت حكيم ، روى ذلك البخاري في صحيحه موصولاً ومعلقاً .

ومن هذا يتضح اختصاص النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذه الخصوصية سواء وقع فعلاً أم لم يقع .

الثانية والعشرون : تزويجه من شاء من النساء بمن شاء من الرجال بغير رضاهن ورضى آبائهن :

عد السيوطي هذا من خصائصه - صلى الله عليه وسلم -^(١١) - وقد قال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ...)^(١٢) لأن الله تعالى قد علم شفقة رسوله - صلى الله عليه وسلم - على أمته ، ونصحه لهم فجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر

(١) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٢٣/٢٢) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٦) ، وعزاه لسعيد بن أبي عروبة ثم قال : " فيه انقطاع ، هذا مرسل " ، وابن حجر : فتح الباري (٥٢٥/٨) وقال : " وهذا منقطع ، وأورده من وجه آخر مرسل وإسناده ضعيف " وهو يعارض ما نقلناه عن ابن عباس في القول الأول من أنه لم يكن عنده - صلى الله عليه وسلم - امرأة موهوبة .

(٢) انظر : السيوطي : الدر المنثور (٦٣١/٢٢) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢٣/٢٢) ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١٤) ، والسيوطي : الدر المنثور (٦٣٠/٢٢) وانظر : الفتح (٥٢٥/٨) ثم قال : " وليس بثابت " .

(٤) انظر : جامع البيان (٢٣/٢٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١٤) ، والفتح (٥٢٥/٨) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١٤) .

(٦) انظر : السيوطي : الدر المنثور (٦٣١/٢٢) ، والفتح (٥٢٥/٨) .

(٧) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب النكاح (٦٧) باب (٢٩) رقم (٥١١٣) انظر الفتح (١٦٤/٩) ، وكذلك الفتح (٥٢٥/٨) وأشار البخاري إليه تعليقاً كما قال ابن حجر في الفتح (٥٢٥/٨) وتعليق البخاري في " صحيحه " المشار إليه آنفاً قال : " رواه أبو سعيد المؤدب ، ومحمد بن بشر ، وعبد ، عن هشام عن أبيه عن عائشة ، يزيد بعضهم على بعض " قال ابن حجر : " أما رواية أبي سعيد واسمه محمد بن مسلم بن أبي الرضاح فوصلها ابن مروية في التفسير والبيهقي من طريق منصور بن أبي مزاحم عنه مختصراً ... " .

(٨) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١٤) .

(٩) انظر : الفتح (٥٢٥/٨) .

(١٠) انظر : الفتح (١٧٥/٩) .

(١١) انظر : الخصائص (٣٠٧/٣) .

(١٢) سورة الأحزاب ، بعض الآية (٦) .

بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً^(١) وقال - صلى الله عليه وسلم - : " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، أقرأوا إن شئتم : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)^(٢) فأَيُّما مؤمن ترك مالا فليتره عصبته من كانوا ، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاة^(٣) .

وفي تقرير هذا أيضاً يقول الله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)^(٤) .

وفي سبب نزول هذه الآية الكريمة روى المفسرون عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها فقالت : لست بناكحته ، فقال - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " بل فانكحيه " قالت : يا رسول الله ، أوامر في نفس ، فبينما هما يتحادثان أنزل الله هذه الآية على رسوله - صلى الله عليه وسلم - : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً...)^(٥) الآية ، قالت : قد رضيته لي منكحاً يا رسول الله ؟ قال : " نعم " قالت : إذا لا أعصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قد أنكحته نفسي^(٦) فليس لمؤمن ولا مؤمنة إذا أمر الله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بأمير أن يعصياهما أو أن يخالفا أمرهما .

الثالثة والعشرون : وجوب قضاء دين من مات من المسلمين :

كان من شفقتة ورحمته - صلى الله عليه وسلم - أنه إذا مات رجل من المسلمين وكان معسراً اجتهد - صلى الله عليه وسلم - في قضاء الدين عنه وعد السيوطي هذه من خصائصه - عليه الصلاة والسلام^(٧) - ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : " صبحكم ومساكم " . ويقول : " بعثت أنا والساعة كهاتين " وَيَقْرُنُ بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : " أما بعد . فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ثم يقول : " أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فليأمله . ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وعليّ " ^(٨) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " والذي نفس محمد بيده إن على الأرض من مؤمن إلا أن أولى الناس به ، فأَيُّكم ما ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاة ، وأَيُّكم ترك مالا فغلى العصبية من كان " ^(٩) .

(١) سورة النساء الآية (٦٥) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه "كتاب الإستقراض" (٤٣) باب (١١) رقم (٢٣٩٩) ، الفتح (٦١/٥) ، ورواه أيضاً في كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب (٣٣) باب (١) رقم (٤٧٨١) الفتح (٥١٧/٨) ورواه ابن جرير : انظر جامع البيان (٧٧/٢١) ورواه الإمام أحمد في "المسند" (٣/٣٣٤) ، (٣٣٥/٣) وعزاه السيوطي في " الدر المنثور " (٥٦٦/٢١) مع ما سبق إلى ابن مردويه .

(٣) سورة الأحزاب الآية (٣٦) .

(٤) ابن جرير : جامع البيان (١١/٢٢) ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤١٧/٦) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٢١/١٤) ن فتح الباري (٥٢٤/٨) .

(٥) انظر : الخصائص (٢٥٨/٣) .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " (٥٩٢/٢) كتاب الجمعة (٧) باب (١٣) رقم (٤٣) - (٨٦٧) .

(٧) رواه مسلم في " صحيحه " (١٢٣٨/٣) كتاب الفرائض (٢٣) باب (٤) رقم (١٥) .

وعن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عز وجل ، فأياكم ما ترك ديناً أو ضيعة فادعوني ، فأنا وليه ، وأياكم ما ترك مالا فليؤثر بماله عسبة من كان " (١) وعن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يؤتي بالرجل الميت عليه الدين ، فيسأل : " هل ترك لدينه من قضاء ؟ " فإن حدث أنه ترك وفاءً صلى عليه ، وإلا قال : " صلوا على صاحبكم " فلما فتح الله عليه الفتوح قال : " أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته " (٢) فصلاته على الميت شفاعة وقد كانوا حريصين على ذلك ، ومن الذي لا يحرص على دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - له ؟ وهل كانت صلاته على من عليه دين محرمة عليه أو جائزة ؟ وجهان : ولكن الصواب الجزم بجوازها مع وجود الضامن (٣) .

ونقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي أنه - صلى الله عليه وسلم - ربما كان يمتنع من الصلاة على من استدان ديناً غير جائز ، وأما من استدان لأمر هو جائز فما كان يمتنع ، قال ابن حجر " وفيه نظر ، لأن في حديث الباب ما يدل على التعميم حيث قال : (من توفي وعليه دين) ولو كان الحال مختلفاً لبينه " (٤) .

وفيه إشعار بأنه - صلى الله عليه وسلم - كان يقضيه من مال المصالح ، وقيل : بل كان يقضيه من خالص مال نفسه (٥) . وهل كان قضاء الدين واجباً عليه - صلى الله عليه وسلم - أم لا ؟ فقيل كان واجباً ، وقيل كان تبرعاً منه - صلى الله عليه وسلم (٦) - ولكن قوله - صلى الله عليه وسلم - " فعليّ قضاؤه " يشعر بالوجوب ، كقوله تعالى : (...كتب عليكم الصيام ...) (٧) ومعناه : عليّ قضاؤه مما يفى الله عليه من الغنائم والصدقات ، وهكذا يلزم المتولي لأمر المسلمين أن يفعل به ما مات وعليه دين ، فإن لم يفعل فالإثم عليه إن كان حق الميت في بيت المال يفى بقدر ما عليه من الدين وإلا فبقسطه (٨) ويكون معنى كلامه - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث المتقدم : أنا قائم بمصالحكم حياة أحدكم وموته ، وأنا وليه في الحاليين ، فإن كان عليه دين قضيته من عندي إن لم يخلف وفاء وإن كان له مال فهو لورثته لا آخذ منه شيئاً وإن خلف عيلاً محتاجين ضائعين فليأتوا إليّ فعليّ نفقتهم ومؤنتهم (٩) .

(١) مسلم (١٢٣٨/٣) نفس الكتاب والباب ، والحديث رقم (١٦) .

(٢) البخاري في " صحيحه " كتاب الكفالة (٣٩) باب (٥) رقم (٢٢٩٨) الفتح (٤/٤٧٨) ، كتاب النفقات (٦٩) باب (١٥) رقم (٥٣٧١) الفتح (٩/٥١٥) ، كتاب الاستقراض (٤٣) باب (١١) رقم (٢٣٩٩) الفتح (٥/٦١) ، كتاب التفسير ، سورة الأحزاب (٣٣) باب (١) رقم (٤٧٨١) الفتح (٨/٥١٧) ، كتاب الفرائض (٨٥) باب (٤) رقم (٦٧٣١) الفتح (٩/٩) .

ومسلم في " صحيحه " (١٢٣٧/٣) كتاب الفرائض (٢٣) باب (٤) رقم {١٦١٩-١٤} .

(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٦٠/١١) ، وابن حجر : الفتح (٤/٤٧٨) .

(٤) الفتح (٤/٤٨٧) .

(٥) انظر : النووي شرح مسلم (٢٦٠/١١) ، الفتح (٤/٤٧٨) .

(٦) انظر : النووي : شرح مسلم (٦٠/١١) ، الفتح (٤/٤٧٨) .

(٧) سورة البقرة ، بعض الآية (١٨٣) .

(٨) انظر : ابن حجر : الفتح (٤/٤٧٨) . نقله عن ابن بطال ، مقتضى هذا الكلام أنه ليس خصوصية له - صلى الله عليه وسلم - وإنما هو تشريع .

(٩) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٦٠، ٦١/١١) .

ويتضح من هذا أنه خصوصية من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - .

الرابعة والعشرون : تحريم الصدقة والزكاة عليه :

ذهب السيوطي إلى اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بتحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله وعلى مواليه وموالي آله^(١) . وذلك لما روى مسلم عن المطلب بن ربيعة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها تحل لمحمد ولا لآل محمد " ^(٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - الأرقم الزهري على السعاية^(٣) ، فاستتبع أبا رافع^(٤) مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " يا أبا رافع إن الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد " ^(٥) .

وعن المطلب بن ربيعة بن الحارث قال : جئت أنا والفضل ابن العباس فقلنا : يا رسول الله جئنا لتؤمرنا على هذه الصدقات ، فسكت ورفع رأسه إلى سقف البيت حتى أردنا أن نكلمه ، فأشارت إلينا زينب من وراء حجابها تنهانا عن كلامه ، وأقبل فقال : " إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وإنما هي أوساخ الناس " ^(٦) .

فلما كانت الصدقة أوساخ الناس اختصه الله تعالى بتتزيه منصبه الشريف عن ذلك فحرمها عليه ، وانجر ذلك التحريم إلى آله بسببه ، قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : أخذ الحسن بن علي تمر من تمر الصدقة ، فجعلها في فيه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كَخْ كَخْ " ^(٧) . ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة^(٨) ؟ " ، وفي رواية " لا تحل لنا الصدقة ؟ " ^(٩) .

وأيضاً فالصدقة تعطى على سبيل الترحم المبني على ذل الآخذ ، فأبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العز والشرف المنبئ عن عز الآخذ وذلل المأخذ منه . فكان ذلك اختصاصاً به - صلى الله عليه وسلم - وهل شاركة فيه سائر الأنبياء أم اختص به دونهم ؟ وجهان عند علماء السلف : فقال بالأول الحسن البصري - رحمه الله - وبالثاني : سفيان ابن

(١) انظر : الخصائص (٣/٣٦٥) .

(٢) مسلم في " صحيحه " (٧٥٤/٢) كتاب الزكاة (١٢) باب (٥١) رقم (١٦٨) وأبو داود في " سننه " كتاب الإمارة (٢٠) ، والنسائي في " سننه " كتاب الزكاة (٩٥) ، وكتاب الفئ (١٥) ، ومالك في " الموطأ " كتاب الصدقة (١٣) ، (١٥) ، أحمد في " المسند " (٤٠٢/٣) ، (٤٠٢/٤) ، (١٦٦/٤) .

(٣) يعني جمع الصدقات .

(٤) قال في المعارف : " واسمه اسلم أجمعوا على ذلك ، واختلف في قصته فقال بعضهم : كان للعباس بن عبدالمطلب فوهبه للنبي - صلى الله عليه وسلم - فلما اسلم العباس بشر أبو رافع النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه فأعتقه وزوجه سلمى مولاته فولدت له عبيد الله بن أبي رافع فلم يزل ، كاتباً لعلي بن أبي طالب خلافته كلها ، وقال آخرون كان لسعيد بن العاص إلا سهماً من سهام فأعتقه واشترى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك السهم فأعتقه .

(٥) عزاه السيوطي في الخصائص (٣/٢٦٥) إلى الطبراني من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٦) مسلم في " صحيحه " (٧٥٣/٢) كتاب الزكاة (١٢) باب (٥١) رقم (١٦٧) .

(٧) " كَخْ كَخْ " قال القاضي : يقال : كَخْ كَخْ ، بفتح الكاف وتشكين الخاء ويجوز كسرهما مع التثوين ، وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستفدرات ، فيقال له : كَخْ . أي أتركه وارم به .

(٨) " أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " نقال هذه العبارة في الشئ الواضح التحريم ونحوه ، وإن لم يكن المخاطب عالماً به وتقديره : عجب ! كيف خفى عليك هذا مع ظهور تحريمه ، وهذا أبلغ في الزجر عنه من قوله : لا تفعله .

(٩) مسلم في " صحيحه " (٧٥١/٢) كتاب الزكاة (١٢) باب (٥٠) رقم {١٦١-١٠٦٩} .

عينية - رحمه الله^(١) - ورجح بعضهم القول الأول لأن الصدقة إذا كانت أوساخ الناس وكانت تقتضي ذل أخذها ، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، فلا شك أنه يجب تنزيه الأنبياء عما يغض من أقدارهم الشريفة ويكون فيه نوع مهانة لهم^(٢) . وعلى هذا القول فلا خصوصية له - صلى الله عليه وسلم - وعلى القول الثاني فالخصوصية ثابتة والزكاة المفروضة وصدقة التطوع بالنسبة إليه - صلى الله عليه وسلم - سواء في التحريم .

وأما آله - صلى الله عليه وسلم - فمذهب الشافعية أنه لا يحرم عليهم سوى الزكاة ، وأما صدقة التطوع فتحل لهم في الأصح .

وفي وجه آخر : عند الشافعية وهو مذهب المالكية أنها تحرم عليهم أيضاً .

وفي وجه ثالث : تحرم عليهم الصدقة الخاصة دون الصدقة العامة كالمساجد ومياه الآبار ونحوها^(٣) .

قال العلامة ابن قدامة - رحمه الله - : " لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة ... وسواء أعطوا من خمس الخمس أو لم يعطوا لعموم النصوص ، ولأن منعهم من الزكاة لشرفهم ، وشرفهم باق فيبقى المنع ، فإن أعطوا منها لغزو أو حمالة جاز ذلك ... وإن كان الهاشمي عاملاً أو غارماً لم يجزئه الأخذ في أظهر الوجهين ... وحكم مواليتهم حكمهم عند أحمد - رحمه الله - وقال أكثر أهل العلم : يجوز الدفع إليهم لأنهم ليسوا بقرابة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يمنعوا الصدقة كسائر الناس "^(٤) ثم رجح ابن قدامة القول بتحريم الصدقة على مواليتهم واستدل بحديث أبي رافع المتقدم . وقال إن الموالي هم بمنزلة القرابة ، " ويثبت فيهم حكم القرابة من الإرث والعقل والنفقة فلا يمتنع ثبوت حكم تحريم الصدقة فيهم "^(٥) وقرر ابن قدامة جواز صدقة التطوع على بني هاشم ، ونقل عن الإمام أحمد - رحمه الله - قوله : " إنما لا يعطون من الصدقة المفروضة فأما التطوع فلا "^(٦) .

ثم قال ابن قدامة : " فأما النبي - صلى الله عليه وسلم - فالظاهر أن الصدقة جميعها كانت محرمة عليه ، فرضها ونفلها ، لأن اجتنابها كان من دلائل نبوته ، فلم يكن ليحل له ذلك "^(٧) ، بدليل أن في حديث^(٨) سلمان الفارسي أن الذي أخبره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ووصفه له قال : إنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة^(٩) . وقال أبو هريرة : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أتى بطعام سال عنه ، فإن قيل : صدقة ، قال لأصحابه " كلوا " ولم يأكل ، وإن

(١) انظر : الخصائص (٢٦٧/٣) .

(٢) نفسه ، حاشية المحقق الشيخ محمد خليل هراس (١) .

(٣) انظر : الخصائص (٢٦٧/٣) .

(٤) المغني من الشرح الكبير (٧١١-٧١٠/٢) .

(٥) نفسه (٧١١/٢) .

(٦) نفسه .

(٧) المغني (٧١٢/٢) .

(٨) هكذا العبارة في المغني .

(٩) رواه ابن هشام في السيرة النبوية (٢١٤/١) عن محمد بن اسحاق بسنده إلى عبدالله بن عباس عن سلمان - رضي الله عنهم - وموضع الشاهد أنه لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية (٢١٨/١) .

قليل هدية ضرب بيديه وأكل معهم^(١) .

الخامسة والعشرون : إباحة القتال له بمكة المكرمة :

عد السيوطي من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - أن الله تعالى أباح له القتال بمكة والقتل بها^(٢) .

قال تعالى : (لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد)^(٣) فقله تعالى : (لا أقسم بهذا البلد) قسم من الله - عز وجل - بمكة المكرمة أم القرى^(٤) . يقول تعالى ذكره : أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام وهو مكة^(٥) وقوله تعالى : (وأنت حل بهذا البلد)^(٦) يقول جل ثناؤه : لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنت يا محمد حل بهذا البلد يعني بمكة ، يقول : أنت به حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله ، وأسرى من أردت أسره ، مطلق ذلك لك^(٧) .

وأورد المفسرون تحت تفسير هذه الآية الكريمة بعض الأحاديث والآثار التي تدل على إباحة القتال للنبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطل^(٨) متعلق بأستار الكعبة ، فقال : " اقتلوه " ^(٩) وعن أبي شريح العدوي قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول يوم الفتح : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعصدها شجرة " ^(١٠) ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، ثم عادت

(١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الهبة (٥١) باب (٧) رقم (٢٥٧٦) الفتح (٢٠٣/٥) ، والنسائي في " سننه " كتاب الزكاة (٩٨) ، أحمد في " المسند " (٥/٥) .

(٢) انظر : الخصائص (٢٩٠/٣) .

(٣) سورة البلد ، الآيتان (١،٢) .

(٤) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٢٤/٨) .

(٥) انظر : ابن جرير : جامع البيان (١٩٣/٣٠) .

(٦) سورة البلد الآية (٢) .

(٧) جامع البيان (١٩٣/٣٠) .

(٨) هو : عبدالعزيز بن خطل ، وقيل هلال بن خطل ، وقيل : غالب بن عبدالله بن خطل ، وقيل : عبدالله بن هلال بن خطل . وقيل : كان اسمه عبدالعزيز فلما أسلم سمي عبدالله ، وأما من قال هلال فالتبس عليه بأخ له اسمه هلال ، بين ذلك الكلبي في النسب ، واسم خطل عبدمناف من بني تميم بن فهر بن غالب ، وإنما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصدقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلماً ، فنزل منزلاً ، فأمر المولى أن يذبح تيساً ويصنع طعاماً ، فنام واستيقظ ولم يصنع شيئاً ، فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً ، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان من الذين أهدر الرسول - صلى الله عليه وسلم - دماءهم يوم الفتح ، انظر : فتح الباري (٦٠/٤-٦١) .

(٩) البخاري في " صحيحه " كتاب جزاء الصيد (٢٨) باب (١٨) رقم (١٨٤٦) ، الفتح (٥٩/٤) ، كتاب الجهاد (٥٦) باب (١٦٩) رقم (٣٠٤٤) الفتح (١٦٥/٦) ، كتاب الغازي (٦٤) باب (٤٨) رقم (٤٢٨٦) الفتح (١٥/٨) ، كتاب اللباس (٧٧) باب (١٧) رقم (٥٨٠٨) الفتح (١٠/٢٧٥) .

ومسلم في " صحيحه " (٩٨٩/٢) كتاب الحج (١٥) باب (٨٤) رقم (٤٥٠) . وأبو داود في " سننه " كتاب الجهاد (١١٧) ، والترمذي - كتاب الجهاد (١٨) ، والنسائي كتاب المناسك (١٠٧) ابن ماجه كتاب الجهاد (١٨) والدارمي - كتاب المناسك (٨٨) ، وأحمد (٣/١٨٦، ١٨٠، ١٦٤، ١٠٩، ٢٤٠، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٢٤) .

(١٠) "يعصده" بكسر الضاد وفتح الدال أي : يقطع بالمعصده وهو آلة كالفأس .

حرمته اليوم كحرمته بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب ^(١) ففي هذا دليل على خصوصيته - صلى الله عليه وسلم - بجواز القتال في مكة ، وأن الله تعالى أحل له القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمته كما كانت .

السادس والعشرون : الكذب عليه السلام كالكذب على غيره ^(٢) :

ورد وعيد شديد لمن يعتمد الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إمام الأمة المبلغ عن ربه - جل وعلا - لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة ، منها اضطراب التشريع وفشو البدع وتعطيل الأحكام ، الزيادة في الدين بما لم يأذن به الله تعالى ، ولخطورة ذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " ^(٣) وفي الحديث ترهيب من الكذب عليه - صلى الله عليه وسلم - هو عام في كل كاذب ، مطلق في كل نوع من الكذب ، قال ابن حجر : " وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب ، وقالوا : نحن لم نكذب عليه ، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته ، وما دروا أن تقويله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى ، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب ، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه " ^(٤) فظن هؤلاء أن الكذب لتأييد شريعته هو كذب له وليس كذباً عليه ، وهو جهل باللغة كما قال ابن حجر ، وساء كان الكذب له أم كان عليه فهو كذب داخل في هذا الوعيد ، فالكذب له كالكذب عليه - إن صح التعبير بذلك - يقول الحافظ ابن حجر : " ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لا عليه ، وهو جهل باللغة العربية " ^(٥) .

وقد ذكر السيوطي جملة من الخصائص الأخرى كوجوب محبته - صلى الله عليه وسلم - ومحبة أهل بيته وأصحابه ^(٦) وأنه - صلى الله عليه وسلم - يوعك كما يوعك الرجلان من أمته ^(١) ، وأن أمته يبعثون غراً محجلين من آثار

(١) البخاري في " صحيحه " كتاب العلم (٣) وباب (٣٧) رقم (١٠٤) ، الفتح (١٩٧/١) ، وكتاب جزاء الصيد (٢٨) باب (٨) رقم (١٨٣٢) الفتح (٤١/٤) ، كتاب المغازي (٦٤) باب (٥١) رقم (٤٢٩٥) الفتح (٣٠/٨) . ومسلم في " صحيحه " (٩٨٧/٢) كتاب الحج (١٥) باب (٨٢) رقم (٤٤٦) ، والترمذي في " سننه " كتاب الحج (١) والنسائي في كتاب المناسك (١١١) وأحمد (٣١، ٣٢/٤) .

(٢) انظر : الخصائص (٣٢٦/٣) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٣٣) الفتح (١٦٠/٣) ، كتاب العلم (٣) باب (٣٨) رقم (١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠) الفتح (٢٠٢-١٩٩/١) ، كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٥٠) رقم (٣٤٦١) الفتح (٤٩٦/٦) كتاب

أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٥٠) رقم (٣٤٦١) الفتح (٤٩٦/٦) ، كتاب الأدب (٧٨) باب (١٠٩) رقم (٦١٩٧) الفتح (٥٧٧/٦) .

ومسلم في " صحيحه " (٢٢٩٨/٤) كتاب الزهد والرقائق (٥٣) باب (١٦) رقم (٧٢-٣٠٠٤) . وأبو داود - كتاب العلم (٤) ، والترمذي -

كتاب الفتن (٧٠) وكتاب العلم (٨، ١٣) والتفسير (١) والمناقب (١٩) وابن ماجه - المقدمة (٤) والدارمي - المقدمة (٢٥، ٤٦) ، وأحمد (٢/٣)

(٤٧، ٨٣، ١٢٣، ١٥٠، ١٥٩، ١٧١، ٢٠٢، ٢١٤، ٤١٣، ٤٦٩، ٥١٩) ،

(٢٤٥، ٢٩٢، ٤١٢/٥) ، (٤٧، ١٠٠، ١٥٦، ٢٠١، ٣٦٧/٤) (١٣، ٣٩، ٤٤، ٤٦، ٥٦، ٩٨، ١١٣، ١١٦، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٠٣، ٤٢٢

(٤) فتح الباري (١٩٩/١-٢٠٠) .

(٥) نفسه (١/٢٠٠) .

(٦) قال تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله

ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة (٢٤) . وأخرج الشيخان عن أنس - رضي الله عنه

- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " .

وأخرج أيضاً من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار " .

الوضوء^(٢) ، ، وأنه يدخل من أمته سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب^(٣) ، وكذلك اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - وأمته بالصلاة في النعال ، وأن الميت يسأل عنه في قبره ، وأن أمته خير الأمم ، وأن الله تعالى قد تجاوز عنها الخطأ والنسيان^(٤) . وأن أمته لا تهلك بجوع ولا بفرق^(٥) . وأن الطاعون لأمته رحمة^(٦) . وأن أمته أقل الأمم عملاً وأكثرها أجراً من سائر الأمم^(٧) . وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك^(٨) . وذكر السيوطي كذلك جملة أخرى من الخصائص التي يضعف دليلها عن النهوض بها ، أو بعض الخصائص التي في استنباطها بعض التكلف . وعلى كل حال فمصنف السيوطي في الخصائص المحمدية مصنف جيد في بابيه لولا ما فيه من بعض الحشو والتكلف والروايات الضعيفة ، وقد اقتصرنا فيما بيننا من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - على ما صح مما نقله السيوطي في مصنفه ، وتركنا غيره لأنه لا حاجة بالمسلم لأن يتكلف تصحيح ما لم يصح من النصوص الشرعية ، وفي الصحيح غنية وكفاية والله أعلم .

(١) انظر الخصائص (٣/٣٧٩).

(٢) انظر : صحيح البخاري رقم (١٣٦) فتح (٢٣٥/١) .

(٣) انظر : الخصائص الكبرى (٣/٢٤٩) . وأخرج الشيخان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم فقال : " عرضت على الأمم يمر على النبي معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي ليس معه أحد ، والنبي معه الرهط فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون هذا أمتي فقيل لي : هذا موسى وقومه ثم قيل : انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سد الأفق فقيل لي : انظر هكذا أو هكذا فرأيت سواداً كثيراً فقيل لي هؤلاء أمئك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب " .

(٤) انظر : الخصائص (٣/٢٠٢) ، وصحيح مسلم (١/١١٦) م رقم (١٢٧) .

(٥) انظر : انظر الخصائص (٣/٢٠٩) ، وصحيح مسلم (٤/٢٢١٠) ح رقم (٢٨٨٩) .

(٦) انظر : الخصائص (٣/٢١٢) ، وصحيح مسلم البخاري (٣٤٧٣) فتح (٥١٣/٦) .

(٧) انظر : الخصائص (٣/٢١٧) . وصحيح البخاري م رقم (٥٥٧) فتح (٣٨/٢) .

(٨) انظر الخصائص (٣/٢١٣) ، وصحيح البخاري ح رقم (٧٣١١) فتح (٢٩٣/١٣) .

الباب الخامس

{ اليوم الآخر ومقدماته }

١- الفصل الأول : مقدمات اليوم الآخر

بعض أشراف الساعة .

٢- الفصل الثاني : الحياة البرزخية .

٣- الفصل الثالث : يوم القيامة .

الفصل الأول:

مقدمات اليوم الآخر

بعض أشراف الساعة

تمهيد:

الشرط: بالتحريك، هو العلامة، جمعه أشراف. وأشراف الشيء: أوائله: ومنه شرط السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض. فالشرط علامة على المشروط^(١).

معنى الساعة: في اللغة: هي جزء من أجزاء الليل أو النهار، جمعها: ساعات وساع.

في الاصطلاح: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت بالساعة لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تقبأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة^(٢).

فأشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها، وقيل هي ما ينكره الناس من صغار أمورهم قبل أن تقوم الساعة، وقيل هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها^(٣).

والساعة تطلق على ثلاثة معان:

- ١- الساعة الصغرى: وهي موت الإنسان، فمن مات فقد حضرت ساعته أو قامت قيامته لانتقاله عن الدار الدنيا.
- ٢- الساعة الوسطى: وهي موت أهل القرن الواحد، قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه - الله عنها: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألوه عن الساعة، فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: "إن يعيش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم"^(٤). والمراد منه ساعة المخاطبين^(٥).
- ٣- الساعة الكبرى: وهي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

وإذا أطلقت الساعة في القرآن الكريم فالمراد بها القيامة الكبرى قال تعالى: (يسألك الناس عن الساعة ...)^(٦)

أي: القيامة. وقال تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر)^(٧). أي: اقتربت القيامة.

وقد تذكر القيامة الصغرى كما في قوله تعالى: (فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون. ونحن أقرب

إليه منكم ولكن لا تشعرون)^(٨).

(١) انظر: النهاية (٤٦٠/٢)، لسان العرب (٣٢٩/٧-٣٣٠).

(٢) انظر: النهاية (٤٢٢/٢) واللسان (١٦٩/٨)، وترتيب القاموس المحيط (٦٤٧/٢).

(٣) انظر: النهاية (٤٦٠/٢)، واللسان (٣٢٩/٧-٣٣٠).

(٤) رواه البخاري في "صحيحه" ح رقم (٦٥١١) الفتح (٣٦١/١١)، ورواه مسلم في "صحيحه".

(٥) انظر: الفتح (٣٦٣/١١).

(٦) سورة الأحزاب، بعض الآية (٦٣).

(٧) سورة القمر، الآية (١).

(٨) سورة الواقعة، الآيات (٨٣-٨٥).

وقوله جل وعلا : (فلولا إذا بلغت التراقي)^(١) .

والذي نحن بصدد إن شاء الله تعالى هو القيامة الكبرى التي بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة^(٢) .

تناول السيوطي الكلام عن بعض أشراف الساعة في مواضع من بعض مصنفاته فذكر أن الناس قد يستخف بعضهم بيوم القيامة ويستبعد وقوعه فعند قوله تعالى : (يسأل أيان يوم القيامة)^(٣) قال : " أي يسأل الإنسان على وجه الاستخفاف والاستهزاء متى يوم القيامة ؟ وهذا لجهله إما على أن مات فقد قامت قيامته ، وهو يشاهد الموت بغتة ، فكيف يستبعد ، وليس أخبر كالمعينة ، لكن الجاهل أعمى ، ولا يقال لهذا جاهل بل هو أحمق " ^(٤) .

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده " ^(٥) كما قال تعالى : (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)^(٦) .

وقد ذكر الله - جل وعلا - في كتابه ما يبين قدرته - جل وعلا - على إقامة الساعة وكأنه رد على هذا الإنسان الذي سأل سؤال استبعاد لوقوع ذلك اليوم ، قال تعالى : (...وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب...)^(٧) يقول السيوطي : " بيان لقدرة الله تعالى على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه " ^(٨) . كقوله تعالى : (ما خلقكم ولا بعنكم إلا كنفس واحدة)^(٩) .

ثم يتناول السيوطي الكلام على أشراف الساعة فيذكر عند قوله تعالى : (...فقد جاء أشرافها...)^(١٠) يقول : " يعني علامات الساعة ، والذي جاء من ذلك مبعثه - صلى الله عليه وسلم - لقوله : " بعثت أنا والساعة كهاتين " وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تليها^(١١) .

وقد أخبر أن لها دلائل منها : ظهور الفتن ، وكثرة المعاصي والحرص على الدنيا ، والتنافس عليها ، وتوسيد الأمر لغير أهله ، فحينئذ يظهر الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، وتفصيل هذا كله يحتاج لطول نفس ، لكنهم اختلفوا في أول الآيات ظهوراً ، وذلك يتوقف على صحة نقل ، وظهور المهدي والدجال بعده ، وعيسى بعده ، ويعلم الله ما بعد ، ويعلم الله ما بعد ذلك ، والصحيح أنها كالخرز ، إذا ظهرت واحدة تبعثها أختها " ^(١٢) .

(١) سورة القيامة ، الآية (٢٦) .

(٢) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٦٣/٤-٢٦٥) ، فتح الباري (٣٦٤/١) .

(٣) سورة القيامة ، الآية (٦) .

(٤) معترك الأقران (٤٣٨/٣) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٠١/٨) .

(٦) سورة سبأ ، الآيتان (٢٩،٣٠) .

(٧) سورة النحل ، بعض الآية (٧٧) .

(٨) معترك الأقران (٣٥٣/٢) .

(٩) سورة لقمان ، الآية (٢٨) .

(١٠) سورة سينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعض الآية (١٨) .

(١١) البخاري في " صحيحه " رقم (٦٥٠٣) ، (٦٥٠٤) ، (٦٥٠٥) الأولى عن سهل بن سعد ، والثاني عن أنس ، والثالث عن أبي هريرة - رضي الله

عنهم - الفتوح (٣٤٧/١١) .

(١٢) معترك الأقران (١٠١/٣) .

وقد ذكر السيوطي بعض العلامات في أواخر أرجوزته التي سماها " تحفة المهتدين بأسماء المجددين " قال :

" وآخر المئين فيها يأتي عيسى نبي الله ذو الآيات
يجدد الدين لهذه الأمة وفي الصلاة بعضنا قد أمه
مقرراً لشرعنا ويحكم بحكمنا إذ في السماء يعلم
وبعده لم يبق من مجدد ويرفع القرآن مثل ما بدى
ونكث الأشرار والإضاعة من رفعه إلى قيام الساعة "(١)

ومن هذه النصوص يمكننا أن نستخرج بعض أشراف الساعة التي ذكرها السيوطي فيها لكي نتناولها - بإذن الله تعالى - بشئ من البيان والتوضيح .

وهذه العلامات التي ذكرها السيوطي بعضها يدخل تحت أشراف الساعة الصغرى ، وبعضها الآخر يدخل تحت القسم الثاني ، وهو العلامات الكبرى .

- فالعلامات التي هي ضمن العلامات الصغرى التي ذكرها السيوطي هي :

- ١- بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - .
- ٢- ظهور الفتن .
- ٣- كثرة المعاصي وكثرة الأشرار .
- ٤- توسيد الأمر إلى غير أهله .
- ٥- الحرص على الدنيا والتنافس فيها .
- ٦- رفع القرآن وقبض العلم .

- وأما التي تندرج ضمن العلامات الكبرى فهي :

- ١- ظهور المهدي المنتظر .
- ٢- ظهور المسيح عليه السلام - .
- ٣- ظهور المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - .
- ٤- ظهور ياجوج ومأجوج .
- ٥- طلوع الشمس من مغربها .
- ٦- ظهور الدابة .

وسأتناول - إن شاء الله تعالى - كل واحدة منها بشئ من التوضيح.

المبحث الأول

العلامات الصغرى

الأولى: بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - :

ذكرها السيوطي عند قوله تعالى : (...فقد جاء أشرافها...) (٢)

فقال : " يعني علامات الساعة والذي جاء منها مبعثه - صلى الله عليه وسلم - لأنه قال : " بعثت أنا والساعة كهاتين "(٣)

ويشير بإصبعيه فيمدهما ، يعني الوسطى والسبابة كما هو موضح في الأحاديث .

(١) التنبه بمن يبعثه الله على رأس كل مئة " (ص ٧٥) ت. عبد الحميد شانوحة - دار الثقة - مكة المكرمة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(٢) سورة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعض الآية (١٨) .

(٣) البخاري في " صحيحه " ح رقم (٦٥٠٣) ، وانظر : معترك الأقران (١٠١/٣) .

وكون مبعثه - صلى الله عليه وسلم - أول اشرط الساعة لأنه النبي الأخير الذي ختم به النبيون أجمعون فلا نبي بعده بينه وبين قيام الساعة ، فقيام الساعة تليه كما يلي السبابة الوسطى وليس بينهما إصبع ، أو كما يفضل أحدهما الآخر في الطول^(١) يؤيده قوله - صلى الله عليه وسلم - : " بعثت أنا والساعة كهاتين " وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى فما فضل إحداها على الأخرى^(٢) وورد عن قتادة مثله^(٣) .

الثانية : ظهور الفتن : ^(٤) الفتن جمع فتنة ، وهي الابتلاء والاختبار ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إلى المكروه ، كالإثم والكفر والقتل والتحريق وغير ذلك من الأمور المكروهة^(٥) .

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن بين يدي الساعة تظهر الفتن التي تزلزل الإيمان ، ويلتبس فيها الحق بالباطل ، ويصبح الحليم فيها حيران ، كلما ظهرت فتنة قال المؤمن هذه مهلكتي ، ولا تزال الفتن تظهر وتتتابع في الناس حتى تقوم الساعة .

١- قال - صلى الله عليه وسلم - : " إن بين يدي الساعة فتنة كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيفكم الحجارة . فإن دُخل على أحدكم فليكن خيراً ابني آدم " ^(٦) .

٢- وقال - صلى الله عليه وسلم - : " بادروا بالأعمال فتنة كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً . يبيع دينه بعرض من الدنيا " ^(٧) .

وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أن أكثر ما تظهر الفتن من قبل المشرق حيث يطلع قرن الشيطان .

٣- فقال - صلى الله عليه وسلم - وهو مستقبل المشرق : " ألا إن الفتنة هاهنا ، ألا إن الفتنة ها هنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان " ^(٨) . وهذا متفق عليه^(٩) .

وفي رواية لمسلم : أنه قال : " رأس الكفر من ها هنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان " يعني المشرق^(١٠) .

قال الحافظ ابن حجر : " وأول الفتن كان منبعها من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة " ^(١١) .

-
- (١) انظر : القرطبي : التذكرة (ص ٦٢٥-٦٢٦) ، وتحفة الأحوذى (٤٦٠/٦) .
- (٢) الترمذي في " سننه " (٤٥٩/٦-٤٦٠) وقال : " حديث حسن صحيح " .
- (٣) مسلم في " صحيحه شرح النووي (٨٩/١٨) .
- (٤) انظر السيوطي : معترك الأقران (٣ / ١٠١) .
- (٥) انظر : لسان العرب (٣١٧/١٣-٣٢١) ، النهاية (٤١٠/٣-٤١١) ، والفتح (٣/١٣) .
- (٦) أحمد في " مسنده " (٤٠٨/٤) بهامشه منتخب كنز العمال ، وعون المعبود (٣٣٧/١١) والحاكم في " المستدرک " (٤٤٠/٤) وقال : " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وسكت عنه الذهبي ، وابن ماجة في " سننه " (١٣١٠/٢) وصححه الألباني في " صحيح الجامع " ح رقم (٢٠٤٥) .
- (٧) مسلم في " صحيحه " (١٣٣/٢) مع شرح النووي .
- (٨) قرن الشيطان قوته وأتباعه ، وقيل : إن الشيطان يقترن رأسه بالشمس عند طلوعها (الفتح (٤٦/١٣) .
- (٩) البخاري في " صحيحه " رقم (٧٠٩٣) الفتح (٤٥/١٣) ، ومسلم في " صحيحه " (٣١/١٨) مع شرح النووي .
- (١٠) مسلم في " صحيحه " (٣٢-٣١/١٨) مع شرح النووي .
- (١١) فتح الباري (٤٧/١٣) .

والواقع يؤيد هذا ويؤكد ، فمن العراق ظهر الخوارج ، والشيعية ، والروافض ، والباطنية ، والقدرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، وكذلك ما ظهر من جهة الفرس المجوس كالزردشتية ، والمانوية والمزدكية ، والهندوسية ، والبوذية وغيرها . ولا ننسى قدوم التتار على ديار المسلمين في منتصف القرن السابع وما أحدثوه من القتل والنهب والدمار والشر العظيم المدون في كتب التاريخ الذي لا ينسى .

ولسنا ببعيد عن الشيوعية الملحدة التي تتمركز في روسيا والصين ، وسيكون ظهور الدجال وأجوج من تلك الجهة نعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

الثالثة : كثرة المعاصي وكثرة الأشرار : من العلامات التي ظهرت في

من العلامات التي ظهرت في هذا الكون فشو المعاصي والمنكرات من ارتكاب الزنا ، وشرب الخمر . وانتشار الربا ، وظهور التفسخ الخلقي وسفور النساء وتعري أجسادهن ، والسب واللعن والغش في المعاملات ، وظهور الفتيات والمعازف ، ووقوع الناس في كثير من الموبقات كالسحر والقتل ، وقذف المحصنات الغافلات ، والشرك ، وشهادة الزور ، حتى عمت المفاسد وطمت الشرور ، وأصبح الصالحون يتوارون حياءً من سطوة أهل الشر والفساد والاغلال .

١- قال - صلى الله عليه وسلم - : " إن من أشراط الساعة ... (فذكر منها) ويظهر الزنا " (١) .

٢- وقال أيضاً : " سيأتي على الناس سنوات خداعات ... (فذكر الحديث وفيه) وتشيع فيها الفاحشة " (٢) .

٣- وقال : " ليكون من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير " (٣) .

٤- وذكر - صلى الله عليه وسلم - أنه في آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين يبقى الأشرار ، يتهاجون تهاج الحمير (٤) كما في حديث النواس بن سميان - رضي الله عنه - : " ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاج الحمير فعليهم تقوم الساعة " (٥) .

٥- وقال - صلى الله عليه وسلم - : " بين يدي الساعة يظهر الربا " (٦) .

٦- وقال : " إن من أشراط الساعة ... (وذكر منها) ويشرب الخمر " (٧) .

٧- وقال : " والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قتل ؟ " فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : " الهرج ، القاتل والمقتول في النار " (٨) .

الرابعة : توسيد الأمر إلى غير أهله :

(١) البخاري في " صحيحه " الفتح (١/١٧٨) ، ومسلم في " صحيحه " شرح النووي (١٦/٢٢١) .

(٢) الحاكم في " المستدرک " (٤/٥١٢) وقال : " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

(٣) البخاري في " صحيحه " الفتح (١٠/٥١) .

(٤) أصل الهرج : الكثرة في الشيء والانتساع ، والمراد به هنا : الجماع والنكاح ، والمعنى : أن يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير . النهاية (٥/٢٥٧) وشرح النووي على مسلم (١٨/٧٠) .

(٥) مسلم في " صحيحه " (١٨/٧٠) من شرح النووي .

(٦) رواه الطبراني كما في " الترغيب والترهيب للمنذري (٣/٩) وقال : رواه رواه الصحيح " .

(٧) صحيح مسلم مع شرح النووي (١٦/٢٢١) .

(٨) نفسه (١٨/٣٥) .

ذكرها السيوطي في ضمن ما ذكره من العلامات^(١) وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " قيل : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : " إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"^(٢) وبين - صلى الله عليه وسلم - كيف ترفع الأمانة من قلوب الناس فقال حذيفة - رضي الله عنه - : حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر^(٣) قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة ، وحديثنا عن رفعها قال : " ينالم الرجل النوم فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكت"^(٤) ثم ينالم الومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل^(٥) ، كجر دحرجته على رجل فنفظ^(٦) فتراه منتبراً^(٧) ، وليس فيه شئ فيصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعتله ، وما أظرفه وما أجده ، وما في قلبه متقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده عليّ الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعين ، فأما اليوم فما كنت أبالي إلا فلاناً وفلاناً"^(٨) .

الخامسة : الحرص على الدنيا والتنافس فيها :

ذكرها السيوطي فيما ذكر من العلامات^(٩) وهو من الأخلاق الذميمة التي تحمل صاحبها على الفسق والخداع والشح بما في يده .

ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " إن من أشرط الساعة أن يظهر الشح"^(١٠) .

ويروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يتقارب الزمان وينقص العمل ، ويلقى الشح"^(١١)

وبهذا الشح يحرص الناس على الدنيا ويتنافسون فيها ويلهبهم لتكاثر منها حتى تشارك النساء الرجال في التجارة .

قال - ﷺ - : " بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشوة التجارة حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة"^(١٢) .

وقال أيضاً : " والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان

قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم"^(١٣) .

وهذا التنافس والتكاثر في الدنيا يجر صاحبه إلى ضعف الدين ، فيتنازع الناس ، ويتباغضوا فتتفرق كلمتهم

(١) انظر : معترك الأقران (١٠١/٣) .

(٢) البخاري في " صحيحه " الفتح (٣٣٣/١١) .

(٣) الجذر : الأصل من كل شئ . النهاية (٢٥٠/١) .

(٤) الوكت : جمع وكته ، وهي الأثر في الشئ كالنقطة من غير لونه - النهاية (٢١٨/٥) .

(٥) المجل : هو ما يكون في الكف من أثر العمل بالأشياء الصلبة الخشنة كهيئة البئر . النهاية (٣٠٠/٤) .

(٦) نفض : بفتح ثم كسر : بثرة تخرج في اليد من العمل ملأى ماء . اللسان (٤١٦/٧) .

(٧) المنتبر : المرتفع ، يقال : انتبر الجرح إذا انتفخ وامتلاً ماء . النهاية (٨-٧/٥) .

(٨) البخاري في " صحيحه " الفتح (٣٣٣/١١) .

(٩) انظر : معترك الأقران (١٠١/٣) .

(١٠) الطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣٢٧/٧) " رجاله رجال الصحيح غير محمد بن الحارث بن سفيان ، وهو ثقة " .

(١١) البخاري في " صحيحه " الفتح (١٣/١٣) .

(١٢) أحمد في " المسند " (٣٣٣/٥) مع شرح أحمد شاعر وقال : " إسناده صحيح " . والحاكم في " المستدرک " (٤٤٦-٤٤٥/٤) .

(١٣) البخاري في " صحيحه " الفتح (٢٥٧-٢٥٨/٦) ، ومسلم في " صحيحه " شرح النووي (٩٥/١٨) .

وتذهب شوكتهم .

السادسة : رفع القرآن وقبض العلم :

ذكرها الجلال السيوطي في معرض كلامه عن بعض أشراف الساعة^(١) .

ورد عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : " لينزع القرآن من بين أظهركم ، يُسرى عليه ليلاً ، فيذهب من أجواف الرجال ، فلا يبقى في الأرض منه شيء " ^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " يُسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف " ^(٣) .

وأعظم من هذا أن لا يذكر رب العالمين ، ولا ينطق أحد باسمه جل وعلا كما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله . الله " ^(٤)

وفي معناه قولان :

١- أن لا ينكر منكر ، ولا يزجر أحد إذا تعاطاه كما ورد في الحديث : " ...فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً " ^(٥) .

٢- أن لا يذكر رب العالمين في الأرض ، ولا يعرف اسمه - عز وجل - وذلك عند فساد الزمان ، وضلال الانسان ، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان ^(٦) .

أما قبض العلم ، فقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " من أشراف الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل " ^(٧) .

وصح عنه - ﷺ - أيضاً أنه قال : " إن بين يدي اساعة لأياماً يُنزل فيها الجهل ، ويرفع العلم " ^(٨) .

وفي رواية لمسلم : " يتقارب الزمان ، ويقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج " ^(٩) .

ويثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " ^(١٠) .

والمراد بالعلم في هذه الأحاديث علم الشريعة ، والعلم بالكتاب والسنة فهو العلم الموروث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) انظر : معترك الأقران (١٠١/٣) .

(٢) رواه الطبراني ، قال في " مجمع الزوائد " : " رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة " المجمع (٣٢٩/٧-٣٣٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٨/٣-١٩٩) .

(٤) مسلم في " صحيحه " مع شرح النووي (١٧٨/٢) .

(٥) مسند الإمام أحمد بشرح أحمد شاكر (١٨١/١١-١٨٢) وقال " إسناده صحيح " .

(٦) انظر : ابن كثير : النهاية (١٨٦/١) .

(٧) صحيح البخاري مع الفتح (١٧٨/١) ، ومسلم مع شرح النووي (٢٢٢/١٦) .

(٨) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/١٣) .

(٩) صحيح مسلم مع شرح النووي (٢٢٣-٢٢٢/١٦) .

(١٠) صحيح البخاري مع الفتح (١٩٤/١) ، ومسلم مع شرح النووي (٢٢٣-٢٢٤) .

عليه وسلم - والعلماء ورثته ، وبذهابهم يذهب العلم ، وتموت السنة وتكثر البدع ويعم الجهل .

ويدل على أن علم الشرع قوله - صلى الله عليه وسلم - : " ...فاسئلوا فافتوا بغير علم " والفتوى

والاستفتاء لا يكون إلا للشرع ، أما علم الدنيا فهو في نماء وازدياد واضطراد وليس هو المراد من هذه الأحاديث .

المبحث الثاني

ما ذكره السيوطي من العلامات الكبرى

الأولى: ظهور المهدي المنتظر - عليه السلام - .

ذكره السيوطي ضمن فتوى من فتاويه التي تضمنها " الحاوي " وقد ذكره أيضاً في أرجوزته المسماة " تحفة المهتدين بأسماء المجددين " ضمن رسالة " التنبيه بمن يبعثه الله تعالى على رأس كل مئة " . وكلامه في الفتوى أعم من كلامه في التحفة وسيكون المعول عليه إن شاء الله تعالى .

قال السيوطي : " الأحاديث في المهدي مختلفة ، وكذلك العلماء ففي بعضها : " لا مهدي إلا عيسى بن مريم " وأكثر الأحاديث على أن غيره ، وأنه من أهل البيت ثم في بعضها أنه من ولد فاطمة . وفي بعضها أنه من ولد العباس ، وبعض العلماء حمله على المهدي ثالث خلفاء بني العباس الذي تولى الخلافة في القرن الثاني ، والذي ترجح عندي من أكثر الأحاديث أنه غيره ، وأنه خليفة يقوم في آخر الزمان ، وأنه من ولد فاطمة ، وقد ثبت في أحاديث أنه يخرج من قبل المشرق ، وأنه يبائع له بمكة بين الركن والمقام ، وأنه يدخل بيت المقدس ، وأنه يمكث سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً " (١) هذا الجزء من الفتوى المتعلق بالمهدي من كلام السيوطي ، وهو يحتاج إلى شيء من البيان ليعرف ما صح منه .

١- اسمه : محمد ، أو أحمد بن عبدالله ، من ذرية فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم من ولد الحسن بن علي - رضي الله عنهم قال ابن كثير : " هو محمد بن عبدالله العلوي الفاطمي الحسني - عليه السلام - " (٢) .

٢- يكون ظهوره من قبل المشرق كما قال السيوطي ، يؤيده ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يُقتله قوم ... فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي " (٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : المراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة ... والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ، ويبائع له عند البيت " (٤) .

الأدلة من السنة النبوية على ظهوره :

١- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " يخرج في آخر أمتي

(١) الحاوي للفتاوى (٣٧٩/١) .

(٢) النهاية (٢٩/١) .

(٣) سنن ابن ماجه (١٣٦٧/٢) . ومستدرك الحاكم (٤٦٣/٤-٤٦٤) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي .

وقال ابن كثير : النهاية (٢٩/١) : " هذا إسناد قوي صحيح " .

وصححه الألباني في " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " (١١٩/١) ح رقم (٨٥) .

(٤) النهاية (٢٩/١-٣٠) .

المهدي . يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانيا ، (يعني : حججاً)^(١) .

٢- وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أبشركم بالمهدي ، بيعث على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً ، فقال له رجل : ما صحاحاً ؟ قال : " بالسوية بين الناس " . قال : " ويملأ الله قلوب أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - غنى ، ويسعهم عدله ، حتى يأمر منادياً ، فينادي فيقول : من له في ما حاجة ؟ فما يقوم من الناس إلا رجل ، فيقول : إئت السدان - يعني الخازن - فقل له : إن المهدي يأمر أن تعطيني مالاً ، فيقول له : احث ، حتى إذا حجره وأبرزه ، ندم ، فيقول كنت أجتع أمة محمد نفساً ، أو عجز عني ما وسعهم ؟ " قال : " فيرده ، فلا يقبل منه ، فيقال : إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه ، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ، ثم لا خير في العيش بعده " أو قال : " ثم لا خير في الحياة بعده "^(٢) .

٣- وعن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " المهدي منا أهل البيت ، يصلحه الله في ليلة "^(٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " أي يتوب عليه ، ويوفقه ، ويلهمه ، ويرشده ، بعد أن لم يكن كذلك "^(٤) .

٤- وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " المهدي مني ، أجلي الجبهة^(٥) أفنى الأنف^(٦) ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين "^(٧) .

٥- وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " المهدي من عترتي^(٨) ، من ولد فاطمة "^(٩) .

(١) مستدرک الحاكم (٥٥٧/٤-٥٥٨) وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢) ٣٣٦/ ح رقم (٧١١) .

(٢) مسند أحمد (٣٧/٣) مع منتخب كنز العمال ، وقال الهيثمي : " رواه الترمذي وغيره باختصار كثير ، ورواه أحمد بأسانيد ، وابو يعلى باختصار كثير ، ورجلها ثقات " مجمع الزوائد (٣١٣/٧) . وانظر : عبدالمحسن العباد : عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر (ص ١٧٧) .

(٣) مسند أحمد (٥٨/٢) ت. أحمد شاكر ، وقال : " إسناده صحيح " وسنن ابن ماجه (١٣٦٧/٢) . وصححه الألباني : صحيح الجامع الصغير (٢٢/٦) ح رقم (٦٦١١) .

(٤) النهاية (٢٩/١) .

(٥) الأجل : الذي انحسر الشعر عن جبهته . النهاية لابن الأثير (٢٩٠/١) .

(٦) القنا في الأنف : طول ورقة أرنبته مع جذب في وسطه . النهاية (١١٦/٤) .

(٧) سنن أبي داود (٣٧٥/١١) ح رقم (٤٢٦٥) وقال ابن القيم : " سنده جيد " المنار المنيف (ص ١٤٤) ت. عبدالفتاح أبو غدة ، ورواه الحاكم في " المستدرک " (٥٥٧/٤) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه " ، وقال الذهبي : " عمران ضعيف لم يخرج له مسلم " وقال

المنذري : " عمران ... استشهد به البخاري ، وثقه عفان بن مسلم ، وأحسن عليه الثناء يحيى بن سعيد القطان ، وضعفه يحيى بن معين والنسائي " عون المعبود (٣٧٥/١١) وقال الذهبي في " الميزان " (٢٣٦/٣) : " قال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث ، وقال ابو داود : ضعيف " وقال ابن حجر في " تقريب التهذيب " (٨٣/٢) : " صدوق يهم ، ورمى برأي الخوارج " . وحسن الحديث الألباني في " صحيح الجامع " (٢٢/٦-٢٣) ح رقم (٦٦١٢) .

(٨) عتره الرجل : نسله ورهطه .

(٩) سنن أبي داود (٣٧٣/١١) ، وسنن ابن ماجه (١٣٦٨/٢) ، وصححه الألباني في " صحيح الجامع " (٢٢/٦) ح رقم (٦٦١٠) .

- ٦- وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه " (١) .
- ٧- وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ينزل عيسى بن مريم ، فيقول أميرهم المهدي : تعالى صل بنا ، فيقول : لا ، إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله هذه الأمة " (٢) .
- ٨- وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تذهب ، أو لا تتقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي " (٣) وفي رواية : " يواطئ اسمه اسمي واسم ابن اسم أبي " (٤) .
- ٩- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم " (٥) .
- ١٠- وعن جابر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال : " فينزل عيسى بن مريم - صلى الله عليه وسلم - فيقول أميرهم تعالى صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء . تكرمة الله لهذه الأمة " (٦) .
- والأحاديث الواردة في هذا الموضوع كثيرة جداً بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، وقد نص على ذلك بعض العلماء (٧)
- الثانية : ظهور المسيح الدجال :**
- كلمة " المسيح تطلق على شخصين : أحدهما صديق ، والثاني ضليل كذاب زنديق .
- فالمسيح الصديق هو : عبدالله ورسوله : عيسى بن مريم - عليه السلام - المسيح الهدى الذي كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله تعالى .
-
- (١) رواه أبو نعيم في " أخبار المهدي " كما قال السيوطي في الحاوي (٦٤/٢) ورمز له بالضعف ، وكذلك المناوي في " فيض القدير " (١٧/٦) ، وقال الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٢١٩/٥) ح رقم (٥٧٩٦) " صحيح " وقال الشيخ عبدالعظيم عبدالعظيم في رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص ٢٤١) قال : " إسناده حسن لشواهد " .
- (٢) رواه الحارث بن أبي اسامة في " مسنده " كما قال ابن القيم في " المنار المنيف " (ص ١٤٧-١٤٨) ، وكذا في " الحاوي " للسيوطي (٦٤/٢) ، وقال ابن القيم : " هذا إسناد جيد " ، وصححه الشيخ عبدالعظيم عبدالعظيم في رسالته " الكلام على أحاديث المهدي " (ص ١٤٤) .
- (٣) مسند أحمد (١٩٩/٥) ح (٣٥٧٣) ، ت. أحمد شاكر ، وقال : " إسناده صحيح " ، والترمذي ، وسنن أبي داود (٣٧١/١١) .
- (٤) سنن أبي داود (٣٧٠/١١) ، قال الألباني : " صحيح " - صحيح الجامع الصغير (٧٠/٥-٧١) ح رقم (٥١٨٠) ، وانظر : رسالة الشيخ عبدالعظيم عبدالعظيم (ص ٢٠٢) .
- (٥) صحيح البخاري - مع الفتح (٤٩١/٦) ، وصحيح مسلم - مع شرح النووي (١٩٣/٢) .
- (٦) صحيح مسلم - مع شرح النووي (١٩٣/٢-١٩٤) .
- (٧) منهم : ابن القيم : " المنار المنيف " (ص ١٤٢) ، ابن حجر : فتح الباري (٤٩٣/٦-٤٩٤) السيوطي : الحاوي (٨٥/٢-٨٦) ، السفاريني : لوايع الآثار (٨٤/٢) . والبرزنجي : الإشاعة في اشراف الساعة (ص ٨٧) ، (ص ١١٢) ، عبدالمحسن العباد : عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر (ص ١٧٢-١٧٣) ، الشيخ عبدالعظيم عبدالعظيم : الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل ، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية ، استقصى فيها ما ورد عن المهدي من أخبار ، وجملة ما ذكره في هذه الرسالة من الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة وغيرهم ست وثلاثون وثلاثمائة رواية (٣٣٦) منها اثنان وثلاثون (٣٢) حديثاً ، وأحد عشر (١١) أثراً ، ما بين صحيح وحسن ، الصريح منها في ذكر المهدي تسعة أحاديث ، وستة آثار ، والباقي فيها أوصاف وقرائن تدل على أنها في المهدي . وقد صحح أحاديث المهدي ابن تيمية : منهاج السنة النبوية (٢١١/٤) وابن القيم : المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١٤٢) ، ابن كثير : النهاية (١٢٤-١٢٥) وغيرهم .

والمسيح الضليل الكذاب : هو مسيح الضلالة الذي يفتن الناس في آخر الزمان بما يعطاه من الخوارق وهو

المسيح الدجال .

وسمي الكذاب مسيحاً ، لأن إحدى عينيه ممسوحة ، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً . والراجع الأول^(١) .

و " الدجال " معناه الكذاب المموه ، وأصل " الدجل " : الخلط ، يقال : دجل إذا لبس وموه . والدجال مبالغة لأنه

يكثر منه الكذب والتلبيس^(٢) ، وجمعه دجالون ، أو دجاللة^(٣)

فالمسيح الدجال : هو الأعور الكذاب ، وهو رجل من بني آدم ، أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث

كثيرة أنه خارج في آخر الزمان لا محالة ، يلبس على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه ، ليضلهم ويقتلهم فيتبعه بعض

الجهال ، ضعيفوا الإيمان ، وقد حذر منه جميع الأنبياء أممهم ، وأكثر نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من وصفه حتى

يعرفه المؤمنون إذا ظهر فيهم فيحذروه ويجتنبوه .

ذكره السيوطي في بعض مصنفاته^(٤) ولم يذكر عليه أدلة ، وأنا ذاكرها - إن شاء الله تعالى - أو طرفاً منها .

١- عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " بينا أنا نائم أطوف

بالكعبة^(٥) فإذا رجل آدم سبط الشعر ، ينطف - أو يهراق - رأسه ماءً ، قلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، ثم ذهبت

ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبه طافية ، قالوا : هذا الدجال ، أقرب الناس به شبيهاً ابن

قطن^(٦) ، رجل من خزاعة^(٧) .

٢- وعنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : " إن الله تعالى ليس بأعور ألا

وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبه طافية " ^(٨) .

٣- وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم - : " ...وأما مسيح الضلالة فإنه أعور العين

أجلى الجبهة ، عريض النحر وفيه دفا^(٩) " ^(١٠) .

٥- وفي حديث أنس - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم - : " ...وإن بين عينيه مكتوب كافر " ^(١١) ، وفي رواية

(١) انظر : القرطبي : التذكرة (ص ٦٧٩) ، ترتيب القاموس المحيط (٢٣٩/٤) ، النهاية في غريب الحديث (٣٢٦-٣٢٧/٤) ، لسان العرب (٥٩٤/٢) .

(٢) النهاية (١٠٢/٢) .

(٣) لسان العرب (٢٣٦/١١) .

(٤) انظر : علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١٧، ١٨) ، معترك الأقران (١٠١/٣) ، الحاوي (٢٩-٣١) .

(٥) هذه رؤيا منام ، فقد رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه في المنام وهو يطوف بالكعبة ، وروى الأنبياء وحى .

(٦) اسمه : عبدالعزيز بن قطن بن عمرو الخزاعي ، وقيل من بني المصطلق من خزاعة ، وأمه هالة بنت خويلد ، وليس له صحبة ، فقد هلك في

الجاهلية ، وما ورد أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : " أضرني شبيهه ؟ قال : لا أنت مسلم وهو كافر ، فهي زيادة ضعيفة من رواية

المسعودي عند أحمد ، وقد اختلط عليه يحدث آخر . انظر تعليق أحمد شاكر على مسند أحمد (٣٠، ٣١/١٥) ، الإصابة (٢٣٩/٤) ، فتح الباري (٦/

٤٨٨) ، (١٠٨/١٣) .

(٧) صحيح البخاري - مع الفتح (٩٠/١٣) ، وصحيح مسلم - مع شرح النووي (٢٣٧/٢) .

(٨) صحيح البخاري - مع الفتح (٩٠/١٣) ، وصحيح مسلم - مع شرح النووي (٥٩/١٨) .

(٩) الدفى : مقصود : الاتثناء ، ورجل أدفى - بغير همز - فيه انثناء . النهاية (١٢٦/٢) ولسان العرب (٧٧/١) ، (٢٦٤-٢٦٣/١٤) .

(١٠) مسند أحمد - بتحقيق أحمد شاكر (٣٠-٢٨/١٥) وقال المحقق : " إسناد صحيح " ، وحسنه ابن كثير : النهاية (١٣٠/١) .

(١١) صحيح البخاري - مع الفتح (٩١/١٣) ، وصحيح مسلم - مع شرح النووي (٥٩/١٨) .

" ثم تهجاها (ك.ف.ر) يقرؤه كل مسلم ^(١) وفي رواية : " يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب " ^(٢).

٦ - وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " الدجال أعور العين اليسرى ... " ^(٣)

ويلاحظ من هذه الأحاديث أن في بعضها وصف عينه اليمنى بالعمور وفي بعضها الآخر وصف عينه اليسرى أيضاً بالعمور وكلاً الروايتين صحيحة . وينشأ من هذا اشكال حله الحافظ ابن حجر بترجيح رواية ابن عمر التي تذكر عور العين اليمنى ، لأنها متفق عليها في الصحيحين ، وهي أقوى - بهذه المثابة - من رواية مسلم وحدها ، لأن الحديث المتفق عليه عند الشيخين أقوى في الصحة من الذي روى في أحد الصحيحين دون الآخر .

أما القاضي عياض - رحمه الله تعالى - فقد ذهب مذهباً آخر في الجمع وهو أن عيني الدجال كلتيهما عوراء معيبة ، لأن الروايات كلها صحيحة ، وتكون العين المطموسة والممسوحة هي العوراء الطافئة - بالهمز - أي مطفأة ، قد ذهب ضوءها ، وهي العين اليمنى - كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما وتكون العين اليسرى التي عليها ظفرة غليظة ، وهي الطافية - بلا همز - معيبة أيضاً فهو أعور العين اليمنى واليسرى معاً ، فكل واحدة منهما عوراء ، أي : معيبة ، فإن الأعور من كل شيء : المعيب لا سيما ما يختص بالعين ، فكل عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما عوراء بذهابها ، والأخرى عوراء بعيبها . قال النووي في هذا الجمع ، " وهو في نهاية من الحسن " ^(٤) ورجحه القرطبي ^(٥) .

مكان خروجه : ورد في حديث فاطمة بنت قيس الطويل الذي يسميه العلماء بحديث الجساسة ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "... ألا إنه في بحر الشام ، أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ما هو ، من قبل المشرق ما هو (وأوماً بيده إلى المشرق) " ^(٦) .

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " الدجال يخرج من أرض المشرق ، يقال لها : خراسان " ^(٧) .
- وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يخرج الدجال من يهودية أصبهان ، معه سبعون ألفاً من اليهود " ^(٨) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وأما أين يخرج ؟ فمن قبل المشرق جزماً " ^(٩) .
وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " فيكون بدء ظهوره من أصبهان ، من حارة يقال لها : اليهودية " ^(١٠) .

(١) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٥٩/١٨) .

(٢) نفسه (٦١/١٨) .

(٣) صحيح مسلم (٦٠/١٨) مع شرح النووي .

(٤) شرح صحيح مسلم (٢٣٥/٢) .

(٥) التنكرة (ص ٦٦٣) .

(٦) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٨٣/١٨) .

(٧) سنن الترمذي (٤٩٥/٦) مع تحفة الأحوذى ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٥٠/٣) ح رقم (٣٣٩٨) .

(٨) الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد (٧٣/٢٤) وصححه ابن حجر في فتح الباري (٣٢٨/١٣) .

(٩) فتح الباري (٩١/١٣) .

(١٠) النهاية (١٢٨/١) .

الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة : ورد في الأحاديث الصحيحة أن الدجال عندما يظهر يسير في الأرض فلا يدع

قرية إلا هبطها عدا مكة والمدينة .

- في حديث فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - ورد في كلام الدجال قال : " ... فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحداً - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها " (١) .

- وفي مسند أحمد : " ... وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً ، يبلغ فيها كل منهل ، ولا يقرب أربعة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الطور ، ومسجد الأقصى " (٢) .

أتباع الدجال :

أكثر أتباع الدجال من اليهود كما ذكر في حديث أنس - رضي الله عنه - السابق ، وكذلك يتبعه كثير من العجم

والترك ، وأخلاق من الناس غالبهم الأعراب والنساء .

- عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " يتبع الدجال من يهود أصبهان

سبعون ألفاً عليهم الطيالة " (٣) .

- وقال - صلى الله عليه وسلم - : " يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة " (٤) قال ابن كثير : " والظاهر - والله أعلم

- أن المراد هؤلاء الترك أنصال الدجال " (٥) .

- وفي حديث طويل لأبي أمامة ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " وإن من فتنته (يعني الدجال) أن يقول للأعرابي

: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان : يا بني

: اتبعه فإنه ربك " (٦) .

وهذا من غلبة الجهل على الأعراب ، والنساء أسوأ حالاً من الأعراب في الجهل وسرعة التأثر بالفتن يقول النبي

- صلى الله عليه وسلم - : " ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقنة (٧) فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل

ليرجع إلى حميه وإلى أمه وابنته واخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه " (٨) .

أما فتنته : ففتنته عظيمة بسبب يدعو إليه من الكفر والشرك ، ويأتي على ذلك بأمور خارقة ليصدقها الناس في دعواه .

- قال النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يحذر الناس من فتنته : " معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار " (٩) .

(١) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٨٣/١٨) .

(٢) التفتح الرباني (٧٦/٢٤) وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٣٤٣/٧) " رجاله رجال الصحيح " .

(٣) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٨٦-٨٥/١٨) .

(٤) تحفة الأحوذى (٤٩٥/٦) من حديث أبي بكر الصديق ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠/٣) .

(٥) النهاية (١١٧/١) .

(٦) سنن ابن ماجه (١٣٦٣-١٣٥٩/٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٧-٢٧٣/٦) .

(٧) (مرقنة) : واد بالمدينة يأتي من الطائف ويمر بطرق القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد - معجم البلدان (٤٠١/٤) .

(٨) مسند أحمد - ت . أحمد شاكر (١٩٠/٧) رقم (٥٣٥٣) وقال المحقق : " إسناده صحيح " .

(٩) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٦١-٦٠/١٨) .

- وقال أيضاً : " لأننا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأي العين ماء أبيض ، والآخر رأي العين نار تأجج ، فلما أدركن أحد ، فليات النهر الذي يراه ناراً ، وليغمض ، ثم ليطأطأ رأسه ، فيشرب منه فإنه ماء بارد " (١) .

- وقال - صلى الله عليه وسلم - عن لبث الدجال في الأرض : " أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم " قالوا وما إسرعه في الأرض ؟ قال : " كالغيث إذا استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم (٢) أطول ما كانت ذراً (٣) ، وأسبغه ضروراً (٤) وأمه خواصير ، ثم يأتي القوم فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس معهم شيء من أموالهم ، ويمر بالجربة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتنبعث كنوزها كيغاسيب النحل (٥) ثم يدعو رجلاً ممثلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك " (٦) .

- وجاء في رواية : أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال من خيار الناس ، أو خير الناس . يخرج إلى الدجال من مدينة - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول للدجال : " أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثه ، فيقول الدجال : أريتم إن قتلت هذا ثم أحيتته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : (أي الرجل) : والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم ، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه " (٧) .

وقد سبق معنا من حديث أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أن هذا الدجال : " من فتنته أن يقول للأعرابي : أرايت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني اتبعه فإنه ربك " (٨) .

فهذا طرف من فتنته - نعوذ بالله من فتنته ومن جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ونسأل الله السلامة والعافية .

الوقاية من فتنة الدجال :

أرشدنا النبي - ﷺ - إلى ما يعصمنا من هذه الفتنة العظيمة ، فتنة المسيح الدجال ، فهو الرؤوف الرحيم الذي ما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرنا منه ، ومن هذه الشرور التي حذر أمته منها فتن الدجال .

ومن هذه التوجيهات :

١- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، وأنه تعالى موصوف بكل كمال منزّه عن كل نقص ، وأنه تعالى له الأسماء الحسنی والصفات العلی التي لا يشاركه فيها أحد من الخلق ، فإذا علم المؤمن ذلك عرف أن المسيح الدجال بشر يأكل

(١) نفسه (٦١/١٨) .

(٢) السارحة : هي الماشية .

(٣) ذرا : بضم الذال المعجمة وهي الأعمال والأسمنة .

(٤) أسبغه : بالسین المهملة والغین المعجمة أي " أطوله لكثرة اللين ، وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع - شرح النووي على صحيح مسلم (٦٦/١٨) .

(٥) يغاسيب النحل : جمع يعسوب ، وهو ذكر النحل ، ويسمى كل سيد يعسوباً وإذا طار أمير النحل اتبعته جماعاتها - انظر مشارق الأنوار للقاضي عياض (٣٠٥/٢) ، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم (٦٧/١٨) .

(٦) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٦٥/١٨-٦٦) .

(٧) صحيح البخاري (١٠١/١٣) - مع الفتح .

(٨) سبق تخريجه ، وهو عند ابن ماجه في سننه (١٣٥٩-١٣٦٣) وصححه الألباني في " صحيح الجامع الصغير " (٢٧٣-٢٧٧) ح رقم (٧٧٥٢) .

ويشرب ، والله تعالى منزله عن ذلك ، وأنه تعالى منزله عن العور والعيوب ، في حين أن الدجال أعور معيب والله عز وجل ليس كذلك - كما أن الله تعالى لا يمكن لأحد رؤيته في الدنيا لكن الدجال يراه الناس عند خروجه ، فيتبين من ذلك أنه كذاب في دعواه وأفعاله فلا يصدق ولا يتابع فيما يقوله ويدعيه .

٢- التعوذ بالله تعالى من فتنته ، خاصة في الصلاة ، فقد قال : - صلى الله عليه وسلم - : " إذا تشهد أحدكم ، فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال " (١) .

- وكان طاووس يأمر ابنه بإعادة الصلاة إذا لم يقرأ بهذا الدعاء فيها (٢) .

٣- حفظ آيات من سورة الكهف ، فقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها .

- ففي حديث النواس بن سمعان ، يقول - صلى الله عليه وسلم - : " ... من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف " (٣) .

- وفي حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال " .

قال مسلم : قال " شعبة : من آخر سورة الكهف ، وقال همام : من أول الكهف " (٤) .

٤- الفرار من الدجال والابتعاد عنه ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " من سمع بالدجال فليأمن بالله إن الرجل ليأمنه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات ، أو لما يبعث به من الشبهات " (٥) .

إذا فالذي ينبغي على المؤمن حين يسمع بهذا الدجال أن يبتعد عنه ، ولا يقترب منه ، ولا يقول أذهب لأرى ، ولا يقول أذهب لأقتله ، لأن الذي سيتولى قتله هو المسيح ابن مريم - عليه السلام - فقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " يخرج الدجال في أمتي ... (فذكر الحديث وفيه) فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه " (٦) .

- وفي حديث النواس بن سمعان ، ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - نزول عيسى - عليه السلام - وقتله الدجال ، وفيه يقول : " فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله " (٧) ويقتله تنتهي فتنته ، وقانا الله والمسلمين شر كل فتنة .

الثالثة : نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - :

ذكر السيوطي هذه العلامة ولم يفصل القول فيما فقال :

(١) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٨٧/٥) .

(٢) نفسه (٨٩/٥) . كان طاووساً - رحمه الله - كان يرى وجوب قراءة هذا الدعاء في الصلاة بعد التشهد ، ولذا أمر ابنه بالإعادة .

(٣) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٦٥/١٨) .

(٤) نفسه (٩٢/٦) .

(٥) الفتح الرباني (٧٤/٢٤) ، وسنن أبي داود (٢٤٢/١١) مع عون المعبود ، ومستدرک الحاكم (٥٣١/٤) وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ولم يخرجاه " وسكت عنه الذهبي ، وصححه الألباني في " صحيح الجامع الصغير (٣٠٣/٥) ح رقم (٦١٧٧) .

(٦) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٧٦-٧٥/١٨) .

(٧) نفسه (٦٨-٦٧/١٨) .

" وآخر المثين فيها يأتي
يجدد الدين لهذه الأمة
مقررأ لشرعنا ويحكم
عيسى نبي الله ذو الآيات
وفي الصلاة بعضنا قد أمه
بحكمنا إذ في السماء يعلم^(١)

وهذا تصريح منه بنزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان يجدد الدين لأمة الإسلام ، بمعنى أنه يبين السنن وينشرها ويذكر الناس بها ويدعوهم إليها ، ويبين البدع ويردها ويحذرهم منها ، وينشر العلم بين الناس ، وينصر أهله ، ويبعث فيهم الهمم القوية لطلب العلم ، والخروج من الجهل ، فإنه مع تقادم العهد بالناس فإن كثيراً منهم يغفل عن كثير من أمور الدين ، فينتشر الجهل وتكثر المخالفات الشرعية ، ويستخف الناس بارتكاب المعاصي والمنكرات ، وقول السيوطي :
" وفي الصلاة بعضنا قد أمه " إشارة إلى ظهور المهدي محمد بن عبدالله الفاطمي العلوي - رضي الله عنه - وقد مضى الكلام عنه مفصلاً .

والكلام هنا عن عيسى ابن مريم - عليه السلام - يقول السيوطي : " ونؤمن بنزوله في آخر الزمان ، ويقتل الدجال " (٢) .
فإنه إذا ظهر خليفة آخر الزمان المهدي المنتظر ، فيقود المؤمنين إلى الدعوة والجهاد ، عند ذلك يظهر الدجال ، فيتوجه المهدي بالمؤمنين لقتاله ، فينزل عيسى - عليه السلام - ويلتقي بالمهدي ويسيرون معاً للقاء الدجال فيدركه عيسى - عليه السلام - فيقتله عند باب لد^(٣) بفلسطين .
- أما موضع نزوله - عليه السلام - فهو عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام . قال ابن كثير : " هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق قلعل هذا هو المحفوظ... وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه ، وهذا هو الأنسب والأليق " (٤) .

وذكر ابن كثير أنه في زمنه سنة إحدى وأربعين وسبع مئة جدد المسلمون منارة من حجارة بيض ، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها ، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة ، حيث قبض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى لينزل عيسى بن مريم عليها ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ولا يقبل منهم الجزية ، ولكن من أسلم وإلا قتل ، وكذلك غيرهم من الكفار (٥) .

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في صفة نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - : " إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين^(٦) ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه

(١) التنبؤ بمن يبعثه الله على رأس كل مئة (ص ٧٥) ، وانظر : معترك الأقران (١٠١/٣) ، (٦١٧/٢) .

(٢) معترك الأقران (٦١٧/٢) .

(٣) (اللد) بلدة بفلسطين قرب بيت المقدس . معجم البلدان (١٥/٥) .

(٤) النهاية - الفتن والملامح (١٤٤/١-١٤٥) .

(٥) السابق نفسه (١٤٥/١) .

(٦) روى بالرجال المهمة والذال المعجمة ، والمهمة أكثر ، والمعنى : لا بس مهرودتين ، أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران - شرح النووي (٦٧/٨)

(وانظر : لسان العرب (٤٣٥/٣) ، النهاية (٢٥٨/٥) .

قطر ، وإذا رفع تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه - أي يطلب الدجال - حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ^(١) .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على نزول عيسى - عليه السلام - قال تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) إلى قوله تعالى : (وإنه لعلم للساعة ...) ^(٢) أي : نزول عيسى - عليه السلام - علامة على قرب الساعة وقرئ : (وإنه لعلم للساعة) بفتح العين واللام أي " علامة وأمرة على قيام الساعة " ^(٣) .

- وقال جل وعلا : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) ^(٤) فهذه الآية الكريمة تدل على أن فريقاً من أهل الكتاب سيؤمن بعيسى - عليه السلام - بعد نزوله ، وقبل موته ، لأنه رفع إلى السماء حياً ، ولم يزل كذلك حتى ينزل آخر الزمان فيؤمنون به الإيمان الحق الذي قرره دين الإسلام . وهذا أحد القولين في معنى الآية ^(٥) وهو اختيار ابن جرير حيث قال : " وأولى الأقوال بالصحة قول من قال : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى

قبل موت عيسى " ^(٦) وروى بسنده عن الحسن البصري أنه قال : " قبل موت عيسى ، والله إنه الآن حي عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون " ^(٧) وصححه ابن كثير - رحمه الله تعالى - ^(٨) .

وهذا يؤيد ما قاله السيوطي من أن عيسى بن مريم - عليه السلام - سينزل آخر الزمان ويقتل الدجال ، وهو ما اتفق عليه علماء المسلمين .

يظهر بجلاء صحة حصول هذه الآية ، وهي نزول المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - آخر الزمان ، وهي من عقائد أهل السنة والجماعة الثابتة - كما تقدم - وبه يظهر صحة ما قاله جلال الدين السيوطي .

الرابعة : يأجوج ومأجوج :

ذكرها السيوطي ولم يفصل فيها القول ^(٩) . ومما ذكره السيوطي فيهم أنه قال : " ونزوله (يعني المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام) قبل يأجوج ومأجوج ، فإنهم يخرجون في أواخر أيامه ، وأما طول يأجوج ومأجوج ففي أثر أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس موقوفاً أنهم شبر وشبران وثلاثة أشبار ، وفي حديث ضعيف مرفوع أخرجه الطبراني أنهم أصناف صنف منهم طول الأرض ^(١٠) وصنف منهم يفترش بإذنه ويلتحف بالأخرى ، وأما خروجهم فمن خلف السد أقصى

(١) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٦٨-٦٧/١٨) .

(٢) سورة الزخرف ، الآيات (٦١-٥٧) .

(٣) ابن جرير (٩٠-٩١/٢٥) ، القرطبي (١٠٥/١٦) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وغيرهما

(٤) سورة النساء ، الآية (١٥٩) .

(٥) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٠٤/٢-٤٠٥) .

(٦) جامع البيان (٢١/٦) .

(٧) نفسه (١٨/١) .

(٨) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤١٥/٢) .

(٩) انظر : معترك الأقران (١٠١/٣) ، الحاوي (٣٧٩/١) .

(١٠) الأرض : يسكون الرء وفتحها : شجر الصنوبر .

بلاد الترك ، وفي الحديث أن مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان ، وأما مدة إقامتهم فيسيرة فإنهم يخرجون في زمن عيسى ، ويهلكون في زمنه ^(١) .

هذا ما ذكره السيوطي وهو يتضمن عدة أمور :

- ١- الاعتقاد بخروجهم .
- ٢- مكان خروجهم .
- ٣- صفتهم وأصنافهم .
- ٤- مدة لبثهم في الأرض .

وهذه النقاط الأربع تحتاج إلى شيء من التحقيق فأقول وبالله تعالى التوفيق والاستعانة .

أولاً : اعتقاد خروجهم :

خروج يأجوج ومأجوج علامة من علامات الساعة الكبرى ، وقد دل على خروجهم الكتاب ، والسنة .

١- قال تعالى : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياولئنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ^(٢) .

يقول ابن كثير : " قد قدمنا أنهم (يعني يأجوج ومأجوج) من سلالة آدم - عليه السلام - بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث أب الترك ، والترك شذمة منهم ... وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية ^(٣) " ثم ساق بعض الأحاديث .

٢- وقال تعالى : (ثم اتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد رب حقا . وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) ^(٤) .

يقول ابن كثير عن السدين : " هما جبلان متناوحيان ^(٥) بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيهم فساداً ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم - عليه السلام - كما ثبت في الصحيحين : " إن الله تعالى يقول : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك . فيقول ابعث بعث النار ، فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . فحينئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، فيقال : إن فيكم أمتين ، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ^(٦) " ^(٧) .

(١) الحاوي (٣٧٩/١) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيتان (٩٦-٩٧) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٦٧/٥) .

(٤) سورة الكهف ، الآيات (٩٢-٩٩) .

(٥) أي متقابلان .

(٦) صحيح البخاري (١٢٢، ١٢٣/٦) كتاب التفسير ، تفسير سورة الحج ، كتاب الرقاق (١٣٧، ١٣٨/٨) ، صحيح مسلم (١٣٩، ١٤٠/١) كتاب الإيمان .

(٧) تفسير القرآن العظيم (١٩١/٥) .

ومن الأحاديث النبوية التي تكلمت عن خروج يأجوج ومأجوج :

- ١- عن أم حبيبة ، بنت أبي سفيان - رضي الله عنهما - عن زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها يوماً فرعاً يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها) " قالت زينب بنت جحش : فقلت : يا رسول الله ، أفنهلك وفيما الصالحون ؟ قال : " نعم ، إذا كثرت الخبث " (١) .
 - ٢- وفي حديث النّوّاس بن سميان - رضي الله عنه - قوله - صلى الله عليه وسلم - : " ...إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يُدان لأحد بقتالهم فخرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج . وهم من كل حذب ينسلون ، فيمر أولئك على بحيرة طبرية فيشرون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النّغف (٢) في رقابهم ، فيصبحون فرسي (٣) ، كموت نفس واحدة ، ثم يُهبط بنبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم وفتنتهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً ، كأعناق البخت (٤) فتحملهم ، فتطرحهم حيث شاء الله " (٥) وفي رواية بعد قوله : " لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر (٦) ، وهو جبل ببيت المقدس . فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم (٧) إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماء " (٨) .
 - ٣- وفي حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : لما كان ليلة أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقي ابراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام - فتذاكروا الساعة... إلى أن قال : " فردوا الحديث إلى عيسى فذكر قتل الدجال ، ثم قال : (ثم يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حذب ينسلون ، لا يملكون ماء إلا شربوه ، ولا بشئ إلا أفسدوه ، يجأرون إليّ فأدعو الله ، فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيقذف بأجسامهم في البحر " (٩) .
- وفي الباب أحاديث أخر كثيرة في معنى الذي أوردته منها .
- ٢- أما مكان خروجهم : فقد مضى كلام ابن كثير أنهم يخرجون من بين السدين اللذين ذكروا في القرآن وهما جبلان متقابلان يخرجون من ثغرة بينهما على بلاد الترك .
 - ٣- وعن صفتهم وأصنافهم : فقد ذكر السيوطي أنهم شبر وشبران وثلاثة أشبار ، وأن منهم صنف طول شجر الأرز مائة

(١) صحيح البخاري - مع الفتح (٣٨١/٦) ، (١٠٦/١٣) ، صحيح مسلم - مع شرح النووي (٢/١٨) .

(٢) (النّغْفُ) بالتحريك ، دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحداثها نغفة النهاية (٨٧/٥) .

(٣) (فرسي) بفتح الفاء ، أي قتلى ، الواحد فرس من فرس الذئب الشاة ، وافترسها إذا قتلها ، النهاية (٢٢٨/٣) .

(٤) (البُخْت) بضم الباء ، جمال طوال الأعناق ، وهي لفظة معربة ، مفردا بختية لكنتى ، وبختي للذكر ، النهاية (١٠١/١) .

(٥) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٦٨/٦٩) .

(٦) الخمر ، بفتح الخاء والميم ، هو الشجر الملفت الذي يستز من فيه ، وقد جاء تفسيره في الحديث بأنه جبل ببيت المقدس .

(٧) النشاب : يطلق على النبل والسهام ، واحداثه نشابة . لسان العرب (٧٥٧/١) .

(٨) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٧٠/٧١) .

(٩) مستدرک الحاكم (٤٨٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه أحمد شاكر مسند أحمد (١٨٩/٤) وضعفه الألباني ، في ضعيف الجامع (٢٠/٥) رقم (٤٧١٢) .

وعشرون ذراعاً ، وصنف منهم يفترش بأذن ويلتحف بالأخرى ^(١) .

وقد ذكر ابن حجر بعض الآثار ولكنها روايات ضعيفة تدل على أنهم ثلاثة أصناف :

١- صنف أجسادهم كالأرز .

٢- وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع .

٣- وصنف يفترشون أذانهم ^(٢) .

كما ذكر السيوطي ، ولكن ابن كثير انكر هذه الروايات وقال : " إن من زعم أن هذه صفاتهم فقد تكلف ما لا

علم له به ، وقال ما لا دليل عليه ^(٣) مما يدل على أن هذه الأوصاف لا تصح لأنها وردت بروايات ضعيفة لا تنهض

للاحتجاج ، وهي أشبه ما تكون بالخرافات .

والذي تدل عليه الروايات الصحيحة أنهم رجال أقوياء وأشداء لا طاقة لأحد بقتالهم ، ويبعد مع هذا أن يكون طول

الواحد منهم شبر أو شبران أو ثلاثة .

٤- وعن مدة لبثهم في الأرض : فهي مدة يسيرة كما قال السيوطي فإنهم يخرجون في زمن عيسى ويهلكون في زمنه ^(٤)

وهذا هو الذي دلت عليه الأحاديث المتقدمة .

الخامسة : طلوع الشمس من مغربها :

ذكرها السيوطي في تعديده لبعض أشراف الساعة ^(٥) .

ويدل على هذه العلامة - وهي طلوع الشمس من المغرب الكتاب والسنة .

قال تعالى : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) ^(٦)

قال ابن جرير - رحمه الله - : " وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ذلك حين تطلع الشمس من مغربها " ^(٧) .

وقال الشوكاني : " فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قاذح فيه ، فهو واجب التقديم ، محتم الأخذ به " ^(٨) .

ومن السنة النبوية أدلة صحيحة على هذه الآية أو العلامة :

١- فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس

(١) الحاوي (٣٧٩/١) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٠٧/١٣) .

(٣) النهاية (١٥٣/١) ، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٨) حديثاً رواه حذيفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في وصف يأجوج ومأجوج ببعض هذه الصفات ، وعزاه للطبراني في الأوسط ، وفي إسناده يحيى بن سعيد العطار ، وهو ضعيف ، وقال فيه ابن حجر : " ضعيف جداً " انظر

: فتح الباري (١٠٦/١٣) .

(٤) انظر : الحاوي (٣٩٧/١) ، والمقصود مدة خروجهم وشرهم المنتشر على الناس ، أما وجودهم فهم موجودون من زمن ذي القرنين .

(٥) انظر : السابق نفسه .

(٦) سورة الأنعام ، الآية (١٥٨) .

(٧) جامع البيان (١٠٣/٨) .

(٨) فتح القدير (١٨٢/٢) .

من مغربها ، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ^(١) .

٢- وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان ... (نذكر الحديث وفيه :) وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ^(٢) .

٣- وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها... " الحديث ^(٣) .

٤- وفي حديث حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه - في ذكر أشرار الساعة فذكر منها : " طلوع الشمس من مغربها " ^(٤) .

٥- وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها " ^(٥) .

٥- وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال يوماً : " أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال " إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخرج ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخرج ساجدة ، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستكر الناس منها شيئاً ، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش ، فيقال لها : ارتفعي ، أصبحي طالعة من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها " فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الله عليه وسلم : " أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ^(٦) .

وإذا طلعت الشمس من مغربها ، أغلق باب الإيمان والتوبة ممن لم يكن قبل ذلك مؤمناً ، فإنها آية عظيمة يراها كل من كان في ذلك حياً في زمان ذلك التحول الخطير لمسيرها المعتاد ، حينئذ تنكشف لهم الحقائق ، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته وما أخبر الناس به ، وهذا الإقرار والتصديق لا ينفعهم حينئذ لأن حكمهم آنذاك حكم من عاين بأس الله تعالى . كما قال جل وعلا : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) ^(٧) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : " إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه ، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك ، فإن كان

(١) صحيح البخاري - مع الفتح (٣٥٢/١١) ، وصحيح مسلم - مع شرح النووي (١٩٤/٢) .

(٢) صحيح البخاري - مع الفتح (٨٢-٨١/١٣) .

(٣) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٨٧/١٨) .

(٤) نفسه (٢٨-٢٧/١٨) .

(٥) صحيح مسلم - مع شرح النووي (٧٨-٧٧/١٨) ، وأحمد في المسند (١١١-١١٠/١١) ت أحمد شاكر .

(٦) صحيح مسلم (١٩٦-١٩٥/٢) مع شرح النووي ، ورواه البخاري مختصراً في صحيحه (٥٤١/٨) مع الفتح .

(٧) سورة غافر ، الآية (٨٥) .

مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم ، وإن كان مخطئاً فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبة " (١) .

يؤكد هذا المعنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لا تتقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة

مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل " (٢) .

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : " إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً عرض مسيرة سبعين عاماً للتوبة ، لا

يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله تبارك وتعالى : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن

آمنت...) الآية (٣) " (٤) .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء

الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " (٥) .

السادسة : ظهور الدابة :

أشار السيوطي إلى هذه العلامة في معرض كلامه عن أشرار الساعة (٦) .

وقد وردت أدلة على ظهور هذه الدابة في آخر الزمان تسم الناس على وجوههم بالكفر والإيمان ، فتجلو وجه

المؤمن ، وتخم أنف الكافر . من هذه الأدلة :

١- قوله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (٧) .

فإذا وقع القول عليهم أي : وجب الوعيد عليهم ، لتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان ، وإعراضهم عن آيات

الله ، وتركهم تدبرها والنزول على حكمها ، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجح معه فيهم موعظة ، ولا يصرفهم عن

غيهم تذكرة ، يقول عز من قائل : فإذا صاروا كذلك أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ، أي دابة تعقل وتتطق ، والدواب

في العادة لا كلام لها ولا عقل ، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله تعالى " (٨) .

وقد وردت أدلة في السنة النبوية على ظهور الدابة منها :

١- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن أول الآيات خروجاً : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على

الناس ضحى ، وأيهما ما كانت قبل صاحبيتها ، فالأخرى على إثرها قريباً " (٩) .

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٧١) .

(٢) مسند أحمد ت. أحمد شاكر (٣/١٣٣-١٣٤) وقال المحقق : " اسناده صحيح " وقال ابن كثير : " هذا إسناد جيد قوي " النهاية (١/١٧٠) ، وقال

الهيتمي : " رجال أحمد ثقات " مجمع الزوائد (٥/٢٥١) .

(٣) سورة الأنعام ، بعض الآية (١٥٨) .

(٤) الترمذي في سننه مع تحفة الأخوذ (٩/٥١٧-٥١٨) وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٣٦٩) : " صححه النسائي " .

(٥) صحيح مسلم - مع شرح النووي (١٧/٧٦) .

(٦) انظر : الحاوي (١/٣٩٧) ، معترك الأقران (٣/١٠١) .

(٧) سورة النمل الآية (٨٢) .

(٨) انظر : القرطبي : التذكرة (ص ٦٩٧) .

(٩) نفسه (١٨/٧٧-٧٨) .

٢- وفي حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراف الساعة ، فذكر منها الدابة ، وفي رواية " دابة الأرض " (١) .

٣- وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " بادروا بالأعمال ستاً : (وذكر منها) : دابة الأرض " (٢) .

٤- ومن حديث أبي هريرة - أيضاً - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - تخرج الدابة ومعها عصا موسى - عليه السلام - وخاتم سليمان - عليه السلام - فتخطم الكافر (٣) - قال عفان أحد رواة الحديث - : أنف الكافر بالخاتم ، وتجلو وجه المؤمن بالعصا (٤) حتى إن أهل الخوان (٥) ليجتمعون على خوانهم ، فيقول هذا : يا مؤمن ، ويقول هذا : يا كافر " (٦) .

- مكان خروج الدابة : في مكان خروجها خلاف بين العلماء على أقوال منها :

١- أنها تخرج من مكة المكرمة من أعظم المساجد .

٢- أن لها ثلاث خرجات ، فمرة تخرج في بعض البوادي ثم تختفي ، ثم تخرج في بعض القرى ، ثم تظهر في المسجد الحرام (٧) .

وهناك أقوال أخرى غير ما ذكر ، غالبها يدور على أن خروجها يكون من الحرم المكي . وليس على هذا دليل صريح قاطع ، فانه تعالى أجل وأعلم (٨) .

(١) نفسه (٢٨-٢٧/١٨) .

(٢) نفسه (٧٨١/١٨) .

(٣) (تخطم الكافر) : أي تسمه ، من خطمت البعير إذا كويته خطأ من الأنف إلى أحد خديه وتسمى تلك السمة الخطام ، ومعناه أن تؤثر في أنفه سمة يعرف بها . لسان العرب (١٨٨/١٢) ، وترتيب القاموس المحيط (٨٩/٢-٨٠) ، والنهاية (٥٠/٢) .

(٤) (تجلو وجه المؤمن) ، الجلي : انحصار مقدم الشعر ، والمعنى : تصقل وجهه وتبيضه . تحفة الأحوذ (٤٤/٩) .

(٥) (الخوان) : ما يوضع عليه الطعام عند الأكل . النهاية (٨٩/٢-٩٠) .

(٦) مسند أحمد - ت. أحمد شاكر (٨٢-٧٩/١٥) وقال المحقق : " إسناده صحيح " ، وسنن الترمذي (٤٤/٩) ، وقال : " حديث حسن " ومستدرک الحاكم

(٤٨٦-٤٨٥/٤) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٦/٣) ح رقم (٣٤١٢) بسبب علي بن زيد بن جدعان ، وضعفه الألباني ، ووثقه أحمد

شاكر فقال في تعليقه على المسند (١٢٢/٢) ح رقم (٧٨٣) " علي بن زيد بن جدعان قد سبق أننا وثقناه وهو مختلف فيه ، والراجح عندنا توثيقه وقد

صحح له الترمذي أحاديث " .

(٧) جاء في حديث حذيفة بن أسيد عند الحاكم : أن لها : " ثلاث خرجات " وذكر الحديث بطوله ، ثم قال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه " ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک (٤٨٤-٤٨٥/٤) ، ورواه الطبراني والحاكم بسند فيه عمرو الحضرمي ، وهو ضعيف .

(٨) انظر : القرطبي : التذكرة (٦٩٧-٦٩٨) ، الإشاعة (ص ١٧٦-١٧٧) ، لوامع الأنوار (١٤٤/٢-١٤٦) .

الفصل الثاني

الحياة البرزخية

المبحث الأول : معنى الحياة البرزخية وسؤال القبر

ومن لا يسأل في قبره

الحياة البرزخية أي المنسوبة إلى البرزخ ، والبرزخ في كلام العرب : الحاجز بين الشيئين^(١) . قال تعالى : (... وجعل بينهما برزخاً ...)^(٢) أي حاجزاً^(٣) .

والبرزخ في الاصطلاح : الدار التي تعقب الموت إلى البعث قال تعالى : (... ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)^(٤) أي حاجز بين الموت والبعث ، فمن مات فقد دخل في البرزخ^(٥) ، وقال رجل في حضرة الشعبي : رحم الله فلاناً فقد صار من أهل الآخرة ، فقال الشعبي : لم يصّر من أهل الآخرة ولكنه صار من أهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الآخرة^(٥) . فالمقصود بالحياة البرزخية المدة بين الحياة الدنيا ، الحياة المادية الأولى ، والحياة الثانية التي تبدأ بقيام الناس من قبورهم وفي هذه الحياة البرزخية مرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب أو بالعقاب ، وقد يعبر عنها بعذاب القبر ونعيمه ، ويسبق هذا النعيم أو العذاب سؤال القبر من قبل الملكين .

كلام السيوطي عن عذاب القبر :

تعرض السيوطي لهذه الحياة البرزخية وما يدور فيها من سؤال وعقاب أو ثواب ، وصنف فيها مصنفاً كبيراً سماه " شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور " يقول السيوطي : " وإن سؤال الملكين منكر ونكير للمقبور حق "^(٦) وكلام السيوطي هذا صحيح قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الإنسان المكلف إذا مات جاءه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما منكر ، ويقال للآخر النكير فيسألانه الأسئلة التالية :

٢ - ما دينك ؟

١ - من ربك ؟

٣ - ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ أي سيدنا وحبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

أما المؤمن فيجيب عليها بما آمن به في الدنيا من حق ، ثم يعرض عليه مقعده من الجنة ، بعد أن يعرض عليه مقعده من النار - لو لم يكن قد مات مؤمناً - وذلك تطميناً لقلبه ، ثم يفسح له في قبره مد بصره .

أما المنافق والكافر فعندما يسأله الملكان في قبره تلك الأسئلة الثلاث فيقول : لا أدري ، فيقال له : لا دريت ولا تليت^(٧) ثم يضرب بمطارق من حديد يصيح منها صيحة يسمعونها من يليه من الملائكة والموتى غير الثقليين (الأنس والجن)

(١) القاموس المحيط مادة (برز) وانظر ترتيب القاموس المحيط (٢٤٨/١) ومختار الصحاح (ص ٤٢) .

(٢) سورة الفرقان بعض الآية (٥٣) .

(٣) انظر : الطبري : جامع البيان (٢٤/١٩ - ٢٥) ، وابن كثير في تفسيره (١٢٦/٦) تفسير الجلالين (٤٣٩) ، والسفاري : لوامع الأنوار (٤/٢) .

(٤) سورة المؤمنون ، بعض الآية (١٠٠) .

(٥) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (١٠٠/١٢) .

(٦) علم التوحيد في لوحة رقم (٧) .

(٧) أي : لا دريت بنفسك ولا اتبعت من يدري ويعلم ، انظر : ابن حجر : فتح الباري (٢٣٩/٣) .

ثم يضيق عليه قبره تعذيباً له .

ثم استشهد السيوطي على ما ذكره من سؤال الملكين فقال : " قال - صلى الله عليه وسلم - : " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عن أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد - صلى الله عليه وسلم - فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تلتيت . ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " رواه الشيخان^(١) وفي رواية لأبي داود : فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : ربي الله : وديني الإسلام ، والرجل المبعوث رسول الله^(٢) ويقول الكافر في الثلاثة : لا أدري وفي رواية الترمذي : " يقال لأحدهما المنكر ، والآخر النكير "^(٣) . هـ كلام السيوطي^(٤) .

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين روايات الحديث المتعددة أثناء شرحه للحديث في " فتح الباري " فكان مما ذكره - رحمه الله - أن الملكين أسودان أزرقان^(٥) يقال لأحدهما : المنكر وللآخر النكير بالتعريف^(٦) ، أو منكر ونكير بدون أداة التعريف (آل)^(٧) . وذكر أيضاً عن بعض الفقهاء أن اسم للذين يسألان المذنب منكر ونكير ، وأن اسم للذين يسألان المطيع مبشر وبشير^(٨) . ولم يستدل لهذا القول بدليل ، وقد صرح السيوطي بذلك فقال : " وذكر ابن يونس من أصحابنا أن ملكي المؤمن يقال لهما : مبشر وبشير "^(٩) ولم يأت هو الآخر على ذلك بدليل ، مما يجعل هذا الكلام من ابن يونس لا يلتفت إليه^(١٠) .

وبناء على هذه الأدلة من السنة الصحيحة يجب اعتقاد سؤال الملكين واعتقاد عذاب القبر ونعيمه ، فقد ذهب إلى موجب هذه الأدلة جميع أهل السنة والحديث يقول شارح الطحاوية : " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه

(١) البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٦٧) رقم (١٣٣٨) الفتح (٢٠٥/٣) ، باب (٨٦) رقم (١٣٧٤) الفتح (٢٣٢/٣) .
ومسلم في " صحيحه " (٢٢٠٠/٤) تاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) ، باب (١٧) رقم {٧٠-٢٨٧٠} .

(٢) الحديث رواه أبو داود في " سننه " رقم (٤٨٢٧) وأحمد في " المسند " (٢٨٦-٢٦٩) ، وأبو داود الطيالسي في " مسنده " رقم (٧٥٣) ،
وعبد الرزاق في " مصنفه " رقم (٦٧٣٧) ، والأجري في " الشريعة " رقم (٨٥٩) والبيهقي في " الاعتقاد " (ص ١٢٣) وصححه العلامة ابن القيم في
شرحه على سنن أبي داود وناقش علل أبي حاتم البستي وابن حزم على الحديث (٩٠/١٣) من عون المعبود .

(٣) إسناده حسن ، رواه الترمذي في " سننه " كتاب الجنائز (٣٧٤/٣) ح رقم (١٠٧١) وقال : " حديث حسن غريب " ، وابن أبي عاصم في " السنة " (٢/٤١٦-٤١٧) ح رقم (٨٦٤) ، وابن حبان في " صحيحه " انظر : " الموارد " (ص ١٧٩) ح رقم (٧٧٩) جميعهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق
... به ، وحسن الألباني إسناده في هامش كتاب السنة لابن أبي عاصم ، وانظر : السلسلة الصحيحة له ، ح رقم (١٣٩١) .

(٤) علم التوحيد - لوحة رقم (٧) .

(٥) انظر : الفتح (٢٣٧/٣) وهو في حديث الترمذي السابق في الحاشية (٢) .

(٦) انظر : الفتح (٢٣٧/٣) وهو في حديث الترمذي المتقدم .

(٧) انظر : الفتح (٢٣٧/٣) وهو في رواية ضعيفة عن أبي الدرداء موقوفة رواها ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٨/٣) من طريق شعبة عن يعلى بن عطاء عن تميم عن غيلان أن رجلاً جاء إلى أبي الدرداء فقال : علمني خيراً ينفعني الله به فذكره .

(٨) انظر : الفتح (٢٣٧/٣) .

(٩) علم التوحيد - لوحة رقم (٧) .

(١٠) انظر : السفاريني : لوامع الأنوار البهية (٨/٢) .

وسلم - في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا نتكلم في كفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول ^(١) .

ويتحدث السفاريني عن الأمور التي تحدث بعد الموت فيقول : " منها سؤال الملكين منكر ونكير ، فالإيمان بذلك واجب شرعاً لثبوته عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) ^(٢) " ثم أورد الأدلة من السنة النبوية ^(٣) .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : " عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل " ^(٤) وقال الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - بعد أن عدد أصول أهل السنة والجماعة التي أجمعوا عليها : " وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته " ^(٥) .

وقال الإمام محمد بن حسين الأجرى بعد أن سرد الأحاديث والآثار التي تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه : " ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث ، لقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً " ^(٦) وقال ابن عبد البر بعد أن ذكر حديث الخسوف : " وأما قوله أوحى إلى أنكم تفتنون في قبوركم ، فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ والآثار في هذا متواترة ، وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع " ^(٧) وعقد الشيخ الأصبهاني في كتابه " الحجة في بيان المحجة " فصلاً بعنوان : " الرد على من أنكر عذاب القبر " ثم ساق فيه بعض الأحاديث لاثبات عذاب القبر ^(٨) .

وصنف العلامة ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - كتاباً بعنوان " أهوال القنور " تحدث فيه في الباب السادس عن عذاب القبر ونعيمه فقال : " وقد دل القرآن على عذاب القبر في مواضع كثيرة " ثم ساق بعض الآيات الكريمة وأقوال المفسرين فيها ، كما ذكر كثيراً من الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه ^(٩) .

والسيوطي على عقيدة أهل السنة في وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين ولذلك قال : " باب فتنة

(١) (ص ٤٥٠ - ٤٥١) .

(٢) سورة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - الآية (٢٧) وورد الاستدلال بهذه الآية الكريمة على سؤال القبر عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - موقوفاً بسند صحيح ، عند ابن أبي شيبة في " المصنف " وروى مرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن البراء نفسه بألفاظ متقاربة ، رواه البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم - عليه السلام - باب (٢) ح رقم (٤٦٩٩) انظر الفتح (٣٧٨/٨) ومسلم في " صحيحه " (٤/٢٢٠١) ح رقم (٢٨٧١) .

(٣) انظر : لوايح الأنوار البهية (٥/٢) .

(٤) طبقات الحنابلة (٦٢/١) ، السفاريني : لوايح الأنوار (٢٣/٢) .

(٥) رسالة إلى أهل الشجر (ص ٢٧٩) .

(٦) الشريعة (١٢٨٧/٣) .

(٧) التمهيد : (١٨٦/١٢) .

(٨) (٤٤٩/١) .

(٩) انظر : (ص ٣٩ - ٨١) .

القبر ، وهي سؤال الملكين ، قد تواترت الأحاديث بذلك مؤكدة من رواية أنس والبراء ...^(١) ثم ذكر عدة الصحابة الذين رووا هذا فبلغوا ستة وعشرين صحابياً - رضي الله عنهم جميعاً^(٢) - وبعد ذلك أردفهم برواياتهم جميعاً^(٣) .

عذاب القبر لا يختص بمن يقبر :

نقل السيوطي عن القاضي قوله : " إن من لم يدفن ممن بقى على وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب ، ويحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية ذلك^(٤) ، كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين ، قال بعضهم : " وترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به ، كما أن نحسب المغمى عليه ميتاً ، وكذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر ، ولا يستنكر شيئاً من ذلك من خالط الإيمان قلبه ، وكذلك من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها ويوجه السؤال عليها^(٥) وهذا ما قرره شارح الطحاوية فقال : " واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر^(٦) ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب أو غرق في البحر - وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مراده من غير غلو ، ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان^(٧) .

من لا يسأل في القبر :

فتنة القبر عامة لجميع المكلفين إلا النبيين فقد اختلف فيهم^(٨) ، وإلا الشهداء والمرابطين ونحوهم ممن جاءت النصوص دالة على نجاتهم من الفتنة . أما غير المكلفين من الصبيان والمجانين فقد اختلف فيهم ، فذهب جمع من أهل العلم إلى أنهم لا يفتنون ، منهم القاضي أبو يعلى ، وابن عقيل ، ووجهتهم أن المحنة تكون لمن كلف ، أما من رفع عنه القلم فلا يدخل في المحنة ، إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلف به .

وذهب آخرون إلى أنهم يفتنون^(٩) ، وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - صلى على طفل صلاة الجنائز فقال : " اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر " وهذا القول موافق لقول من قال : إنهم يمتحنون في الآخرة ، وأنهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام ، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره ، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد - رحمه الله

(١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص ١٧٠) ت . وتعليق يوسف بدوي .

(٢) انظر : نفسه .

(٣) انظر : نفسه (ص ١٧٠ - ١٩٧) .

(٤) ويحجب الله سمعهم كذلك عن سماع ذلك .

(٥) شرح الصدور (ص ١٩٨ - ١٩٩) .

(٦) وكذلك من استحق النعيم ناله ذلك ولو كانت حالته كحالة من ذكر .

(٧) ص (٤٥١ - ٤٥٢) .

(٨) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٥٧/٤) .

(٩) وهو قول أبي الكيم الهمداني ، وأبي الحسن بن عيروس ، ونقله عن أصحاب الشافعي - رحمه الله -

تعالى (١).

وتحدث السيوطي عن لاتئالهم فتنة القبر فقال : " ورد في الأخبار الصحاح أن بعض الموتى لا ينالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتانان ، وذلك على ثلاثة أوجه :

- مضاف إلى عمل .

- ومضاف إلى زمان (٢) . وكذا قال السفاريني (٣)

ثم روى السيوطي الأحاديث التي وردت في هذه المسألة :

أما ما ورد منها مضافاً إلى عمل : فالأحاديث التي تبين أن الشهداء والمرابطين في سبيل الله لا يفتنون في قبورهم من ذلك أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة " (٤) - وعن أبي أيوب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب ، لم يفتن في قبره " (٥) .

- وعن سلمان - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : " رباط يوم وليلة ، خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان " (٦) فهذه الأحاديث تدل على أن من مات مقتولاً وهو يجاهد في سبيل الله وكذلك من كان مرابطاً أنه لا يفتن في قبره لأنه مات على عمل عظيم ينصر به دين الله جل وعلا فكان جزاؤه أن يؤمنه الله تعالى من فتنة القبر جزاء ما قام به صابراً محتسباً .

- وعن المقدم بن معدي كرب الكندي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن للشهيد عند الله عز وجل (قال الحكم : ست خصال) أن يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويحلى حليه الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه " (٧) .

(١) انظر السابق نفسه (٢٥٧/٤ - ٢٧٧) .

(٢) شرح الصدور (ص ٢٠٤) .

(٣) انظر : لوامع الأنوار (١١/٢ ، ١٢) ، التذكرة (٢٣٠/١) .

(٤) سننه صحيح ، رواه النسائي في " سننه " (٩٩/٤) وسنده كما يلي :

- إبراهيم بن الحسن ، ثقة ثبت - كما في الكاشف للذهبي (٣٥/١) .

- حجاج بن محمد المصيص الأعور ، أحد الثقات ، قال أحمد : " كان أحفظ وأصح حديثاً " كما في ميزان الاعتدال (٤٦٤/١) .

- ليث بن سعد ، ثبت - كما في الكاشف للذهبي (١٢/٣) . - معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي ، صدوق إمام - كما في الكاشف (١٣٩/٣) .

- صفوان بن عمرو ، وثقه ، قال عمرو بن علي : " ثبت في الحديث " ، ثم قال : " سمعت أبي يقول : ثقة ، وسئل أبي عن صفوان فقال : لا بأس به " - كما في الجرح والتعديل (٤٢٢/٢) . - راشد بن سعد الحمصي ، ثقة - كما في الكاشف (٢٣١/١) . - وجهالة الصحابي لا تضر مع صحة السند .

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٧/٥) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه مصفى بن بهلول والد محمد ، ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات .

ورواه الحاكم في " المستدرک " (١١٩/٢) وقال : " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وتعقبه الذهبي بأن معاوية ضعيف .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " كتاب الامارة ، باب فضل الرباط في سبيل الله ع وجل ح رقم (١٩١٣) ، والنسائي في " سننه " (٣٩/٦) ، والترمذي في " سننه " رقم (١٦٦٥) ، وأحمد في " المسند " (٤٤١-٤٤/٥) ، وابن حبان (٦٩/٧) ، الطبراني في " الكبير " (٦٠٧٧) ، البيهقي (٣٩-٣٨/٩) ، وأبو نعيم (٥/١٩٠) ، وسعيد بن منصور (٢٤٠٩) .

(٧) رواه الترمذي في " سننه " (١٧/٣) وصححه ، وابن ماجه في " سننه " (١٨٤/٢) وأحمد (١٣١/٤) وإسناده صحيح ، ثم أخرجه أحمد (٢٠٠/٤) من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث قيس الجذامي (٢٠٠/٤) وإسناده صحيح أيضاً . انظر : الألباني : أحكام الجنائز وبدعها (ص ٣٥ - ٣٦) ، وانظر : صحيح ابن ماجه (٢٢٥٧) .

والشهيد قتل وهو يقاتل في سبيل الله ، فهو ميت على عمل بل هو من أجل الأعمال . وفي لفظ الترمذي : " يوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة من خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين " (١) .
وأما ما ورد منها مضافاً إلى بلاء نزل بالميت : أورد السيوطي في ذلك حديثاً عن جامع بن شداد قال : سمعت عبدالله بن يسار يقول : كنت جالساً عند سليمان بن صرد ، وخالد بن عرفطة فذكر أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يشهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من يقتله بطنه لم يعذب في قبره " (٢) فهذا حديث إسناده صحيح يصح الاستشهاد به ، أما ما أورده السيوطي منسوباً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قوله : " من مات مريضاً مات شهيداً ، ووقى فتنة القبر ، وغدى وريح عليه برزقه من الجنة " (٣) فهو حديث إسناده واه أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٤) .

أما ما ورد منها مضافاً إلى زمان : أورد السيوطي في ذلك حديثاً عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال : قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر " (٥) .
وأورده الألباني في " أحكام الجنائز " كعلامة من علامات حسن الخاتمة (٦) .

هل يسأل الأطفال في قبورهم ؟

تعرض السيوطي لهذه المسألة وأحال الكلام فيها على ابن القيم - رحمه الله - في كتابه " الروح " والذي حكى فيه عن الحنابلة في هذه المسألة قولين ذكرهما بقوله : " ومما كثر عليه السؤال عنه الأطفال ، هل يسألون ؟ وهذه المسألة ذكرها ابن القيم في كتاب " الروح " وحكى فيها قولين للحنابلة :
أحدهما : نعم ، لحديث أنه - صلى الله عليه وسلم - صلى على صبي فقال : " اللهم قه عذاب القبر " (٧) وهذا الذي جزم به القرطبي وقال : إن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه (٨) .

- (١) سنن الترمذي (١٧/٣) ، وانظر القرطبي : التذكرة (٢٣٣/١ - ٢٣٤) .
- (٢) رواه النسائي في " سننه " (٩٨/٤) والترمذي في " سننه " رقم (١٠٦٤) ، وأحمد في " المسند " (٢٦٢/٤) وأبو داود الطيالسي رقم (١٢٨٨) وابن حبان (٢٥٨/٤) ، والطبراني في الصغير (١٠٨/١) وذكره الألباني في تخريج المشكاة رقم (١٥٧٣) وقال : " إسناده أحمد والطيالسي صحيح " .
- (٣) إسناده واه جداً ، رواه ابن ماجه في " سننه " رقم (١٦١٥) والبيهقي في اثبات عذاب القبر رقم (١٧١) وأبو نعيم في الحلية (٢٠١/٨ - ٢٠٢) وهو في تنزيه الشريعة (٣٦٣/٢) ، والقرطبي في التذكرة (٢٣٥/١) وانظر اللآلئ المصنوعة (٢٢١/٢) وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢١٦/٣) - (٢١٧) وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث (٣٥٨/١) قال أبي : هذا خطأ إنما هو : " من مات مرابطاً " غير أن ابن جريج رواه هكذا وإسناده فيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ، كذبه مالك ويحيى القطان وابن معين وقال أحمد قنري معتزلي جهمي كل بلاء فيه ، وقال البخاري : جهمي تركه ابن المبارك .
- (٤) انظر : (٢١٦/٣ - ٢١٧) .
- (٥) رواه الترمذي في " سننه " رقم (١٠٧٤) وقال : " هذا حديث غريب " والبيهقي في " إثبات عذاب القبر " رقم (١٧٣) وقال المباركفوري في " تحفة الاحوذى " (١٨٨/٤) : " فالحديث ضعيف لانقطاعه لكن له شواهد " وقال الحافظ في " فتح الباري " بعد ذكر هذا الحديث في إسناده ضعف ، وأخرجه أبو يعلى من حديث انس نحوه وإسناده اضعف . وقال الألباني في " أحكام الجنائز " (ص ٣٥) أخرجه أحمد (٦٥٨٢ - ٦٦٤٦) من طريقين عن عبدالله بن عمرو ، والترمذي من أحد الوجهين وله شواهد عن انس وجابر بن عبدالله وغيرهما فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح " .
- (٦) انظر (ص ٣٥) .
- (٧) لم أجد فيما تحت يدي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى على صبي فقال : " اللهم قه عذاب القبر " إنما الذي وجدته من كتب الحديث عند أحمد في المسند (٢٣/٦) (٤٩١/٣) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى على الميت ، ولم يذكر فيه صبي ، وعند النسائي جنائز (٧٧) انه صلى على جنازة ، وكذلك عند أبي داود جنائز (٥٦) .
- (٨) شرح الصدور (ص ٢١٠) .

قلت (السيوطي) : وقد قال به الضحاك فأخرج ابن جرير عن جوير قال : مات للضحك بن مزاحم ابن ستة أيام فقال : (يا جابر) إذا أنت وضعت ابني في لحد فأبرز وجهه وحل عقده ، فإن ابني يجلس للسؤال^(١) ، فقلت : عم يسأل ؟ قال : عن الميثاق الذي أقربه في صلب آدم (عليه السلام)^(٢) .

الثاني : لا ، لأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل ، فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا ؟ والجواب عن الحديث أنه ليس المراد فيه بعداب القبر عقوبته ، ولا السؤال ، بل مجرد الألم بالهم والغم والحسرة والوحشة والضغط التي تعم الأطفال وغيرهم ، وهذا القول هو الصحيح بل الصواب^(٣) وبهذا يبين السيوطي أن الأطفال والأنبياء ليس عليهم حساب ولا عذاب القبر ولا سؤال منكر ونكير ثم قال : " وقد جزم أصحابنا الشافعية بأن الطفل لا يلحق بعد الدفن وأن التلقين يختص بالبالغ هكذا ذكره النووي في " الروضة " وغيرها وهو دليل على أن الأطفال لا يسألون ، وقد أفتى به الحافظ ابن حجر^(٤) أما ما ذكره السيوطي من تلقين الميت بعد دفنه فلم يثبت في حديث صحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان هديه - صلى الله عليه وسلم - في دفن الميت : " ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ولا يلحق الميت كما يفعله الناس اليوم ، وأما الحديث الذي رواه الطبراني في " معجمه " من حديث أبي أمامة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره ، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل : يا فلان فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول : يا فلان بن فلانة ، فإنه يستوي قاعداً ، ثم يقول : يا فلان بن فلانة ، فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ، ولكن لا تشعرون ثم يقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنت رضىت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجتة ، فيكون الله حبيجه دونهما ، فقال رجل : يا رسول الله ! فإن لم يعرف أمه ؟ قال : فينسبه إلى حواء : يا فلان بن حواء^(٥) فهذا حديث لا يصح رفعه^(٦) وذكر عن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أنه قال : " ما رأيت أحداً فعل هذا إلا أهل الشام ... " ^(٧) ، وقال الإمام الأمير الصنعاني : " ... ويحصل من كلام أئمة

(١) في جامع البيان (١١٢/٩) مجلس ومسنول .

(٢) جامع البيان (١١٢/٩) ، وانظر الدر المنثور (٦٠٢/٩) .

(٣) شرح الصدور (٢١٠) ، وانظر الروح لابن القيم .

(٤) شرح الصدور (ص ٢١٠) .

(٥) هذا حديث منكر ، أخرجه القاضي الخلمي في الفوائد (٥٥/٢) عن أبي الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري : ثنا عتبة بن السكن عن أبي زكريا عن جابر بن سعيد الأزدي قال : " دخلت على أبي أمامة الباهلي وهو في النزاع فقال لي : يا أبا سعيد إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تصنع بموتانا ، فإنه قال : " إذا مات الرجل منكم ... فذكره ، قال الألباني في " الضعيفة " (٦٤/٢) رقم (٥٩٩) : " وهذا اسناد ضعيف جداً لم أعرف أحداً منهم غير عتبة بن السكن ، قال الدارقطني : " متروك الحديث " وقال البيهقي : " واه منسوب إلى الوضع " وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٤٥/٣) وقال : " رواه الطبراني في " الكبير " وفي اسناده جماعة لم أعرفهم " وقال الحافظ ابن حجر في " أمالي الأذكار " بعد تخريجه : فيما ذكره ابن علان في " الفتوحات الربانية " (١٩٦/٤) " حديث غريب وسند الحديث من الطريقين ضعيف جداً " وقال النووي في " المجموع " (٣٠٤/٥) بعد أن عزاه الطبراني : " واسناده ضعيف ، وقال ابن الصلاح : ليس اسناده بالقائم " . وكذلك ضعفه الحافظ العراقي في تخريج " الأحياء " (٤٢٠/٤) ، ويقول الألباني في " الضعيفة " (٦٥/٢) : " وجملته القول أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعاً " .

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥٠٤/١) .

(٧) نفسه .

التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله^(١) وعلى ذلك فتلقين الميت بعد دفنه كلام ساقط لا يعتد به

هل الموتى يصلون في قبورهم ويقرأون؟

ذكر السيوطي هذه المسألة وأورد فيها عدة أحاديث منها :

- عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون "^(٢) .
- وعنه أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسرى به مر بموسى - صلوات الله عليه - وهو قائم يصلي في قبره
"^(٣) وفي قراءة الميت في قبره أورد السيوطي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ضرب بعض أصحاب رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - خباءه على قبر^(٤) ، وهو لا يحسب أنه قبر وإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى
النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " هي المنجية ، هي المانعة تنجيها من
عذاب القبر "^(٥) .

- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " نمت فرأيت في
الجنة " ولفظ النسائي : " دخلت الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ ، فقلت : من هذا ؟ قالوا حارثة بن النعمان فقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - : " كذاك البر ، كذاك البر ، كذاك البر " وكان أبر الناس بأمره^(٦) .
يقول ابن رجب - رحمه الله - : " قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعماله الصالحة في البرزخ وإن لم يحصل له
بذلك ثواب ، لانقطاع عمله بالموت لكن إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته ، كما تنتعم بذلك الملائكة وأهل الجنة
في الجنة ، وإن لم يكن على ذلك ثواب ، لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيم عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذتها ،
فما تنعم المتعممون بمثل ذكر الله وطاعته "^(٧) .

المبحث الثاني : الكلام على مستقر الأرواح وتلافيها وشئ مما يتعلق بها مستقر الأرواح :

عقد السيوطي لهذه المسألة باباً في كتابه " شرح الصدور " فقال : " باب مقر الأرواح ، قال الله تعالى : (وهو
الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع)^(٨) وقال تعالى : (... ويعلم مستقرها ومستودعها ...)^(٩) أحدهما :

(١) سبل السلام (١٦١/٢) .

(٢) قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٢١١/٨) رواه أبو يعلى والبخاري ورجال أبي يعلى ثقات ، وانظر : المطالب العالمة لابن حجر (٢٦٩/٢) وعزاه
السيوطي في " شرح الصدور " (ص ٢٥٥) للبيهقي وابن منده .

(٣) رواه مسلم في " صحيحه " (١٨٤٥/٤) كتب الفضل (٤٣) ب (٤٢) ح رقم (١٦٤) - (٢٣٧٥) .

(٤) الخباء بيت من وبر أو صوف .

(٥) رواه الترمذي في " سننه " رقم (٢٨٩٠) وقال : " حديث حسن " والحاكم في " المستدرک " (٤٩٨/٢) وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم
يخرجاه ، ووافقه الذهبي ورواه البيهقي في " اثبات عذاب القبر " رقم (١٦٥) وعزاه السيوطي في " الدر المنثور " (٢٤٧/٦) إلى ابن الضريس ، والطبراني ،
والبيهقي في شعب الإيمان .

(٦) رواه الحاكم في " المستدرک " (١٥١/٤) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة " وقال الذهبي : " أخرجاه مختصراً " وأحمد
في المسند (١٥٢، ١٦٧/٦) ، وعزاه السيوطي في " شرح الصدور " إلى النسائي والبيهقي في " الشعب " انظر (ص ٢٥٩) .

(٧) أهوال القبور (ص ٣٩) وانظر : شرح الصدور (ص ٢٥٧-٢٥٨) ، وهذا الذي ذكره ابن الجوزي أحوال برزخية ليس للإنسان أن يقول فيها إلا
بالكيفية التي وردت في النصوص الشرعية ، وليس في هذا مستند لأهل الخرافة الذين ينادون الموتى أو يدعونهم أو يلجأون إليهم ، فيرتكبون بذلك
الشرك الأكبر .

(٨) سورة الانعام ، بعض الآية (٩٨) .

ففي الصلب والآخر بعد الموت ^(٢) وهذا الذي ذكره السيوطي من تفسير الآية بأن أحدهما : في الصلب والآخر : بعد الموت، رواه ابن جرير في تفسيره ^(٣) ، ونقله عن ابن كثير في تفسيره ^(٤) .

وهذه المسألة - أعني مسألة مستقر الأرواح بعد الموت - مسألة عظيمة لا تتلقى إلا من السمع ، وليس للعقل فيها مجال ولا يقع في شأنها الإجتهد بحال . وبناء على ما ورد بشأنها من الأحاديث الشريفة عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - اختلفت أقوال أهل العلم في تحديد مستقر الأرواح وأين تكون بعد الموت ، وحاصل كلامهم أنهم قسموها إلى ثلاثة أقسام : الأول : أرواح الأنبياء والمرسلين - عليهم جميعاً الصلاة والسلام - فهذه لا شك وبلا خلاف أنها في أعلى عليين ^(٥) . يقول ابن القيم - رحمه الله - : " ... فمنها أرواح في أعلى عليين ، في الملأ الأعلى ، وهم الأنبياء ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء ^(٦) ويقول ابن رجب - رحمه الله - : " ... أما الأنبياء - عليهم السلام - فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين ^(٧) ويدل على ذلك ما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول وهو صحيح : " إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير " ، فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص ببصره إلى السقف ثم قال : " اللهم الرفيق الأعلى " قلت : إذا لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به ، قالت : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله : " اللهم الرفيق الأعلى " ^(٨) .

الثاني : أرواح الشهداء الذين صرحت الأدلة بأن أرواحهم في أجواف طير خضر معلقة بالعرش ^(٩) ، منها ما رواه مسروق قال : سألنا عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) ^(١٠) قال : " أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال ^(١١) : " أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ^(١٢) .

(١) سورة هود ، بعض الآية (٦) .

(٢) شرح الصدور (ص ٣٠٤) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢٨٧/٧) ، (٢/١٢) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٩٩/٣) ، (٢٣٩/٤) .

(٥) انظر : السيوطي : شرح الصدور (ص ٣٢٥-٣٢٦) .

(٦) الروح (ص ٢٦٢) ، ونقله عنه السفاريني في "لوامع الأنوار" (٥٤/٢) .

(٧) أموال القبور (ص ٩٤) ، وانظر : شرح الطحاوية (ص ٤٥٤) .

(٨) البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٨٤) رقم (٤٤٦٣) انظر : الفتح (١٥٠/٨) . ومسلم في " صحيحه " كتاب فضائل الصحبة (

(٤٤) باب (١٣) ح رقم (٨٧) - انظر صحيح مسلم (١٨٩٤/٤) .

(٩) انظر : شرح الطحاوية (ص ٤٥٤) والسفاريني لوامع الأنوار (٥٤/٢) .

(١٠) سورة آل عمران الآية (١٦٩) .

(١١) قال الإمام النووي : " وهذا الحديث مرفوع لقوله : إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - انظر : شرح صحيح مسلم

للنووي (٣٤/١٣) .

(١٢) رواه مسلم في " صحيحه " (١٥٠٢/٣) كتب الإمارة (٣٣) بلب (٣٣) ح رقم (١٢١١-١٨٨٧) .

وهذا في حق بعض الشهداء لا كلهم فمن الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة من أجل ما عليه من الدين^(١) ، فقد ورد عن عبدالله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي - ﷺ - فقال : يا رسول الله ماذا لي إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ؟ قال : " الجنة " قال : فلما ولى قال رسول الله - ﷺ - : " إلا الدين ، سارني به جبريل - عليه السلام - آنفاً " ^(٢) .

الثالث : أرواح المكلفين من المؤمنين وغيرهم ، فهؤلاء قد تباينت أقوال العلماء حولهم ، وأرجح الأقوال في ذلك : أن أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكافرين في النار ، وهو قول الإمام أحمد - رحمه الله - فقد روى عنه ابنه عبدالله قوله : أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة^(٣) .

وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث يقول : " وأرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكافرين في النار ، تنعم أرواح المؤمنين ، وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان " ^(٤) .

أما الفرق بين حياة الشهداء البرزخية في الجنة وحياة من عداهم من المؤمنين ، أشار إليه الحافظ ابن رجب بقوله : " والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين :

أحدهما : أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ، ليكمل بذلك نعيمها ، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد ، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ .

الثاني : أنهم يرزقون من الجنة ، وغيرهم لم يثبت له في حقهم مثل ذلك^(٥) قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ^(٦)

عرض المقعد على الميت كل يوم ^(٧) : استدل السيوطي على هذه المسألة بقوله تعالى : (... النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ...) ^(٨) قال ابن جرير في تفسيره : " عني بذلك : أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيباً لهم غدواً وعشياً " ^(٩) ويقول ابن كثير : " وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ " ^(١٠) .

واستدل السيوطي كذلك بحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " ^(١١) ، وأورد في هذا الباب أحاديث أخر .

(١) انظر : ابن القيم : الروح (٢٦٢) ، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٤) ، السفاريني لوامع الأنوار (٥٤/٢) ، والسيوطي : شرح الصدور (٣٠٤) .

(٢) صحيح مسلم (١٥٠١/٣) ح رقم (١٨٨٥) ، رقم (١٨٨٦) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (١٨١/١) . وانظر : السيوطي : شرح الصدور (٣٢٠) .

(٤) مجموع الفتاوي (٣١١/٤) .

(٥) أهوال القبور (ص ١٢٣) .

(٦) سورة آل عمران ، بعض الآية (١٦٩) .

(٧) انظر : السيوطي : شرح الصدور (ص ٣٤٠) .

(٨) سورة غافر ، بعض الآية (٤٦) .

(٩) جامع البيان (٢٤/٢٢) .

(١٠) تفسير القرآن العظيم (١٣٦/٧) .

(١١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٨٩) ح رقم (١٣٧٩) الفتح (٣/٣٤٣) ، ومسلم في " صحيحه " (٢١٩٩/٤) كتاب

الجنة (٥١) باب (١٧) ح رقم { ٦٥ - ٢٨٦٦ } ، ولفظه " ... حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة " .

ما يحبس الروح عن مقامها الكريم^(١) :

قد سبق معنا في مسألة " مستقر الأرواح " حديث عبدالله ابن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، ماذا لي إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ؟ قال : " الجنة " قال : فلما ولى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إلا الدين " سارني به جبريل - عليه السلام - آنفاً^(٢) وهو دال على أن روح الميت تحبس عن دخول الجنة إذا كان عليه دين ، حتى ولو كانت روح شهيد . وقد أورد السيوطي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه "^(٣) . قال العلماء : معلقة : أي محبوسة عن مقامها الكريم^(٤) .

وأورد السيوطي أيضاً من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رجلاً مات وعليه دين ، ديناران ، فلم يصل عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فتحملها أبو قتادة فصلى عليه ، ثم قال له بعد ذلك بيوم : " ما فعل الديناران ؟ " قال إنما مات أمس ، فعاد عليه من الغد فقال : قد قضيتها ، فقال : " الآن بردت عليه جلده "^(٥) .

وأورد السيوطي في ذلك أيضاً أحاديث غير ما ذكر للإستشهاد وقد رأيت أن ما ذكرته يغني عما أورده مختلفاً فيه

تلاقي أرواح الموتى وأرواح الأحياء في النوم^(٦) :

ذكر السيوطي تحت هذا الباب بعض الشواهد على تلاقي أرواح الموتى مع أرواح الأحياء حالة نومهم فذكر في الاستدلال على ذلك قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)^(٧) وكلام المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة يدل لما ساقه إليه السيوطي من تلاقي الأرواح ، أما الإمام ابن جرير - رحمه الله - فقد قال : " يقول تعالى ذكره : ومن الدلائل على أن الألوهية لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه أنه يميت ويحيي ويفعل ما يشاء ولا يقدر على ذلك شيء سواه ، فجعل ذلك خبراً نبههم به على عظيم قدرته ، فقال : (الله يتوفى الأنفس حين موتها ...) فيقبضها عند فناء أجلها ، ولانقضاء مدة حياتها ، ويتوفى أيضاً التي لم تمت في منامها ، كما التي ماتت عند مماتها (فيمسك التي قضى عليها الموت) ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام ، فيتعارف ما شاء الله منها ، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها ، أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك

(١) انظر : السيوطي : شرح الصدور (ص ٣٤٦) .

(٢) حديث صحيح سبق تخريجه .

(٣) رواه الترمذي ، برقم (١٠٧٨) ، (١٠٧٩) كتاب الجنائز ، وقال : " هذا حديث حسن " ورواه ابن ماجه ، برقم (٢٤١٣) ، والبيهقي في عذاب القبر رقم (١٥٠) و (١٥١) وأحمد في " المسند " (٥٠٨/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٧٦/٦) والدارمي (٤٩/٦) وأبو نعيم في " الحلية " (١٥/٩) .

(٤) انظر : شرح الصدور (ص ٣٤٦) .

(٥) رواه أحمد في " المسند " (٣٣٠/٣) ، والبيهقي في السنن (٧٤/٦ ، ٧٥) وفي " اثبات عذاب القبر " رقم (١٥٣) ، والحكم في " المستدرک " (٥٨/٢) ، وقال في " مجمع الزوائد " (٣٩/٣) : " رواه أحمد والبخاري ، وإسناده حسن " .

(٦) انظر : شرح الصدور (ص ٣٥١) .

(٧) سورة الزمر ، الآية (٤٢) .

عند انقضاء مدة حياتها ^(١) ومعنى كلام الإمام ابن جرير أن الله تعالى ذكر قبضاً للأرواح التي توفاهها بالموت ، وقبضاً مثله كذلك للأرواح التي نام أصحابها الأحياء ، فتلقي هذه بتلك ، فإذا أرادت الأرواح أن تعود إلى أجسادها ، أذن تعالى للأرواح التي لم يقض الموت على أصحابها وأمسك التي مات أصحابها وكذلك أمسك عنده التي حكم عليها بالموت أثناء نومها . وفي هذا إشارة إلى تلاقي الأرواح وتعارفها الذي ذكره السيوطي .

وأما العلامة ابن كثير - رحمه الله - فقال : " قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما شاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام ، كما قال تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ^(٢) ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) ^(٣) فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ^(٤) ذكر الكبرى ثم الصغرى ، ولهذا قال : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ^(٥)) .

ويذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - قولين في تفسير هذه الآية الكريمة فأورد عن السدى في قوله تعالى : (... والتي لم تمت في منامها ...) قال : يتوفاها في منامها فيلقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان ، قال : فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها ، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس ، وهذا أحد القولين في الآية ، وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً والمرسلة من توفيت وفاة النوم ، والمعنى على هذا القول أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الأخرى .

ولعل هذا الرأي مستند من يرى أن الأرواح مطلقاً بعد الموت تذهب حيث شاءت ، وهو والله أَلَمْ قول ضعيف ، لأنه خلاف ما ذكر في مستقر الأرواح .

كما أنه يؤدي إلى أن أرواح الشهداء تخرج من الحبشة ، أو تدخل إلى الجنة ، أرواح الأحياء ، ولذلك كان القول الآخر هو الأظهر في الآية وهو القول الآتي .

والقول الثاني في الآية : أن الممسكة والمرسلة في الآية كلتاها توفيت وفاة النوم فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها لتستكمل .

واختار شيخ الإسلام ^(٦) هذا القول ، وقال : عليه يدل القرآن والسنة قال : فإنه سبحانه ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأنفس التي توفاهها وفاة نوم ، وأما التي توفاهها حين موتها فتلك لم يصفها بإمساك ولا بإرسال بل هي

(١) جامع البيان (٨/٢٤ - ٩) .

(٢) وهذا ظاهر في أنه النوم - كما ورد عن السدى ومجاهد ، انظر : جامع البيان (٧/٢١٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٣/٢٦١) .

(٣) سورة الأنعام ، الآيتان (٦٠ ، ٦١) .

(٤) أي : آية سورة الزمر رقم (٤٢) .

(٥) سورة الزمر (٥٤٢) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم (٧/٩٢) .

(٦) يعني : ابن تيمية - رحمه الله تعالى - .

قسم ثالث^(١) وهذا الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية يدل على أن الأرواح ثلاثة أقسام :

- ١- الأرواح التي توفاهها حين موتها .
- ٢- الأرواح التي أمسكها في نومها فلم يردّها إلى أجسادها .
- ٣- الأرواح التي أرسلها بعد نومها فعادت إلى أجسادها لتستكمل رزقها وأجلها .

ذلك لأن التي توفاهها حين موتها وانقضاء أجلها هي ممسكة عنده جل وعلا ، وأما الثانية التي أمسكها أثناء النوم ، فلو كان المقصود بالإمساك هي القسم الأول لكان في الكلام تكرار ، كأنه قال : فيمسك التي هي ممسكة عنده من قبل ، وفي هذا ما فيه من ركاكة المعنى وعدم استقامته .

ولكن ابن القيم لم يتابع شيخه في هذا الترجيح بل رجح القول الأول ، إلا أن القول الثاني هو الأظهر في معنى الآية ونصها ، أما تلاقي الأرواح فدليله لا يمكن أن يعتمد عليه في القطع بذلك ، ولكن يستأنس بما ذكر فقط ، ولا يمكن اعتماد ذلك دليلاً مؤكداً عليه .

ثم هنا أمر آخر ، وهو أن الله تعالى ذكر قبضاً عاماً يشمل المؤمنين والكافرين ، فهل أرواح الكفار تلتقي أيضاً مع إخوانهم من الكفار الأحياء ؟ مع أن أرواح الكفار معذبة ؟

ولهذا قلنا إن القول الأول لا يدل عليه دليل قوي .
والله - جل ذكره - أجل وأعلى .

تأذي الميت بالنجاسة عليه^(٢)

أورد السيوطي بخصوص هذه المسألة خمسة أحاديث صالحة ، وخمسة أخرى لا تصلح للإستشهاد ، كما أورد أقوال العلماء في حكم تعذيب الميت بما نيح عليه .

والأصل في هذا الباب حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابنه عبدالله - رضي الله عنه - .

- أما حديث عمر - رضي الله عنه - فهو أنه لما أصيب دخل عليه صهيب - رضي الله عنه - يبكي يقول : وا أخاه وا صاحباه فقال عمر - رضي الله عنه - : يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه^(٣) وكذلك قال لابنته حفصة - رضي الله عنها -^(٤) .

- وأما حديث ابنه - رضي الله عنهما - فعن عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال : " توفيت إينة لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - بمكة وجئنا لنشهدا وحضرها ابن عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - وإني لجالس بينهما - أو قال : جلست إلى أحدهما ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي ، فقال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - لعمر بن عثمان :

(١) الروح (ص ٥٧ - ٥٨) .

(٢) انظر : شرح الصدور (ص ٣٨٤) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٣٢) ح رقم (١٢٨٧) الفتح (١٥١/٣) ، ومسلم في " صحيحه " (٦٤١/٢) كتاب الجنائز

(١١) باب (٩) ح رقم (٩٢٧) .

(٤) رواه مسلم في " صحيحه " (٦٣٨/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) ح رقم (١٦) - (٩٢٧) .

ألا تنهى عن البكاء ؟ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " ^(١) ولكن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - اعترضت على ما قاله عمر وابنه - رضي الله عنهما - قال ابن عباس - رضي الله عنهما - بعد ما روى حديث عمر السابق - قال : " فلما مات عمر - رضي الله عنه - ذكرت ذلك لعائشة - رضي الله عنها - فقالت : رحم الله عمر ، والله ما حدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه ، وقالت : حسبكم القرآن (ولا تزرر وزر أخرى) ^(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - عند ذلك : والله (هو أضحك وأبكى) ^(٣) قال ابن أبي مليكة : والله ما قال ابن عمر - رضي الله عنهما - شيئاً ^(٤) .

وكذلك ورد اعتراضها على عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - عندما ذكر لها أنه يقول : الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقالت : رحم الله أبا عبدالرحمن ، سمع شيئاً فلم يحفظه ، إنما مرت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنازة يهودي ، وهم يبيكون عليه فقال : " أنتم تبكون وإنه ليعذب " ^(٥) .

وقالت مرة عن ابن عمر : " وهل ^(٦) ، إنما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه . وإن أهله ليبكون عليه الآن " ^(٧) وقالت في رواية : " يغفر الله لأبي عبدالرحمن . أما إنه لم يكذب . ولكنه نسي أو أخطأ . إنما مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على يهودية يبكي عليها فقال : " إنهم ليبكون عليها . وإنها لتعذب في قبرها " ^(٨) وإزاء هذه الأحاديث المثبتة لعذاب الميت ببكاء أهله عليه ، وما قابلهما من اعتراض أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تعددت أقوال العلماء في هذه المسألة على النحو التالي :

أول الأقوال : أن الأحاديث الواردة بإثبات تعذيب الميت بالنياحة عليه هي على ظاهرها مطلقاً ، وهو رأي عمر بن الخطاب وأبنة عبدالله - رضي الله عنهما - على ما ورد عنهما في الصحيحين وغيرهما ^(٩) ويحتمل أن يكون عمر - رضي الله عنه - كان يرى أن المواخذه تقع على الميت إذا كان قادراً على النهي ولم يقع منه . فلذلك بادر إلى نهى صهيب ، وحفصة - رضي الله عنهما - ^(١٠) .

-
- (١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٣٢) ح رقم (١٢٨٦) انظر : الفتح (١٥١/٣) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (٦٤١/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) ح رقم {٩٢٨ - ٢٣} .
 - (٢) هذه بعض آية وردت في عدة مواضع من كتاب الله تعالى ، في سورة الأنعام (١٦٤) وفي سورة الاسراء (١٥) وفاطر (١٨) والزمر (٧) والنجم (٣٨) .
 - (٣) سورة النجم ، بعض الآية (٤٣) .
 - (٤) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٣٢) ح رقم (١٢٨٨) انظر : الفتح (١٥١/٣) ، ومسلم في " صحيحه " (٦٤٢/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) ح رقم (٩٢٩) .
 - (٥) رواه مسلم في " صحيحه " (٦٤٢/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) ح رقم {٢٥ - ٩٣١} من طريق حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه .
 - (٦) بفتح الواو ، وفتح الهاء وكسر ها ، أي : غلط ونسي .
 - (٧) رواه مسلم في " صحيحه " (٦٤٣/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) ح رقم {٢٦ - ٩٣٢} من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه .
 - (٨) السابق نفسه رقم (٢٧) من طريق عبدالله بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عمرة بنت عبدالرحمن ، أنها سمعت عائشة . فذكرته .
 - (٩) انظر : السيوطي : شرح الصدور (ص ٣٨٥) ، وابن حجر : الفتح (١٥٣/٣) .
 - (١٠) انظر : فتح الباري (١٥٣/٣) .

الثاني: لا مطلقاً^(١) ، وهذا يقابل القول الأول ، وذهب أصحابه إلى أنه يتعارض مع بعض أصول الشريعة المقررة في مثل قول الله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)^(٢) ، وقد سبق معنا أنه قول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وحكاها الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - عن أبي هريرة - رضي الله عنه -^(٣) .

الثالث: أن الباء للحال^(٤) ، بمعنى أنه يعذب حال بكائهم عليه ، والتعذيب بما له من ذنب ، لا بسبب بكائهم عليه . حكاها الخطابي وقال ابن حجر : " ولا يخفى ما فيه من التكلف "^(٥) ولكن ربما يستدل من قال هذا القول بحديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - الذي سبق نقله عنها . وهو عند مسلم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها . وعلى هذا يكون التعذيب خاصاً ببعض الموتى لا كل من بُكي عليه .

الرابع: أنه خاص بالكافر ، وهذا القول والذي قبله هو رأي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -^(٦) وعليه فتكون الألف واللام في قوله " الميت " لميت معهود معين كما مر معنا أنها جنازة يهودي أو يهودية وقد جزم بهذا القول القاضي الباقلاني وغيره^(٧) .

الخامس: أنه خاص بمن كان النوح من سنته وعادته^(٨) ، وهو قول الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - فقد ترجم لأحاديث الباب قائلاً : " باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته "^(٩) .

السادس: أنه فيمن أوصى^(١٠) به . كما قال القائل :

فإن مُت فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد^(١١)

وهذا قول المزمعي وإبراهيم الحربي وآخرون من الشافعية وغيرهم . حتى قال أبو الليث السمرقندي : إنه قول عامة أهل العلم . وكذا نقله النووي عن الجمهور ، قالوا : وكان معروفاً للقدماء حتى قال : طرفه بن العبد ما قال في البيت السابق^(١٢) وأورد الحافظ ابن حجر على هذا اعتراضاً بأن التعذيب بسبب الوصية يستحق بمجرد صدور الوصية ، والحديث دال على أنه إنما يقع عند وقوع الإمتثال .

(١) انظر : السيوطي : شرح الصدور (ص ٣٨٥) .

(٢) سورة الأنعام بعض الآية (١٦٤) .

(٣) انظر : الفتح (١٥٤/٣) .

(٤) انظر : شرح الصدور (ص ٣٨٥) .

(٥) الفتح (١٥٤/٣) .

(٦) انظر : شرح الصدور (ص ٣٨٥) .

(٧) انظر : الفتح (١٥٤/٣) .

(٨) انظر : شرح الصدور (ص ٣٨٥) .

(٩) فتح الباري (١٥٠/٣) .

(١٠) انظر : شرح الصدور (ص ٣٨٥) .

(١١) البيت من معلقة طرفه بن العبد البكري ، انظر معلقته ضمن " مجموع مهمات المتون " (ص ٧٩٥) .

(١٢) انظر : الفتح (١٥٤/٣) .

وأجاب عنه بأنه : ليس في سياق الحديث حصر ، فلا يلزم من وقوعه عند الإمتثال أن لا يقع إذا لم يمتثلوا^(١) .

السابع : أنه فيمن لم يوصي بتركه ، فتكون الوصية بذلك واجبة إذا علم أن من شأن أهله أن يفعلوا ذلك^(٢) .

وهو قول داود الظاهري وطائفة ، ولا يخفى أن محله ما إذا لم يتحقق أنه ليست لهم بذلك عادة^(٣) .

الثامن : أن التعذيب بالصفات التي يكون بها عليه ، وهي مذمومة شرعاً^(٤) . أي بنظير ما يبكيه أهله به ، وذلك أن الأفعال التي يعددون بها عليه غالباً تكون من الأمور المنهي عنها فهم يمدحونه بها وهو يعذب بصنيعه ذلك وهو عين ما يمدحونه به ، وهذا قول الإمام ابن حزم - رحمه الله - وطائفة معه ، واستدل عليه بحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في قصة عيادة النبي - صلى الله عليه وسلم - سعد بن عباد - رضي الله عنه - فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله . فقال : قد قضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله . فبكى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأى القوم بكاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بكوا " فقال : ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم ... " الحديث^(٥) .

قال ابن حزم : " فصح أن البكاء الذي يعذب به الإنسان ما كان منه باللسان إذ يندبونه برياسته التي جار فيها ، وشجاعته التي صرفها في غير طاعة الله ، وجوده الذي لم يضعه في الحق ، فأهله يبكون عليه بهذه المفاخر وهو يعذب بذلك^(٥) ، ومن هذا ما كان يفعله أهل الجاهلية من إغارة بعضهم على البعض الآخر فيسرقون وينهبون ويقتلون ويسبون وكان أحدهم إذا مات بكته باكيته بتلك الأفعال المحرمة ، فمعنى الحديث أن الميت يعذب بذلك الذي يبكي عليه أهله به ، لأن الميت يندب بأحسن أفعاله وكانت محاسن أفعالهم ما ذكر وهي زيادة ذنب في ذنوبه يستحق العذاب عليها^(٦) .

التاسع : أن المراد بالتعذيب توبيخ الملائكة له بما يندبه به أهله^(٧) ، وذلك لما روى مرفوعاً : " ما من ميت يموت فتقوم نادبته تقول : واجبله واسداه أو شبه ذلك من القول إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا كنت^(٨) . وقد " أغمي على عبدالله بن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبله واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟^(٩) .

العاشر : أن المراد بالتعذيب تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة والبكاء والحزن وغيرها^(١٠) ، وهذا اختيار الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - ورجحه القاضي عياض ومن تبعه ، ونصره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة

(١) انظر : نفسه .

(٢) انظر : شرح الصدور (ص ٣٨٥) .

(٣) انظر : الفتح (١٥٤/٣) .

(٤) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الجنائز (٢٣) باب (٤٤) ح رقم (١٣٠٤) ، انظر الفتح (١٧٥/٣) .

(٥) الفتح (١٥٥/٣) .

(٦) انظر : السابق نفسه .

(٧) انظر : السيوطي : شرح الصدور (ص ٣٨٥) ، وفتح البازي (١٥٥/٣) .

(٨) رواه الترمذي في " سننه " رقم (١٠٠٣) وقال : " هذا حديث حسن غريب " ، وابن ماجه رقم (١٥٩٤) .

(٩) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب المغازي (٦٤) باب (٤٤) رقم (٤٢٦٨، ٤٢٦٧) انظر : الفتح (٥١٦/٧) .

(١٠) انظر : شرح الصدور (٣٨٦) .

من المتأخرين - رحم الله الجميع -^(١) واستشهدوا لهذا القول بحديث قيلة بنت مخزومة قالت : قلت يا رسول الله قد ولدته فقاتل معك يوم الربرة ثم أصابته الحمى فمات ونزل على البكاء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيغلب أحدكم أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً وإذا مات استرجع ، فوالذي نفس محمد بيده إن أحدكم ليبيكي فيستعير إليه صويحبه . فيا عباد الله لا تعذبوا موتاكم^(٢) .

هذه جملة الأقوال في تفسير معنى التعذيب الذي ينال الميت ببكاء أهله عليه ، وكلها اجتهادات في محاولة فهم كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمعرفة كيفية تلافي أهل الميت هذا التعذيب لئلا يلحقه شيء منه في قبره أو يوم القيامة . وبعد تأمل هذه الأقوال رأيت أن أقرب الأقوال للصواب قولان :

أحدهما : القول بأن الحديث محمول على من أوصى بالنوح عليه ، أو لم يوصى بتركه مع علمه بأن الناس يفعلونه عادة ، ولهذا قال : عبدالله بن المبارك : " إذا كان ينهاتهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء " ^(٣) . وهذا هو قول الجمهور كما حكاه النووي وأبو الليث السمرقندي^(٤) .

والثاني : أن معنى " يعذب " أي يتألم بسماعه بكاء أهله ، ويرق لهم ويحزن ، وذلك في البرزخ ، وليس يوم القيامة ، وقد ذكرنا أنه اختيار الإمام ابن جرير الطبري ، ورجحه كل من ابن المرباط ، والقاضي عياض ، وطائفة معهما ، ونصره الإمام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهما ، قالوا : " وليس المراد أن الله يعاقبه ببكاء الحي عليه ، والعذاب أعم من العقاب ، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - : " السفر قطعة من العذاب " ^(٥) وليس هذا عقاباً على ذنب ، وإنما هو مقاساة ومعاناة وتألم . وقد يؤيد هذا قوله - صلى الله عليه وسلم - : " الميت يعذب في قبره بما نوح عليه " ^(٦) ، وكذلك قول عمر - رضي الله عنه - : " إن الميت ليعذب في قبره بما نوح عليه " ^(٧) ولكن مع هذين الحديثين اللذين يقرران أن الميت يعذب في قبره بسبب النياحة عليه ، ورد أيضاً أنه يعذب بسبب ذلك يوم القيامة ، فقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " من يُنح عليه يعذب بما نوح عليه يوم القيامة " ^(٨) وهذا لا يمكن تأويله بأنه تألم وتأذى بما يفعله أهله عليه ، وإنما هو عذاب بمعنى العقاب يوم القيامة ، ولهذا فقد رأيت أن أرجح الأقوال جميعاً هو قول الجمهور ، ولا

(١) انظر : فتح الباري (١٥٥/٣) .

(٢) ذكره القرطبي في " التذكرة " (١٦٨/١) وقال : " إسناده لا بأس به " وأورده الحافظ ابن حجر في " الإصابة " (٣٩٣/٤) ، وأورده كذلك في فتح الباري (١٥٥/٣) وقال : " هذا حديث حسن الإسناد " .

(٣) الإمام العيني : عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (٧٩/٤) .

(٤) انظر : فتح الباري (١٥٤/٣) .

(٥) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب العمرة (٢٦) باب (١٩) ح رقم (١٨٠٤) انظر الفتح (٦٢٢/٣) ، وانظر : ح رقم (٣٠٠١) ، (٥٤٢٩) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (١٥٢٦/٣) كتاب الإمارة (٣٣) باب (٥٥) ح رقم (١٧٩) - (١٩٢٧) .

(٦) رواه مسلم في " صحيحه " (٦٣٩/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) رقم (١٧) وابن حبان في " صحيحه " (٧٤٢) من حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - .

(٧) البيهقي (٧٣-٧٢/٤) وأحمد في " المسند " رقم (٢٦٨، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٥٤، ٣٨٦) من طرق عن عمر مطولاً ومختصراً ، وروى ابن حبان في " صحيحه " (٧٤١) قصة حفصة فقط .

(٨) مسلم في " صحيحه " (٦٤٤/٢) كتاب الجنائز (١١) باب (٩) ح رقم (٢٨) من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - والبيهقي (٧٢/٤) ، وأحمد في " المسند " (٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٥/٤) .

منافاة بين هذا وبين القيد الآخر ، وهو قوله : (في قبره) بل يضم أحدهما إلى الآخر ، ويكون عذابه في قبره كالمقدمة لعذابه يوم القيامة ، وعلى هذا فالمعنى : أن الميت يعذب في قبره ، ويعذب كذلك يوم القيامة ، وبهذا يتم الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك .

وقد رأيت للحافظ ابن حجر - رحمه الله - جمعاً وجيهاً جداً قريباً مما قلته في توجيه قول الجمهور فقال : " ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً : من كانت طريقته النوح فمضى أهله على طريقته ، أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه ، ومن كان ظالماً فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به ، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيم عنها فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ كيف أهمل النهي ، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم والله أعلم بالصواب " (١) . وهذا في غاية الوجاهة إلا أن الظالم يعذب بأفعاله الجائرة ندب أو لم يندب ، وسواء نوح عليه أم لم ينح عليه بذلك .

ما ينفع الميت في قبره (٢) :

ذكر السيوطي تحت هذا العنوان مجموعة من الأحاديث منها:

- ١- عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يتبع الميت ثلاثة : فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله " (٣) .
- ٢- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (٤) .

بعض فوائد تتعلق بالروح (٥) :

ذكر السيوطي تحت هذا العنوان بعض المباحث التي تتعلق بالروح والتي لخص أكثرها من كتاب " الروح " لابن القيم . وجعل السيوطي الأصل في هذا الباب حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : بينما أنا أمشي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في خرب المدينة : وهو يتوكأ (٦) على عسيب (٧) معه ، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يجيء فيه شيء تكرهونه . فقال بعضهم لنسألنه ، فقام رجل منهم فقال : يا أبا

(١) فتح الباري (٣/ ١٥٥ - ١٥٦) .

(٢) انظر : شرح الصدور (ص ٣٩١) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٢) ح رقم (٦٥١٤) انظر : الفتح (١١/ ٣٦٢) . ومسلم في " صحيحه " (٤/ ٢٢٧٣) كتاب الزهد والرفائق (٥٣) باب (٥٣) ح رقم (٥) - (٢٩٦٠) واللفظ له .

(٤) رواه البخاري في " الأدب المفرد " رقم (٣٨) ومسلم في " صحيحه " (٣/ ١٥٥٥) ح رقم (١٤) - (١٦٣١) كتاب الوصية (٢٥) باب (٣) . واللفظ له (٥) انظر : شرح الصدور (ص ٤١٤) .

(٦) بكسر الخاء وفتح الراء جمع خرب ضد العامر ، انظر : فتح الباري (١/ ٢٢٤) وهذا لفظ البخاري في " صحيحه " كتاب العلم (٣) باب (٤٧) ح رقم (١٢٥) ووقع عنده كذلك في كتاب التفسير (٦٥) تفسير سورة الاسراء (١٧) باب (١٣) ح رقم (٤٧٢١) - حرث - بدل خرب ، وهو بمعنى الزرع أو النخل كما في صحيح مسلم (٤/ ٢١٥٣) ح رقم (٣٤) .

(٧) هكذا (يتوكأ) في كتاب العلم (٣) باب (٤٧) ح رقم (١٢٥) وفي كتاب التفسير ح رقم (٤٧٢١) (وهو متكئ) واللفظان عند مسلم أيضاً ح رقم (٣٢ - ٣٤) .

(٨) العسيب : بوزن عظيم ، هي الجريدة التي لا خوص فيها ، الفتح (٨/ ٤٠١) وفي رواية ابن حبان " ومعه جريدة " .

القاسم ، ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقلت ، فلما انجلي عنه فقال : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم^(١) من العلم إلا قليلاً)^(٢) ثم قال السيوطي : " اختلف الناس في الروح على فرقتين :
 * فرقة أمسكت عن الكلام فيها لأنها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر ، وهذه الطريقة هي المختارة^(٣) ولو أن السيوطي كان سكت عند هذا وأمسك كما أمسكوا عن البحث فيها لأراح نفسه وأراحنا معه ، لكنه عاد فقال : " وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال النووي : وأصح ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين : إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر^(٤) .

أما أصحاب القول الأول الذين أمسكوا عن الكلام في الروح ، فقالوا : إن الحكمة في إبهام حقيقة الروح اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركون حتى يضطروهم إلى رد العلم إليه جل وعلا . لأن المرء إذا لم يعرف حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى^(٥) . قال أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري استاذ الطائفة ، كما يلقيه ابن حجر : " الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه ، فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من أنه موجود^(٦) .

وعلى هذا ابن عباس - رضي الله عنهما - وأكثر السلف^(٧) ، وجرى عليه أيضاً ابن عطية وجمع من أهل التفسير^(٨) .
 ثم اختلفت هذه الفرقة ، إذا كان الله تعالى قد أخفى علم حقيقة الروح عن خلقه ، فهل علمها النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ على قولين :

- فقيل : قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يعلم الروح .
 - وقيل : بل علمها ، وأطلعه الله عليها ، ولم يأمره أن يطلع عليها أمته وهو نظير الخلاف في علم الساعة^(٩) .
 * وأما الفريق الذي تكلم في الروح وبحث عن حقيقتها ، فقد اختلفت أقوالهم وتباينت آراؤهم فيها جمع هذه الأقوال ابن القيم وزيف بعضها ثم قال : " والسادس : أنه جسم لطيف مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون والنار في

(١) هذا اللفظ هكذا عند البخاري في " صحيحه " كتاب العلم (٣) باب (٤٧) ح رقم (١٢٥) الفتح (٢٢٤/١) ثم أرفدها البخاري - رحمه الله - قال : " قال الأعمش : هكذا في قراءتنا " قال ابن حجر - رحمه الله - : " أي قراءة الأعمش ، وليست هذه القراءة في السبعة بل ولا في المشهور من غيرها ، وقد اغفلها أبو عبيدة في كتاب القراءات له من قراءة الأعمش " ١. هـ . أما في كتاب التفسير من صحيح البخاري فأورد لفظ القراءة السبعية (وما أوتيتم) ح رقم (٤٧٢١) وكذلك في كتاب " التوحيد " من نفس الصحيح ح رقم (٧٤٥٦) الفتح (٤٤٠/١٣) .

(٢) سورة الاسراء ، الآية (٨٥) .

(٣) شرح الصدور (ص ٤١٤) .

(٤) نفسه (ص ٤١٥) وانظره عند النووي في شرح صحيح مسلم (١٣٨/١٧) عبارة إمام الحرمين : " الأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الاجسام ما استمرت مشابكتها لها فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة " الارشاد (ص ٣٧٧) .

(٥) انظر : شرح الصدور (ص ٤١٥) ، فتح الباري (٤٠٣/٨) .

(٦) فتح الباري (٤٠٣/٨ - ٤٠٤) ، وانظر : السيوطي : شرح الصدور (٤١٤) .

(٧) انظر : شرح الصدور (ص ٤١٤) .

(٨) انظر : فتح الباري (٤٠٤/٨) .

(٩) انظر : السابق (٤٠٣/٨) ، شرح الصدور (ص ٤١٥) .

الفهم ، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإدارية . وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح . وهذا القول هو الصواب في المسألة ، وهو الذي لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواء باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفترة ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد ^(١) ثم ساق أكثر من مائة دليل على هذا التعريف بحقيقة الروح . يقول السفاريني : " وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلاً وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا ، وابن حزم وأمثالهما " ^(٢) .

وهذا قريب جداً مما نقلته آنفاً عن إمام الحرمين الجويني ورأيته في الإرشاد . وإليه ذهب السيوطي حيث قال : " أكثر المسلمين على أن الروح جسم وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة لوصفها في الآيات والأحاديث بالتوفي ، والقبض ، والإمساك ، والإرسال ، والتناول ، والإخراج ، والخروج ، والتنعيم والتعذيب ، والرجوع والدخول ، والرضا والانتقال ، والتردد في البرزخ ، وأنها تأكل وتشرب وتسرح وتأوي ، وتعلق ، وتتطق ، وتعرف ، وتكر ، إلى غير ذلك مما هو من صفات الأجسام ، والعرض لا يتصف بهذه الصفات أيضاً فلا شك أنها تعرف نفسها وخالقها وتترك المعقولات وهذه علوم ، والعلوم أعراض ، فلو كانت عرضاً والعلم قائم به ، لزم قيام العرض بالعرض وهو فاسد " ^(٣) .

الروح محدثة مخلوقة :

حكى السيوطي إجماع أهل السنة على ذلك فقال : " أجمع أهل السنة على أن الروح محدثة مخلوقة ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة ، وممن نقل الإجماع على حدوثها محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة " ^(٤) ، ولمثل هذا ذهب السفاريني " في لوايح الأنوار " حيث قال : " أجمعت الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - على أن روح الإنسان محدثة مخلوقة مصنوعة مدبرة ، وهذا معلوم بالإضطرار من دين الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - كما يعلم بالإضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة " ^(٥) وقال ابن تيمية : " روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو أعلم زمانه بالإجماع والاختلاف أو من أعلمهم " ^(٦) .

وبعد التأكد من حصول الإجماع على أن الروح مخلوقة محدثة فليس لأحد أن يرفع عقيدته بمخالفة هذا الإجماع ، لأنه من المشاقة للرسول - صلى الله عليه وسلم - واتباع غير سبيل المؤمنين بل هو كفر وشرك وزندقة .

(١) الروح (ص ٣٩٢) .

(٢) لوايح الأنوار (٢٩/٢) .

(٣) شرح الصدور (ص ٤١٥-٤١٦) .

(٤) السابق نفسه (ص ٤١٩) .

(٥) لوايح الأنوار (٣٣/٢) .

(٦) مجموع الفتاوي (٢١٦/٤) .

الفصل الثالث : يوم القيامة

المبحث الأول : البعث

تعريف البعث :

البعث بعد الموت ركن من أركان الإيمان دلت عليها أدلة صريحة من الكتاب والسنة ، بل هو حقيقة اتفقت عليها كلمة أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى^(١) ، وقد أخبرت به جميع الأنبياء والرسل أممهم ، والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقها .

البعث في اللغة : يأتي ويراد به ثلاثة معان :

١- الإرسال : يقال بعثت فلاناً وابتعثته أي أرسلته^(٢) .

٢- البعث من النوم : يقال بعثته من منامه إذا أيقظته^(٣) .

٣- الإثارة : وهو أصل البعث ومنه قيل للناقة : بعثتها إذا أثرتها وكانت باركة^(٤) .

البعث في الشرع : هو إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم أحياء للحساب والجزاء^(٥) .

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " البعث : وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة "^(٦) .

ويقول أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحلبي : " يعيد الله الرفات من أبدان الأموات ، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير بهيئتها الأولى ، ثم يجعلها حية فيقوم الناس كلهم بأمر الله جل ثناؤه أحياء صغيروهم وكبيرهم "^(٧) .

ويقول البيهقوري : " السبعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم "^(٨) ويقول د . الأشقر : " المراد بالبعث المعاد الجسماني وإحياء العباد في يوم المعاد ، والنشور مرادف للبعث في المعنى ، يقال نشر الميت نشوراً إذا عاش بعد الموت ، وأنشره الله أحياء فإذا شاء الحق تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرأفيل فننفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد ويقوم الناس لرب العالمين "^(٩) وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة وأحاديث شريفة من ذلك قول الله تعالى في محكم التنزيل : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)^(١٠) وبالنظر في المعنى اللغوي لكلمة البعث والمعنى الشرعي لها : نجد أن هناك ترابطاً

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (٣٣٤-٣٣٥) ، القاموس المحيط (١٦٨/١) .

(٣) انظر : القاموس المحيط (١٦٨/١) .

(٤) انظر : نفسه ، الراغب الاصبهاني : المفردات (ص٥٢،٥٣) .

(٥) انظر : شرح الطحاوية (ص٤٥٦) ، والسفاريني : لوامع الأنوار (١٥٧/٢) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢٠٦/٣) .

(٧) المنهاج في شعب الإيمان (٣٤٥/١) .

(٨) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص١٧٠) .

(٩) اليوم الآخر - القيامة الكبرى (ص٥١) .

(١٠) سورة الحج ، الآيتان (٦٠٧) .

ظاهراً وذلك أن معاني البعث في اللغة الإثارة والإرسال هو نفس المعنى المراد بالإصطلاح الشرعي الذي يظهر من أن البعث هو إرسال الحياة أو إرسال الأرواح إلى الأموات وإثارتها من مرقدتها فتقوم وتتبعث من جديد لنتهيأ لما يراد منها من الإنطلاق إلى الموقف العظيم للحساب ونيل الجزاء . قال تعالى : (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون)^(١) .

ففي هذه الآيات الأربع الكريمة إثبات البعث من المرقد ، وخروج الأموات من الأجداث ، وحضورها بين يدي الرب جل وعلا ثم يكون الحساب والجزاء لكل نفس بما كسبت .

تكلم السيوطي عن البعث وقرر أن البعث حق وأن الإيمان به واجب فقال - رحمه الله - : " ... وأن الحشر للخلق أجمع بأن يحييهم الله بعد فنائهم ، ويجمعهم للعرض والحساب للمعاد ، أي عود الجسم بعد الإعدام بأجزائه وعوارضه كما كان ، حق ، قال تعالى : (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)^(٢) (وإذا الوحوش حشرت)^(٣) (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)^(٤) (كما بدأنا أول خلق نعيده)^(٥) (٦) .

وفي قوله تعالى : (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور)^(٧) يقول السيوطي : " عبارة عن البعث ، وجمع ما في الصحف ، وأظهر محصلاً ، وميّز خيره من شره " (٨) وهكذا يستمر السيوطي في بيان أدلة البعث من خلال كلامه على إعجاز القرآن فعند قوله تعالى : (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)^(٩) يقول السيوطي : " تحضيض على التصديق : إما بالخالق تعالى ، وإما بالبعث لأن الخلقة الأولى دليل عليها " (١٠) . وفي قوله تعالى : (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)^(١١) يقول السيوطي : " تحضيض على الذكر والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة " (١٢) .

وفي تقرير مذهب أهل السنة والجماعة يقول السيوطي : " ومذهب أهل السنة أن الإعادة ممكنة عقلاً ، واقعة سمعاً ، وهل تعاد الأجساد أم لا ؟ مذهب أهل السنة أنها تعاد ، لأن الوجود قسمان : إما متحيز ، أو قائم بالمتحيز ، فالأرواح أن كانت متحيزة فهي أجسام ، وإن لم تكن متحيزة فلا تستقل بنفسها ولا بد لها من أجسام تحل فيها فلا بد من إعادة الأجسام خلافاً للحكماء^(١٣) وغيرهم " (١٤) .

(١) سورة يس ، الآيات (٥١،٥٢،٥٣،٥٤) .

(٢) سورة الكهف ، بعض الآية (٤٧) .

(٣) سورة التكاوير ، الآية (٥) .

(٤) سورة الروم ، بعض الآية (٢٧) .

(٥) سورة الأنبياء ، بعض الآية (١٠٤) .

(٦) علم التوحيد - مخطوط - لوحة رقم (٨) .

(٧) سورة العاديات ، الآيتان (٩ ، ١٠) .

(٨) معترك الأكران (٤٦٩/٢) .

(٩) سورة الواقعة ، الآية (٥٧) .

(١٠) معترك الأكران (١٠٨/٣) .

(١١) سورة الواقعة ، الآية (٦٢) .

(١٢) أي : الفلاسفة .

منكر البعث كافر: يقرر السيوطي أن منكر البعث كافر ، وذلك من خلال استدلاله بقوله تعالى : (وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا تراباً أننا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٢) يقول السيوطي : " في الآية دليل على أن منكر البعث كافر " (٣) وهو واضح من صريح قوله تعالى : (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولا يخلد في النار إلا الكافرون .

المبحث الثاني: الشفاعة

الشفاعة لغة : هي الانضمام إلى آخر ناصرأ له وسائلأ عنه ، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى (٤).

واصطلاحاً : سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام (٥) من الذي وقع الجناية في حقه (٦).

أثبت السيوطي شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة فقال : " ... وأن الشفاعة حق وهي أنواع : أولاها وأعظمها : الشفاعة في فصل القضاء والإراحة من طول الموقف وهي مختصة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - بعد تردد الخلق من نبي إلى نبي " (٧) وقال السفاريني : " والشفاعات المختصة به - صلى الله عليه وسلم - عدة : أولها وأعظمها وأعمها شفاعته - صلى الله عليه وسلم - لفصل القضاء بين الوري (٨) وهذه الشفاعة العظمى تحصل في الموقف العظيم بأرض المحشر عندما ينتاب الناس التعب والكرب وتبلغ المعاناة منهم منتهاها فيلهم الله تعالى بعض عبادته طلب الشفاعة من الرسل إلى الله تعالى لفصل القضاء وإراحة الناس ، فيتقدم هؤلاء لطلب الشفاعة أول ما يتقدمون إلى آدم - عليه السلام - فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبأ لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح . فيذهبون إلى نوح - عليه السلام - ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى موسى ، ثم إلى عيسى - عليهم جميعاً الصلاة والسلام - كلهم يقول نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، حتى يقول لهم عيسى - عليه السلام - اذهبوا إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيأتون رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فيطلبون منه مثلما طلبوا من الأنبياء قبله ، فينطلق - صلى الله عليه وسلم - فيأتي تحت العرش فيقع ساجداً لله تعالى ، فيقال له : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فيرفع رأسه - صلى الله عليه وسلم - فيقول : أمتي يارب - ورد هذا في حديث طويل في الصحيحين (٩) .

(١) معترك الاقران (٢٩٨/٣) .

(٢) سورة الرعد ، الآية (٥) .

(٣) معترك الاقران (٥٢/٣) .

(٤) الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن (ص ٢٦٣) .

(٥) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث (٤٥٨/٢) .

(٦) الجرجاني : التعريفات (ص ١٢٧) .

(٧) علم التوحيد - مخطوط - لوحة رقم (١١) .

(٨) لوامع الأنوار (٢١١/٢) .

(٩) البخاري في "صحيحه" كتاب التفسير (٦٥) باب (٥) ح رقم (٤٧١٢) ، الفتوح (٣٩٥/٨) ومسلم في "صحيحه" (٤٦٩/١) .

الثانية : الشفاعة لقوم ليدخلوا الجنة بغير حساب :

يقول السيوطي : " الثانية : الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب " (١) وذلك لما امتازوا به من صفات إيمانية جعلتهم أهلاً لهذا الإكرام ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " عرضت عليّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير قلت : يا جبريل : هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ، قال : كانوا لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : سبقك بها عكاشة " (٢) ومحل الشاهد من هذا الحديث هو دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - لعكاشة بن محصن - رضي الله عنه - أن يجعله الله منهم ، فإن هذا الدعاء هو الشفاعة منه - صلى الله عليه وسلم - لعكاشة - رضي الله تعالى عنه - (٣)

الثالثة : الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار ألا يدخلوها :

قال السيوطي : " الثالثة : الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها " (٤) ذكر بعض العلماء هذا النوع الذي ذكره السيوطي ولكني لم أجد عندهم دليلاً يدل لهذا النوع من الشفاعة .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : " الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن شاء الله تعالى " (٥) .

وقال القرطبي نقلاً عن القاضي عياض : " الثالثة : في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا - صلى الله عليه وسلم - ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة " (٦) ويظهر أن نقل القرطبي عن القاضي عياض ، هو نفسه ما ذكره الإمام النووي لأنه كثيراً ما ينقل في شرحه صحيح مسلم عن القاضي عياض وقال السفاريني : " ثالثها : شفاعة - صلى الله عليه وسلم - في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها " (٧) .

ويقول شارح الطحاوية : " النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعة - صلى الله عليه وسلم - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها " (٨) هكذا أقوالهم عارية عن الدليل تماماً ولم أر واحداً منهم قد أورد نصاً يدل عليه . ولذلك قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - :

(١) علم التوحيد .

(٢) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق (٨١) باب (٥٠) ح رقم (٦٥٤١) فتح الباري (٤٠٥/١١) ، ومسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان (١) باب (٩٤) ح رقم [٣٧٤- (٢٢٠)] انظر صحيح مسلم (١٩٩/١) .

(٣) انظر : النهاية : لابن كثير (٢/٢٧٥) ، القرطبي : التذكرة (ص ٣٠١) ، السفاريني : لوامع الأنوار (٢/٢٠٨) ، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٥٧) .

(٤) السيوطي : علم التوحيد - مخطوط - لوحة رقم (١١) .

(٥) شرح صحيح مسلم (٤٤٣/١) .

(٦) التذكرة (٣٠١) .

(٧) لوامع الأنوار (٢/٢١١) .

(٨) شرح الطحاوية (ص ٢٥٧) .

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس

أحدهما : في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه ، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر بنص ^(١) . ومن هنا يتبين أن هذا النوع لا دليل عليه .

الرابعة : الشفاعة لأهل الكبائر من الموحدين

يقول السيوطي : " الرابعة : الشفاعة في اخراج من أدخل النار من الموحدين " ^(٢) وهم أهل الكبائر من الأمة ، ومذهب أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر هم تحت مشيئة الله جل وعلا ، إن شاء عذبهم بمقتضى عدله ، وإن شاء غفر لهم برحمته وفضله ، وأن من دخل النار من أهل التوحيد فإنه يخرج منها بعد أن يعذب فيها المدة التي يشاؤها الله عز وجل تطهيراً له ، ثم يرحمه ويحسن إليه ويدخله الجنة وأن لا يخلد في النار مثل خلود أهل الكفر والشرك بالله تعالى . وقد كانت هذه المسألة مسلمة بين الصحابة - رضوان الله عليهم - يثبتونها على ضوء ما جاء في كلام الله تعالى وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهذه بعض أقوال الأئمة التي تؤيد هذا :

١- قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الأنبياء والملائكة حتى إنه تعالى في آخر الأمر يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة قال فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " ^(٣)

٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة ومتواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد اتفق عليها السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين ، وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة " ^(٤)

٣- وقال السفاريني : " اتفق أهل السنة والجماعة على أن النار لا يخلد فيها أحد من أهل الإيمان والتوحيد كما ثبت ذلك في الأحاديث أنه يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونحوه لكن لا بد أن يدخل النار من أهل التوحيد طائفة بذنبهم ، ويعاقبون على مقدار ذنبهم ثم يخرجون بشفاعة النبي - ﷺ - أو غيره ، أو برحمة أرحم الراحمين " ^(٥) .

وهذه الأقوال من العلماء مبنية على ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " ^(٦) وهو يدل على الشفاعة الخاصة بأهل

(١) عون المعبود (٧٧/١٣) .

(٢) علم التوحيد - مخطوط - لوحة رقم (١١) .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٤٤٢/٤) ، والرازي : التفسير الكبير (١٥٤/١٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٩/٤) .

(٥) لوامع الأنوار (٧٧٣/٢) .

(٦) رواه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (ص ٢٣٣) ح رقم (١٦٧) ، وابن خزيمة في "التوحيد" (ص ٢٧١) ، والترمذي في "سننه" (٦٢٥/٤) ح رقم (٢٤٣٦) وقال : "حسن غريب من هذا الوجه ، مستغرب من حديث جعفر بن محمد" ، ورواه الحاكم في "المستدرک" (٦/١) وقال : "صحيح على شرط مسلم" ورواه أبو نعيم في "الحلية" (٢٠٠/٣-٢٠١) جميعهم من طريق محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه . ورواه ابن ماجه في "الزهّد" (١٤٤١/٢) ح رقم (٤٣١٠) ، والحاكم في "المستدرک" (٦٩/١) و (٣٨٢/٢) ، والبيهقي في "البعث والنشور" ح رقم (١) (ص ٥٥) ،

الكبائر التي يخرجون بها من النار بعد دخولهم فيها .

وعن جابر أيضاً قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله - عز وجل - يخرج من النار قوماً بالشفاعة " (١) .

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يخرج الله من النار قوماً بشفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيدخلون الجنة ، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين " (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال : بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر (٣) . فبثوا على أنهار الجنة . ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل " (٤) . وغيرها من الأحاديث .

ويبين السيوطي أن أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إنما يجاوزون بذنوبهم بسطة شروط في قوله تعالى : (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٥) " هذا على عمومه في حق الكفار ، وأما المؤمنون فلا يجزون بذنوبهم إلا بسطة شروط وهي

١- أن تكون ذنوبهم كباراً

٢- أن يموتوا قبل التوبة منها

٣- أن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها

٤- أن لا يُشفع فيهم

٥- أن لا يكونوا ممن استحق المغفرة بعمل كأهل بدر ، للحديث : " لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " (٥)

جميعهم من طريق الوليد بن مسلم ، عن زهير بن محمد ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، وقال الحاكم : " صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وقال الذهبي : " على شرط مسلم " ، وقال البيهقي : " حديث صحيح " ، ورواه الأجرى في " الشريعة " (١٢١٢/٣) ح رقم (٧٧٨) وقال محققه : " هذا حديث إسناده حسن " .

(١) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق (٨١) باب (٥١) ح رقم (٦٥٥٨) أنظر : الفتح (٤١٦/١١) ، ورواه مسلم في " صحيحه " (١٧٨/١) ح رقم (١٩١) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (ص ٢٧٧) وابن أبي عاصم في " السنة " (٤٠٤/٢) جميعهم من طريق حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، وكذا الأجرى في " الشريعة " (١٢٣٠/٣) رقم (٧٩٨) .

ورواه مسلم في " صحيحه " (١٧٨/١) ح رقم (١٩١) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (٤٠٤/٢) ح رقم (٨٤٠) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (ص ٢٧٧) والبيهقي في " الاعتقاد " (ص ٩٠) ، والأجرى في " الشريعة " (١٢٣١/٣) ح رقم (٧٩٩) جميعهم من طريق سفيان ، عن عمرو بن دينار ، ورواه أحمد في " المسند " من طريق آخر عن جابر .

(٢) البخاري في " صحيحه " كتاب الرقاق (٨١) باب (٥١) رقم (٦٥٦٦) أنظر : الفتح (٤١٨/١١) .

وابو داود في " سننه " كتاب الشفاعة (عون المعبود ٧٢/١٣-٧٣) والترمذي في " سننه " في صفة جهنم (٧١٥/٤) ح رقم (٢٦٠٠) ، وابن ماجه في " سننه " كتاب الزهد (١٤٤٣/٢) ح رقم (٤٣١٥) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (ص ٢٧٦) والبيهقي في " الاعتقاد " (ص ٩١) ، والبخاري في " شرح السنة " (١٥/١٨٣) جميعهم من طريق الحسن بن ذكوان ، وهو أبو سلمة البصري صدوق يخطيء ، ورمى بالقدر ، وكان يدلسي ، من السادسة : أنظر : تقريب التهذيب (١٦٦/١) والتهذيب (٢٧٦/٢) .

(*) الضبائر : هم الجماعات في تفرقة ، واحدها : ضبيرة ، مثل عمارة وعمائر .

(٣) رواه مسلم في " صحيحه " (١٧٢/١) رقم (١٨٥) ، وابن ماجه في " سننه " كتاب الزهد (١٤٤١/٢) ح رقم (٤٣٠٩) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (ص ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣) ، والبيهقي في " الاعتقاد " (ص ٩٢) جميعهم من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد وكذلك الأجرى في " الشريعة " (١٢٣٢/٣) ح رقم (٨٠١) .

(٤) سورة الزلزلة ، الآية (٨) .

(٥) رواه البخاري في " صحيحه " رقم (٣٠٠٧) الفتح (١٤٣/٦) ، رقم (٤٢٧٤) الفتح (٥١٩/٧) ، رقم (٤٨٩٠) الفتح (٦٣٣/٨) ، ومسلم في " صحيحه " (١٩٤١/٤) ح رقم (١٦١-٢٤٩٤) .

٦- وأن لا يعفو الله عنهم . فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ^(١) .

الخامسة : الشفاعة لرفع درجات أهل الجنة

قال السيوطي : " الخامسة : الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ^(٢) " ودليل هذا النوع من الشفاعة ما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " اللهم اغفر لعبيد أبي عامر " ثم قال : " اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس ... " الحديث ^(٣) وكذا حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على أبي سلمة ، وقد شق بصره ، فأغمضه ، ثم قال : " إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، فضج ناس من أهله فقال : " لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون " ثم قال : " اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ... " الحديث ^(٤) .

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " النوع الثاني : شفاعته - صلى الله عليه وسلم - لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفع الدرجات " ثم استدلل لذلك بحديث أم سلمة المتقدم ^(٥) . ويقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : " الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ^(٦) " .

وقال شارح الطحاوية : " النوع الرابع : شفاعته - صلى الله عليه وسلم - في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ^(٧) . وقد ورد في كتاب الله تعالى ما يدل على رفع الدرجات في الجنة كما في قوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ^(٨) ولكن هذا لا يدخل في الشفاعة إنما هو تفضل من الله تعالى وإحسان منه إلى عباده حيث رفع ناقص العمل بكامل العمل من غير أن ينقص من أجر الكامل شيء ولكن يدل على جواز رفع درجة بعض المؤمنين في الجنة . والحمد لله على فضله وإحسانه .

السادسة : شفاعته - صلى الله عليه وسلم - في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب

قال السيوطي : " السادسة : الشفاعة في تخفيف العذاب عن استحق الخلود في النار ، كما في حق أبي طالب ^(٩) " وهذه خاصة في حق أبي طالب بن عبد المطلب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - نظراً لمواقفه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مساندته له في دعوته ، ومناصرته ، وحمايته والدفاع عنه ضد أذى قريش رغم أنه لم يسلم ومات على الكفر ، ويدل لذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما سئل : هل نفعت أبا طالب بشيء ؟ فإنه كان يحوطك

(١) معترك القرآن (٤٦٨/٢) .

(٢) علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١١) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " . انظر : الفتح (٤١/٨-٤٢) . واللفظ له ، ورواه مسلم في " صحيحه " (١٩٤٤/٤) ح رقم [١٦٥- (٢٤٩٨)] .

(٤) رواه مسلم في " صحيحه " (٦٣٤/٢) ح رقم [٧- (٩٢٠)] .

(٥) عون المعبود (٧٨/١٣) .

(٦) شرح صحيح مسلم (٤٤٣/١) .

(٧) (ص ٢٥٧) وانظر : النهاية لابن كثير (٢٧٤/٢) ، لوامع الأنوار (٢١١/٢) .

(٨) سورة الطور ، الآية (٢١) .

(٩) علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١١) .

ويغضب لك قال : " نعم هو في ضحضاح^(١) من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار " ^(٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أهون أهل النار عذاباً أبو طالب - وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه " ^(٣) وهذه الأحاديث تدل على أن أبا طالب مات على الكفر وأنه في النار ويخفف عنه من عذابها بشفاعته المصطفى - صلى الله عليه وسلم - كما ثبت فيما سبق ، وذلك خلافاً للمغيرية من الشيعة الذين يزعمون أن أبا طالب في الجنة^(٤) ، وهو ضلال وانحراف نعوذ بالله تعالى من الهلاك والخذلان .

المبحث الثالث : الحساب

الحساب في اللغة : الإحصاء بالدقة التامة دون زيادة ولا نقصان قال الأزهري : " وإنما سمي الحساب في المعاملات حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة ولا نقصان " ^(٥) والحساب والحسابة عدل الشيء ويأتي الحساب بمعنى الكثرة ومنه " أحسبت الرجل أي أعطيته ما يرضي وقيل : معناه أعطيته حتى قال حسبي ، قال الله عز وجل : (...عطاء حساباً) ^(٦) أي كثيراً ^(٧) .

وقال الراغب : " الحساب استعمال العدد ... والحسبان : ما يحاسب عليه فيجازي بحسبه ... والحسيب والمحاسب : من يحاسبك ثم يعبر عن المكافئ بالحساب " ^(٨)

الحساب في الشرع : قال السفاريني عن الحساب أنه يراد به " توقيف الله عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم ، خيراً كانت أو شراً تفصيلاً لا بالوزن ، إلا من استثنى منهم " ^(٩) والمقصود بقوله : " لا بالوزن " أي : لا يكتفي بالمعرفة الإجمالية التي تحصل عن طريق الوزن فقط ، دون إيقافهم على تفصيل أعمالهم تفصيلاً دقيقاً .

ونقل السفاريني عن بعض العلماء قوله : " الحساب تعريف الله - عز وجل - الخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك ، يدل على هذا قوله تعالى : (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) ^(١٠) " ^(١١) . ومن هذه الأقوال يمكن أن يقال : إن المراد بالحساب : " أن يوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه ، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها ، وأقوالهم التي قالوها ، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر ، واستقامة وانحراف ، وطاعة وعصيان ، وما يستحقون على ما قدموه من إثابة وعقوبة ، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين ، وبشمالهم إن كانوا طالحين ، ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده ، وما يقولونه له ، وما يقيمه عليهم من حجج

(١) الضحضاح : مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبيين ، واستعير للنار .

(٢) رواه البخاري في " صحيحه " رقم (٦٥٦٤) الفتح (٤١٧/١) ، ومسلم في " صحيحه " (١٩٤/١) رقم [٣٥٧-٢٠٩] .

(٣) رواه مسلم في " صحيحه " (١٩٦/١) ح رقم [٣٦٣-٢١٣] .

(٤) انظر : ابن حجر : فتح الباري (٤٣١/١) ، والتتبيه والرد للملطي (ص ١٥٢) .

(٥) تهذيب اللغة (٣٣١، ٣٣٣/٤) ، وانظر : القاموس المحيط (٥٦/١) .

(٦) سورة النبأ ، بعض الآية (٣٦) .

(٧) تهذيب اللغة (٣٣٣/٤) ، وانظر : تاج العروس (٢١٠-٢١٣) .

(٨) المفردات (ص ١١٦-١١٧) .

(٩) لوامع الأنوار (١٦٥/٢) ، وانظر : الكواشف الجلية (ص ٣٤٣) .

(١٠) سورة المجادلة ، بعض الآية (٦) .

(١١) لوامع الأنوار (١٦٥/٢) .

وبراهين ، وشهادة الشهود ووزن للأعمال . والحساب منه العسير ، ومنه اليسير ، ومنه التكريم ، ومنه التوبيخ والتبكيث ، ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك أكرم الأكرمين ^(١) .

والأدلة على وقوع الحساب من القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة جداً لا يتسع المقام لحصرها لكن نكتفي ببعضها هنا دلالة على المقصود يقول الله تعالى : (... واتقوا الله إن الله سريع الحساب) ^(٢) وفي بيان سرعة الحساب مع تمام العدل يقول تعالى : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) ^(٣) (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ^(٤) ومن الآيات التي استدلت بها السيوطي على وقوع الحساب وقيام العباد بين يدي الله جل وعلا قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ^(٥) قال السيوطي : " أي القيام بين يديه للحساب " ^(٦) وكذلك قال ابن جرير ^(٧) - رحمه الله - ، وابن كثير - رحمه الله - ^(٨) وقال القرطبي : " خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية " ^(٩) وهو أحد الأقوال التي ذكرها في الآية الكريمة .

وقال الإمام الشوكاني : " مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب ، كما في قوله تعالى : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ^(١٠) . " ^(١١) .

وللإستدلال على وقوع الحساب من قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ^(١٢) يقول السيوطي : " المتقال هو الوزن ، والذرة النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء ، وذكر الله مثقال الذرة تنبيهاً على ما هو أكثر منه من طريق الأولى ، كأنه قال : من يعمل قليلاً أو كثيراً . وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته ، إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يخلد مؤمن في النار لأنه لو خلد لم ير ثواباً على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات .

(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ^(١٣) هذا على عمومته في حق الكفار ، وأما المؤمنون فلا يجزون بذنوبهم إلا بسنة شروط وهي التي ذكرتها آنفاً عن السيوطي .

فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ^(١٤) .

(١) الأشر : اليوم الآخر - القيامة الكبرى (ص ١٩٣) .

(٢) سورة المائدة ، بعض الآية (٤) .

(٣) سورة غافر ، الآية (١٧) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٤٧) .

(٥) سورة الرحمن ، الآية (٤٦) .

(٦) معترك الأقران (٣/٣٥٠) .

(٧) انظر : جامع البيان (١٤٥/٢٧) .

(٨) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٧٦/٧) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٥/١٧) .

(١٠) سورة المطففين ، الآية (٦) .

(١١) فتح القدير (١٤٠/٥) .

(١٢) سورة الزلزلة ، الآية (٧) .

(١٣) سورة الزلزلة ، الآية (٨) .

(١٤) معترك الأقران (٤٦٨/٢) .

المبحث الرابع : الميزان

الميزان في اللغة : اسم للآلة التي تزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء^(١) .

وفي الشرع : هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات^(٢) .

وقد أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة ، وأنه يميل بالأعمال ، وذكر

الميزان عند الحسن فقال : له لسان وكفتان^(٣) .

ويذكر السيوطي أن الميزان حق ، وأن الإيمان به واجب فيقول : " وأن الميزان حق ، وله لسان وكفتان

لتعرف بها مقادير الأعمال بأن توزن صحفها به ، قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً

وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)^(٤) " (٥) .

ويؤكد السيوطي هذا المعنى في موضع آخر ، وذلك عند قوله تعالى : (فأما من ثقلت موازينه)^(٦) فيقول : " هو

جمع ميزان ، أو جمع موزون . وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان وعمود ، وتوزن فيه الأعمال ، والخفة

والثقل متعلقة بأجسام إما صحف الأعمال أو ما شاء الله " (٧) .

ويذكر السيوطي أن المعتزلة خالفت أهل السنة في هذا فقالت عن الميزان إنه " عبارة عن العدل في الجزاء " (٨)

ولكنه لم يرد هذا القول أو يبين بطلانه ، وقد حكى الإيجي في المواقف أن المعتزلة ينكرون الميزان لأن الأعمال أعراض

لا يمكن وزنها^(٩) ولكن ما ذكره القاضي عبد الجبار بن أحمد في " أصوله الخمسة " يرد ما ذكره الإيجي فقد قال : " ولم

يُرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف عليه بيننا دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس ، وكلام الله تعالى

مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز ، يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل

لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين " (٩)

وهذا الكلام من القاضي عبد الجبار واضح في أنه يثبت الميزان الذي يثبت أهل السنة وهو شيخ المعتزلة في وقته

، مما يتبين منه أحد الأمرين :

الأول : إما أن يكون قد وقع خطأ في نقل مذهب المعتزلة عنهم ، فهذا تصحيح لهذا الخطأ ، لأن أهل السنة أهل العدل

الوسط الذين ينقلون ما لهم وما عليهم ، وبهذا يكون المعتزلة قد أصابوا في هذه المسألة وجه الحق .

(١) انظر : المفردات (ص ٥٢٢) .

(٢) انظر : لوامع الأنوار (١٨٤/٢) .

(٣) فتح الباري (٥٣٨/١٣) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٤٧) .

(٥) علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١٠) .

(٦) سورة القارعة ، الآية (٦) .

(٧) معترك الأقران (٤٦٩/٢) .

(٨) انظر : (ص ٣٨٤) .

(٩) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٥) .

الثاني: أن يكون القائل بأن الميزان هو العدل بعض المعتزلة لا جميعهم .

وقد مضى معنا بعض الآيات الكريمة في إثبات الموازين الموضوعية يوم القيامة لوزن الأعمال . وقد وردت السنة أيضاً بإثبات ذلك ، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يقول : أتتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ يقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول أحضر وزنك . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : فإنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وتقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء " (١) .

وقد رجح القرطبي أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف (٢) ، ورجحه أيضاً السفاريني فقال : " والحق أن أن الموزون صحائف الأعمال ، وصححه ابن عبد البر وغيره ، وذهب إليه جمهور من المفسرين " (٣) .

المبحث الخامس : الصراط

الصراط في اللغة : الطريق الواضح (٤) .

وفي الشرع : جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر عليه يمر الناس على قدر أعمالهم (٥) .

وقد أكد السيوطي على وجوب الإيمان بالصراط ، وأنه حق فيقول : " ... وأن الصراط ، وهو - كما في حديث مسلم - جسر يمر على ظهر جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف ، حق " (٦) . واستشهد السيوطي على ثبوت الصراط بحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه : " ويضرب جسر بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم . وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان (٧) . هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله - عز وجل - تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق (٨) بعمله . ومنهم من يخردل (٩) ثم ينجو ، ... " الحديث (١٠) .

ومن الأدلة أيضاً حديث أبي سعيد الخدري الطويل وفيه : " ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل

(١) رواه الإمام أحمد في "المسند" (٢٧٣/٣) بلفظ قريب من هذا ، ورواه الترمذي في "سننه" ح رقم (٢٧٨٩) ، وابن ماجه ح رقم (٤٣٠٠) وقال عنه الشيخ الألباني - رحمه الله - بأنه حديث صحيح ، وله سند آخر بمعناه ، انظر : صحيح الترمذي للألباني (٣٣٣/٢) . واستشهد به السيوطي في "علم التوحيد" (١٠) وعزاه الترمذي وذكر أنه حسنه ، وكذا في "معترك الأقران" (٤٦٩/٢) .

(٢) انظر : التذكرة (٣١٣) .

(٣) لوامع الأنوار (١٨٧/٢) .

(٤) انظر : لسان العرب (٣٤٠/٧) ، مختار الصحاح (ص ١٥١) .

(٥) انظر : لوامع الأنوار (١٨٩/٢) .

(٦) علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١٠) .

(٧) نبت ذو شوك ، وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه . النهاية (٣٦٧/٢) .

(٨) من يهلك بعمله .

(٩) قيل معناه : يقطع ، أي تقطعه الكلاب فيهوي في النار ، وقيل : المخردل المصروع .

(١٠) رواه البخاري في "صحيحه" ح رقم (٦٥٧٣) الفتح (٤٤٤/١١) ، ومسلم في "صحيحه" (١٦٣/١) ح رقم (٩٩٢-١٨٢) .

الشفاعة فيقولون : اللهم سلم سلم . قيل يا رسول الله : وما الجسر ؟ قال دحض مزلة^(١) فيه خطاطيف وكلاليب وحسك^(٢) تكون بسنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمن كطرف العين ، وكالبرق وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل ، والركاب ، فجاج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكدوس على وجهه في النار^(٣) .

- ومنها حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - الطويل فيه :

" فيأتون محمداً - صلى الله عليه وسلم - فيقوم ويؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمرأو لكم كالبرق ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي أي شئ كمر البرق ؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال^(٤) تجري بهم أعمالهم ، وينبكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم . حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب^(٥) معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه ، فمخدوش ناج ، ومكدوس^(٦) في النار^(٧) وما ذهب إليه السيوطي من وجوب الإيمان بالصراط ، وأنه حق هو مذهب أهل السنة والجماعة ، السلف وأئمة أهل السنة وهذا طرف من بعض أقوالهم :

١- قال سلمان - رضي الله عنه - : يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموس ، فتقول الملائكة : يا رب من يمر على هذا ؟ فيقول : من شئت من خلقي . فيقولون : يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك^(٨) .

٢- وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : والصراط حق ، يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه ، والجنة من وراء ذلك ، نسأل الله عز وجل السلامة في الجواز^(٩) .

٣- وقال الإمام ابن بطة العكبري : ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذ سلم سلم ، والصراط كما جاء في الحديث إنه أحد من السيف ، وأدق من الشعرة^(١٠) .

وقد اتضح من الأدلة السابقة ، ومن أقوال الأئمة أمور منها :

أولاً : أن الإيمان بالصراط واجب . وأنه جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر .

ثانياً : أنه ممر رهيب جداً ، يقف الرسل على جانبيه يدعون الله تعالى يقولون : يا رب سلم سلم . ولا يتكلم غيرهم .

ثالثاً : أن عليه كلاليب وخطاطيف وحسك مثل شوك السعدان معلقة به مأمورة بخطف من أمرت بخطفه من المارين عليه .

رابعاً : أنه مدحضة مزلة ، فهو على دفته وحدته منزلق شديد لا تثبت عليه الأقدام . إلا من كتب الله تعالى له الثبات وكان

(١) الدحض : الزلق . النهاية (١٠٤/٢) والدحض المزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذي نزل فيه الأقدام ولا تستقر .

(٢) الحسك : جمع حسكة وهي شوك صلبة من حديد ، النهاية (٣٨٦/١) .

(٣) رواه مسلم في " صحيحه " (١٦٧/١) ح رقم (١٨٣) .

(٤) (شد الرجال) الشد : هو العدو البالغ والجري .

(٥) كلاليب : جمع كلوب ، وهو حديدة معوجة الرأس ، النهاية (١٩٥/٤) ،

(٦) مكدوس : أي مدفوع ، وتكدس الانسان إذا دُفع من ورائه فسقط .

(٧) رواه مسلم في " صحيحه " (١٨٦/١) ح رقم (١٩٥) .

(٨) اللاتكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، رقم (٢٢٢١) .

(٩) طبقات الحنابلة (٢٧/١) .

(١٠) الشرح والإبانة (ص ٢٢١) ، صحيح مسلم (١٦٧/١) ح رقم (٣٠٢) من كتاب الإيمان في آخر الحديث .

من أهل السعادة .

خامساً : أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف كما قال أبو سعيد - رضي الله عنه - : " بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف " (١) وهذا لا يقال بالرأي بل لا بد أنه قد بلغه من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - .

المبحث السادس : الجنة والنار

الجنة هي الدار التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين ، الخاضعين لشريعته ، المتبعين لرسله ، وهي دار النعيم والثواب المقيم أعد الله تعالى فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، من دخلها فقد فاز الفوز العظيم ، وربح الربح الذي لا خسارة بعده .

والنار - أعادنا الله منها - هي الدار التي أعدها الله تعالى للكافرين به المكذبين لرسله ، والمتمردين على شريعته ، فهي دار الخزي الأكبر والخسران العظيم .

والإيمان بالجنة والنار من أهم قضايا الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان مما لا يتم الإيمان إلا بها . تحدث السيوطي عن الجنة والنار فقال : " ونعتقد أن الجنة والنار مخلوقتان اليوم قبل يوم الجزاء ، للنصوص الدالة على ذلك " (٢) وما ذكره السيوطي من أن الجنة والنار موجودتان الآن هو معتقد أهل السنة والجماعة ، وهذه بعض أقوال أئمتهم :

١- قال شارح الطحاوية : اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئها الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة " (٣) .

٢- وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : " وأن الله خلق الجنة قبل الخلق وخلق لها أهلاً ونعيمها دائم ، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر ، وخلق النار قبل خلق الخلق ، وخلق لها أهلاً وعذابها دائم " (٤) .

٢- وقال الإمام أبو الحسن الأشعري عن عقيدة أصحاب الحديث : " ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان " (٥) .

٣- وعقد الأجرى في مصنفه القيم " الشريعة " كتاباً مطولاً عن الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان وقال : " أعلموا رحمتنا الله وإياكم أن القرآن شاهد على أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم - عليه السلام - وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام ، وذاق حلاوة طعم الإيمان دل على

(١) مسلم في " صحيحه " (١٦٧/١) ح رقم (١٨٣) ، وموضع الشاهد (ص ١٧١) .

(٢) علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١٩) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦١٤-٦١٥) ، وانظر : مقالات الإسلاميين (٢/١٦٨) والابانة (ص ٦٣) والبعث والنشور (ص ١١٢) وما بعدها وحادي الأرواح (ص ٣٥) وما بعدها ، لوامع الأنوار (٢/٢٣٥) وما بعدها .

(٤) طبقات الحنابلة (١/٣٤٤) .

(٥) مقالات الإسلاميين (١/٢٩٦) .

ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله ممن كذب بهذا ^(١) ثم أورد كثيراً من نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة بثبت بها ما ذكره .

٤- وقال الإمام ابن عبد البر : " وفي الحديث أيضاً من ذكر الجنة والنار دليل على أنهما مخلوقتان ، وعلى ذلك جماعة أهل العلم وأنهما لا يبيدان من سائر المخلوقات وأهل البدع ينكرون ذلك ^(٢) ومن الأدلة التي استدل بها أهل السنة على هذا المعتقد : أولاً : الأدلة من القرآن :

١- قوله تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) ^(٣) .

٢- وقال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون) ^(٤) .

٣- وقال تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى...) ^(٥) .

٤- وقال تعالى : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) ^(٦) .

٥- وقال جل وعلا : (...وكفى بجهنم سعيراً . إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً) ^(٧) .

٦- وقال تعالى : (...وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساعت مصيراً) ^(٨) .

ثانياً : الأدلة من السنة :

١- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهم مثل حرها " ^(٩) .

٢- وحديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء " ^(١٠) .

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن الله تعالى قد أخبرنا أنه أعد الجنة وما فيها من النعيم المقيم لأهل التقى والصلاح ، وأعد النار وما فيها من العذاب لأهل الكفر والشرك والنفاق وإعداد الشيء تصريح بثبوته وتحققه ، وأنه مخلوق وموجود الآن ، كما أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى الجنة والنار واطلع عليهما ، وعلى أهلها ، وهذا ليس معناه

(١) (ص ٣٨٧) .

(٢) التمهيد (٣/ ٣٢٠) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٣٣) .

(٤) سورة الدخان الآيتان (٥١-٥٢) .

(٥) سورة سينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعض الآية (١٥) .

(٦) سورة آل عمران ، بعض الآية (١٣١) .

(٧) سورة النساء ، بعض الآية (٥٥) والآية (٥٦) .

(٨) سورة الفتح ، بعض الآية (٦) .

(٩) رواه البخاري في " صحيحه " ح رقم (٣٢٦٥) واللفظ له ، ومسلم في " صحيحه " (٢١٨٤/٤) ح رقم (٢٨٤٣) .

(١٠) رواه البخاري في " صحيحه " ح رقم (٦٥٤٦) ومسلم في " صحيحه " رقم (٢٧٣٧) .

إلا أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن كمتعقد أهل السنة وهو ما صرح به الجلال السيوطي .

تكميل في دوام الجنة والنار وأبديتهما :

لم يذكر السيوطي مسألة دوام الجنة والنار وأنها أبديتان لا تفنيان ولا يلحقهما عدم ، ورأيت أن اذكر هذه المسألة لتكتمل عقيدة أهل السنة في هذا الحديث . وأقول في ذلك مستعيناً بالله تعالى : إن مقتضى النصوص أن الجنة تخلق خلقاً غير قابل للفناء وكذلك أهلها . فالجنة " خالدة لا تفنى ولا تبديد ، وأهلها فيها خالدون ، لا يرحلون عنها ولا يظعنون ، ولا يبيدون ولا يموتون " (١) وكذلك النار خالدة لا تفنى ولا تبديد (٢) ، وقد نقل ابن حزم - رحمه الله - اتفاق الأمة على ذلك ، فقال : " اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها ، إلا الجهم بن صفوان " (٣) وقال : " ... وأن النار حق ، وأنها دار عذاب لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية " (٤) ، والنصوص في هذا المعنى كثيرة وقد سماها الله تعالى دار الخلد . قال تعالى : (فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعلمون . ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) (٥) . فمذهب أهل السنة والجماعة " أن النار خالدة لا تبديد ، وأهلها فيها خالدون ، ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين ، أما الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون " (٦) ومما يدل على دوام الجنة والنار وأبديتهما من القرآن :

١- قوله تعالى : (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) (٧) .

٢- وقوله تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا) (٨) .

٣- وقوله تعالى : (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولم عذاب مقيم) (٩) .

٤- وقوله تعالى : (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (١٠) .

٥- وقوله تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) (١١) والآيات الكريمة في إثبات هذا المعنى كثيرة جداً وأما أدلة السنة - وهي أيضاً كثيرة :

(١) الأشعر : القيامة الكبرى - الجنة والنار (ص ١٤١) .

(٢) انظر : شرح الطحاوية (ص ٤٧٦) .

(٣) الملل والنحل (٨٣/٤) .

(٤) مراتب الإجماع (ص ١٧٣) .

(٥) سورة فصلت ، الآيات (٢٧، ٢٨) .

(٦) الأشعر : القيامة الكبرى الجنة والنار (ص ٤١) .

(٧) سورة البقرة الآية (١٦٧) .

(٨) سورة النساء الآية (١٢٢) .

(٩) سورة المائدة الآية (٣٧) .

(١٠) سورة التوبة ، الآيات (٢١، ٢٢) .

(١١) سورة الرعد ، الآية (٣٥) .

١- قوله - صلى الله عليه وسلم - : " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم " (١) .

٢- وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار : ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه " (٢) .

٣- وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تتعموا فلا تيأسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل (ونودوا أن تكلم الجنة أورتتموها بما كنتم تعملون) (٣) " (٤) .

٤- وقوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث الشفاعة الطويل : " ثم اشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة " قال الراوي : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : " فأقول : يارب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن " أي وجب عليه الخلود " (٥) .

قال البخاري - رحمه الله - " إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى : (...خالدين فيها...) " (٦) .

ومن كلام أئمة أهل السنة في هذا :

١- قال الإمام أحمد - رحمه الله - : " وقد خلقت النار وما فيها ، وخلقت الجنة وما فيها ، خلقهما الله عز وجل ، ثم خلق الخلق لهما ، لا يفنيان ولا يغني ما فيهما أبداً فإن احتج مبتدع بقوله : (كل شئ هالك إلا وجهه) (٧) ونحو هذا من متشابه القرآن قيل له : كل شئ مما كتب له عز وجل عليه الفناء والهالك هالك ، والجنة والنار خلقهما الله عز وجل للبقاء لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا " (٨) .

وقال أبو جعفر الطحاوي : " والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً ولا تبددان " (٩) .

٢- وقال ابن أبي زمنين : " وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يموت أهلوهما " (١٠) .

(١) البخاري في " صحيحه " رقم (٦٥٤٨) الفتح (٤١٥/١١) . ومسلم في " صحيحه " (٢١٨٩/٤) ح رقم (٤٣) ، وأحمد في " المسند " (٢) (١١٨، ١٢٠، ١٢١) كلهم من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - .

(٢) البخاري في " صحيحه " ح رقم (٦٥٤٤) الفتح (٤٠٦/١١) ، ومسلم في " صحيحه " واللفظ له (٢١٨٩/٤) ح رقم (٤٢) عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - .

(٣) سورة الأعراف ، بعض الآية (٤٣) .

(٤) رواه مسلم في " صحيحه " (٢١٨٢/٤) ح رقم (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - والنسائي في " سننه الكبرى " (٣٤٥/٦) ح رقم (١١١٨٤) ، والترمذي في " سننه " (٣٧٤/٥) ح رقم (٣٢٤٦) ، وأحمد في " المسند " (٣١٩/٢) ، (٣٨، ٩٥/٣) .

(٥) البخاري في " صحيحه " كتاب التفسير - سورة البقرة ح رقم (٤٤٧٦) الفتح (١٦٠/٨) ، ورقم (٦٥٦٥) ، رقم (٧٤١٠، ٧٤٤٠) ومسلم في " صحيحه " (واللفظ له) (١٨١-١٨٠/١) ح رقم (٣٢٢) وابن ماجه في " سننه " رقم (٤٣١٢) وأحمد في " المسند " (٢٤٤/٣-٢٤٥) .

(٦) الفتح (١٦٠/٨) .

(٧) سورة القصص ، بعض الآية (٨٨) .

(٨) كتاب السنة (ص٤٧) .

(٩) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٤/٢) .

(١٠) أصول السنة (٤٥٣/٢) .

٣- وقال ابو عثمان الصابوني : " ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لا تغنيان أبداً ، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون أبداً " (١) .

٤- وقال ابن تيمية - رحمه الله - : " وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهنم بن صفوان ومن افقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها " (٢) .

٥- وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : " ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبث ، وخبث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحصن ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تغنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب ، وهي الدار التي تفني وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض " (٣) .

٦- ويقول شارح الطحاوية : " وقال بفناء الجنة والنار والجهنم بن صفوان إما المعطلة ، وليس له سلف قط ، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ، ولا من أهل السنة ، وإنكره عليه عامة أهل السنة ، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده وهو وجود ما لا يتناهى من الحوادث ... وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار ... وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما بل بإبقاء الله لهما " (٤) .

المبحث السابع : رؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة

أعظم نعيم يناله المؤمن في الجنة هو رؤية الله جل وعلا ببصره وهي ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة ، واتفق على القول بحصولها لجميع الصحابة والتابعين ، وجميع أئمة الإسلام المعروفين بالإمامة والديانة ، وكذلك أهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى أهل السنة والجماعة " (٥) .

وقد قرر السيوطي هذه المسألة في أكثر من موضع في مصنفاته واستدل لها بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة ، وأنكر على أهل البدع النفاة للرؤية . ومما قال في ذلك : " ... وأن رؤية المؤمنين له تعالى قبل دخول الجنة وبعده حق " (٦) .

(١) عقيدة السلف (ص ٦٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨) .

(٣) الوابل الصيب (ص ٢٥) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٢، ٦٢٩/٢) ، وانظر : كتاب السنة لعبد الله ابن أحمد بن حنبل (١٣٠-١٣١) ، ومقالات الاسلاميين (٢٤٤/١) ، مراتب الاجماع (ص ٤٢٦) ، حادي الأرواح (ص ٤٢٦) ، لوامع الأنوار (٢٣٢/٢) .

(٥) انظر في ذلك : التوحيد لابن خزيمة (٥٤٨/٢) ، ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٣٣٧/٢) ابن القيم : حادي الأرواح (ص ٤٠٢) ، ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية " (ص ٢٠٤) ، وأبو محمد عبدالرحمن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي المعروف بابن شامة : ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري .

(٦) علم التوحيد - مخ - لوحة رقم (١٣) .

وقال السيوطي في موضع آخر : " يجب الإيمان برؤية المؤمنين له تعالى يوم القيامة ، كما هو مذهب أهل السنة " (١) .
ومما ذكره السيوطي من الأدلة التي استدلت بها أهل السنة والجماعة على ثبوت الرؤية : وهي أدلة قرآنية فسررتها الأحاديث النبوية فمن ذلك :

١- قوله تعالى : (وجوه يؤمذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (٢) والنظر هنا بمعنى الرؤية والإبصار لاسيما مع اقترانه بالوجوه ، وهكذا قال جمهور أهل العلم ، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة ، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر ، يقول ابن كثير - رحمه الله - : " وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام " (٣) .

ويذهب إمام الحرمين - رحمه الله - : إلى أنه إنما يتوقع تردد النظر بين جهات المعاني إذا لم يقيد " ببإلى " فإذا قيد به ، وعدى لم يفهم منه إلا الرؤية الحقيقية فتعين حمل الآية على الرؤية والإبصار (٤) .

ولا يجوز حمل النظر في الآية على نظر الاعتبار ، لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار ، وإنما هي دار اضطراب (٥) ، ولا يجوز نظر التعطف والرحمة ، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم ، ولا يجوز نظر الانتظار ، لأنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار ، لأن الانتظار من تنقيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ، وأهل الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم ، والنعيم المقيم فهم ممكنون مما أرادوا ، قادرون عليه ، وإذا خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم ، وإذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يقال : إن الله تعالى أراد بقوله (إلى ربها ناظرة) نظر الانتظار ، لأن ذلك مناف لما ذكر مما هو وارد في الأحاديث الصحيحة .

٢- ومن الأدلة القرآنية أيضاً :

قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ...) (٦) وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة ... رضي الله عنهم - والتابعين ومن بعدهم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة . يقول ابن كثير - رحمه الله - : " وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم عن أبي بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعبدالرحمن بن أبي ليلى وعبدالرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء والضحاك ، والحسن وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن اسحاق وغيرهم من السلف والخلف ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " (٧) .

(١) الكوكب الساطع - مخ - لوحة رقم (٤٣١-٤٣٢) .

(٢) سورة القيامة الآيتان (٢٣، ٢٢) ، وانظر : علم التوحيد - مخ - لوحة (١٣) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٨٠) ، وانظر : الشوكاني : فتح القدير (٥/٣٣٨) .

(٤) انظر : الإرشاد (ص ١٨٢، ١٨١) .

(٥) انظر : شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي المعروف بابي شامة : ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري (ص ٣٤) .

وشرح العقيدة الطحاوية (٢٠٥) ، وفتح الباري (١٣/٤٢٥) .

(٦) سورة سيدنا يونس - عليه السلام - بعض الآية (٢٦) .

(٧) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٢٩) ، وانظر أقوالهم عند اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (٣/٤٥٥-٤٦٩) بأسانيدها ، وكذلك عند ابن القيم

في " حادي الأرواح " (ص ٤٠٦-٤٠٩) ، وابن جرير جامع البيان (١١/١٠٤-١٠٩) ، والسيوطي الدر المنثور (٤/٣٥٦-٣٦١) .

وقد أورد السيوطي عدة أحاديث في هذا منها :

- ١- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال الناس يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول - صلى الله عليه وسلم - " هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ " قالوا : لا ، يا رسول الله . قال : " فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ " قالوا : لا يا رسول الله ، قال : " فإنكم ترونه كذلك " (١) .
- ٢- حديث صهيب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله - تبارك وتعالى - تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل - " ثم تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (للذين أحسنوا الحسنى زيادة...) (٢) .
- ٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبقائه ... " (٣) .
- يقول السيوطي : " وقد استدلل الخطابي لوجوب اعتقادها بحديث البخاري " (٤) وذكر الحديث السابق وهو متفق عليه كما بينته ، قال : " فقله : (ولقائه) فيه إثبات رؤية الله في الدار الآخرة " (٥) .
- قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد ذكر كلام الخطابي : " وتعقبه النووي بأن أحداً لا يقطع برؤية الله فإنها مختصة بمن مات مؤمناً ، والمرء لا يدري بم يختتم له فكيف يكون ذلك من شروط الإيمان ؟ وأجيب بأن المراد الإيمان بأن ذلك حق في نفس الأمر ، وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة إذ جعلت من قواعد الإيمان " (٦) . وأرى أن ما أجاب به ابن حجر على اعتراض الإمام النووي في غاية الصواب والسداد . - رحمهما الله تعالى - ومن الآثار الواردة عن الصحابة - رضي الله عنه - الله عنهم - وهي مما استدلل بها السيوطي على إثبات الرؤية ، ما ورد عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه فسر الزيادة الواردة في آية (٧) سورة سيدنا يونس - عليه السلام - بأنها رؤية الله جل وعلا ، وكذلك عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - (٨) .
- وإذا كنا قد وقفنا على بعض الآيات الكريكات ، وبعض الأحاديث الشريفة التي تثبت رؤية الله تعالى ، وكذلك علمنا شيئاً مما ورد عن الصحابة - رضي الله عنه - من الآثار في ذلك فقد ورد عن التابعين كذلك روايات كثيرة في ذلك . قال الشوكاني - رحمه الله - : " وقد روى عن التابعين ومن بعدهم روايات في الزيادة غالبها أنها النظر إلى وجه الله

(١) البخاري في " صحيحه " رقم (٨٤٣٧) الفتح (٤١/١٣) ومسلم في " صحيحه " (١٦٣/١) رقم (١٨٢) .

(٢) سورة سيدنا يونس - عليه السلام - الآية (٢٦) .

(٣) رواه البخاري في " صحيحه " كتاب الإيمان (٢) باب (٣٧) ح رقم (٥٠) الفتح (١١٤/١) وفي كتاب التفسير سورة لقمان (٣١) باب (٢) ح رقم (٤٧٧٧) الفتح (٥١٣/٨) ورواه مسلم في " صحيحه " كتاب الإيمان (١) باب (١٩) ح رقم (٩) صحيح مسلم (٣٩/١) ، وأحمد في المسند (٤٢٦/٢) .

(٤) الكوكب الساطع - مخ - لوحة رقم (٤٣١) .

(٥) نفسه ، وانظر : ابن حجر : فتح الباري (١١٨/١) ، وانظر كلام الإمام الخطابي في " أعلام الحديث " (١٨٢/١) له .

(٦) الفتح (١١٨/١) .

(٧) هي قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة...) بعض الآية (٢٦) .

(٨) رواه ابن جرير (١٠٥/١) ، والقرطبي (٣٣٠/٨) والسيوطي : الدرر (٣٥٨/٤) والكوكب (٤٣١) .

سبحانه وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يبق حينئذ لقائل مقال ولا النفات إلى المجادلات الواقعة بين المتهمة الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به فإنهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم . والله المستعان ^(١) .

٣- ومن الأدلة القرآنية كذلك التي استدلت بها السيوطي على رؤية المؤمنين ربهم - جل وعلا - وهو دليل لأهل السنة قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ^(٢) .

ففي هذه الآية دليل على أن الله تعالى يرى في القيامة وذلك بمفهوم المخالفة ، فإذا كان الكفار يحجبون عن رؤية ربهم ، فالمؤمنون لا يحجبون ، ويظهر هذا المعنى إذا انضمت هذه الآية إلى قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ^(٣) ، فهناك وجوه ناظرة وهي وجوه المؤمنين ، ووجوه أخرى محجوبة عن النظر وهي وجوه الكافرين ، وذلك بإخبار الله - جل وعلا - فأخبر أن المؤمنين ينظرون ، وأخبر أن الكافرين عنه محجوبون . وقد روى مثل هذا المعنى أو قريب منه عن الإمام الشافعي - رحمه الله قال : " في هذه الآية دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة " ^(٤) وهذا كلام حق إذ لو حُجب أولياؤه فأى فضيلة لهم على أعدائه .

قال السيوطي : " وأما الكفار فلا يرونه لقوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) " ^(٥) ونقل عن العز بن عبد السلام أنه قال : ولا الملائكة يرون الله تعالى ، قال لأن قول : (لا تتركه الأبصار) ^(٦) عام وقد استثنى منه المؤمنون فبقى على عمومهم في الملائكة . ثم نقل السيوطي عن صاحب آكام المرجان أنه قال : " والجن أولى بالمنع منهم " ^(٧) واستدلال العز بن عبد السلام بقوله تعالى : (لا تتركه الأبصار) فيه نظر ، ذلك لأن العلماء والمفسرين قالوا بأن المؤمنين يرون ربهم جل وعلا ولكنها ليست رؤية إحاطة وهذا معنى قوله تعالى : (لا تتركه الأبصار) أي لا تتركه إدراك إحاطة ، فهم يرونه ولكن الرؤية لا تحيط به ، كما قال تعالى : (ولا يحيطون به علماً) ^(٨) فهم يعلمونه ويعرفونه ولكنهم لا يحيطون به علماً ^(٩) . وليست الآية في حظر الرؤية أومنعها .

٣- ومن الآيات التي يستدل بها على إمكان الرؤية ، ولم يوردها السيوطي :

قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - : (... قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك

(١) فتح القدير (٤٤٢/٢) .

(٢) سورة المطففين الآية (١٥) .

(٣) سورة القيامة الآيتان (٢٢، ٢٣) .

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٦٨/٣) رقم (٨٠٩) .

(٥) الكوكب الساطع - مخ لوحة رقم (٤٣٣) .

(٦) سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

(٧) الكوكب الساطع - مخ - لوحة رقم (٤٣٣) وانظر السفاريني : لوامع الأنوار .

(٨) سورة طه الآية (١١٠) .

(٩) انظر : شرح الطحاوية (ص ٢٠٨) وما بعدها .

وأنا أول المؤمنين (١) .

والاستدلال من هذه الآية الكريمة على الرؤية من وجوه :

الأول : أن موسى - عليه السلام - سأل ربه الرؤية ، ولو كانت ممتعة لما سألها ، لأنه إن علم امتناعها فالعاقل لا يطلب المحال ، وإن جهلها فالجاهل بما يجوز وما لايجوز في حقه تعالى لا يستحق أن يكون نبياً .

الثاني : أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل ، واستقرار الجبل أمر ممكن عقلاً ، وما علق على الممكن ممكن ، إذ لو كان ممتنعاً لأمكن صدق اللازم بدون الملزوم وهو محال .

الثالث : أن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله ، في حين أنه تعالى أنكر على نوح - عليه السلام - عندما سأل نجاه ابنه وقال : (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (٢) .

الرابع : أنه تعالى قال : (لن تراني) ولم يقل : إني لا أرى ، أو لا تجوز رؤيتي ، أو لست بمرئي ، والفرق بين العبارتين ظاهر ، ألا ترى أن من كان في كفه حجر فظنه آخر طعاماً ، فقال : : أطعمنيه فالجواب الصحيح أن يقول : إنه لا يؤكل ، أما إذا كان طعاماً فالصحيح أن يقال : إنك لن تأكله ، فدل ذلك على أنه طعام يمكن أكله ، فكذلك الآية دللت على أنه سبحانه يرى ، ولكن موسى لا تحتل قواه رؤيته - جل وعلا - في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى (٣) .

يوضحه الوجه الخامس : وهو قوله تعالى : (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) (٤) فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي الإلهي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟

الوجه السادس : قوله تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا...) فإذا جاز أن يتجلى تعالى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته ؟

السابع : أن الله تعالى كلم موسى وناداه ونجاه ومن جاز عليه التكلم والتكليم ، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرويته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه ، وقد جمع أهل البدع بين إنكارهما جميعاً (٥) .

وأما الأحاديث الدالة على ثبوت الرؤية فقد مضى منها طرف وهي كثيرة يقول شارح الطحاوية : " وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً ، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قالها (٦) .

ولكن السيوطي بعد إثبات الرؤية قال : " وتحصل (أي الرؤية) بأن ينكشف انكشافاً تاماً ، منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان ، قال النووي : ولا يشترط في الرؤية تقابل الأشعة ولا مقابلة المرئي ، وإن جرت العادة بذلك فيما بين

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

(٢) سورة سينا هود - عليه السلام - الآية (٤٦) .

(٣) انظر : شرح الطحاوية (ص ٢٠٧) .

(٤) سورة الأعراف ، بعض الآية (١٤٢) .

(٥) انظر : شرح الطحاوية (ص ٢٠٧) .

(٦) نفسه (ص ٢١٠) .

وهذا الكلام لا يوافق مذهب أهل السنة ، بل هو قول الأشاعرة الذين يثبتون الرؤية ، فهم يقولون : يرى ولكن ليس في جهة ، لأنه تعالى منزّه عن المقابلة والجهة .

وهذا يتضمن نفیهم لصفة العلو لله تعالى ، فهم بإثباتهم الرؤية مع نفیهم علوه جل وعلا وقعوا في التناقض الظاهر من جهة ، مع مخالفة مذهب السلف من جهة أخرى وذلك في أمرين :
أحدهما : قولهم إن الله تعالى يرى لا في جهة ، لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ، وقالوا - كما سبق - ليس من شرط الرؤية المقابلة والجهة ، واحتجوا بالمرآة فإن الإنسان يرى نفسه فيها لا في جهة .
الثاني : أن بعض الأشاعرة - مع إقرارهم بالرؤية - أنكروا أن يكون المؤمن بنعم بنفس رؤية ربه - جل وعلا - ، لأنه - على زعمهم - لا مناسبة بين المحدث والقديم ، وهذا مخالف لمذهب السلف .

أما الأمر الثاني : وهو إنكارهم التمتع والتلذذ برؤية الخالق جل وعلا فهو مبني على إنكارهم أن الله تعالى يحب ويحب ، ولا شك أن نصوص الرؤية المتواترة دلت على أن المؤمنين يتنعمون ويتلذذون بالنظر إلى ربهم - جل وعلا - في الجنة وأن ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه سبحانه ، والنصوص التي دلت على الرؤية دلت في بعض رواياتها على ذلك ، فكيف يثبتون الرؤية وينكرون هذا ؟
وأما الأمر الأول : وهو قولهم بالرؤية بلا جهة :

فيمكن تلخيص الرد عليهم في هذه النقاط التالية :

- ١- أن النصوص الواردة في الرؤية - وهي كثيرة كما ذكرنا - دالة على أن رؤية المؤمنين ربهم إنما تكون إلى العلو ، وإذا كانت نصوص الرؤية متواترة فذلك دلالتها على أنها في العلو ، وتشبيه الرؤية برؤية الشمس ليس دونها سحاب ، أو برؤية القمر ليلة البدر صحواً أو أن الله تعالى يكشف الحجاب من فوقهم صريحة بأنهم يرونه تعالى في علوه (٢) .
- ٢- أن هذا المعنى الذي ذكرناه في النقطة الأولى ثبت بإجماع السلف والأئمة ونصوصهم في ذلك متواترة (٣) .
- ٣- أن الأشاعرة - مع كونهم أقرب إلى الحق من المعتزلة لأنهم أقرّوا بالرؤية ، وإن كانوا قد نفوا العلو ، بخلاف المعتزلة الذين نفوا الأمرين - إلا أنهم بصنيعهم هذا تناقضوا لأن إثباتهم الرؤية يستلزم إثبات العلو ، كما أن نفیهم العلو يقتضي نفیهم الرؤية أيضاً ، فيلزمهم أحد أمرين : إما نفي الرؤية فيلحقوا بالمعتزلة ، وإما إثبات العلو فيلحقوا بأهل السنة ، ويسلموا من التناقض ، وأحد الأمرين لازم لهم .

- ٤- أن بعض محققي الأشاعرة كالرازي ، والغزالي - في بعض أقواله - رأوا أن الإلزام السابق لازم لهم ، ومن ثم صرحوا بأن المقصود بالرؤية - التي أثبتوها - زيادة انكشاف بخلق مزيد من الإدراك لهم ، وهو تفسير بنوع من العلم ،

(١) الكوكب الساطع - مخ - لوحة (٤٣٢) .

(٢) انظر : ابن تيمية : نقض تأسيس الجهمية (٤٠٩/٢-٤١١) ، (ص ٤١١-٤١٥) .

(٣) انظر : السابق (٤١٥-٤٢٠) ، كذلك مجموع الفتاوى (٨٢/١٦-٨٩) .

ومن ثم أقرّوا بأن الخلاف بينهم وبين المعتزلة لفظي أو قريب من اللفظي .

٥- أما دليل المرأة فهو باطل لأن الذي في المرأة الخيال والصورة وليس الذات نفسها .

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ردوداً أخرى عديدة يبين فيها أن قول الأشاعرة بالرؤية مع نفسي العلو في غاية التناقض ، وجميع أجوبتهم ومحاولاتهم لإزالة هذا التناقض لم تفلح إلا بأن تفسر الرؤية بما يقربها إلى مذهب المعتزلة ، وهذا ما استقر عليه مذهبهم كما في شرح المواقف^(١) .

قال شارح الطحاوية : " وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله ، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية ، لا تشبيه المرئي بالمرئي ، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه ، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ؟ ومن قال : يرى لا في جهة - فليراجع عقله !! فإما أن يكون مكابراً لعقله وفي عقله شيء ، وإلا فإذا قال : يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة " (٢) .

وبهذا يتبين ثبوت الرؤية بالأدلة القاطعة ، ولا وجه مطلقاً لمن انكرها أو نفاها بناء على شبهات في عقله . وهذه الرؤية إنما تحصل في الموقف قبل الجواز على الصراط ، وهذا الجواز إنما يحصل قبل دخول الجنة ، وهذا هو الذي قصد إليه السيوطي ، وصرح به شارح الطحاوية . ولذلك فإن الرؤية لأهل المحشر قد وقع فيها خلاف بين العلماء ، أعني فيمن يرى الله تعالى في ذلك الموقف على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه تعالى لا يراه إلا المؤمنون خاصة دون غيرهم .

الثاني : أنه يراه أهل الموقف جميعاً ، مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب جل وعلا - عن الكفار ، ولا يروونه بعد ذلك .

الثالث : يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار^(٣) .

هذا الخلاف حاصل بين علماء أهل السنة ، والصحيح أن الله تعالى يتجلى لأهل الموقف أي للخلق عامة ، كما هو سياق حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي ذكرته آنفاً^(٤) .

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : وقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يروونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضاً كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة^(٥) وهل يراه الملائكة - أم لا ؟ فيه قولان :

أحدهما : لا يروونه ، نقله السيوطي عن العز بن عبد السلام - رحمه الله - وتابع العز في ذلك صاحب " آكام المرجان في أحكام الجان " (٦) .

(١) انظر : (١١٥/٨-١١٦) .

(٢) (ص ٢١١) .

(٣) انظر : ابن القيم : حادي الأرواح (ص ٢٨٠) ، وشرح الطحاوية (ص ٢١٢) .

(٤) انظر : السفاريني : لوامع الأنوار (٢/٢٤٩) ، وكذلك : " لوائح الأنوار السنية " ولواقع الأفكار السنية " للسفاريني نفسه (١/٢٧٠-٢٩٨) ، وحديث

أبي هريرة - رضي الله عنه - (ص ١٠٥) وهو في الصحيحين .

(٥) حادي الأرواح (ص ٢٨٠) .

(٦) هو لمؤلفه : الشيخ الإمام القاضي بدر الدين الشبلي .

قال السيوطي : " قال العز بن عبدالسلام : ولا الملائكة (يعني لا يرونه تعالى) لأن قوله : (لا تتركه الأبصار ...)^(١) عام ، وقد استثنى منه المؤمنون ، فيبقى على عمومهم في الملائكة ، قال صاحب آكام المرجان " : والجن أولى بالمنع منهم "^(٢) ، وقال السيوطي أيضاً : " وذكر الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ... ما يدل على أن مؤمني الجن إذا دخلوا الجنة لا يرون الله ، وأن الرؤية مخصوصة لمؤمني البشر فإنه صرح بأن الملائكة لا يرون الله في الجنة ، ومقتضى هذا أن الجن لا يرونه "^(٣) . وقال أيضاً : " ذهب الشيخ عز الدين بن عبدالسلام إلى أنهم لا يرون ربهم لأنهم لم يثبت لهم ذلك كما ثبت للمؤمنين من البشر : وقد قال تعالى (لا تتركه الأبصار ...)^(٤) خرج منه مؤمنوا البشر بالأدلة الثابتة ، فبقى على عمومهم في الملائكة ، ولأن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة كالجهاد والصبر على البلياء والمحن الرزايا ، وتحمل المشاق في العبادات لأجل الله ، وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبداً ، ولم يثبت مثل هذا للملائكة . انتهى . وقد نقله عنه جماعة من المتأخرين ولم يتعقبوه بنكيره ، منهم : الإمام بدر الدين الشبلي صاحب " آكام المرجان في أحكام الجنان " والعلامة عز الدين ابن جماعة في " شرح جمع الجوامع "^(٥) .

وقد خالف السيوطي كلام كل من العز ، والشبلي ، وعز الدين بن جماعة فقال : " قلت : قد ثبت أن الملائكة يرون الله " وقال أيضاً : " ولكن الأقوى أنهم يرونه ، فقد نص على ذلك إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري قال في كتابه " الإبانة في أصول الديانة " ومنه نقلت ما نصه : " أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ثم رؤية نبيه - صلى الله عليه وسلم - فلذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين ، وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين النظر إلى وجهه - عز وجل - " انتهى .

وقد رد السفاريني - كذلك - قول من أنكر رؤية الملائكة ربهم - جل وعلا - فقال : " وهذا خلاف التحقيق "^(٦) .

كما ذكر السيوطي أن من القائلين برؤية الملائكة ربهم - جل وعلا - العلامة ابن القيم ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني ثم رجحه السيوطي قائلاً : " وهو الأرجح بلا شك "^(٧) . ثم قال : " ومنهم من قال : إن جبريل - عليه السلام - يراه دون سائر الملائكة ، ومشى عليه أبو اسحق إسماعيل الصفار البخاري من الحنفية : فإني رأيت في أسئلته المشهورة ما نصه : سئل عن الملائكة هل يرون ربهم ؟ فأجاب : اعتماد والدي الشهيد أنهم لا يرون ربهم سوى جبريل فإنه يرى ربه مرة واحدة ، ولا يرى أبداً انتهى "^(٨) ثم أكد السيوطي ما رجحه قائلاً : " والصواب العموم " .

(١) سورة الأنعام ، بعض الآية (١٠٣) .

(٢) الكوكب الساطع - مخ - لوحة رقم (٤٣٣) .

(٣) لقط المرجان (ص ٩٣) .

(٤) سورة الأنعام ، بعض الآية (١٠٣) .

(٥) الحاوي للفتاوى (١٩٩/٢) .

(٦) لوامع الأنوار (٢٤٧/٢) .

(٧) الحاوي (٢٠٠/٢) .

(٨) نفسه السابق .

والقول الثاني : نعم يروونه ، وقد سبق الكلام عنه .

هل يرى النساء ربهن في الجنة ؟ :

صنف السيوطي في هذه المسألة رسالة سماها : " تحفة الجلساء برؤية الله للنساء " وهي مطبوعة ضمن " الحاوي للفتاوي " جمع فيها رأي كل من المثبتين والنافين ، قال السيوطي في مقدمة رسالته : " رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد الرجال والنساء بلا نزاع ، وذهب قوم من أهل السنة إلى أنها تحصل فيه للمنافقين أيضاً ، وذهب آخرون منهم إلى أنها تحصل للكافرين أيضاً ثم يحببون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة ... وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة واختلف بعد ذلك في صور إحداها : النساء من هذه الأمة وفيهن ثلاثة مذاهب للعلماء ^(١) .

حكى السيوطي هذه المذاهب وحكاها باختصار عن الإمام ابن كثير - رحمه الله - فقال معدداً هذه المذاهب الثلاثة : أحدها : أنهم لا يرين الله تعالى ، لأنهم مقصورات في الخيام ^(٢) ، ولأنه لم يرد في أحاديث الرؤية تصريح برؤيتهن " هي زيادة من كلام الجلال السيوطي فقد مال ابن كثير - رحمه الله - : " وقد حكى بعض العلماء خلافاً في النساء هل يرين الله - عز وجل - في الجنة كما يراه الرجال ؟ فقيل لا ، لأنهن مقصورات في الخيام وقيل بلى ^(٣) .

والثاني : أنهم يرين الله تعالى أخذاً من عمومات النصوص الواردة في الرؤية ^(٤) ، وقال ابن كثير : " وقيل : بلى ، لأنه لا مانع من رؤيته تعالى في الخيام وغيرها ، وقد قال الله تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون) ^(٥) وقال تعالى : (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) ^(٦) وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ^(٧) " وهذا عام في الرجال والنساء والله أعلم .

والثالث : أنهم يرين ربهن في مثل أيام الأعياد ، فإنه تعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجلياً عاماً فيرينه في مثل هذه الحال دون غيرها . وقال ابن كثير : " وقال بعض العلماء قولاً ثالثاً وهو أنهم يرين الله في مثل أيام الأعياد ، فإنه يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجلياً عاماً فيرينه في مثل هذه الحال دون غيرها . وهذا القول يحتاج إلى دليل خاص عيه والله أعلم ^(٨) .

ولم يذكر العلامة ابن كثير - رحمه الله - من قائل هذا القول الثالث ولعله لم يذكره لضعف قوله وأنه يفتقر إلى

(١) الحاوي (١٩٨/٢) .

(٢) نفسه (١٩٩/٢) ، وانظر ابن كثير : النهاية (١٨٤/١٢) .

(٣) النهاية (١٨٤/١٢) .

(٤) الحاوي (١٩٩/٢) .

(٥) سورة المطففين الآيتان (٢٢، ٢٣) .

(٦) سورة يس الآية (٥٦) .

(٧) صحيح البخاري ح رقم (٧٤٣٤) .

(٨) النهاية (١٨٤/١٢) .

دليل يعضده ، ولكن السيوطي ذكره عن العلامة زين الدين ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - نقلاً عن الطائفة المعارف " قال : " كل يوم كان للمسلمين عيداً في الدنيا فإنه عيد لهم في الجنة ، يجتمعون فيه على زيارة ربهم ، ويتجلى لهم فيه ، ويوم الجمعة يدعى في الجنة يوم الميزيد ، ويوم الفطر والأضحى يحتجم أهل الجنة فيها للزيارة ، وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما ، كما كن يشهدن العيدين مع الرجال ، دون الجمعة ، فهذا العموم أهل الجنة ، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشياً " . ونقله عنه أيضاً السفاريني في " لوامع الأنوار " .

ورجح في " لوائح الأنوار السنية " أن رؤيته تعالى ثابتة لكل من دخل الجنة . فقال : " والتحقيق ثبوت رؤيته تعالى لكل من دخل الجنة " (١) واستدل له بما أخرجه الآجري - رحمه الله - عن عكرمة - رضي الله عنه - قال : قيل لابن عباس - رضي الله عنهما - كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى ؟ قال : " نعم " . ولكن هذا الأثر ضعيف (٢) .

وقد تناول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هذه المسألة بالتفصيل ورجح فيها أن النساء المؤمنات يرين الله تعالى " وأن الدليل على أنهن يرين أن النصوص المخبرة بالرؤية في الآخرة للمؤمنين تشمل النساء لفظاً ومعنى ولم يعارض هذا العموم ما يقتضي إخراجهن من ذلك فيجب القول بالدليل السالم عن المعارض المقاوم (٣) .

رؤيته تعالى في الدنيا .
اتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينه (٤) ، لقول النبي - ﷺ - : " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " (٥) ولم يتنازعوا في ذلك . ولكن التنازع وقع في رؤية نبينا محمد - ﷺ - خاصة ، على ثلاثة أقوال :
القول الأول : إثبات رؤيته - ﷺ - ربه - جل وعلا - وهو قول الحبر عبد الله بن عباس - ﷺ - وسائر أصحابه ، وجزم به كعب الأحبار (٦) ، والزهرري ، وصاحبه معمر (٧) ، وهو المروي عن الحسن (٨) (٩) .
وجزم به إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ، عن عروة بن الزبير ، وذكر أنه كان يشق عليه إذا ذكر له إنكار أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وأطنب كثيراً من الاستدلال له بما يطول ذكره (١٠) .
وهو قول الأشعري ، وغالب أتباعه ، وهو ظاهر ما ذهب إليه الإمام أحمد (١١) ، وقال السيوطي : " وهو الصحيح (١٢) وعمدة أصحاب هذا القول هو قول الله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى .

(١) (٢٩٧/١) .

(٢) كما قاله محقق كتاب " الشريعة " د. عبد الله بن عمر الدميحي . انظر (٩٩٣/٢) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٦ / ٤٠١ - ٤٦٠) في ستين صفحة من التحقيق والكلام البليغ الرصين .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢١٣) ، لوامع الأنوار (٢٥١/٢) .

(٥) صحيح مسلم (٢٢٤٥/٤) ح رقم (٢٩٣٠) .

(٦) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ، أبو إسحاق ، تابعي ، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن ، أسلم في زمن أبي بكر رضي الله

عنه - ت (٣٢٢ -) انظر : تذكرة الحفاظ (١ / ٤٩) ، حلية الأولياء (٥ / ٣٦٤) ثم (٣ / ٦) ، الأعلام (٥ / ٢٢٨) .

(٧) معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي ، فقيه حافظ للحديث ، من أهل البصرة ت (١٥٣ هـ) ، انظر : ميزان الاعتدال (٣ / ١٨٨) ، تذكرة الحفاظ

(١ / ١٧٨) ، الأعلام (٧ / ٢٧٢) ، وانظر نسبة القول إليه عند النووي في شرح مسلم (٣ / ٥٠) .

(٨) هو البصري ، ابن يسار ، أبو سعيد ، ت (١١٠ هـ) . انظر : ميزان الاعتدال (١ / ٢٥٤) ، حلية الأولياء (٢ / ١٣١) ، الأعلام (٢ / ٢٢٦)

(٩) انظر ابن حجر : فتح الباي (٨ / ٦٠٨) ، والنووي : شرح صحيح مسلم (٣ / ٤) .

(١٠) انظر : التوحيد وإثبات صفات الرب - عز وجل - (٢ / ٤٧٧ - ٥٦٣) ، الفتح (٨ / ٦٠٨) .

(١١) انظر : لوامع الأنوار (٢ / ٢٥١) .

(١٢) الكوكب الساطع (لوحة ٤٣٢) ، وشرح النووي (٣ / ٤) .

ماكذب الفؤاد مارأى ، أفتمارونه على مايرى ، ولقد رآه نزلة أخرى^(١) وأرجعوا الضمائر في هذه الآيات الكريمة إلى الله - جل وعلا - ، فقالوا : ثم دنا الرب - تعالى من محمد - ﷺ - فتدلى ، فكان محمد ﷺ من ربه عزوجل قاب قوسين ، أو أدنى من ذلك ، فأوحى الله إلى عبده محمد ﷺ وحيه ، ماذنب فؤاد محمد محمداً الذي رأى ، ولكنه صدقه ، وكان الذي رآه محمد - ﷺ هو الله تعالى ، أفتجادلون أيها المشركون محمداً على مايرى مما آراه الله من آياته ، ولقد رأى محمد ﷺ ربه عزوجل مرة أخرى عند سدره المنتهى^(٢) .
واستدلوا كذلك :

٢- بما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : " أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد ﷺ " (٣) .

٣- وعنه أيضاً قال : " رأى محمد ﷺ ربه " (٤) .

٤- وعنه - أيضاً - في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾^(٥) قال : " رآه بفؤاده مرتين " (٦) .

٥- وعنه - في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾^(٧) " رؤيا عن أريها النبي - ﷺ - ليلة أسرى به " (٨)

ومن هنا حمل ابن خزيمة ماورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الرؤيا وقعت مرتين : مرة بعينه ، ومرة بقلبه^(٩)

فتحصل ماورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - روايات :

- منها ماثبت رؤيا مطلقة .

- ومنها ماثبتها رؤية عين .

- ومنها ماثبتها رؤية بالفؤاد أو القلب .

ومادامت الروايات منها المطلق ومنها المقيد فيجب حمل مطلقها على مقيدها^(١٠)

أما حملها على رؤية البصر بالعين فهو بعيد لأمر منها :

الأول : أن الرواية الواردة برؤية العين ، لم تصرح بالمرئي ، بل قد صرحت بعض الروايات بأن المرئي هو ماأرى رسول الله ﷺ في طريقه إلى بيت المقدس - كما ذكر ذلك ابن تيمية^(١١) ، وابن حجر^(١٢) .

(١) سورة النجم الآيات (٨ - ١٣) .

(٢) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٤٤/١٧ - ٥٢) ، ابن كثير (٤٢٣/٧ - ٤٢٥) ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢) ، والرازي : التفسير الكبير (٢٨٦/٢٨) ، ووصف الرازي ذلك التفسير بأنه ضعيف سخي ، وانظر : أيضاً : الشوكاني : فتح القدر (٥ / ١٠٦) ، ابن خزيمة : التوحيد (٤٩٢/٢) ، ابن حجر : فتح الباري (٦٠٨/٨) ، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢١٣) ، ت الألباني ، السفاريني : لوايح الأنوار (٢٥٠/٢) ، وشرح النووي على صحيح مسلم (٤ / ٣) .

(٣) رواه عبدالله بن أحمد في السنة (١٤٥) ، الأجرى في " الشريعة " (٤٩١) ، وابن أبي عاصم في السنة " (١٩٢/١) تحقيق الألباني ، وقال الألباني : " إسناده صحيح على شرط البخاري " والحاكم في مستدركه (٦٥١/١) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وذكر ابن حجر أن النسائي أخرجه بسند صحيح (الفتح ٦٠٨/٨) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (٤٧٩/٢) .

(٤) أخرجه الأجرى في " الشريعة " (ص ٤٩١) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٨٩/١) ، وقال الألباني : " إسناده صحيح وهو موقوف " واللالكائي في " شرح اعتقاد أهل السنة " (٥١٥/٣) ، وابن خزيمة في " التوحيد " (٤٨٦/٢) وصحح إسناده المحقق .

(٥) سورة النجم الآية (١٣) .

(٦) مسلم في صحيحه (١٥٨/١) ح رقم (١٧٦) .

(٧) سورة الاسراء الآية (٦٠) .

(٨) رواه البخاري في " صحيحه " في ثلاثة مواضع : كتاب مناقب الأنصار ، ح رقم (٣٨٨٨) فتح

(٢٠٢/٧) ، وكتاب التفسير - سورة الاسراء - ح رقم (٤٧١٦) فتح (٣٩٨/٨) ، كتاب القدر ، ح رقم (٦٦١٣) فتح (٥٠٤/١١) .

(٩) انظر : فتح الباري (٦٠٨/٨) ، والتوحيد (٥٠٨/٢) .

(١٠) انظر : الفتح (٦٠٨/٨) .

(١١) مجموع الفتاوى (٥١٠ / ٦) .

الثاني : أن لفظ " رؤيا " بالألف ، إنما يطلق على رؤيا المنام ، وأما التي في اليقظة فيقال : " رؤية " بناء التأنيث التي تدل على الرؤية البصرية ، وقد أنكر بعض العلماء إطلاق " رؤيا " على رؤية العين منهم الحريري^(٢) وغيره^(٣) .
الثالث : ذكر الإمام ابن حجر أن ابن مردويه أخرج من " طريق عطاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :
" لم يره رسول الله - ﷺ - بعينه ، إنما رآه بقلبه " ^(٤) وهذا صريح في نفس الرؤية البصرية .
فلم يبق الإحتمال الروايات المطلقة على المقيدة برؤية القلب أو الفؤاد ، يؤيد هذا ما ثبت وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " رأى ربه بفؤاده مرتين " ^(٥) .

ولكن يعكر على هذا إنكار عائشة - رضي الله عنها - فقد ثبت من حديث الشعبي^(٦) عن مسروق^(٧) قال : سألت عائشة : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت : " سبحان الله ! لقد كف^(٨) شعري لما قلت " ، قال مسروق : قلت لعائشة فأين قوله : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى) قالت إنما ذاك جبريل - ﷺ - . . . (^(٩)) .

وأجاب الإمام النووي - وهو من المثبتين - عن ذلك فقال : " ولا يقدح في هذا حديث عائشة - رضي الله عنها - لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول : لم أر ربي ، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى : ﴿ وما كان البشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أويرسل رسولاً ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٠) ولقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ^(١١) والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة ، وإذا صححت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها ، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ، ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ، ولا يستجز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد ، وقد قال معمر بن راشد ، حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس وغيره ، وإثبات هذا لا يأخذه إلا بالسمع من رسول الله ﷺ هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ، ثم إن عائشة - رضي الله عنها - لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته ، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات . . . " ^(١٢) .

وتعقبه الإمام ابن حجر فقال : " وهو عجيب ، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ (يعني النووي) فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق : وكنت متكئاً فجلست ،

^(١) الفتح (٣٩٨ / ٨) .

^(٢) هو / أبو محمد ، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، البصري ، صاحب مقامات الحريري ، ت : بالبصرة (٥١٦ هـ) ، انظر : وفيات الأعيان (٤١٩ / ١) ، مفتاح السعادة (١٧٩ / ١) ، الاعلان (١٧٨ / ٥) .

^(٣) انظر : الفتح (٦٠٨ / ٨) .

^(٤) انظر : فتح الباري (٦٠٨ / ٨) ، ولم أعثر عليه ، ولكن روى ابن خزيمة في كتاب التوحيد عن أبي ذر قال : " رآه بقلبه ، ولم يره بعينه " وقال محققه : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات " (٥١٧ / ٢) ، ورواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٥٧٤ / ٣) رقم (٩١٤) ، وروى ابن خزيمة أيضاً بسنده عن إبراهيم التيمي قال : " رآه بقلبه ولم يره ببصره " وقال محقق كتاب التوحيد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات وهو مرسل " انظر : التوحيد (٥١٧ / ٢) .

^(٥) رواه مسلم في " صحيحه " (١٥٨ / ١) ح رقم (١٧٦) .

^(٦) عامر بن شراحيل الشعبي ، أبو عمرو تابعي ثقة ، ت (١٠٣ هـ) انظر : تهذيب التهذيب (٦٥ / ٥) ، الوفيات (٢٤٤ / ١) ، حلية الأولياء (٤ / ٣١٠) ، الاعلام (٢٥١ / ٣) .

^(٧) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، أبو عائشة ، تابعي ثقة ، ت (٦٣ هـ) انظر : الاصابة (٨٤٠٨) ، وتهذيب (١٠٩ / ١٠) ، الاعلام (٣١٥ / ٧) .

^(٨) قولها (سبحان الله) معناه : التعجب من جهل مثل هذا ، وكأنها تقول : كيف يخفى عليك مثل هذا .

وقولها : (كف شعري) أي قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال ، والفقه كهيئة الشعريرة ، انظر : شرح النووي (١٠ / ٣) ، وفتح الباري (٦٠٧ / ٨) .

^(٩) صحيح مسلم (١٦٠ / ١) ح رقم (٢٨٩ ، ٢٩٠) من كتاب الايمان .

^(١٠) سور الشورى الآية (٥١) .

^(١١) سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

^(١٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٥ / ٣) ، وانظر : فتح الباري (٦٠٧ / ٨) . وابن خزيمة : التوحيد (٥٥٦ / ٢ - ٥٥٧) .

فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولاتعجليني ، ألم يقل الله عزوجل : (ولقد رآه بالأفق المبين) ^(١) (ولقد رآه نزلة أخرى) ^(٢) فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : " إنما هو جبريل " ^(٣) .

وإذا كانت عائشة - رضي الله عنها - قد أنكرت الرؤية البصرية ونفتها ، فإنها في الوقت نفسه لم تنف الرؤية القلبية ، التي قد صحت بها الروايات عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كما أن كلام الامام النووي - رحمه الله - يتجه بشدة في كون ابن عباس - رضي الله عنهما - معه زيادة علم ، وهو مثبت والمثبت مقدم على النافي ، كما انه لا يظن بابن عباس أن يقول ذلك من باب الظن ، أو من باب الاجتهاد ، ولا بد أن يكون قد أخذ هذا عن النبي - ﷺ - .

القول الثاني : إنكار رؤيته - ﷺ - ربه في الدنيا ، ومنعه ، وهذا القول هو المشهور عن عبدالله بن مسعود ، وأبي هريرة - رضي الله عنهما - وأنكرته عائشة - بشدة ، ووصفت القائل بذلك ، بأنه قد أعظم على الله الفرية ، وقال جماعة بقولها ، واختلف عن أبي ذر - رضي الله عنه - ^(٤) .

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، بل نقل الإمام الدرامي إجماع الصحابة على ذلك ^(٥) وفي هذا نظر لوجود مخالف من الصحابة - رضي الله عنهم - .

كما تقدم من القول الأول ، ويؤيد أصحاب هذا القول أنه لم يرد نص بأنه - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه بعيني رأسه بل ورد ما يدل على نفي الرؤية ، وهو حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك ؟ فقال : " نور أنى أراه " ^(٦) وفي رواية " رأيت نوراً " ^(٧) وورد أنه - ﷺ - قال : " حجاب النور " وفي رواية : وفي رواية : " النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " ^(٨) ومعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - لأبي ذر - رضي الله عنه - " رأيت نوراً " أنه رأى الحجاب ، ومعنى قوله : " نور أنى أراه " أي النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنى أراه ، أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته ؟ وهذه الروايات صريحة في نفي الرؤية ^(٩) ، ويؤيده ما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت " . وورد عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : " من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب " ، ولما دخل عليها مسروق فقال : يا أمته هل رأي محمد - صلى الله عليه وسلم - ربه ؟ قالت : لقد قف شعري مما قلت " يعني قام شعر راسي من الفزع لما حصل عندها من هيبه الله تعالى ، واعتقدته من تنزيهه عز وجل واستحالة وقوع ذلك . وحكى السيوطي إنكار عائشة قول ابن عباس - رضي الله عنهم - وهو مع ترجيحه القول الأول ، وهو قول ابن عباس - رضي الله عنه - لم يتعرض للجواب على إنكار أم المؤمنين ، كما أورد حديث أبي ذر - رضي الله عنه - المتقدم برواياته وسكت ^(١٠) .

^(١) سورة التكويد ، الآية (٢٣) .

^(٢) سور النجم ، الآية (١٣) .

^(٣) صحيح مسلم (١٥٩ / ١) ح رقم (١٧٧) .

^(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٤ / ٣) ، وفتح الباري (٦٠٨ / ٨) ، شرح الطحاوية (ص ٢١٣) ، لوامع الأنوار (٢٥٢ / ٢) .

^(٥) انظر : مجموع الفتاوى (٥٠٧ / ٦) ، وشرح الطحاوية (ص ٢١٤) .

^(٦) صحيح مسلم (١٦١ / ١) ح رقم (١٧٨) .

^(٧) نفسه .

^(٨) نفسه ح رقم (١٧٩) .

^(٩) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢١٤) .

^(١٠) الكوكب الساطع - مخ - لوحة رقم (٤٣٢) .

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية رأي أم المؤمنين عائشة ومن وافقها ، وأجاب عن قول الإمام أحمد بإثبات الرؤية فذكر أن ما نقل عن الإمام أحمد - رضي الله عنه - من إثبات رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - لربه إنما يعني رؤية المنام ، فإنه سئل عن ذلك فقال : نعم رآه ، فإن رؤيا الأنبياء حق ، ولم يقل رآه بعين راسه " ... وابن عباس - رضي الله عنه - لم يقل إنه - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقدوهم ، وهذه نصوصه موجودة ليس فيها شيء من ذلك ، ... ولفظ الإمام أحمد كلفظ ابن عباس^(١) وأهل السنة متفقون على أن الله تعالى لا يراه أحد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ، ولم يقع النزاع إلا في نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - خاصة^(٢) ، مع أن الأحاديث المعروفة ليس في شيء منها أنه رآه بعيني رأسه ، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال : إنه رآه ، ولم يقل بعيني رأسه^(٣) .

وقد جمع بعض العلماء بين رأي ابن عباس - رضي الله عنه - في الإثبات ، ورأي عائشة بالانكار ، وحمل كل واحد منهما على معنى مخالف للآخر ، قال السفاريني : " ويمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة - رضي الله عنهما - بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثبات على رؤية القلب "^(٤) وبهذا يندفع الاشكال بين الفريقين . أو أن يحمل الإثبات على رؤية المنام كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد .

والقول الثالث : الوقف عن القطع بالنفي أو الإثبات في هذه المسألة ، وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم ، فإنه قال : الوقف في هذه المسألة أرجح ، " وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدلل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، قال : وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي "^(٥) .

وإنني لأرى - في حدود علمي القاصر - أنه لا مسوغ للتوقف في هذه المسألة ما دام أنه يحصل الجمع بين الرأيين المثبت والنافي لأنه من المتفق عليه بين أهل العلم أنه إن أمكن الجمع بين الأدلة المتعارضة فهو المعول عليه إعمالاً للنصوص وعدم تعطيل شق منها سيما وأن أدلة الرأي الثاني الذي ينفي الرؤية أدلة صحيحة قوية ، وأن ما ورد من أقوال أصحاب الرأي الأول لا تقوى على معارضتها ، فالأولى إذاً إن لم يرجح القول الثاني لقوة أدلته أن يصار إلى الجمع بينهما ، طلباً للتوفيق والانتلاف ، بدلاً من التفرقة والاختلاف وهو ما سبقني إليه ابن تيمية و الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في " فتحه "^(٦) ونقله عنه السفاريني^(٧) - رحمه الله - ومن استنار قلبه لاقتفاء الآثار ، وخلع ربة التقليد التي هي مثار التعبير في وجوه الأخبار علم أن السلامة في التسليم ، وفوق كل ذي علم عليم - والله تعالى أجل وأعلم .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥٠٨/٦) .

(٢) نفسه (٤٩٠/٥) ، وانظر : ابن القيم : زاد المعاد (٣٤/٣) .

(٣) انظر : نفسه (٥٠٨، ٥٠٩/٦) ، وانظر : السفاريني (٢٥٤/٢) .

(٤) لوامع الأنوار (٢٥٥-٢٥٤/٢) .

(٥) فتح الباري (٦٠٨/٨) ، ونقله في لوامع الأنوار (٢٥٦/٢) .

(٦) انظر : (٦٠٨/٨) .

(٧) انظر : لوامع الأنوار (٢٥٥-٢٥٤/٢) .



الباب السادس

فصلان :

الفصل الأول : موقفه من البدع

الفصل الثاني : موقفه من التصوف

الفصل الأول : موقفه من البدع

المبحث الأول

تعريف البدعة

البدعة في اللغة : البدعة اسم هيئة من الابتداء ، كالرفعة من الإرتفاع ، وهي : كل شئ احدث على غير مثال سابق

سواء كان محمودا او مذموما .

والبدعُ: بكسر الباء : الأمر الذي يكون أولا ، ومنه قوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل...) ^(١) أي : لست اول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وحمل الرسالة إلى الناس ، بل قد ارسل قبلي مبشرون ومنذرون ، فلست مبتدعا (اسم مفعول) لم يتقدمني رسول ^(٢).

ويجوز ان يكون بمعنى مبتدع (اسم فاعل) فيكون معنى الآية : ما كنت مبتدعا فيما اقله وادعو إليه من الرسالة ، ولست مخترعا لها ، بل هي من عند الله ^(٣).

(والبديع): من اسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ، فيكون بمعنى مبدع ، أو من خلق أي : بدأه ^(٤). والله تعالى بديع السماوات والأرض ، أي خالقها ومبدعها ، وهو ايضا الخالق المخترع لا على مثال سابق ، وهو من بدع لا من ابدع ، فعيل بمعنى فاعل ، مثل قدير بمعنى قادر . وهو صفة من صفاته تعالى — ايضا — لأنه بدأ الخلق على غير مثال تقدمه على ما أراد ^(٥).

والبديع من الحبال : الذي ابتدئ فتلّه ، ولم يكن حبلا ، فنكت ^(٦) ثم غزل وأعيد فتلّه ^(٧) وركى ^(٨) بديع : حديثه الحفر . وابتدع وتبدع : اتى ببدعة ، قال تعالى : (...) ورهابنية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ... ^(٩) وبدعه تبديعا : نسبة إلى البدعة ^(١٠) .

والملاحظ مما سبق أن غالب ماتدور عليه مادة " بدع " معنى الإحداث والاختراع والإنشاء لشيء لم يكن موجوداً قبل إحداثه .

البدعة في الاصطلاح : اختلفت أقوال العلماء في تحديد معنى البدعة في الشرع وتنوعت تعبيراتهم بشأنها ، فمنهم من

توسع في عبارته فاتسع عنده مدلول البدعة وما يندرج تحت مفهومها .

ومنهم من ضيق هذا المدلول وما يندرج تحته من الصور والأحكام .

ويمثل الاتجاه الأول :

١ — الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي — رحمه الله تعالى — فإنه قسم البدعة إلى حسنة وسيئة ، أو محمودة ومذمومة وهي على هذا تشمل كل حادث بعد عصر رسول الله ﷺ — وعصر خلفائه الراشدين :

(١) سورة الأحقاف ، بعض الآية (٩)

(٢) انظر : الراغب : المفردات (ص ٣٩)

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : لسان العرب (٦/٨)

(٥) المصدر السابق (٦/٨-٧) ، الراغب : المفردات (ص ٣٨)

(٦) لسان العرب (٧/٨) .

(٧) السابق نفسه ، وترتيب القاموس المحيط (١/٣٢٠) .

(٨) ركي بديع : حديثه الحفر

(٩) الركي : البئر

(١٠) سورة الحديد ، بعض الآية (٢٧)

(١١) ترتيب القاموس المحيط (١/٢٣١) ، ولسان العرب (٦/٨) .

قال حرمله بن يحيى : سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : " البدعة بدعتان : بدعة محمودة وبدعة مذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم " ^(١)

وقال الربيع : قال الشافعي — رحمه الله تعالى :

المحدثات من الامور ضربان :

أحدهما : ما أحدث بخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً ، فهذه البدعة الضلالة .

والثاني : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، فهي محدثة غير مذمومة ^(٢) ، وقد استند في كلا التعبيرين إلى قول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في صلاة التراويح : " نعم البدعة هذه " ^(٣) .

٢ — وكذلك الغزالي — رحمه الله تعالى — يقول عن الأكل على السفرة : " وما يقال انه أبدع بعد رسول الله — ﷺ — فليس كل ما أبدع منهياً عنه ، بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته ، بل الابتداع قد يجب في بعض الأحيان إذا تغيرت الأسباب " ^(٤) .

٣ — ويقول ابن الأثير — رحمه الله تعالى — : " البدعة بدعتان : بدعة هدى — وبدعة ضلال " ^(٥) فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله — ﷺ — فهو في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعاً تحت عموم مانذب الله إليه وحض عليه أو رسوله فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من السخاء والجود وفعل المعروف فهو من الافعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ماورد الشرع به ، لأن النبي — ﷺ — قد جعل له في ذلك ثواباً فقال : " من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها " وقال في ضده : " من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها " ^(٦) وذلك ما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله — ﷺ — " ^(٧) . ثم مثل البدعة الحسنة يقول عمر في صلاة التراويح : " نعمت البدعة هذه " ثم قال : " وهي على الحقيقة سنة لقوله — ﷺ — " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين " ^(٨) ، وقوله : " اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر " ^(٩) وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر " كل محدثة بدعة " على ماخالف الشريعة ولم يوافق السنة " ^(١٠) .

٤ — وقال الشيخ عبدالحق الدهلوي في شرح المشكاة " اعلم ان كل ماظهر بعد رسول الله — ﷺ — بدعة وكل ماوافق اصول سنته وقواعدها اوقيس عليها فهو بدعة حسنة ، وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة " ^(١١) .

(١) أبو شامة : الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص ١٢) ، وانظر : فتح الباري (١٠/١٧) وقال " أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجخيد عنه " انظر الحلية (١١٣/٩) بسند صحيح إلى الشافعي رحمه الله .

(٢) المصدران السابقان ، وذكره السيوطي في " الحاوي " (١٩٢/١) وعزه للبيهقي في " مناقب الشافعي " وهو فيه (٤٦٨/١ — ٤٦٩) بسند صحيح .

(٣) صحيح البخاري رقم (٢٠١٠) الفتح (٢٥٠/٤) ، وموطأ مالك (ص ٩١) ، وسنن البيهقي (٤٩٣/٢) .

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢) ط عيسى الحلي .

(٥) النهاية (٢٩/١) ، لسان العرب (٦/٨) .

(٦) صحيح مسلم (٨٠٤/٢ — ٧٠٥) رقم (١٠١٧) ، (٢٠٥٩/٤) بنفس الرقم .

(٧) النهاية (٢٩/١) ، لسان العرب (٦/٨) .

(٨) سنن أبي داود (٢٠٠/٤) عن أحمد بن حنبل ، وسنن الترمذي (١٥٠/٤) وقال حسن صحيح ، وصححه الحاكم في المستدرک (٩٩٦/١) ووافقه الذهبي .

(٩) جاء الحديث بهذا اللفظ ، وفي لفظ آخر : " إني لا ادري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي أي بكر وعمر " وهو من حديث حذيفة بن

اليمان — رضي الله عنه — في سنن الترمذي (٢٧١/٥ — ٢٧٢) وقال : حديث حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه — في سنن الترمذي (٢٧١/٥ — ٢٧٢)

وقال : حديث حسن ، وفي سنن ابن ماجة (٧٣/١) ، ومسند أحمد (٣٨٢/٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٧٢/١) .

(١٠) ابن الأثير : النهاية (٢٩/١) ، لسان العرب (٦/٨) .

(١١) كشاف اصطلاحات الفنون (١٩١/١) بدع .

٥- وإلى هذا الاتجاه مال الشيخ عز الدين بن عبد السلام والنووي وابوشامة^(١)، وصرح به السيوطي في الحاوي^(٢)، ورسالة الإتياع^(٣). ففي جواب له على نص سؤال ورد إليه عن حكم عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول قال: "عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ماتيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سباط يأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها"^(٤). ثم ذكر أن البدعة "لا تنحصر في الحرام والمكروه بل قد تكون أيضا مباحة ومندوبة وواجبة"^(٥)، ثم أيد كلامه بما نقله عن النووي، وعز الدين ابن عبد السلام والذي قد اشرنا إليه قبل، وعلى ذلك فالبدعة فيما يرى هؤلاء الناس ومن وافقهم هي: "فعل لم يعهد في عهد النبي ﷺ"، ولم يكن له أصل يقاس عليه في الشرع فإذا كان له أصل يشار إليه في الشرع فلا بأس عندهم به في الزمان والكيفية والمقدار ولذلك فإن أصحاب هذا الاتجاه لا يرون أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة، والحق عندنا خلاف ذلك.

٦- أما الإتجاه الثاني والذي يضيّق مفهوم البدعة ومدلولها وما يندرج تحتها من

الصور والأحكام فينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: لا تقيد البدعة فيه بشئ سوى مخالفة السنة.

القسم الثاني: وتقيد فيه البدعة مع ذلك بنسبتها إلى الدين، وجعلها من جنس ما يتقرب به إلى الله من الشرع، ويمثل القسم الأول بعض العلماء الذين تنوعت عباراتهم على مدلول واحد ومنهم:

- ١- ابن رجب الحنبلي، حيث يقول: "والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة"^(٦).
- ٢- ويقول الحافظ ابن حجر: "والبدعة: أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة"^(٧)، ويقول أيضا: "والحدوثات جمع محدثة والمراد بها... ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة"^(٨).
- ٣- ويقول ابن حجر الهيتمي "وهي — أي البدعة — لغة: ما كان مخترعا.. وشرعا: ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام"^(٩).
- ٤- وقال الزركشي: "البدعة في الشرع موضوعة للحدث المذموم"^(١٠).

ومؤدى هذه الأقوال والعبارات أن البدعة شرعا كل حدث مذموم، وليست كل حدث على الإطلاق، أو كل حادث مخالف بشرط نسبته إلى الدين.

أما القسم الثاني: فيتمثل في رأي الإمام أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي — رحمه الله — ومن وافقه، ويتجه هذا الرأي إلى تعريف البدعة بالحدث المخالف للسنة الذي يتخذ دينا قويا وصراطا مستقيما سواء اقتصرنا في تعريف البدعة على ما كان كذلك في العبادات فقط، أو جعلناه شاملا لما كان كذلك في العبادات والعادات معا.

(١) انظر: العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام (٢٠٤/٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٥٤/٦-١٥٥) والسيوطي: الحاوي (١٩١/١).

(٢) انظر: (١٩١/١).

(٣) انظر: (ص ٢٦).

(٤) الحاوي للفتاوي (١٨٩/١).

(٥) المصدر السابق (١٩٢/١).

(٦) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (١٢٧/٢) ت: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ط ١٤١١/١.

هـ — ١٩٩١ م، بيروت — لبنان.

(٧) فتح الباري (١٥٦/٥).

(٨) المصدر السابق (٩/١٧).

(٩) التبيين بشرح الأبعين (ص ٢٢١).

(١٠) انظر: الشيخ على محفوظ: الإبداع في مضار الابتداع (ص ٣١) نقلا عن الزركشي.

قال الشاطبي: "البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى".^(١)
وقال في موضع آخر: "البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية".^(٢)
وقد شرح الشاطبي نفسه تعريفه السابقين بما يبين مراده فبين انه يقصد بقوله: طريقة: مارسم للسلوك عليه، وقوله: في الدين: قيد لإخراج الطريقة في الدنيا، كإحداث الصنائع، والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم، وقوله: مخترعة: لأصل لها في الشريعة، ولا تعلق لها بما كعلم النحو والتصريف، ومفردات اللغة، وأصول الدين والفقه.
وقوله: تضاهي الطريقة الشرعية: أي تشبهها من ان تكون كذلك، بل هي مضادة لها من جهة وضع الحدود كالإقتصار من المأكول والملبس على صنف دون صنف بلا علة أو من جهة التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر هيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً، أو التزام عبادات معينة في اوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة كالتزام صيام يوم النصف من شعبان، وقيام ليلته، وسواء في ذلك ألبس صاحبها على الناس بما ابتدعه أو التيسر البدعة عليه بالسنة، مادام مصراً عليها مع معرفته ببدعتها أو إخباره بهذا الإبتداع.
وقوله: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى: قيد لإخراج العادات من البدع، وبيان ان ما ابتدع من الأمور الزائدة على المشروع والمنسوبة إلى الشرع مقصود بها المبالغة في التعبد، أو تجديد النشاط إلى العبادة^(٣).
هذا كلام الشاطبي وقد نقلته ملخصاً.

ومن الواضح ان الشاطبي استند إلى أدلة كثيرة لتأييد رأيه، وقد وردت هذه الأدلة في ذم البدعة والمبتدعة ومن تابعهم وليس فيها استثناء البتة، وليس فيها ان من البدع ما ليس سيئاً، وقد ورد في مجمل هذه الأدلة ما يقتضي تخصيص البدعة عن غيرها من المعاصي، ومن اهم هذه التخصيصات ما يلي:

- ١- ان البدعة لا يقبل معها عمل، فقد روى عن حذيفة — رضي الله عنه — قال: "لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين"^(٤).
وقد حكى الأوزاعي القول بذلك عن بعض اهل العلم، وقال به اسد بن الفرات، وأيوب السخيتاني، وهشام ابن حسان^(٥).
وقد قال ابن عمر — رضي الله عنهما — في القدرية: والذي يحلف به ابن عمر، لو أن لأحدهم مثل احد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر^(٦).
وقال — صلى الله عليه وسلم — في الخوارج: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"^(٧).
وقال فيمن أحدث بالمدينة: "لا يقبل منه صرف ولا عدل"^(٨) وإذا ثبت في بعض المبتدعة حكم ما، ثبت في جميعهم، أو ترجح شمول هذا الحكم للجميع، وذلك على قدر غلظ كل بدعة ومقدارها في المخالفة والجرم.
- ٢- ان صاحب البدعة ملعون على لسان الشرع، فقد لعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تارك السنة، وصاحب البدعة قد شاركه، لأن البدعة ما قامت إلا بترك سنة في مقابلها، قال — صلى الله عليه وسلم — "سنة لعنتهم، لعنهم الله، وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجيروت يذل

(١) الإعتصام (٣٧/١) بتقديم العلامة: السيد محمد رشيد رضا.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر الإعتصام (٤٥-٣٧/١)

(٤) سنن ابن ماجه (٩١/١) ت: عبد الباقي سرور، ورجال اسناده ثقات غير محمد بن محسن العكاشي، كذبوه، وقال ابن حبان: يكتب حديثه للإعتبار

(٥) عزت علي عطية: البدعة وموقف الإسلام منها (ص ٦٥)

(٦) صحيح مسلم (٢٥٦/١) مع شرح النووي، وأبو داود (٢٧٧٢) ترتيب الساعاتي.

(٧) صحيح البخاري (٥٢/٨) صحيح مسلم (٧٤٦/٢)

(٨) صحيح البخاري (١٩/٣) صحيح مسلم (١٤٠/٩) مع شرح النووي، وسنن أبي داود (٣١٨/١) ترتيب الساعاتي.

من اعز الله، ويعز من اذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي^(١)،
ويؤيد ذلك قوله تعالى (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله
لا يهدي القوم الظالمين، اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين)^(٢).
وقوله عز وجل: (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون)^(٣).

وصاحب البدعة يشارك في وقوع اللعن عليه كل من كفر بعد ايمانه، وكل من كتم ما بينه الله تعالى في كتابه من جهة
مضادة الشرع الحكيم فيما شرع.

اما الأول: وهو الكافر بعد ايمانه فقد ضاد الشرع بجمعه جحدا تاما.

واما الثاني: وهو كاتم الشريعة عاندها بإخفاء ما يجب ان يظهر ويبين للناس

وكذلك المبتدع شارك كلا الطائفتين وضاد الشريعة بأن وضع من عنده الوسيلة لتترك ما بينه الشرع وكنتم ما أظهره الله تعالى
وبينه من السنن والهدى، ونصيبه من ذلك على قدر جرمه وابتداعه ولن يظلمه ربه مثقال ذرة.

٣- ان البدع مظنة العداوة والبغضاء بين اهل الإسلام لأنها سبب التفرق واساس الاختلاف، ففي حديث العرياض بن
سارية — ع — قال: "وعظنا رسول الله — ﷺ — موعظة بليغة ذرفت^(٤) منها العيون، ووجلت منها
القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، أوقال: فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم
بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ^(٥) وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة،
وكل بدعة ضلالة"^(٦).

فدل الحديث على ان ظهور البدع سبب للتفرق والاختلاف الكثير بين الناس ولا عاصم للأمة من ذلك بعد الله تعالى إلا
التمسك بالسنة، ولذلك قال — ﷺ — فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً... "وما ذلك إلا بترك السنن وإهمالها،
وفعل البدع وإحيائها، ثم اردف ذلك بقوله: "فعليكم بسنتي" فهي المانع والحاجز عن هذا الاختلاف والتفرق والتحزب
، وذهاب كل فرقة وكل حزب من الأحزاب مذهبا يضاد مذاهب غيره، والواقع شاهد على ذلك.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٣٦/١) من حديث عائشة — رضي الله عنها — ، (٩٠/٤) وقال: صحيح لا اعرف له علة، وتعبه الذهبي بأنه منكر
بمرة.. وقال المناوي في فيض القدير: لكنه — أي الذهبي — خرجه في "الكبائر" من حديث عائشة، ثم قال: اسناد صحيح، واورده الهيثمي في
جمع الزوائد (١٧٦/١) من رواية الطبراني في الكبير عن عائشة، ولم ينتقد فيه إلا عبدالرحمن بن موهب، وقال: وثقه ابن حبان، وقال ابو حاتم
: صالح الحديث، وبقيّة رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في "الترغيب" (٣٦/١): رواه الحاكم وابن حبان والطبراني، وقال الذهبي في "الميزان"
(٤٥٤/٢) في ترجمة عبدالله بن عبدالرحمن بن موهب: "روى عن يحيى — أي ابن معين — ضعيف، وروى عنه ايضا انه قال عنه: ثقة، وقال
ابو حاتم: صالح الحديث، وقال ابن عدي: وهو حسن الحديث يكتب حديثه، وللحديث شواهد أوردها الهيثمي في الجمع (١٧٦/١) وعلى
ذلك فالحديث حسن لغيره، ورواه الترمذي (٣١٨/٨) انظر: شرح ابى بكر بن العربي.

(٢) سورة آل عمران الآيتان (٨٦، ٨٧)

(٣) سورة البقرة، الآية (١٥٢)

(٤) ذرفت: سالت

(٥) جمع ناجدة: أي الضرس الأخير، أو السن عموما

(٦) سنن أبي داود (٢٠٠/٤)، سنن الترمذي (١٥٠/٤) وقال الترمذي: حسن صحيح والحاكم في المستدرک (٩٦/١) وصححه، ووافقه
الذهبي، واحمد في المسند (١٨٩/١) ترتيب الساعاتي، وابن حبان (١٣٩/١)، والدرامي (٤٤/١-٤٥)، وابن ماجه (١٦/١) وعند زيادة: "فإنما
المؤمن كاجمل الأنف حيثما قيد انقاد" وقال الحاكم عن هذه الزيادة: إنها زيادة شاذة او منكورة، وافادت رواية الترمذي وابن ماجه ان الصلاة
كانت صلاة الصبح، فقد وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم — بعد اداء الصلاة هذه الموعظة.

قال السيوطي في هذا التفرق والاختلاف: "اهل الفرق الضالة ست ، وقد انقسمت كل فرقة منها اثنتي عشرة فرقة ، فذلك اثنتان وسبعون فرقة هم الذين اخبر النبي ﷺ — أنهم في النار^(١) .

٤- إنما سبب للطرد عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم كما يدل على ذلك حديث ابي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال ناس يارسول الله كيف تعرف من يأتي من بعدك من امتك ؟ قال : أرأيتك لو كان لرجل خيل غر محجلة^(٢) في خيل دهم^(٣) ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : فإنهم ياتون يوم القيامة غرا محجلين من الضوء وأنا فرطهم على الحوض ، فليزاد^(٤) رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال ، أناديهم ألا هلم ، ألا هلم ، ألا هلم ، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : فسحقا ، فسحقا^(٥) .

فظهر الغرة والتحجيل دليل على أنهم من امة الإسلام ولكنهم طردوا عن حوضه — صلى الله عليه وسلم — لبدعتهم وتبديلهم^(٦) .

قال ابن عبد البر : "كل من احدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الأهواء"^(٧) .

٥- ان على مبتدعها اثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، قال تعالى (.. ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم)^(٨) .

وللأحاديث الدالة على ذلك ومنها : قوله — صلى الله عليه وسلم — "مامن نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل"^(٩) .

وغير ذلك من الأمور التي تجعل البدعة في حيز الأمور المذمومة ، وعلى ذلك يمكن القول بأنه لا دليل على قول من قال : إن البدع منها قسم حسن ، فلم ترد لفظة البدعة على لسان الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلا على سبيل الذم ، والأحاديث التي سبقت في الاستدلال عليه لا تفيد إلا من ناحية المفهوم ولا تدل دلالة صريحة على استعمال لفظ البدع فيما هو حسن أو فيما يوافق الشرع . — أما كلام عمر — رضي الله عنه — : "نعمت البدعة هذه" فليس فيه أن لفظ البدعة بمجرد يطلق في الشرع على ما هو حسن وكل ما يفيد هذا الكلام هو ان البدعة في نظر الشرع إذا اطلقت عن التقييد بوصف او اضافة او غيرها لا تدل على ما هو مخالف للشرع ، ولا يقصد بها غير ذلك فيه .

اما اذا قصد بها ما يتناوله لفظ " بدعة " من ناحية اللغة ، وهو مطلق المحدث حسنا كان او سيئا ، وعبر بها عما هو موافق للشرع فلا بد من وصفها او تقييدها بما يفيد حسنها صراحة أو بالمفهوم ، تمييزا لها عن مطلق البدعة .

(١) الأمر بالإتيان والنهي عن الابتداع (ص ٢٨) وهذا التفرق والاختلاف بسبب البدع والابتداع ، والحديث الذي اشار إليه السيوطي رواه ابن ماجه (٤٧٩/٢) وابناي عاصم في "السنة" (٦٣) واللالكائي في "شرح السنة" (٢٣/١) رقم (١) ، من طريقين عن عباد بن يوسف : حدثني صفوان بن عمرو ، عن راشد ابن سعد عن عوف بن مالك مرفوعا قال الألباني "وهذا اسناد جيد ، رجاله ثقات معروفون غير عباد بن يوسف ، وهو الكندي الحمصي ، وقد ذكره ابن حبان في "الثقات" ووثقه غيره ، وروى عنه جمع ، وللحديث شواهد تقوم ببعضها برقم (٢٠٣) انظر السلسلة الصحيحة (١٢/١) رقم (٢٠٣) ، (١٤/١) رقم (٢٠٤) ، (٤٨٠/٣) ، رقم (١٤٩٢)

(٢) غر محجلة : أي في جباههم وقوائمهم بياض

(٣) خيل دهم : سود لا يتخالط سوادهم شيء من الألوان

(٤) أي : ليدفعن ويطرذن

(٥) الموطأ (ص ٤٤) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٧ — ١٣٩) واحمد بنحوه (١/ ١٩٥) ، وسأقي ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٦) والنسائي (١/ ٩٤ — ٩٥)

(٦) انظر : الشاطبي : الاعتصام (٢/ ٧٦)

(٧) المصدر السابق

(٨) سورة النحل ، الآية (٢٥)

(٩) صحيح البخاري (٤/٩) وصحيح مسلم (١١/ ١٦٦) مع شرح النووي ، والترمذي (٤٣٦/٧) مع تحفة الأحوذ ، ومسنند احمد (٣/ ٣٨٣) ، (٣/ ٤٣٠)

— كما ان اطلاق القول بأن البدع منها ما هو حسن يمكن ان يكون بابا مفتوحا على مصراعيه لكل مبتدع ليقول هذه بدعة حسنة فيلصق بالدين كل ما يريد ابتداعه واختراعه ، فتفشوا البدع وتنطمس معالم الدين بالكلية ، قال الشهاب الخفاجي : "البدعة إذا اطلقت يراد بها السيئة" (١).

وقال ابن الأثير : " واكثر ما يستعمل المبتدع عرفا في الذم " (٢).

لكن الإمام النووي — رحمه الله تعالى — جعل البدعة خمسة اقسام :

واجبة ، ومندوبة ، ومحرمة ، ومكروهة ، ومباحة ثم قال : " فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين ، وشبه ذلك ، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم ، وبناء المدارس والربط وغير ذلك ، ومن المباح التبسط في الوان الأطعمة وغير ذلك ، والحرام والمكروه ظاهران ، وقد اوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في تهذيب الأسماء واللغات... " (٣).

وفي تقسيمه هذا — رحمه الله تعالى وعفا عنه — نظر ، لأنني قد قدمت ان البدعة إذا اطلقت انصرفت إلى المعنى المذموم ، وبمجرد تسميتها بدعة تكفي في ذمها وذم فاعلها والداعي إليها والعامل بها ، ولم يرد في النصوص الشرعية — كما سبق — ما يدل على هذا التقسيم ، وهذا هو الرأي الذي انتصر له الإمام الشاطبي وأيده بالأدلة ، واتجه إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وابن حجر الهيتمي المكّي ، والزرکشي وغيرهم ، وقد استند اصحاب هذا الإتجاه كما سبق — إلى نصوص كثيرة تخصص البدعة باحكام مذمومة دون غيرها من المخالفات مثل كون صاحبها متوعد بأنه لا يقبل منه عمل ، وان صاحبها متوعد في لسان الشرع ، وانما سبب العداوة والبغضاء والتفرق والإختلاف بين المسلمين وأنما سبب للطرده عن حوض النبي — ﷺ — فأهل البدع ينادون عن حوضه — ﷺ — ويعبدون عنه ، بسبب ما أحدثوه من البدع ، وغير ذلك مما تختص به البدعة فلا تكون ابدا إلا سيئة مذمومة لا يجوز فعلها ، بل يجب البعد عنها وعن مواطن تحيا فيه البدع ، كما يجب البعد عن اهلها ومجانبتهم وعدم مجالستهم او توقيهم ، لأنهم معاندون ببدعتهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد سؤال على الشيخ عبدالعزيز بن باز — رحمه الله — يقول فيه السائل : "فصل الشيخ النووي — رحمه الله تعالى — في شرحه البدعة إلى خمسة أقسام : الأول : بدعة واجبة ، ومثالا نظم أدلة المتكلمين على الملاحدة ، والثاني : المندوبة : ومثالا تصنيف كتب العلم ، والثالث : المباحة ، ومثالا : التبسط في الوان الطعام ، والرابع والخامس : الحرام والمكروه وهما واضحان والسؤال : يقول الرسول — ﷺ — " كل بدعة ضلالة " أرجو توضيح ذلك مع ما يقصده الشيخ النووي — رحمه الله — " (٤) فأجاب الشيخ ابن باز — رحمه الله — : " هذا الذي نقلته عن النووي — رحمه الله — في تقسيم البدعة إلى خمسة اقسام قد ذكره جماعة اهل العلم ، وقالوا : إن البدعة تنقسم إلى اقسام خمسة : واجبة ، ومستحبة ، ومباحة ، ومحرمة ، ومكروهة .

وذهب آخرون من اهل العلم إلى ان البدعة كلها ضلالة ، وليس فيها تقسيم ، بل كلها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم — " ضلالة " قال عليه الصلاة والسلام : " كل بدعة ضلالة " هكذا جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله — عليه الصلاة والسلام — منها ما رواه مسلم في الصحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري — رضي الله عنهما — قال : كان النبي — ﷺ — يخطب يوم الجمعة فيقول في خطبته : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد — ﷺ — وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " . (٥)

وجاء في هذا المعنى عدة احاديث مثل حديث عائشة ، وحديث العرياض بن سارية ، واحاديث اخرى ، وهذا هو الصواب ، أنما لا تنقسم إلى هذه الأقسام التي ذكرها النووي وغيرها ، بل كلها ضلالة ، والبدع تكون في الدين لافي الأمور المباحة

(١) شرح الشفا (٣/٣٣٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث — مادة (بدع) ، وانظر لسان العرب (٦/٨)

(٣) شرح صحيح مسلم (٦/١٥٤-١٥٥)

(٤) فتاوى نور على الدرب (٢/٣٤١) من اجوبة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز ، مفتي عام المملكة العربية السعودية — إعداد أ.د عبد الله بن محمد الطيار ، والشيخ محمد بن موسى بن عبد الله الموسى ، ط/١٤١٨هـ — ١٩٩٧م — دار الوطن — الرياض .

(٥) صحيح مسلم (٢/٥٩٢) رقم (٨٦٧)

،فتنوع الطعام على وجه جديد لايعرف في الزمن الأول لايسمى بدعة من حيث الشرع ، وإن كان بدعة من حيث اللغة ، لأن البدعة في اللغة هي الشيء المحدث عل غير مثال سابق ، كما قال عز وجل : (بديع السموات والأرض)^(١) يعني انه مبتدعها وموجدها على غير مثال سابق ، لكن لايقال بدعة إلا لما كان في التعبد في الأعمال الشرعية ، فهذا كله فيه ضلالة ، ولا يقال فيه أنها اقسام واجب وسنة إلى آخره ، وهذا هو الحق ، وهذا هو الصواب الذي ارتضاه جماعة من اهل العلم وقرروه وردوا على من خالف ذلك.

وكذلك تأليف الكتب وتنظيم الأدلة للرد على الملحدين والخصوم لايسمى بدعة، بل هذا مما امر الله به ورسوله ، فهو طاعة لله وليس بدعة ، فالكتاب العزيز جاء بالرد على خصوم الإسلام ، واعدائه في آيات عظيمة ، وجاءت السنة بذلك في الرد على خصوم الإسلام ، واعدائه في آيات عظيمة ، وجاءت السنة بذلك في الرد على خصوم الإسلام بمآظهر لهم من كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ووضحوا الأدلة ونوعوها ، وكل هذا لايسمى بدعة في الشرع ، بل هو قيام بالواجب وجهاد في سبيل الله ، وليس ببدعة في حكم الشرع ، وهكذا بناء المدارس والربط والقناطر وغير هذا مما ينفع المسلمين لايسمى بدعة من حيث الشرع ، فهو امر مأمور به ، لأن الشرع امر بالتعليم ، والمدارس تعين على التعليم ، وكذلك ما يتعلق بالربط للفقراء ، فالشرع أمر بالإحسان إلى الفقراء والمساكين فإذا بنى لهم مساكن سميت بالربط فهذا مما امر الله به ، وكذلك القناطر على الأنهار ، كل هذا مما ينفع المسلمين وليس ببدعة بل هو مشروع ، وتسميته بدعة يكون من جنس ما تقدم من حيث اللغة العربية ، كما قال عمر — رضي الله عنه — في التراويح لما جمع الناس على امام واحد ليصلي بهم التراويح كل ليلة ، قال : نعمت البدعة هذه ، يعني من حيث اللغة وإلا فالتراويح سنة مؤكدة فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وحث عليها ورغب فيها ، فليست بدعة بل هي سنة مؤكدة ولكن سماها عمر بدعة من حيث اللغة لأنها فعلت على غير مثال سابق لأنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون اوزاعا في المسجد ، ليسوا على امام واحد هذا يصلي معه اثنان ، وهذا يصلي معه ثلاثة وهذا يصلي معه اكثر وصلى النبي صلى الله عليه وسلم — ثلاث ليال ثم ترك ، وقال : " اني اخشى ان تفرض عليكم صلاة الليل " ^(٢) فتركها خوفا على امته ان تفرض عليهم .

فالحاصل ان قيام رمضان سنة مؤكدة ، وليست بدعة ^(٣) من حيث الشرع ، وإن سماها عمر — رضي الله عنه — بدعة من حيث اللغة .

والخلاصة ان الصواب ان كل ما احثه الناس في الدين مما لم يشرعه الله فإنه يسمى بدعة وهو بدعة ضلالة ولا يجوز فعلها ولا يجوز تقسيم البدع إلى واجب وإلى سنة وإلى مباح... إلى آخره فهذا خلاف القاعدة التي بينها النبي — صلى الله عليه وسلم — وفي هذا خطر عظيم ، كأن القائل يرد على النبي — صلى الله عليه وسلم — ، فالنبي — صلى الله عليه وسلم — يقول : " كل بدعة ضلالة " وهذا يقول : لا ، بل هي اقسام ، فهذا خطر عظيم وسوء ادب مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — فالواجب على اهل العلم ان يتأدبوا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وان يحذروا الشيء الذي قد يחדش في حق من فعل ما يخالف السنة ، وإن كان العلماء — رحمة الله عليهم — الذين قالوا ذلك لم يقصدوا الرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم — حماهم الله من ذلك — ولكن قد يحتج عليهم بذلك من يظن بهم السوء من اعداء الله ، وقد يظن ذلك بعض الجهلة .

فالحاصل ان التقسيم إلى بدعة مستحبة وواجبة... إلى آخره ليس هو الصواب بل الصواب خلافه^(٤) .

(١) سورة البقرة بعض الآية (١١٧)

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٧٢٩)الفتح (٢١٣/٢) وانظر الأرقام : (٩٠٢٤، ١١٢٩، ٢٠١١، ٢٠١٢، ٥٨٦) وصحيح مسلم (٥٢٤/١) رقم (٧٦١)

(٣) الأولى : أن يقال : وليس الاجتماع لصلاتها في جماعة بدعة ، لأن عمر — رضي الله عنه — لم يقصد إلى ان قيام رمضان بدعة من اساسها ، إنما

قصد اجتماع الناس على امام واحد

(٤) عبدالعزيز بن باز : فتاوى نور على الدرب (١/٣٤١-٣٤٤)

وقد ذكر الإمام الشاطبي ايضا هذا التقسيم ونسبه إلى الإمام القرافي — رحمه الله — ورد على ذلك التقسيم وشنع على قائله^(١).

وبين الشاطبي ان هذا التقسيم لا يدل عليه عقل ولا نقل ، وهذا نص كلامه — رحمه الله — قال : " ومما يورد في هذا الموضع ان العلماء قسموا البدع بأقسام احكام الشريعة الخمسة ، ولم يعدوها قسما واحدا مذموما فجعلوا منها ما هو واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم ، وبسط ذلك القرافي بسطا شافيا ، واصل ما أتى به من ذلك شيخه عز الدين بن عبدالسلام ، وها أنا آتي به على نصه "^(٢).

ثم نقل كلام الإمام القرافي ثم قال : " والجواب ان هذا التقسيم امر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع ، لأن من حقيقة البدعة ان لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده ، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب او ندب او إباحت لما كان ثم بدعة ولكن العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها او المخير فيها ، فالجمع بين عد تلك الأشياء بدعا وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندها أو إباحتها جمع بين متنافيين ، أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعا لا من جهة اخرى ، إذ لو دل دليل على منع أمر او كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة ، لإمكان أن يكون معصية ، كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها ، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة ، إلا الكراهية والتحريم حسما يذكر في بابه "^(٣).

ثم بين الشاطبي ان هذا التقسيم غير صحيح ، والتمس للعز بن عبدالسلام عذرا في انه ذكر المصالح المرسله عل انها بدع من جهة أنها لم تدخل اعيانها تحت النصوص المعينة وإن كانت تلائم قواعد الشرع ، ولكنه سماها بدعا في اللفظ ، ثم قال الشاطبي : " اما القرافي فلا عذر له في نقل تلك الأقسام على غير مراد شيخه ، ولا على غير مراد الناس ، لأنه خالف الكل في ذلك التقسيم فصار مخالفا للإجماع "^(٤).

ورأى الإمام الشاطبي — رحمه الله — هو الذي ظهر لي رجحانه فالبدع كلها ضلالة ، وكلها مذمومة ليس فيها ما هو واجب أو مستحب او مندوب ، بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " كل بدعة ضلالة " .
اما السيوطي ، فقد صنف رسالة بعنوان " الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع "^(٥).
أورد في مقدمتها عددا من الآيات وبعض الأحاديث والآثار التي تأمر وتحث على لزوم السنة ، وإحياء ما اندرس منها ، والتحذير من البدع والإنجرار إلى شئ منها^(٦).

ثم اردف ذلك بفصل في الحث على لزوم جماعة المسلمين ، وعدم التفرق والاختلاف في الدين ، وبين فيه ان الفرق المبتدعة كلها في النار إلا من كان على مثل ما كان عليه النبي — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه — رضي الله عنهم — ، بعد ذلك عقد السيوطي فصلا في بيان خطر اتباع الهوى والابتداع في الدين^(٧) فبين فيه — رحمه الله — أن اتباع الهوى سبب للضلال عن طريق الهدى والرشاد كما قال جل وعلا : (ومن اضل من اتبع هواه بغير هدى من الله)^(٨) وقال عز وجل : (...) ولا

(١) انظر : على محفوظ : الإبداء في مضار الابتداع (ص ٣٠)

(٢) الشاطبي : الإعتصام (١/ ١٨٨)

(٣) الإعتصام : (١/ ١٩١-١٩٢)

(٤) المصدر السابق (١/ ١٩٢)

(٥) مطبوع بتحقيق ودراسة مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية — بيروت ، عند الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ هـ

(٦) انظر : رسالة الأمر بالاتباع (ص ٧-١٤)

(٧) انظر : المصدر السابق (١٥-٢٣)

(٨) سورة القصص ، الآية (٥٠)

تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (١) وقال — صلى الله عليه وسلم — " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفي رواية: " من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد " (٢).

وقال — ﷺ — : " من رغب عن سنتي فليس مني " (٣).

وقال — ﷺ — : " أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن (٤) رجال من دوبي ، فأقول : يارب أصحابي ، فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك (٥) .

ثم اورد السيوطي بعد ذلك آثارا كثيرة تدور كلها على هذا المعنى في التحذير من البدعة وأهلها ، والبعد عنهم وعن مجالستهم او تكليمهم ، مما يبين خطر هذا الأمر على الأمة عموما .

ثم سأل الله تعالى ان يرزقه الإتياع وإحياء السنن ، وأن يجنبه البدع والأهواء في السر والعلن ، ونحن نسال الله تعالى ذلك بمنه وكرمه .

(١) سورة ص ، بعض الآية (٢٦)

(٢) صحيح البخاري (٢٤١/٣) رقم (٢٦٩٧) ومسلم في صحيحه رقم (١٧١٨) واحمد في المسند (٦ / ٧٣ ، ٢٤٠ ، ٢٧٠) وأبو داود رقم (

٤٦٠٦) وابن ماجه (١٤) وابن حبان (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) صحيح البخاري رقم (٥٠٦٣) الفتح (٩ / ١٠٤) صحيح مسلم (٢ / ١٠٢٠) رقم (١٤٠١) ، والنسائي في سنته ، كتاب النكاح باب (٤) ،

واحمد في المسند (١٥٨/٢) (٣ / ٢٤١ ، ٢٥٩) ، (٥ / ٤٠٩) والدرامي في سنته (٢ / ١٣٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٧٧) وابن خزيمة في

صحيحه (١٩٧) .

(٤) الخلق : هو المر السريع بحركة مضطربة .

(٥) صحيح البخاري (٨ / ١٤٨ ، ١٥٠) ، (٩ / ٥٨) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ح رقم (٢٦ ، ٢٥ ، ٣٢) ، واحمد في المسند (١ / ٢٥٧ ، ٣٨٤ ،

٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥) (٢ / ٤٠٨) ، (٤ / ٣١١ ، ٣٥١) ، (٥ / ٤١) .

المبحث الثاني

الفرق بين السنة والبدعة

يعقد السيوطي فصلاً للتفريق بين السنة والبدعة فيقول : " اعلم رحمك الله تعالى أن السنة في اللغة: الطريق ، ولأريب في أن أهل النقل والأثر ، المتبعين آثار رسول الله ﷺ — وآثار الصحابة هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ — وأصحابه .

والبدعة : عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة ، أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان "(١).

وقد مضى معنا تعريف البدعة وأقوال العلماء فيها ، والسيوطي في تعريفه البدعة موافق لما نقلناه عن الشافعي — رحمه الله تعالى — وهو — أعني السيوطي — قد نقل كلام الشافعي ويتضح من ذلك أنه يذهب إلى التعريف الأول الموسع في مدلول البدعة ، ولذلك رأيته يقسمها إلى حسنة ومذمومة ، وقد رجحت فيما سبق رأي الإمام الشاطبي في أن البدعة لم تذكر في كلام النبي ﷺ — إلا مذمومة ، ولذلك فإن تقسيمها إلى حسنة وسيئة رأي مرجوح "(٢)

أما السنة فقد ذكر السيوطي تعريفها اللغوي ولم يذكر تعريفها الشرعي ، وإنما أعقب التعريف اللغوي ببيان من هم أهل السنة .

أما تعريف السنة في الشرع:

فهو يختلف باختلاف المباحث التي تناولتها ، والفنون التي أوردت تعريفها :

- ١- فالأصوليون : يطلقون السنة على ما صدر عن النبي ﷺ — من قول أو فعل أو تقرير "(٣)، وبعضهم يدخل فيها ما هم به الرسول ﷺ — أو أشار إليه "(٤) وإن لم يتواتر عند الجمهور "(٥)، ويخصون ذلك بغير القرآن الكريم ، وقد يدخل فيها بعضهم سنة الخلفاء الراشدين — رضي الله عنهم — ويدخل فيها بعضهم سنة الصحابة .
- ٢- والمحدثون : يعرفونها بأنها : ما أضيف إلى النبي ﷺ — من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية ، وما يتصل بالرسالة من أحواله الشريفة قبل البعثة ونحو ذلك "(٦).
- ٣- وللفقهاء عدة تعريفات للسنة ، أرى أشملها وأوضحها ما قاله : أبو الحسنات اللكنوي : " ما في فعله ثواب ، وفي تركه عتاب لاعتقابه".

وقد احترز بقوله : " في تركه عتاب " عن الفعل الذي فعله ثواب وليس في تركه عتاب ولا عقاب .

وبقوله : " ولا عقاب " عن الفرض الواجب "(٧) ، والمراد بالعتاب الملازمة ونحوها وبالعقاب النار .

وفي مجال بحثنا هذا — تطلق السنة على ما يقابل البدعة ، استناداً إلى المقابلة بينهما في عدة أحاديث منها حديث العرياض بن سارية — رضي الله عنه — وفيه " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين " في مقابلة " وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ... الحديث "(٨).

(١) الأمر بالإتيان والنهي عن الإبتداع (٢٤)

(٢) انظر : المبحث السابق

(٣) عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري المشهور بحر العلوم : فواتح الرحموت شرح مسلم النبو (٩٧/٢) ، وانظر : د، مصطفى السباعي :

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٤٧)

(٤) جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي : نهاية السؤل شرح منهاج الأصول (٦١٨/٣) ت ، محمد نجيت ، وانظر : فتح الباري (٣/

١٧).

(٥) انظر : شرح الورقات بما مش تنقيح الفصول (ص ١٠٤)

(٦) انظر : الشيخ محمد محمد أبو زهو : الحديث والمحدثون (ص ١٠) ، قواعد التحديث (ص ٣٥-٣٨) ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٤٨).

(٧) أبو الحسنات محمد عبد العلي بن محمد عبد الحليم بن محمد أمين اللكنوي تحفة الأخيار في أحياء سنة سيد الأبرار (ص ٩) ط: المصطفائي — الهند.

(٨) سبق تخريجه ، وقد صححه الترمذي (١٥٠/٤)

وحديث: "من احيا سنة من سنني قد اميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها من الناس"، لا ينقص من اجور الناس شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله فإن عليه مثل اثم من عمل بها من الناس لا ينقص من آثام الناس شيئا^(١) والشاهد منه قوله "من احيا سنة" "ومن ابتدع بدعة.." ونحو ذلك من الأحاديث، فيقال فلان صاحب سنة إذا كان عمله دائما على وفق ما عمل النبي ﷺ — سواء كان ذلك مما نص عليه الكتاب العزيز، او كان مما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة، وفلان صاحب بدعة: إن كان على خلاف ذلك، وعلى ذلك تشمل السنة كل ما تشتمل عليه الشريعة من قرآن وغيره مما ورد عنه ﷺ — وقد تشمل ما استند إلى الشريعة عن طريق اقرته كاجتهاد صحيح. يقول الشيخ خضر حسين: "وتطلق — أي السنة — على ما يقابل البدعة، فيراد بها ما وافق القرآن او حديث النبي ﷺ — من قول او فعل أو تقرير، وسواء كانت دلالة القرآن أو الحديث على طلب الفعل مباشرة أو بوسيلة القواعد المأخوذة منهما، وينتظم في هذا السلك عمل الخلفاء الراشدين، والصحابة الأكرمين للثقة بأنهم لا يعملون إلا على بينة من امر دينهم"^(٢) وعلى هذا يمكن ان يقال بما قاله الإمام ابن حزم — رحمه الله: "السنة هي الشريعة نفسها، واقسامها في الشريعة فرض أو نهي أو إباحة أو كراهة أو تحريم، كل ذلك قد سنه الرسول ﷺ — عن الله عز وجل"^(٣)، وهذا تقسيم عجيب من ابي محمد بن حزم — رحمه الله — فإنني — على حد علمي القاصر — لم أجد من قال إن هناك سنة مكروهة، او سنة محرمة، فلم يستعمل لفظ السنة على اطلاق إلا فيما هو ممدوح عملا واعتقادا، فيقال: أهل السنة، ولا يقال: أهل السنة المفروضة أو المندوبة، أو المباحة، ويقال ايضا: هذا رجل صاحب سنة، إذا كان ممدوح السيرة في القول والعمل والإعتقاد، فهذا شيء.

والشيء الآخر انه على كلام ابن حزم — رحمه الله — يمكننا ان نقول ان الخوارج والشيعة والمعتزلة أهل سنة مكروهة أو محرمة، وهذا لم يقله احد من الإمامة — على ما أعلم — بل يقال عنهم: أهل البدع والأهواء. والشيء الثالث: ان المكروه والمحرم يدخل في باب المعاصي لا في باب السنن ولا في باب البدع. والذي يظهر لي — والله تعالى اعلم — أن كلام ابن حزم لا يستقيم في معنى السنة إلا في المعنى اللغوي العام الذي هو مطلق الطريقة ممدوحة كانت او مذمومة، ونكون بذلك قد عدنا من حيث بدأنا، ولم نجن من وراء تعريف ابن حزم ثمة استفاد منها.

ولكنني اقول: أنه على ضوء ماسبق من كلام العلماء والأئمة يمكن استنباط معنى السنة بأنها: قول النبي ﷺ — وفعله وتقريره وتركه.

وان التمسك بالسنة: هو متابعة النبي ﷺ — في قوله وفعله وتقريره وتركه ما لم يقد دليل على خصوصيته ﷺ — بشيء من ذلك دون زيادة.

فقوله — ﷺ — سنة، سواء كان في الصلوات أو الأذكار أو الأدعية ونحوها، ومتابعته فيها التمسك بنصها ولفظها من غير تعمد زيادة عليها فتعمد الزيادة على الأذكار والأدعية بأوراد يلتزمها العبد صباحا ومساء يضاهاى بها أدعية المصطفى ﷺ — والمداومة عليها باعتبارها دين يقرب إلى الله تعالى، كما يفعل ذلك اصحاب الطرق الصوفية المختلفة فيؤلف شيخ الطريقة حزبا او وردا من الأدعية المليئة بالغلو في النبي — صلى الله عليه وسلم — أو الغلو في مشايخهم فهذه هي البدع، وذلك لأنها زيادة على المشروع بغير دليل.

وفعله — صلى الله عليه وسلم — كذلك، فصلاته وصيامه، وحجه واعتمازه واكله، وشربه، وركوبه ومشيه، ووضوؤه وغسله، ونحو ذلك من الأفعال هي سنته وطريقته، والتمسك بها من غير زيادة متعمدة هو متابعة السنة، فمن تعمد الزيادة بقصد القربة على ما هو مشروع فقد اعتدى وابتدع.

(١) سنن ابن ماجه (٧٦/١)

(٢) رسائل الإصلاح (٨٣/٣ — ٨٤) ط القدس (١٣٥٨هـ — ١٩٩٣ م) .

(٣) الإحكام في اصول الإحكام (٤٣/١) .

وكذلك تركه — ﷺ — إذا ترك امرأ فلم يفعله مع توفر الداعي وعدم المانع ، وذلك كتركه الإحتفال بمولده ، وتركه الإحتفال بليلة النصف من شعبان ، وتركه الإحتفال بالإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب ، كل هذا تركه سنة لأنه — ﷺ — تركه مع توفر الداعي والمقتضي وهو تحصيل الثواب والقرب من الله عز وجل وزيادة الأجر ورفع الدرجات ، ولم يوجد سبب مانع يمنع من ذلك ، فكان الترك هو السنة ، والفعل هو البدعة ، ولا يقال : إنه — ﷺ — لم يفعل ذلك ولا الصحابة — رضي الله عنهم — لأنهم كانوا منشغلين بالدعوة والجهاد ، لا يقال ذلك لأنه — ﷺ — واصحابه مع قيامهم بالدعوة والجهاد في سبيل الله على اتم واكمل وجه ، ومع ذلك كانوا يحتفلون بعيد الفطر ، وعيد الأضحى ويفرحون بمناسبتهم ويتوسعون فيهما بالخير والنفقات وغير ذلك من مظاهر الإحتفال في ذينك اليومين فدل ذلك على سنة الإحتفال بالعيدين ، وسنة ترك الإحتفال بما سواهما مما ذكرنا قبلهما .

أما الفعل والترك اللذين يظهر فيهما دليل على الخصوصية له — ﷺ — فإنهما ليسا بسنة في حق الأمة وذلك كصيام الوصال ، وجمعه بين أكثر من أربع زوجات وتركه أكل الضب مع إقراره خالد بن الوليد في أكله ، وكذلك امتناعه عن أكل الثوم والبصل — ﷺ — وعلل ذلك بأنه يناجي الملائكة ، ونحو ذلك فهو خصوصية له — ﷺ — .

فإذا فعل العبد فعله ، وقال بقوله ، وترك ما ترك ، من غير زيادة يضاهي بها الشرعية فهو المتبع للسنة .

المبحث الثالث

اقسام البدع عند السيوطي

تقدم معنا ان السيوطي يقسم البدعة إلى حسنة وقيحة وبيننا الراجح في هذا التقسيم .

ثم يقسم السيوطي البدع القبيحة إلى قسمين :

الأول: بدع في العقائد تؤدي إلى الضلال والخسران.

الثاني: بدع في الأفعال .

ثم يقول السيوطي : "ولسنا نحن هنا بصدد بيانها — يعني القسم الأول — ولكن من لزوم السنة والجماعة — ، واعرض عن اصول هذه البدع وفروعها كان في الفرقة الناجية بفضل الله تعالى" ^(١).

ثم يقسم السيوطي القسم الثاني إلى قسمين :

١- قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة محدثة ، إما محرمة وإما مكروهة .

٢- وقسم يظنه معظمهم عبادات ، وقربات ، وطاعات ^(٢).

ثم يأخذ السيوطي في بيان كلا القسمين الأخيرين.

القسم الأول

ما يعرف العامة والخاصة أنه بدعة محدثة إما محرمة وإما مكروهة

١- **النظر إلى النساء الأجانب والخلو بهن وسماع كلامهن :**

وذكر السيوطي ان هذا مما وقع فيه طائفة " من جهال العوام النابذين لشريعة الإسلام ، التاركين الإقتداء بأئمة الدين ، وهوما يفعل طائفة من المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخاة النسوان الأجانب والخلو بهن ، وهذا حرام بإتفاق المسلمين ، ومستحل هذا كافر ، وفاعله على طريق التهاون به عاص ، ضال ، مضل ، مارق من الدين ، ومفارق لجماعة المسلمين ، أبعد الله فاعله ، فإن النظر إلى النساء الأجنبية ، والخلو بهن ، وسماع كلامهن ، حرام على كل بالغ ما خلا ذي الرحم المحرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وليس هذا موضع استقصاء الدليل عليه ، وإنما المراد تبين البدع والتحذير منها ، وليس هذا يخفى على مسلم" ^(٣).

أما النظر إلى الأجنبية ، والخلو بهن فمتفق على تحريمه بين العلماء ، إلا ما كان نظرا من الرجل إلى امرأة بقصد خطبتها فالنظر هو رائد الشهوة ورسولها ، وحفظه أصل حفظ الفرج ، فمن اطلق نظره أورد نفسه موارد الهلاك ، ولا جرم امر ربنا جل وعلا بغض البصر عن النظر إلى النساء الأجنبية ، قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خير بما يصنعون) ^(٤) فغض البصر وسيلة لحفظ الفرج ، كما أن اطلاق النظر وسيلة للوقوع في معصية الزنى.

ورد عن جابر بن عبد الله البجلي — رضي الله عنه — أنه قال : سألت النبي — صلى الله عليه وسلم — عن نظرة الفجاءة فأمرني بأن أصرف بصري ^(٥). وقال — رضي الله عنه — لعلي بن أبي طالب — رضي الله عنه — "يا علي لاتتبع النظرة النظرة ، فإنما لك الأولى وليست لك الثانية" ^(٦) وقال — رضي الله عنه — : "النظرة سهم مسموم من سهام إبليس" ^(٧) ، وقال — رضي الله عنه — "غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم" ^(٨) ، وقال

(١) الأمر بالإتباع (ص ٢٨)

(٢) المصدر السابق

(٣) الأمر بالإتباع (ص ٢٩)

(٤) سورة النور ، الآية (٣٠)

(٥) صحيح مسلم (٣/١٦٩٩-١٧٠٠) ح رقم (٢١٥٩)

ايضا: "إياكم والجلوس على الطرقات" قالوا: يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله — ﷺ — "إن أبيستم فأعطوا الطريق حقه"، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" (٤).

فالنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد الخطرة، والخطرة تولد الفكرة، والفكرة تولد الشهوة ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع مانع، ولذلك كان الصبر على غض البصر ايسر من الصبر على ألم ما بعده قال القائل:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر
يسر مقلته ماضر مهجته لامرحبا بسرور عاد بالضرر (٥)

والأحاديث والآثار كثيرة في الترهيب من النظر إلى النساء وهي مجموعها تدل على تحريم النظر إليهن، وأن فاعله آثم. وأما الخلوة بالأجنبيات فهو كذلك من الأمور المنهي عنها كما قال السيوطي، فقد ورد عن النبي — ﷺ — قوله: "إياكم والدخول على النساء" فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمى؟ قال: "الحمى الموت" (٦).

وقال — صلى الله عليه وسلم — أيضا: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" (٧). فهذه الأمور كما قال السيوطي "حرام بإتفاق المسلمين" (٨)، لكنه — رحمه الله تعالى — هول هويلا شديدا في الحكم على مرتكب هذه الأفعال كما ذكرته عنه حيث قال: "وفاعله على طريق التهاون بما عاص، ضال، مضل، مارق من الدين، مفارق لجماعة المسلمين أبعد الله فاعله..." (٩).

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٧٧٧) وابو داود (٢١٤٩) وأحمد في المسند (٣٥١/٥، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٨) والحاكم (١٩٤/٢) وصححه، ووافقه الذهبي، من طريق شريك عن أبي ربيعة عن أبي بريدة عن أبيه رفعه، قال الترمذي "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك"، وله شواهد من حديث على أخرجه الدارمي (٢٩٨/٢) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن سلم بن أبي الطفيل عن علي.

(٢) أخرجه الحاكم (٣١٤/٤) والقضاعي في مسند الشهاب (١٩٥/١) من طريق محارب بن دثار عن صلة بن زفر عن حذيفة، قال الحاكم: صحيح وتعقبه الذهبي بقوله: إسحاق بن عبد الواحد، وعبد الرحمن الواسطي ضعفوه، وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه القضاعي (١٩٦/١) وعزاه الهيثمي في المجمع (٦٣/٨) للطبراني، وقال فيه عبد الله بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف وله شاهد من حديث ابن مسعود أخرجه الطبراني (١٠٣٦٢) من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٣/٥)، والحاكم (٣٥٨/٤-٣٥٩) من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عبادة بن الصامت بلفظ: "اضمنوا لي ستا من أنفسكم اضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: فيه إرسال، المطلب بن عبد الله لم يسمع من عبادة، وعزاه الهيثمي في المجمع (٢١٨/٤) للطبراني وقال: ورجاله ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة.

(٤) صحيح البخاري رقم (٦٢٢٩) الفتح (٨/١١) وصحيح مسلم (١٦٧٥/٣) ح رقم (٢١٢١)، (١٧٠٤/٤) وأحمد في المسند (٣٦/٣-٦١) من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه.

(٥) انظر: ابن القيم: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٢٢٣ — ٢٢٤) ت: أبي حذيفة عبيد الله بن عالية — دار الكتاب العربي ط ٤/ ١٤١٥هـ — ١٩٩٢م.

(٦) الحمى: قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه.

(٧) صحيح البخاري رقم (٥٢٣٢) الفتح (٣٣٠/٩)، صحيح مسلم (١٧١١/٤) رقم (٢١٧٢)، والترمذي — كتاب الرضاع —، باب (١٦) والدارمي — كتاب الإستئذان —، باب (١٤)، وأحمد في المسند (١٤٩/٤، ١٥٣)، (٣٣٩/٣).

(٨) صحيح البخاري رقم (٥٢٣٣) الفتح (٣٣٠/٩)، صحيح مسلم (٩٧٨/٢) رقم (١٣٤١)، وأحمد (٢٢٢/١)، (٣٣٩/٣).

(٩) الأمر بالإتيان (ص ٢٩).

(١٠) المصدر السابق.

فقوله : ضال، مضل ، مارق من الدين ، مفارق لجماعة المسلمين ، أحكام شديدة لاتليق إلا بأصحاب البدع الكبار كالخوارج والمعتزلة ونحوهم ، أما الذي ينظر إلى النساء فهوبلاشك عاص وكان يكفيه ان يقول : هو عاص لله ، آثم ، مرتكب للحرام ، معرض نفسه للعقوبة إن لم يتب إلى الله ، ونحو ذلك ، وهذا ليس قهرينا من هذه المعصية ، وإنما ينبغي للعالم ان يكون منضبطا بضوابط الأحكام الشرعية ، ولا يلقي الأحكام جزافا .

٢- معاشرة الأحداث:

قال السيوطي : " ومن ذلك معاشرة الأحداث ، وقد كان السلف يبالغون في الإعراض عن المرد^(١) وصحبة الأحداث اقوى حبال الشيطان"^(٢) .

ثم نقل أقوالا عن جمع من السلف في التحذير من ذلك وكل مانقله من هذه الأقوال ذكره ابن الجوزي — رحمه الله تعالى — في كتاب "تلبس ابليس"^(٣) ، وفي كتاب " ذم الهوى" ..

ثم قال السيوطي : " واعلم ان كل من فاته العلم تحبط ، فإن حصل له العلم وفاته العمل كان أشد تحبطا ، ومن استعمل أدب الشرع مثل قوله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)^(٤) فمضى غض بصره في البداية سلم مما يصعب عليه أمره في النهاية ، فقد ورد النهي عن مجالسة المردان ، وأوصى العلماء بذلك ، فلا يغتر مغتر فيكون العطب عليه أسرع والهلاك أقرب من حاجبيه إلى عينيه"^(٥) .

٣- السماع والرقص والوجد:

يقول السيوطي : " وفاعل ذلك ساقط المروءة ، مردود الشهادة ، عاص لله ورسوله"^(٦) .

ثم اورد السيوطي مجموعة من الأدلة تدل على ذم الغناء والتحذير منه ، فمن ذلك:

١- قوله تعالى : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ..)^(٧) وفسر ابن مسعود لهو الحديث بأنه

الغناء^(٨) وحلف على ذلك بقوله : " والله الذي لا إله إلا هو " ثلاث مرات ، وهو قول ابن عباس وعكرمة ، ومجاهد والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومكحول ، وعمرو بن شعيب ، وعلي بن بزيمة^(٩) .

٢- وقوله تعالى : " أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ، وانتم سامدون (١٠) .

قال ابن عباس : "الغناء"^(١١) .

(١) المرد : نقاء الخدين من الشعر ، ونقاء الغصن من الوق ، والأمرد : الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطر شاربه ولم تبد لحيته ، والمرد جمع ، لسان

العرب (٤٠١/٣)

(٢) الأمر بالإتياع (ص ٢٩)

(٣) انظر : (ص ٢٦٤ — ٢٧٧) ، وانظر : ابن القيم : إغائة اللفهان (١٢٦/٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨)

(٤) سورة النور ، بعض الآية (٣٠)

(٥) الأمر بالإتياع (ص ٣١)

(٦) الأمر بالإتياع (ص ٣٢)

(٧) سورة لقمان ، بعض الآية (٦)

(٨) انظر : ابن جرير : جامع البيان (٦١/١١) ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣٣٣/٦-٣٣٤) والسيوطي : الدر المنثور (٥٠٤/٦-٥٠٦) ،

وهذا أحد الأقوال في تفسير الآية ، قال ابن جرير : "وأما الحديث فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم ، هو الغناء والاستماع له .. وقال آخرون : عني باللهو الطبل .. وقال آخرون : عني بلهوا الحديث : الشرك .. والصواب من القول في ذلك أن يقال : عني به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله ، مما غيى الله عن استماعه أو رسوله ، لأن الله تعالى عم بقوله : " هو الحديث " ولم يخص بعضا دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك .

(٩) انظر : تفسير ابن كثير (٣٣٤/٦) .

(١٠) سورة النجم الآيات (٦١/٥٩)

(١١) تفسير ابن جرير (٨٢/٢٧)

وقال مجاهد : " يقول أهل اليمن : سمى فلان إذا غنى " (١).

وقد فسر السمود أيضا باللهو، وفسر السمود في الناس : بالغفلة والسهو ، قال ابن الأعرابي : "السامد : اللاهي ، والسامد : القائم ، والسامد : المتحير بطرا وأشرا ، والسامد : الغي" (٢) وقال ابن الأثير : " السامد : المنتصب إذا كان رافعا رأسه ناصبا صدره .. وسمى سمودا : رفع رأسه تكبرا، وكل رافع رأسه فهو سامد " (٣).

فالسمود يجمع هذه المعاني ، ومن معانيه الغناء ، والغناء يدخل في اللهو واللغو ، والسهو والغفلة .

٣- وقوله تعالى : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك ..) (٤).

قال مجاهد : " هو الغناء والمزامير " (٥) وهو قول الحسن البصري — رحمه الله — (٦)

وهذه الأدلة التي ذكرها السيوطي وغيرها تدل على قبح الغناء وذمه ، والعلماء إزاء هذه الأدلة على ثلاثة أقوال في الغناء.

١- منهم من حرمه .

٢- منهم من أباحه من غير كراهة.

٣- ومنهم من كرهه مع الإباحة .

حكى هذه الأقوال الثلاثة الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في "تلبيس إبليس" (٧)

وذهب ابن القيم رحمه الله تعالى إلى تحريمه (٨)، وصرح السيوطي بتحريمه لكن قيده بأوصاف إذا تحققت فيه كان محرما كما قال — رحمه الله — فقد قال : " واعلم وفقك الله لطاعته أن الأشعار التي ينشدها المغنون اليوم يصفون فيها المستحسنات والخمر ، والقدر والعين وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ، ويثير كامنها من حيث اللهو وهو حرام " (٩).

لكن قوله " يصفون فيها المستحسنات " ليس قييدا أو شرطا يكون سببا في التحريم ، بمجرده ، فوصف المستحسنات مما خلقه الله تعالى في الطبيعة من الخضرة والشمس والنسائم العليقة أوقات السحر ، ، والنعم التي امتن الله تعالى بها على عباده من المياه العذبة والفواكه والدواب كالظباء والقطا ونحو ذلك ليس فيه ما يدعو إلى التحريم لمجرد كونها من المستحسنات إلا إذا كان قصد السيوطي لهذه المستحسنات ، المستحسنات من أوصاف النساء والفتيات والغانيات ، ووصف أعضائهن ، بما يثير الشهوة ويحرك الغرائز ، ويجريء العامة على الفاحشة.

كقول من قال :

لم تبق زاوية يجسم جسم ————— إلا وقد مرت به عرباتي

لم يبق نهد أبيض أو أحمر ————— إلا وقد زرعت به ربابتي

(١) انظر لسان العرب : " (٢١٩/٢) ، وابن جرير (٨٢/٢٧) ، وتفسير ابن كثير (٤٤٣/٧) ، والدر المنثور (٦٦٧/٢٧)

(٢) لسان العرب (٢١٩/٣) ،

(٣) لسان العرب (٢١٩/٣)

(٤) سور الإسراء ، بعض الآية (٦٤)

(٥) الأمر بالإتيان (٣٢) ، وتفسير ابن جرير (١١٨/١٥) ، وتفسير ابن كثير (٩١/٥) ، وانظر ابن القيم : إغاثة اللهفان (٢٥٥/١ — ٢٥٦) ، وابن

الجوزي "تلبيس إبليس" (ص ٢٢٨) ، (ص ٢٣٢) ، الدر المنثور (٣١٢/١٥) قال ابن جرير : " اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جل ثناؤه بقوله : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) فقال بعضهم : عنى به صوت الغناء واللعب .. وقال آخرون : عنى به (واستفزز من استطعت منهم) بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله .. وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس : واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ، ولم يخصص صوتا دون صوت فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته وخلافا للدعاء إلى طاعة الله فهو

داخل في معنى صوته " ، تفسير ابن جرير (١١٨/١٥)

(٦) انظر : ابن القيم : إغاثة اللهفان (٢٥٦/١)

(٧) انظر : (ص ٢٢٣).

(٨) انظر : إغاثة اللهفان (٢٢٤/١ — ٢٦٨)

(٩) الأمر بالإتيان (ص ٣٣)

فصلت من جسد النساء عباءة وبنيت اهراما من الحلمات ^(١)

فهذا قول خبيث يوحى للعامة وأشباه العامة — ممن لم يؤته الله تعالى حظا من العلم الشرعي الذي يعضده تقوى الله تعالى والخشية من عقابه — يوحى هؤلاء بالجرأة على محارم الله تعالى سيما إن كان قائله من الذين نالوا حظا من الشهرة بين أوساط العامة والمتقفين ، واصبح يشار إليه بالبنان وتنشر أشعاره الساقطة في بعض المطبوعات السيارة.

وكقول القائل :

فأشهد عند الله أني أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرًا لأعد الليالي
أراني إذا صليت يمت نحوها بوجهي وإن كان المصلي ورائي ^(٢)

فهذا في غاية السفه والضلال، وإن وقع مثله في الغناء فهو حرام قطعاً لأنه جعل قبلته معشوقته.

ومثله كذلك من جعل مكان محبوبته كعبة يطوف حولها في قوله السمع:

هذه الكعبة كنا طائف فيها والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء ^(٣)

فهذا ساجد وعابد لغير الله جل وعلا ، وإن كان يعتذر عنه بأنه لا يقصد الإشراك بالله ، ولكنه قبيح المعنى سعى اللفظ.

وكقول القائل:

فلما أن خلا المغني وبتنا عراة بالعفاف مؤزرين
قضينا الحج ضموا واستلاما ولم نشعر بما في المشعرين ^(٤)

فانظر إلى جرأته على ارتكاب الحرام وتزيينه لغيره ، واقراره الإثم في المشاعر المقدسة.

فهذا ونحوه من الأشعار والغناء يشتمل على حكاية الفسق والمجون والخلوة بالخرمات والفواحش ، مع ما يضاف إليه من مدح الخمر والسكر والخلاعة لاشك في تحريمه ، وتشدد حرمة إذا غناه امرأة أو مخنث.

أما ذكر المحاسن الخلقية التي تدعو إلى التعفف والتصون ، والخوف من الله تعالى فليس بمنكر ولا محرم ، فقد أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة "بانت سعاد" بين يدي النبي — صلى عليه وسلم — وكان مطلعها غزل ووقوف على الأطلال ، ولم ينكر عليه رسول الله — ﷺ — وكان في مطلع القصيدة ذكر لمحاسن المحبوبة ووصف لها ولكن بما ليس فيه إسفاف ولا خدش للحياء والعفاف . قال كعب بن زهير — رضي الله عنه — :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وماسعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة لا يشتكي قصر منها ولا طول
تجلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

فهذا وصف كعب بن زهير — عليه السلام — لمحبوته ، وقيل زوجته سعاد وابنة عمه ، خصها بالذكر لطول غيبته عنها لهروبه من النبي — ﷺ — بعد ما أهدر النبي — ﷺ — دمه يوم الفتح الأعظم ^(٥)

ومن ذلك ايضا قول القائل :

(١) هو من شعر " نزار قباني " نقلا عن : حقائق وأكاذيب في حياة المرأة المسلمة (ص ٢٦) لمؤلفته : الزهراء فاطمة بنت عبد الله — مكتبة السنة ط ٣/

١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م القاهرة

(٢) من قصيدة المونسة لقيس بن الملوح : أنظر أبو الفرج الأصفهاني : نجنون بني عامر أخباره وشعره ، مكتبة صادر بيروت ص ١٠٢ — ١٠٣.

(٣) من ديوان ابراهيم ناجي (ص ١٣) دار العودة — بيروت ١٩٨٨ م .

(٤) من قصيدة لصفي الدين الحلي ، انظر ديوانه (ص ٣٩٣) دار صادر — بيروت.

(٥) خبر كعب بن زهير وقصيدته في سيرة ابن هشام (٥٠٢/٢-٥١٥) وفي زاد المعاد لابن القيم (٤٥٧/٣).

أضحى التناهي بديلا عن تدانينا وطاب عن طيب لقيانا تجافينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهمو حزنا مع الدهر لايلى ويسلينا
إن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقرهمو قد عاد ييـكنا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحننا شوقا إليكم ولاجفت مآقينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء بكم في موقف الحشر نلقاكم ويكفيننا^(١)

فنحو هذا كيف يقال إنه داخل ضمن المحرمات؟

قال ابو الفرج ابن الجوزي — رحمه الله — بعدما حكى مذاهب الناس في الغناء : " وفصل الخطاب أن نقول ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم نطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك ، والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيح في الطرقات، فإن أقواما من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون في الطرقات أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال ، وفي معنى هؤلاء الغزاة فإنهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو ، وفي معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال .. وفي معنى هذا أشعار الحداة .. وقد روينا عن الشافعي — رحمه الله — أنه قال : أما استماع الحداة ونشيد الأعراب فلا بأس به .. ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة كقول بعضهم :

ياغاديا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا

وكم إلى كم لاتخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا

ياعجبا منك وأنت مبصر كيف تجنب الطريق الواضحا^(٢)

ثم نقل ابن الجوزي بعد ذلك أقوال أئمة المذاهب في الغناء ، ولم اجد فيما نقله رحمه الله من صرح بتحريم الغناء ، وإنما أقوالهم تدور حول الكراهة والنهي عنه ، وزجر فاعله ونحو ذلك .

- ١- أما أبو حنيفة فكان يكره الغناء^(٣) ، وكذلك ابراهيم والشعبي وحماد وسفيان الثوري وغيرهم ، ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه إلا ماروى عن عبيدالله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأسا^(٤) .
- ٢- وأما مالك فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه ، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده فإنه كان لا يرى به بأسا .^(٥)

٣- وأما الشافعي : فقال : الغناء هو مكروه يشبه الباطل ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته^(٦) .

٤- و احمد : فروى عنه ابنه عبدالله انه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لايعجبي ، وسئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، فقيل له إنه يرقق القلب ، فقال هو بدعة ، وقال المروزي : سألت أبا عبدالله عن القصائد ، فقال : بدعة ، فقلت له : إنهم يهجرون ؟ فقال : لايلغ بهم هذا كله^(٧) أي لا يصل الأمر إلى حد هجرانهم بسبب ذلك .

ثم يقول ابن الجوزي : " فهذه الروايات كلها دليل كراهية الغناء "^(٨) .

(١) من قصيدة لابن زيدون الأندلسي ، المتوفي (٤٦٣هـ) انظر ديوانه (ص ١١) ت : كرم البستاني ، دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م .

(٢) تلبيس إبليس (ص ٢٢٢-٢٢٦)

(٣) نفسه (ص ٢٢٩) ، وانظر الأمر بالإتياع (ص ٣٥)

(٤) تلبيس إبليس (ص ٢٢٩)

(٥) نفسه ، وانظر : الأمر بالإتياع (ص ٣٥)

(٦) تلبيس إبليس (ص ٣٣٠) وانظر : الأمر بالإتياع (ص ٣٥)

(٧) تلبيس إبليس (ص ٢٢٨) ، الأمر بالإتياع (ص ٣٤)

(٨) نفسه .

ففي هذه الأقوال كلها من أئمة المذاهب الأربعة الحكم عليه بالكراهة لا بالتحريم ، إلا أن الأمر كما قلت سابقا : إن الغناء إذا كان مما يدعو إلى الفاحشة والمجون ، أو يزين شرب الخمر والسكر ، فهو حرام ، ويشتمل تحريمه إذا كان بصوت امرأة فاتنة الصوت ، أو بصوت مخنث يدعو للفتنة .

٥- التبرك بمواضع مخصوصة والنذر لها ، والدعاء عندها:

قال السيوطي : " ومن البدع ما قد عم الابتلاء به تزيين الشيطان للعامة ، تخليق الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد ، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بما ليس عليهم فيفعلون ذلك ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون بذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء وقضاء الحوائج بالنذر لها ، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط ، وطاقة وعامود^(١) " .

" وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتنويرها أو شمعا ويقول : إنما تقبل النذر — كما يقول بعض الضالين ، أو ينذر ذلك لقبر أي قبر كان ، فإن هذا نذر معصية باتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به " ^(٢)

وهذا الذي ذكره السيوطي من البدع المنكرة التي انتشرت في كثير من بلاد المسلمين ، وكلها بدع محرمة ، وهي ذريعة إلى الشرك الأكبر بسبب تعلق بعض الناس بغير الله عز وجل ، بالتماس البركة منها والدعاء عندها حتى يصل بهم الحال إلى وقوعهم في الشرك الأكبر بدعاء غير الله والتضرع إليه ، وتقديم الذبائح والقرابين ونحو ذلك من الأعمال الشركية التي تقدح في عقيدة هؤلاء .

قال السيوطي : " وما أشبه ذلك بذات أنواط " ^(٣) وصدق — رحمه الله — و" أنواط " جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط ، و" ذات أنواط " شجرة خضراء عظيمة لقريش ، وقيل شجرة سدر كانوا يأتونها كل سنة ، فيعلقون عليها أسلحتهم ويعلقون عندها دوابهم ، ويذبحون لها ، فهذا — كما قال السيوطي — شبيه بعبادة الأوثان ، وهو ذريعة إليها ، وقد وردت قصة ذات أنواط في حديث أبي واقد الليثي — رضي الله عنه — قال : خرجنا من مكة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى حنين ، قال : وكان للكفار سدرية يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، قال فمررنا بسدرية خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال : قلتم ، والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) ^(٤) ، إنما السنن لتركبن سنن من كان قبلكم " ^(٥) .

فقد أخبر النبي — صلى الله عليه وسلم — أن هذا الأمر الذي طلبوه منه وهو اتخاذ شجرة يعلقون بها أسلحتهم تبركا ، كالأمر الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى — عليه السلام — حيث قالوا : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة عليها ، والعكوف عندها اتخاذ إله مع الله — جل وعلا — مع أنهم لا يعبدونها ، ولا يسألونها ، فما لظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات ، والإستغاثة بهم والذبح والنذر لهم ، والطواف بقبورهم ، وتقبيلها ، وتقبيل أعتابها وجدرانها والتمسح بها ، والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها ؟ وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركا ؟ .

(١) الأمر بالإتياع (ص ٣٧، ٣٦)

(٢) الأمر بالإتياع (ص ٣٦، ٣٧)

(٣) السابق

(٤) سورة الأعراف ، بعض الآية (١٣٨) ، الآية (١٣٩)

(٥) حديث صحيح رواد ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٨٥/٤-٨٤) والشافعي في بدائع المنن (ص ٢٣) وعبد الرزاق في المصنف رقم (

٢٠٧٦٣) والحميدي (٨٤٨) والطيالسي (١٣٤٦) وأحمد (٢١٨/٥) والترمذي (٢١٨٠) وقال حسن صحيح ، وابن أبي عاصم في " السنة " (

٧٦) وابن جرير (٤٥/٩) ، وابن حبان (١٨٣٥) والطبراني في الكبير (٣٢٩٤، ٣٢٩٠) ، والبيهقي في تفسيره — هامش الخازن (٢٨٠/٢) ، (٢٨١)

والبيهقي في المعرفة (١٠٨/١) عن أبي واقد الليثي بسند صحيح رجاله رجال الشيخين

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: " فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ، ويعظمونها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها"^(١).
وقال أبو شامة — من علماء الشافعية — : " ومن هذا القسم أيضا ما قد عم الابتلاء به من تزوين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكى له حاك أنه رأى في منامه بما أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك"^(٢).

وقد يُحكى عن هذه الأماكن قصص خيالية وأساطير ، يتخيلها بعض المهوسين أو يروجها الشياطين على ألسنة بعض الجاهلين كأن يقال : إن رجلاً دعا عندها فاستجيب له ، أو نذر لها فقصت حاجته ، أو أنه رأى في منامه أحد الصالحين يقول له هذا مكان به سر ، ونحو ذلك وتنسج حولها الأقاويل وتقص الأقايصص ، ويزاد في الحكايات على ما اخترعها عليه صاحبها ، فيتلففها غيره فينمقها ويحسنها ويضيف إليها شيئاً من العبارات المؤثرة ، أو الأشعار حتى تعظم تلك البقاع في أعين الجهال فيعظمونها ويتمسحوا بها ويرتكبوا عندها المنكرات الشركية .

هذه الأماكن والبقاع كثيرة موجودة في أكثر البلاد ، وكما يقول السيوطي فهي بقاع لا ينبغي أن يعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت " فإن تعظيم مكان لم يعظمه الله شر مكان ، وهذه المشاهد الباطلة ، إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله ، وتعظيمها لما لم يعظمه الله ، وعكوفها على أشياء لم تنفع ولم تضر ، وصدا للخلق عن سبيل الله ، وهي عبادته وحده لاشريك له بما شرعه على لسان رسول الله — ﷺ — ، واتخاذها عيداً هو الاجتماع عندها ، واعتياد قصدها ، فإن العيد من المعادة"^(٣).

أما إجابة الدعاء عند هذه الأماكن فقد يكون سببه اضطراب الداعي ، وقد يكون سببه أمراً قضاه الله تعالى لا لأجل الدعاء ، وقد يكون سببه مجرد رحمة الله تعالى ، وقد يكون له أسباب أخرى ، وإن كانت فتنة في حق الداعي ، وقد كان الكفار يدعون فيستجاب لهم ، فيسقون وينصرون ويغافون مع دعائهم عند أوثانهم ، وتوسلهم بما فتنة لهم ، وقد تنطق الشياطين من داخل هذه الأوثان فتترد على عابديها فتنة لهم أيضا .

قال تعالى : (كلا غد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً)^(٤).

٦- بدع القبور:

ذكر السيوطي أن كثيراً من الناس قد ارتكبوا مجموعة من البدع والمحدثات المتعلقة بالقبور ، منها : الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها .

وقال السيوطي: " وقد تواترت النصوص عن النبي — ﷺ — بالنهي عن ذلك ، والتغليظ على فاعله"^(٥).
ثم أورد السيوطي مجموعة من الأحاديث التي تؤيد ما ذهب إليه وهي نفس الأدلة التي يستدل بها علماء أهل السنة على تحذير الأمة من اتخاذ القبور مساجد أو الصلاة إليها أو عليها ، أو البناء فوقها ، من ذلك:

١- قوله — صلى الله عليه وسلم — : " لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج"^(٦)

(١) الأمر بالإتياع (ص ٣٣) ، وانظر : تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٣) .

(٢) الأمر بالإتياع (ص ٣٦) ، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٣) .

(٣) الأمر بالإتياع (ص ٣٩)

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٢٠)

(٥) الأمر بالإتياع (ص ٤٢)

(٦) أخرجه الترمذي (١٥٦/٢ تحفة) وابن ماجه (٤٧٨/١) ، وابن حبان (٧٨٩) والبيهقي (٧٨/٤) والطيالسي (١٧١/١ ترتيبه) واحمد (٣٣٧/٢) وابن

عدي في الكامل (١٦٩٨/٥) ، (٢٤٣٥/٦) ، (٢٥٨٦/٧) وقال الترمذي : " حديث حسن صحيح " وإسناد هذا الحديث رجاله ثقات كلهم غير

أن في عمر بن أبي سلمة كلاماً لعل حديثه لا يترد به عن مرتبة الحسن ، لكن حديثه صحيح لما له من شواهد ، انظر : الألباني : أحكام الجنائز

وبدعها (ص ١٨٥) وانظر السيوطي : الأمر بالإتياع (ص ٤٢) .

وإذا كان النهي قد ورد عن النبي — ﷺ — عن اتخاذ المساجد على القبور ، فكذلك ورد النهي عن إيقاد المصابيح كالسرج والشمع والقناديل في هذه المشاهد ، بلا خلاف للنهي الوارد في ذلك^(١) وقد سبق في الأحاديث الماضية.

والصلاة عند القبور لا تجوز وإن لم يبن عليها مسجد فإن كل موضع يصلي فيه فهو مسجد وإن لم يكن هناك بناء.

٢- لقوله — صلى الله عليه وسلم — : "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها"^(٢)

٣- ولقوله — صلى الله عليه وسلم — : "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا"^(٣) فدل هذا على أن القبور لا يصلي فيها.

قال السيوطي: "واعلم من الفقهاء من اعتقد أن سبب الكراهة في الصلاة في المقبرة، ليس إلا لكونها مظنة النجاسة ، ونجاسة الأرض مانع من الصلاة عليها ، سواء كانت مقبرة أو لم تكن، وليس ذلك كل المقصود بالنهي ، وإنما المقصود الأكبر بالنهي إنما هو مظنة اتخاذها أوثانا"^(٤).

٦ — مشابهة الكفار وموافقتهم في أعيادهم ومواسمهم:

يقول السيوطي: "ومن البدع والمنكرات مشابهة الكفار وموافقتهم في أعيادهم ومواسمهم الملعونة كما يفعل كثير من جهلة المسلمين في مشاركة النصارى وموافقتهم فيما يفعلونه"^(٥).

ثم ذكر السيوطي مجموعة من البدع والمنكرات التي يفعلها بعض جهال المسلمين موافقة منهم للنصارى في بدعهم فمن ذلك:

١- طائفة تجعل على أبواب بيوتهم ودورهم صور الحيات والعقارب والصلبان يزعمون أنها تطرد الهوام عنهم ، يقول

السيوطي: "وإنما تطرد الملائكة"^(٦) فقد صح عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة"^(٧).

٢- ومن ذلك خميس البيض، ويسميه البعض الكبير ، وسمي بخميس البيض لأن الناس فيه يلونون البيض بألوان مختلفة

يلعب به الصبيان فترة ثم يأكلونه ، وهم بهذه المثابة يعتبرونه عيدا للفرح والبهجة ، يقول الشيخ على محفوظ —

رحمه الله — : "فانظر ما يقع من الناس اليوم من العناية بأعيادهم وعاداتهم — يقصد أعياد اليهود والنصارى —

فهم يتركون أعمالهم من الصناعات والتجارات والإشتغال بالعلم في تلك المواسم ويتخذونها أيام فرح وراحة

يوسعون فيها على أهلهم ، ويلبسون أجمل الثياب ، ويصنعون فيها البيض لأولادهم ، كما يصنع أهل الكتاب من

اليهود والنصارى"^(٨).

(١) المصدر السابق

(٢) صحيح مسلم — كتاب الجنائز ح رقم (٩٨، ٩٧) وأبو داود في سننه — كتاب الجنائز ، باب : (٧٣) والترمذي — كتاب الجنائز — باب (٥٧) والنسائي في سننه ، باب (١١) عن القبلة.

(٣) صحيح البخاري (٤٤١، ١١٨/١) ، (٧٦/٢) ، وصحيح مسلم ، صلاة المسافرين (٧٧٧) انظر الفتح (٥٢٩/١)

(٤) الأمر بالإتيان (ص ٤٥)

(٥) الأمر بالإتيان (ص ٤٥)

(٦) الأمر بالإتيان (ص ٤٥)

(٧) صحيح البخاري — رقم (٤٠٠٢) الفتح (٣١٥/٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب (٢٦) رقم (٨٧، ٨٦، ٨٤، ٨٣) والنسائي في

سننه (١٨٥/٧) ، (٢١٢/٨) ، وأحمد في المسند (٢٨/٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤١٠/٥) ، (٢٩٠/٨) ، والطبراني في الكبير (١٤٤/٤) (٩٥/٥)

(٩٦-).

(٨) الإبداع في مضار الإبتداع (ص ٢٧٥) ، وانظر رسالة الأمر بالإتيان (ص ٤٩)

وهذا من اتباع المسلمين سنن اليهود والنصارى الذي اخبر به النبي — صلى الله عليه وسلم — بقوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شرا بشرا، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" (١).

٣- ومن ذلك "مايفعله النساء من اخذ ورق الزيتون والإغتسال بمائه، أو قصد الإغتسال في الحمام في يوم السبت الذي يسمونه "سبت النور"، أو الإنغماس في ماء فإن أصل ذلك ماء المعمودية" (٢) يقول السيوطي: "كل ذلك منكر وبدعة وهو شعار النصارى" (٣).

وعلى العموم فكل عادة أو عيد من أعياد النصارى أو اليهود أو غيرهم من ملل الكفر، أو مناسبة تخصهم، أو احتفال يفعلونه يحرم على كل مسلم مشاركتهم فيه، لأن أديانهم باطلة، وأعمالهم في ضلال وتباب، ومشاركة المسلم لهم في باطلهم اقرار منه لهذا الباطل، ورضي بالمنكر، ومخالفة لأمر الرسول — ﷺ — بمخالفتهم فمشاركتهم مشاهدة لهم في ظاهراعمالهم، وهذا التشابه في الظاهر قد يورث محبتهم في الباطن، ومحبة الكافرين والضالين والمغضوب عليهم على خطر عظيم، فقد قال النبي — صلى الله عليه وسلم —: "المرء مع من أحب" (٤).

لذلك يقول السيوطي: "فموافقتهم في أعيادهم من أسباب سخط الله تعالى لأنه إما محدث، وإما منسوخ، والمسلم لا يقر على واحد منهما، وكما لايجل التشبه بهم في أعيادهم فلا يعان المسلم المتشبه بهم في ذلك، بل ينهى عنه، كما لايجل بيع العنب لمن يعصرها خمرا...واعلم أن مخالفتهم امر مقصود للشارع، لأن الكفر بمنزلة مرض القلب وأشد، ومتى كان القلب مريضا لم يصح من الأعضاء شئ، وإنما الصلاح أن لايشبه القلب في شئ من أمور الكافر لأنها كلها إما فاسدة أو ناقصة" (٥).

ولقد مدح الله تعالى من لم يشهد أعياد هؤلاء الكافرين فقال جل وعلا: (والذين لايشهدون الزور) (٦) قال أبو العالية، وطاوس ومحمد بن سيرين، والضحاك، والربيع بن أنس، ومجاهد: هي أعياد المشركين (٧) ونقله القرطبي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — (٨) وقال ابن سيرين: هو الشعانين (٩) يؤيد هذا ماثبت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال "...من تشبه يقوم فهو منهم" (١٠).

(١) صحيح البخاري — رقم (٧٣٢٠)، الفتح (٣٠٠/١٣)، صحيح مسلم كتاب العلم رقم (٦)، أحمد في المسند (٩٤،٨٩،٨٤/٣).

(٢) الأمر بالاتباع (ص٤٩) والمعمودية: أحد الطقوس الخاصة بالنصارى

(٣) الأمر بالاتباع (ص٤٩)

(٤) صحيح البخاري — رقم (٦١٦٨) الفتح (٥٥٧/١٠)، ورقم (٦١٦٩)، (٦١٧٠) أيضا ومسلم في صحيحه، كتاب البر، رقم (١٦٥)

والسترمذي — كتاب الزهد، باب (٥٠)، كتاب الدعوات، باب (٩٨) والدارمي — كتاب الرقاق، باب (٧١)، وأحمد (٣٩٢/١)، (٣/١٦٧، ١٦٥، ١٥٩، ١١٠، ١٠٤)

(٥) الأمر بالاتباع (ص٥٢)

(٦) سورة الفرقان، بعض الآية (٧٢)

(٧) انظر: الأمر بالاتباع (ص٥٣) تفسر ابن كثير (١٤٠/٦)، والأثر أخرجه ابو بكر الخلال في "جامعة" وأبو الشيخ في "شروط اهل الذمة" قال ابن

تيمية في "منظار اقتضاء الصراط المستقيم" (ص١٨١).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٥٤/١٣)، والأثر أخرجه ابو بكر الخلال في "جامعة" كما في اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٨١)

(٩) انظر: السيوطي: الأمر بالاتباع (ص٥٣) والشعانين: أحد أعياد النصارى.

(١٠) أخرجه أحمد في المسند (٩٢، ٥٠/٢) وسند حسن، وجود اسناده ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٣٩) وصححه الحافظ العراقي في

تخريج الإحياء، وحسنه ابن حجر في الفتح (٩٨/٦) وانظر (٢٧٤/١٠) وابو داود رقم (٤٠٣١) وعلق البخاري طرفا منه في صحيحه (٩٨/٦)

الفتح) وله شاهد مرسل حسن الإسناد، أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة عن النبي صلى الله عليه وسلم (المصنف ٥

/٢١٣، ٣٢٢/ وأورده الهيتمي في "المجمع" (٢٧١/١٠) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: "فيه علي بن غراب، وقد وثقه غير واحد، وضعفه

ففي هذا الحديث دليل تحريم التشبه بالكافرين ، مع ماورد من الأمر بالمخالفة — كما في قوله — ﷺ — "خالفوا المشركين ، ووفروا للحي ، واحفوا الشوارب"^(١) وقال — صلى الله عليه وسلم — "خالفوا الجوس"^(٢) ولما علم السلف الصالح هذه النصوص التي تنهى عن مشاهمة أحد من جميع أهل ملل الكفر ، أو مشاركتهم في شئ من ذلك ، لم يكن على عهدهم من يفعل هذه المشاهمة أو هذه المشاركة .

فعلى المؤمن ان يسلك سبيلهم ، وان يقتفي آثار النبي — ﷺ — ، وأن يتمسك بطريق الهدى ولو قل السالكون ، وان يجتنب طريق الردى ولو كثر الهالكون .

القسم الثاني

ما يظنه معظم الناس عبادات

يقول السيوطي " وأما القسم الثاني ما يظنه الناس طاعة وقربة ، وهو بخلاف ذلك ، أو تركه أفضل من فعله ، وهو ما قد أمر به الشارع في صورة من الصور ، من زمان مخصوص ، أو مكان معين ، كالصوم بالنهار ، والطواف بالكعبة أو أمر به شخصا دون شخص ، كالذي اختص به النبي — ﷺ — في المباحات والتخفيضات ، فيقيس الجاهل نفسه عليه ، فيفعله وهو منهي عن فعله ، أو يقيس الصور بعضها على بعض بسبب الحرص على الإكثار من إيقاع العبادات ، والقرب والطاعات ، فيحملهم الحرص على فعلها في أوقات وأماكن نهاهم الشرع عن اتخاذ تلك الطاعات فيها ، ومنها ما هو محرم ، ومنها ما هو مكروه ، ويورطهم الجهل وتزيين الشيطان بأن يقولوا : هذه طاعات وقرب قد ثبت في غير هذه الأوقات فعلها ، نحن نفعلها أبدا"^(٣) ثم أورد السيوطي أمثلة على ما ذكر فمن ذلك :

١- الصلاة في الأوقات المنهي عنها :

وهي بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد طلوعها حتى ترتفع قدر رمح ، وعند استوائها حتى تزول ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس "^(٤) .

والأدلة على ما قاله السيوطي ما يلي :

أ — عن عقببة بن عامر الجهني — رضي الله عنه — قال : " ثلاث ساعات كان رسول الله — ﷺ — ينهانا أن نصلي فيها ، وأن نقر فيها موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تسيل ، وحين تضيف الشمس للغروب "^(٥) .

ب — عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله — ﷺ — نهي عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس "^(٦) .

بعضهم ، وبقية رجاله ثقات " وانظر تفسير ابن كثير (٥٣/٨) واتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٢٨/٦) ، (٣٥٦/٩) والهندي : كتر العمال رقم (٢٤٦٨٠) .

(١) صحيح البخاري رقم (٥٨٩٣) الفتح (٣٤٩/١٠) ، وصحيح مسلم (٢٢٢/١) رقم (٥٤) من كتاب الطهارة ، والبيهقي في السنن الكبرى (١/١٥٠) ، وكتر العمال (١٧٢٢٤) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٦٦/٢) ، ومسلم في صحيحه (٢٢٢/١) رقم (٥٥) من كتاب الطهارة

(٣) الأمر بالاتباع (ص ٥٥)

(٤) المصدر السابق ، ذهب مالك إلى أن الأوقات المنهي عنها أربعة : الطلوع والغروب وبعد الصبح وبعد العصر ، أجاز الصلاة عند الزوال ، وذهب الشافعي إلى أن هذه الأوقات الخمسة كلها منهي عنها ، والسيوطي في ذلك تابع لإمامه الشافعي ، إلا الزوال يوم الجمعة ، واستثنى قوم من ذلك الصلاة بعد العصر : انظر : بداية الجتهد ونهاية المقتصد (١٩٨/١)

(٥) صحيح مسلم — كتاب صلاة المسافرين رقم (٢٩٣) وسنن أبي داود — كتاب الجنائز ، باب (٥١) وسنن الترمذي — كتاب الجنائز ، باب (٤١) وسنن النسائي — كتاب المواقيت — باب (٣٤، ٣١) ، وفي الجنائز باب (٨٩) وابن ماجه — كتاب الجنائز باب (٣٠) والدارمي كتاب

الصلاة باب (١٤٢) ، وأحمد في المسند (١٥٢/٤)

فهذان الحديثان جمعا تلك الأوقات الخمسة التي ذكرها السيوطي وقد أجاز بعض الفقهاء الصلاة بعد العصر لما صح عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: "مات رسول الله — ﷺ — صلاتين في بيتي قط سرا ولا علانية ركعتين قبل الفجر، وركعتين بعد العصر" (٢).

فمن رجح حديث أبي هريرة قال بالمنع، ومن رجح حديث عائشة أو رآه ناسخا لأنه العمل الذي مات عليه — رسول الله — ﷺ — قال بالجواز، غير أنه قد صح من حديث أم سلمة — رضي الله عنها — أنها رأت رسول الله — ﷺ — يصلي ركعتين بعد العصر فسألته عن ذلك فقال: "إنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر وهما هاتان" (٣).

والمقصود أن كلام السيوطي — رحمه الله — في على موافق للأدلة الصحيحة، ومن خالف هذه الأدلة وفعل على خلاف مقتضاها فهو مبتدع (٤).

٢- الصوم في الأيام المنهي عنها:

"كالعیدین وأيام التشريق وكوصالهم في الصيام الذي هو من خصائص النبي — ﷺ — وقد اشتد نكيره على فعل ذلك، فهو لاء وأمثالهم متقربون إلى الله بما لم يشرعه الله بل هي عنه" (٥) فليس لمن أظم شيئا من الخيرات أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر، فإذا سمعه من الأثر عمل به، وحمد الله تعالى حين وافق ما في قلبه (٦).

أ — قال — ﷺ —: "إني لست كأحدكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني" (٧) وهذا في النهي عن صوم الوصال
ب — وعن كعب بن مالك عن أبيه أنه حدثه أن رسول الله — ﷺ — بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنأدى: "أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأيام منى أيام أكل وشرب" (٨).
ج — وعن أبي هريرة — ﷺ — قال: قال رسول الله — ﷺ —: "لا تحصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تحصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون صوما يصومه أحدكم" (٩).

(١) صحيح البخاري — كتاب المواقيت — باب (٣١، ٣٠) صحيح مسلم — كتاب صلاة المسافرين رقم (٢٨٥-٢٨٦) وأبو داود في سننه كتاب التطوع (١٠) وسنن الترمذي — موقيت (٢٠، ١٨).

(٢) صحيح البخاري — كتاب المواقيت، باب (٣٣)، وسنن النسائي — كتاب المواقيت، باب (٣٦)، وأحمد في المسند (١٥٩/٦).

(٣) صحيح البخاري — كتاب السهو، باب (٨) ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين رقم (٢٨٥، ٢٨٦) وأبو داود في سننه كتاب التطوع باب (١٠) والترمذي في سننه، كتاب المواقيت، باب (٢١، ٢٠، ١٨).

(٤) اختلف العلماء في الصلاة التي لا تجوز في هذه الأوقات، فذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنها لا تجوز في هذه الأوقات صلاة بإطلاق لا فريضة مقضية، ولا سنة ولا نافلة إلا عصر يومه، قالوا: فإنه يجوز أن يقضيه عند غروب الشمس إذا نسيه، واتفق مالك والشافعي أنه يقضي الصلوات المفروضة في هذه الأوقات، وذهب الشافعي إلى أن الصلوات التي لا تجوز في هذه الأوقات هي النوافل فقط التي تفعل لغير سبب، أما ما كان لها سبب كركعتي المسجد وركعتي الطواف، فيجوز فعلها، ولا يميز مالك فعل ذلك، بداية المجتهد (٢٠٠/١).

(٥) الأمر بالإتيان (ص ٥٦).

(٦) المصدر السابق.

(٧) صحيح البخاري — كتاب الصوم، باب (٥٠، ٤٩) والحدود باب (٤٢) والإعتصام، باب (٥) وصحيح مسلم، كتاب الصوم، ح رقم (٥٧) —

٦١ والترمذي — كتاب الصوم، باب (٦١) والدارمي — كتاب الصوم، باب (١٤) وأحمد في المسند (٢٣١، ٢٣/٢) (١٧٠، ١٢٤/٣)، (٣١٥، ٣١٤/٤) (٣٦٤/٥) (١٢٦/٦).

(٨) صحيح مسلم (٨٠٠/٢) كتاب اصيام، باب (٢٣) ح رقم (١٤٥) سنن أبي داود — كتاب الأضاحي، باب (١)، وسنن الترمذي — كتاب الصوم، باب (٨٥) وسنن النسائي، كتاب المناسك، باب (١٩٥) وابن ماجه — كتاب الصيام، باب (٣٥) وأحمد في المسند (١٥٢/٤)، (٥/٢٢٤، ٧٦، ٧٥).

(٩) صحيح مسلم (٨٠١/٢) كتاب الصيام، باب (٢٤) ح رقم (١٤٨)، والحاكم في المستدرک (٣١١/١)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (١١٧٦).

د — وعنه — أيضا قال : قال رسول الله — ﷺ — "لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم" ^(١)

٣- بدعة صلاة الرغائب :

هذه الصلاة يصلحها المبتدعة في أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وتعظيم هذا اليوم وهذه الليلة إنما أحدث في الإسلام بعد المائة الرابعة ، وروى فيها حديث موضوع باتفاق العلماء ^(٢).

قال الإمام أبو الفرج ابن رجب — رحمه الله — : "فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به ، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب كذب وباطل لاتصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ، ومن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين من الحفاظ أبو إسماعيل الأنصاري ، وأبو بكر السمعاني ، وأبو الفضل بن ناصر ، وأبو الفرج بن الجوزي ، وغيرهم ، وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم ، أول ما ظهرت بعد الأربعمائة فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها" ^(٣).

وقال السيوطي : "والذي عليه المحققون من أهل العلم : النهي عن أفراد هذا اليوم بالصوم ، وعن قيام هذه الليلة بهذه الصلاة المحدثه ، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنع الأطعمة وإظهار الزينة وغير ذلك ، حتى يكون هذا اليوم بمثالة غيره من الأيام ، وكذلك يوم آخر في وسط رجب تصلي فيه صلاة تسمى "صلاة أم داود" فإن ذلك أيضا لا أصل له" ^(٤) وقال أبو عمرو بن الصلاح : "أما الصلاة المعروفة في ليلة الرغائب فهي بدعة ، وحديثها المروي موضوع ، وما حدث لإبعاد أربعمائة سنة من الهجرة ، وليست ليلتها تفضل على أشباهها من ليالي الجمع" ^(٥)

٤- الابتداء في ليلة النصف من شعبان :

يقول السيوطي : "وأما ليلة النصف من شعبان فلها فضل ، وإحيائها بالعبادة مستحب ، ولكن على الأفراد ومن غير جماعة ، واتخاذ الناس لها ولليلة الرغائب موسما وشعارا : بدعة مكروهة ، وما يزيد فيها على الحاجة والعادة من الوقيد ونحوه ، فغير موافق للشريعة" ^(٦).

وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان قوله — صلى الله عليه وسلم — : "إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه ، إلا لمشرك أو مشاحن" ^(٧) . ^(٨)

وقال — ﷺ — : "إن الله ليطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لعباده ، إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس" ^(٩) . ومن حديث عثمان بن أبي العاص مرفوعا : "إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى نادى : هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ فلا يسأل أحد شيئا إلا أعطيه إلا زانية بفرجها ، أو مشركا" ^(١٠).

^(١) صحيح البخاري رقم (١٩١٤) كتاب الصوم باب (١٤) فتح الباري (١٢٧/٤-١٢٨) واللفظ له ، وصحيح مسلم (٦٧٢/٢) كتاب الصيام

باب (٣) فتح الباري رقم (٢١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧/٤)

^(٢) انظر : السيوطي : الأمر بالإتيان (ص ٦٠)

^(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص ٢٢٨) ت ياسين محمد السواسي

^(٤) الأمر بالإتيان (ص ٦٠-٦١)

^(٥) المصدر السابق (ص ٦٠-٦١)

^(٦) الأمر بالإتيان (ص ٦١)

^(٧) الشحنة : الحقد ، والشحنة العداوة ، والمشاحن في الحديث المعادي ، قال الأوزاعي : أراد بالمشاحن هاهنا صاحب البدعة والمفارق لجماعة الأمة

• لسان العرب (٢٣٤ — ٢٣٥) ، وابن رجب : اللطائف (ص ٢٦٦)

^(٨) سنن ابن ماجه رقم (١٣٩٠) في إقامة الصلاة ، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان ، واورده الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٣/١)

^(٩) مسند الإمام احمد (١٧٦/٢) واسناده صحيح ، ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦٥/٨) وقال : "رواه احمد وفيه ابن خزيمة وهو لين الحديث ،

وبقية رجاله وتقوا" واورده المنذري "في الترغيب والترهيب" (١١٩/٢) ، (٤٦٠/٣)

وهذا يؤيد قول السيوطي بأن لها فضلا ، قال ابن رجب : " وفي الباب أحاديث آخر فيها ضعف " (٢) .
وقال أيضا : " فأما صيام يوم النصف منه فغير منهي عنه ، فإنه من جملة أيام البيض الغر ، المندوب إلى صيامها من كل شهر " (٣) .

وقال ابن رجب أيضا : " وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان (٤) ومكحول (٥) ولقمان بن عامر (٦) وغيرهم يعظمونها ويجهدون فيها في العبادة ، وعندهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها ، وقد قيل : إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية ، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك ، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها ، منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم ، وأنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة ، ونقله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة ، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم ، وقالوا : ذلك كله بدعة " (٧) .

وهكذا حصل الخلاف في ليلة النصف من شعبان من زمن التابعين — رضي الله عنهم — أما كون التابعين من أهل الشام يعتمدون في تعظيمهم لليلة النصف من شعبان على أخبار إسرائيلية ، فليس ذلك بحجة في الدين ، وإنما الحجة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجماع الأمة — كما هو معلوم — لدى كافة العلماء والفقهاء ، وإنني لأرى ان الصواب — إن شاء الله — مع جمهور العلماء الذين أنكروا ذلك من أهل الحجاز أهل المدينة وأصحاب مالك — رحمهم الله جميعا — لأنه لا دليل على هذه العبادة المختصة بهذه الليلة على ما ذكر ، وبناء على ذلك فتخصيصها بعبادة من غير دليل مما يدخل في عداد البدع ، التي ينبغي اجتنابها والتحذير منها ، فإذا وافقها العبد ، وكان من عادته قيام الليل ، فقامها بالصلاة والدعاء كبقية الليالي فلا ضير ، وإن حصلت الصلاة جماعة خاصة اتفاقا من غير قصد فهذا أيضا لا ينهي عنه ، أما إذا قصد الاجتماع العام كالاجتماع على التراويح في رمضان وتخصيصها بعدد معين من الركعات فهذا هو البدعة ، ولذلك قال ابن رجب — رحمه الله — : " واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين :

أحدهما : أنه يستحب أحيائها جماعة في المساجد ، كان خالد بن معدان ، ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ، ووافقهم إسحاق بن راهوية على ذلك وقال قيامها في المسجد جماعة : ليست ببدعة ...

والثاني : أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها بخاصة نفسه ، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقههم وعالمهم ، وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى " (٨) .

(١) كثر العمال رقم (٣٥١٧٨) وعزاه إلى البيهقي في " شعب الإيمان " (٣/٣٨٣) ، من روايه الحسن عن عثمان بن أبي العاص ، وقد اختلف في سماع الحسن منه .

(٢) لطائف المعارف (ص ٢٦٢)

(٣) المصدر السابق (ص ٢٦١)

(٤) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي ، أبو عبدالله ، تابعي ثقة ، من اشتهروا بالعبادة ، أصله من اليمن ، وأقامته في حمص (بالشام) شيخ أهل الشام ، وهو معدود في أئمة الفقه ، روى له الجماعة ، (ت ١٠٣ هـ) ، وقيل بعد ذلك — طبقات ابن سعد (٧/٤٥٥) حلية الأولياء (٥/٢١٠) ، سير اعلام النبلاء (٤/٥٣٦) تهذيب الكمال (٨/١٦٧)

(٥) مكحول بن أبي مسلم ، أبو عبدالله ، الهذلي بالولاء ، عالم أهل الشام في عصره ، من حفاظ الحديث ، أصله من كابل ، واستقر بدمشق (ت نحو ١١٢ هـ) حلية الأولياء (٥/١٧٧) ، تذكرة الحفاظ (١٠٧)

(٦) لقمان بن عامر الوصافي ، أبو عامر الحمصي ، روى عن أبي الدرداء وأبي هريرة وجماعة ، صدوق ، ذكره ابن حبان في الثقات — تهذيب التهذيب (٤٥٥/٨)

(٧) لطائف المعارف (ص ٢٦٣)

(٨) لطائف المعارف (ص ٢٦٣) ، وانظر على محفوظ : الإبداع (ص ٢٨٦)

وقال ابن تيمية: "إذا صلى الإنسان ليلة النصف وحده، أو في جماعة خاصة، كما كان يفعل طوائف من السلف فهو أحسن، وأما الاجتماع في المساجد على صلاة مقدرة، كالاجتماع مائة ركعة، بقراءة ألف: (قل هو الله أحد) دائماً فهذا بدعة، لم يستحبها أحد من الأئمة" (١).

فإذا اجتمع الناس على صلاة كهذه التي ذكرها ابن تيمية أو أي صلاة أخرى مختصرة أو دعاء يحتوي على الغلو أو الشرك فهذا كله بدعة كما قال الأوزاعي وعطاء وابن يي مليكة وأهل الحجاز وأهل المدينة، وابن تيمية وابن رجب والسيوطي. وأصل هذه الصلاة المبتدعة التي يفعلها بعض الجهال في ليلة النصف من شعبان ما ذكره أبو حامد الغزالي في "الإحياء" وأبو طالب المكي "في قوت القلوب" وقد ذكرنا فيها حديثاً قد صرح الحفاظ بوضعه، قال الحفاظ ابن الجزري: "وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة ليلة القدر من رمضان فلا تصح وسندها موضوع باطل" (٢) وقال الحفاظ العراقي: "حديث ليلة النصف موضوع على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكذب عليه: (٣)، وقال الإمام النووي: "الصلاة العروفة بصلاة الرغائب، وهي اثني عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما فإنه غلط في ذلك، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتاباً نفيساً في إبطالهما فأحسن فيه واجاد" (٤).

وقال العلامة أبو شامة: "ومما أحدثه المبتدعون وخرجوا به عما رسمه الدين، وجروا فيه على سنن الجوس، واتخذوا دينهم هواً ولعباً الوقود ليلة النصف من شعبان، ولم يصح فيه شيء عن رسول الله — ﷺ —، ولا نطق بالصلاة فيها، والإيقاد فيها ذو صدق من الرواة، وما أحدثه إلا متلاعب بالشريعة المحمدية، ورأى في دين الجوسية، لأن النار معبودهم، وأول ما حدث ذلك في زمن البرامكة فدخلوا في دين الإسلام بموهون به على الطغام وهو جعلهم الإيقاد في ليلة النصف من شعبان كأنه سنة من السنن ومقصودهم عبادة النيران وإقامة دينهم، وهو أخس الأديان، حتى إذا صلى المسلمون فركعوا وسجدوا كان ذلك إلى النار التي أوقدوها، ومضت على ذلك السنون والأعصار، وتبعت فيه بغداد سائر الأمصار" (٥). ومن هذا يتبين أن كل ما يفعله أهل البدع في تلك الليلة إنما هو بدع محدثة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعداً، ومن الإسلام إلا هداماً، نسأل الله لنا وللمسلمين الهداية والتوفيق.

٥- قراءة سورة الأنعام في ركعة من صلاة التراويح:

يقول السيوطي: "ومن البدع قراءة سورة الأنعام في ركعة في صلاة التراويح" (٦). وأهل البدع إنما يفعلون ذلك لإعتقادهم أنها قربة إلى الله تعالى، ويستندون في ذلك إلى حديث لا يصح، وهو ما روى أنه — ﷺ — قال: "أنزلت سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد" (٧). وهذا الحديث لو صح لما كان فيه هؤلاء مستند ولا دليل على استحباب قراءتها في ركعة من صلاة التراويح، ويتبين بدعية هذه القراءة من وجوه:

(١) مجموع الفتاوى (١٣١/٢٣)

(٢) نقلاً عن الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٢٨٧-٢٨٨)

(٣) المصدر السابق

(٤) نقلاً عن الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٢٨٧-٢٨٨)

(٥) الأمر بالإتيان (ص ٦٤-٦٥) وانظر على محفوظ: الإبداع (ص ٢٨٩)

(٦) الأمر بالإتيان (ص ٧١)

(٧) قال السيوطي في "الأمر بالإتيان": "هذا الحديث أسنده ضعيف مظلم" وأورده في الدر المنثور (٢٤٣/٧) من حديث ابن عباس وعزاه لابن الضريس، ومن حديث أبي بن كعب وعزاه لأبي الشيخ (٢٤٤/٧)، ولم يعلق عليه

- ١- تخصيص ذلك بسورة الأنعام دون غيرها ، مما يوهم أن ذلك سنة فيه دون غيرها من السور والأمر بخلاف ذلك .
- ٢- تخصيص صلاة التراويح دون غيرها ، وفيه نفس المأخذ الأول على تخصيص السورة .
- ٣- مافيه من التطول على المؤمنين ، ومخالفة أمر النبي ﷺ — بالتخفيف على الجماعة ، وقد يقلق بعض الناس ويضجر ويستخط ويكره العبادة
- ٤- مافيه من مخالفة السنة من تقليل القراءة في الركعة الثانية عن الأولى وقد عكس صاحب هذه البدعة ماجاءت به السنة وخالف المشروع ^(١)

٦ . التبتل وترك النكاح :

قال السيوطي : "ومن الأمور المبتدعة : الإنفراد ، وترك النكاح رغبة عنه ، وذما له" ^(٢) وهو الذي ترجم له الإمام البخاري بقوله : " باب ما يكره من التبتل والخصاء" ^(٣) .

والتبتل : هو الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة وهذا مكروه ، ومعدود في عداد البدع المذمومة ، أما المأمور به في قوله تعالى : (وتبتل إليه تبتلا) ^(٤) فقد فسره مجاهد وغيره فقال : اخلص له إخلاصا ، وهذا تفسير معني ، وإلا فأصل التبتل الانقطاع إلى الله إنما تقع بإخلاص العبادة له فسرهما بذلك ، منه : (صدقة بتله) أي : منقطعة عن الملك ، ومريم البتول لانقطاعها عن التزويج إلى العبادة ، وقيل لفاطمة : البتول لانقطاعها عن الأزواج غير علي ، أو لانقطاعها عن نظرائها في الحسن والشرف ^(٥)

ويدل على كراهة التبتل قول سعد بن أبي وقاص : رد رسول الله ﷺ — على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا" ^(٦)

وقول أنس — ﷺ : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ — يسألون عن عبادة النبي ﷺ — فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال آخر : أنا أعترل النساء فلا أتتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ — فقال : " انتم الذين قلمت كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، أتتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني" ^(٧)

ولذلك قسم بعض العلماء النكاح إلى الأحكام الخمسة ، فجعل لكل صنف من الناس ما يخصه من حكم في أمر النكاح كالوجوب والتحريم والكراهة والإستحباب والإباحة .

قال المازري : "فالوجوب في حق من لا يكف عن الزنا إلا به .

— والتحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مع عدم قدرته عليه وتوقانه إليه

— والكراهة : في حق مثل هذا حيث لا إضرار بالزوجة ، فإن انقطع بذلك عن شئ من أفعال الطاعة من عبادة أو اشتغال بالعلم اشتدت الكراهة ، وقيل : الكراهة فيما إذا كان ذلك الرجل في حال العزوبة أجمع منه في حال التزويج .

— والإستحباب : فيما إذا حصل به معنى مقصودا من كسر شهوة وإعفاف نفس ، وتحصين فرج ونحو ذلك .

^(١) انظر : الأمر بالإتباع (ص ٧١)

^(٢) الأمر بالاتباع (٧٨)

^(٣) صحيح البخاري — كتاب النكاح ، باب (٨) الفتح (١١٧/٩)

^(٤) سورة المزمل ، بعض الآية (٨)

^(٥) فتح الباري (١١٨/٩)

^(٦) صحيح البخاري رقم (٥٠٧٣) (٥٠٧٤) الفتح (١١٧/٩) واحمد في المسند (٣٧٨/٣ ، ٣٨٣) ومسلم (١٠٢٠/٢) ح رقم (١٤٠٢)

^(٧) صحيح البخاري — رقم (٥٠٦٣) فتح الباري (١٠٤/٩) واللفظ له ، وصحيح مسلم (١٠٢٠/٢) ح رقم (١٤٠١) والنسائي — كتاب النكاح ،

باب (٤ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٣) احمد في المسند (٢٤١/٣)

— والإباحة : فيما انتفت الدواعي والموانع ، ومنهم من استمر بدعوى الاستحباب ، فيمن هذه صفته للظواهر الواردة في الترغيب فيه ^(١)

وقال عياض : " هو مندوب في حق كل من يرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة ، لقوله — ﷺ — : فإن مكاثر بكم ^(٢) " وظواهر الحض على النكاح والأمر به ، وكذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء ، فأما من لا ينسل ولا ارب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت ^(٣)

وقال السيوطي : " اعلم — رحمك الله — أن النكاح مع خوف العنت واجب ، ومن غير خوف العنت سنة ، عند جمهور العلماء ، ومذهب أبي حنيفة والإمام أحمد — رضي الله عنهما — أنه أفضل من جميع النوافل ، لأنه سبب وجود الولد ^(٤) . ثم أورد السيوطي مجموعة من الأحاديث والآثار التي تحت على النكاح والترغيب فيه من ذلك مع ماضى من الأحاديث : قوله — ﷺ — " تناحكوا تناسلوا " ^(٥) .

وقوله — ﷺ — : " دينار انفقته في سبيل الله ، ودينار انفقته في رقة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار انفقته على أهلك ، أعظمها اجرا الذي انفقته على أهلك " ^(٦) .

يقول السيوطي : " فإن قيل : النكاح يوجب الميل إلى الدنيا ، قلنا : هذا خلاف الشريعة ، فإن النبي — ﷺ — إمام الزاهدين ، كان أكثر هذه الأمة نساء .. فأما تركه ليقال : زاهد ، والعوام يعظمون هذا ، فيقولون : ما عرف امرأة قط ، فهذه رهبانية تخالف الشريعة .

وقال بعضهم : ينبغي أن لا يشغل المرء قلبه بالتزويج ، فإنه يشغله عن الله فيرى هذا أن الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي انس القلوب بطاعة الله ، وليس هذا كذلك والله سبحانه وتعالى قد من على الخلق بقوله : (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ^(٧) وفي الحديث الصحيح عن جابر — رضي الله عنه — أن النبي — ﷺ — قال : " هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك " ^(٨) أي : هلا تزوجت بكرا ، لما أخبره أنه تزوج ثيبا ، وما كان يدله على ما يقطع أنسه بالله ... لأنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الخلق اتصال دوامها إلى أن ينقضي أجلها ، حث تعالى الأدمي على ذلك ، تارة من حيث الطبع بإيقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله : (وانكحوا الأيامى منكم) ^(٩) وقد طلب الأنبياء الأولاد وتسبب الصالحون إلى وجودهم ، ورب جماع حدث منه ولد صالح كالشافعي ، وأحمد كان خيرا من عبادة ألف سنة ^(١٠)

(١) فتح الباري (١١١/٩) وانظر : ابن قدامة : المغني والشرح الكبير (٣٣٤/٧)

(٢) يقول ابن حجر : صح من حديث انس بلفظ " تزوجوا الودود الولود فإن مكاثر بكم الأمم يوم القيامة " أخرجه ابن حبان وذكره الشافعي بلاغا عن ابن عمر بلفظ " تناحكوا تكاثورا فإن اباهي بكم الأمم " والبيهقي من حديث أبي امامة ... ومن حديث الصانجي وابن الأعرس ، ومعلق بن يسار ، وسهل بن حنيف ، وحرمة بن النعمان ، وعائشة وعياض بن غنم ومعاوية بن حيدة وغيرهم " فتح الباري (١١١/٩)

(٣) الفتح (١١١/٩)

(٤) الإمر بالإتياع (ص ٧٨)

(٥) سبق تخريجه في حاشية (٢)

(٦) صحيح مسلم — كتاب الزكاة ، باب (١٢) برقم (٣٩) وأحمد في "المسند" (٤٧٣/٢)

(٧) سورة الروم ، بعض الآية (٢١)

(٨) صحيح البخاري (٦٣/٤) ، (٥١/٧) ومسلم في صحيحه — كتاب الرضاع رقم (٥٤) وسنن الترمذي رقم (١١٠٠) وسنن ابن ماجه رقم (

١٨٦٠) وأحمد في المسند (٣٠٨، ٣١٤/٣)

(٩) سورة النور ، بعض الآية (٣٢)

(١٠) الإمر بالاتياع (ص ٨١-٨٢)

الفصل الثاني : موقفه من التصوف

المبحث الأول - تعريف التصوف

اختلفت الأقوال في أصل الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف فقيل : إنها مشتقة من الصفاء الروحي ، والشفافية النفسية والبدني مع اتباع الشرع ، يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني^(١) : " الصوفي من صفا باطنه وظاهرة بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله — ﷺ — " (٢) .

ولكن هذا الاشتقاق يبدو مردوداً من الناحية اللغوية ، ولذا رده شيخ الإسلام بن تيمية مبيناً : " أن اشتقاق الصوفي من الصفا بعيد من مقتضى اللغة ، وكان حقه أن يقال : صفائية أو صفوية " (٣) .

وقيل : إن الصوفية منسوبة إلى الصفة ، وهي المكان الذي كان يقيم فيه بعض فقراء المهاجرين في مسجد رسول الله — ﷺ — بالمدينة المنورة ممن لم يكن لهم أهل ولا دور ينزلون بها ، والذين قد فرغوا أنفسهم لطلب العلم والتعب .

وهذا أيضاً غلط — كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — لأنه لو كان كذلك لكانت النسبة إليه : صفي^(٤) ، وأعرض عليه كذلك القشيري^(٥) في رسالته حيث قال : " فالنسبة إلى الصفة لاتجيء على نحو صوفي " (٦) .

وقيل : إنها منسوبة إلى الصف المقدم في الصلاة ، أو الصف المقدم بين يدي الله تعالى في عموم الطاعات والقربات ، وهذا أيضاً غلط لأنه لو كان كذلك ل قيل : صفي^(٧) .

والقشيري لايسلم أيضاً بهذا الاشتقاق رغم تسليمه بصحة المعنى الدال على أنهم كأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله ، ومع ذلك يقول : " ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له ، كان

(١) هو : عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبدالله بن يحيى الزاهد ، الجيلاني ، أو الجيلي نسبة إلى جيلان أو كيلان ، وهي بلدة وراء طبرستان ، ولد سنة (٤٧٠ هـ) وتوفي (٥٦١ هـ) رحل إلى بغداد وعمره ١٨ سنة والنقى فيها بجمع من العلماء الذين أخذ العلم عنهم ، أنظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢٩٠/١) ، سير أعلام النبلاء ، (٤٣٩/٢٠) ، الكامل (٩٢٣/١١) ، الأعلام (٤٧/٤) .

(٢) الفتح الرباني — لعبدالقادر الجيلاني (ص ٢٠٧) ، نقلا عن سعيد بن مسفر القحطاني في كتابه : الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ، والصوفية (٤٧٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦/١١) .

(٤) نفسه .

(٥) عبدالكريم بن هوازن القشيري الصوفي ، صاحب كتاب الرسالة ، المصنف في الكلام عن الصوفية وأحوالهم وأخلاقهم ، ولد سنة (٣٧٥ هـ) وكان عديم النظير في السلوك والتذكير ، لطيف العبارة ، طيب الأخلاق ، ويعتبر من شيوخ التصوف في خراسان ت .

(٦) (٤٦٥ هـ) سير أعلام النبلاء (٢٧/١٨) ، نقلاً عن د/ سعيد بن مسفر القحطاني : عبدالقادر الجيلاني .

(٤٧٨) .

(٦) الرسالة (٥٥٠/٢) .

(٧) أنظر : مجموع الفتاوى (٦/١١) .

حقه أن يقال : صفة^(١)

ثم يرجح القشيري أنه كاللقب عليهم ، لأنه لا يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق .^(٢)

ويرجح شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصوفية أو الصوفي منسوب إلى لبس الصوف ، فقال : " وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم " القراء " فيدخل فيهم العلماء والنسك ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء ، واسم الصوفية نسبة إلى لباس الصوف هذا هو الصحيح^(٣)

ومع ظهور الرجحان لهذه النسبة إلا أن القشيري يعترض عليها بأن الصوفية ليسوا وحدهم الذين يلبسون الصوف بل يشاركونهم غيرهم ، فما الداعي لتخصيص الصوفية بهذه النسبة دون غيرهم .^(٤)

وأيا ما كان اشتقاق اسم " الصوفية " فقد أستقر أخيراً على أنه لقب لطائفة من الناس ، يميلون إلى العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى : " والأعراض عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه عامة الخلق من لذة في المآكل والمشارب والملابس والمراكب ، وعدم الاستكثار من المال والجاه ، والانفراد للخلوة من أجل العبادة للذكر والفكر والمناجاة .^(٥)

والتصوف في الاصطلاح : وردت عن العلماء عبارات مختلفة في تعريف التصوف أو الصوفي منها :

١ — قال سهل التستري^(٦) يعرف الصوفي : إنه " من صفا من الكدر ، وأمتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر^(٧) .

٢ — ويعرف الجنيد^(٨) التصوف بأنه : " ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع^(٩) " .

ويلاحظ من هذا أن أصل التصوف إنما هو تمسك بالكتاب واتباع للسنة ، وعكوف على العبادة بالمحافظة على الفرائض ، والزيادة من النوافل ، وأعراض عن زينة الدنيا ، وكثرة ذكر الله والتعلق به وحده دون سواه ، ويظهر أيضاً أنه لا مؤاخذه شرعية على هذا الطريق بهذا المعنى الذي ذكر ، فالتوبة والورع والزهد والذكر

(١) الرسالة للقشيري (٥٥٠/٢) .

(٢) أنظر : السابق نفسه .

(٣) مجموع الفتاوى ، (١٩٥/١١) .

(٤) أنظر الرسالة — للقشيري (٥٥٠/٢) .

(٥) أنظر : ابن خلدون ، المقدمة (٣٣٣) .

(٦) هو : سهل بن عبد الله التستري ، صوفي زاهد ، له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة منها : " أصولنا ستة : التمسك بالقرآن ، والافتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى والتوبة ، وأداء الحقوق ، ت (٢٨٣هـ) . أنظر : سير أعلام النبلاء (٣٣٠/١٣) ، شذرات

الذهب (١٨٢/٢) ، طبقات الشعراني (١/٦٦) .

(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ص ٩) .

(٨) هو : أبو القاسم ، الجنيد بن محمد بن الجنيد ولد ببغداد ، ودرس بها الفقه والحديث وتوفي ببغداد (٢٩٧هـ) . سير أعلام النبلاء

(١٤/٦٦) ، طبقات الشعراني (١/٢٢) .

(٩) الرسالة للقشيري (٥٥٣/٢) ، نقلاً عن د/ سعيد بن مسفر القحطاني في مصنفه الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية (ص ٤٩٠

والصبر والمراقبة كلها أمور شرعية أمرنا الله تعالى بها في كتابه ، وحثنا عليها رسوله — ﷺ — في سنته ، وطبقها الصحابة — رضي الله عنهم — .

ولكن الذي حدث بعد هؤلاء المتبعين ، أن أصبح المنتسبون إلى هذا الطريق يطلقون عبارات قد تكون مبهمة في بعض الأحيان وفي غالبها تحمل معاني مبتدعة كالحلول والاتحاد ، وغيرها من عقائد سيئة ، وسلوكيات بدعية لم يكن عليها السلف الصالح ، مما جعل التصوف ووحدة الوجود يتخذ منعطفاً آخر يظهر فيه التصوف كعلم له مناهج وفلسفات لا تمت إلى أصل الإسلام بصلة .

ومن هنا يمكن تعريف التصوف في العصر الحالي بأنه : مذهب أوله البدعة ي الزهد والذكر والعبادة ، والتدرج من ذلك إلى عقائد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ووقف بعض المنتسبين إليه عند حد الرسوم والشكليات البدعية .

المبحث الثاني : نشأة التصوف

اختلفت آراء الباحثين في نشأة التصوف ، وفي البيئة التي نبتت فيها بذرتة الأولى على قولين :

الأول : أن التصوف إسلامي النشأة ، وأن أصوله العقدية والسلوكية مستمدة من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح ، وهذا الرأي يتزعمه ابن خلدون الذي يرى أن الزهد والعكوف على العبادة والورع عن الشبهات كان عاماً في الصحابة — رضي الله عنهم — والسلف الصالح ، فلما فشى الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .^(١)

ويمكن ان يصح هذا القول إذا لم يحدث خلط فيما بعد بين الزهد والورع والمراقبة التي هي خلق الأنبياء والصدّيقين وعباد الله الصالحين الذي يؤثرون ماعند الله تعالى على التمتع بالذائد والمباحات ، والتي يخشون أنها قد تجرهم إلى الوقوع في المخالفات ، وبين مآل إليه التصوف من الانحراف العقدي والابتداع السلوكي والذي أصبح له مفاهيم وفلسفات وهواتف وأذواق ومواجيد غير منضبطة بضوابط القرآن الكريم والسنة النبوية

الثاني : أن التصوف لم يكن ذا أصل إسلامي ، فحين ظهر الإسلام كان التصوف منتشراً في جزيرة العرب ، باسم الكهانة ، وفي الهند وبلاد فارس ، ذلك لأن دياناتهم كانت مبنية على أساس الرياضة والروى والمكاشفات وكانت هذه الأمور مما ينتحله النصارى الذين كانت دياناتهم سائدة في مصر والشام والعراق واليمن ، وكذلك عند اليهود ، كان يطلق على الشيخ اسم الكاهن أو العراف أو ما يردفها في اللغات الأخرى . ولما جاء الإسلام اختفت هذه النحلة حتى استطاع كهانها أن يجدوا لها صيغة مقبولة يظهرونها بها أمام الناس ، وهي صيغة الزهد والتقشف والروحانية التي تتخذ التظاهر بالعبادة والتبتل منطلقاً لها حتى تروج على كثير من الناس .

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علماء المتصوفة القدامى مثل شهاب الدين السهروردي^(٢) الذي يقول : " ، أما

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٣٣٣) ، وأنظر د/ سعيد بن مسفر القحطاني : الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ، والصوفية (ص

٤٩١) .

(٢) شهاب الدين يحيى بن حسين السهروردي ، فيلسوف ، كان يتوقّد ذكاءً إلا أنه قليل الدين ، وكان بارعاً في أصول الفقه ، ولم يناظر

أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغوريين ، رفعت إلى أخي أحميم (يعني : ذا النون المصري)^(١) ، ومنه نزلت إلى سياد تستر (يعني : سهل التستري) وشيعته ، وأما خميرة الخسروانيين في السلوك فهي نازلة إلى سيار بسطام (يعني : أبازيد البسطامي)^(٢) ، ومن بعده إلى فتى بيضاء (يعني : الحلاج)^(٣) ومن بعده إلى سيار أمل وخرقان (أبي الحسن الخرقاني)^(٤) .

ويظهر من هذا أن التصوف ليس إسلامي النشأة وإنما هو مزيج من العبادات الفارسية ، واليونانية ، والنصرانية ، واليهودية ، يؤيد هذا وجود الشبه الكبير بين الصوفية وبين أهل تلك الأديان في اعتقاداتهم وعباداتهم ، وخاصة في عقائد الرمز والظاهر والباطن والتأويل وغير ذلك ، وهذا ماذهب إليه السراج^(٥) من أن منشأ التصوف كان في الجاهلية قبل الإسلام^(٦) .

والحق أن كلاً الرأيين فيه شيء من الصحة ، مع شيء من المبالغة ، ولذا فإن الأعدل والأوفق أن يقال : إن أول نشأة للتصوف كان بالبصرة على يد بعض الزهاد الذين كانوا يبالغون في الزهد والعبادة ، وأن غالب ماكان يحكى من المبالغة في العبادة والزهد إنما هو عن عباد البصرة ، ثم تطور على يد بعض المنتسبين إليه . كما ذكرنا — فلبس عليهم إبليس فأخذوا ينتحلون آراء بعيدة عن الإسلام ، حتى آل الأمر إلى أنه لا يذكر اسم المتصوفة أو التصوف إلا مرتبطاً بعقيدة الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، وماأضيف إلى ذلك من بدع السماع والرقص ، والتعلق بطلب مرتبة الولاية، واستدراج الشيطان لهم حتى قالوا بتفضيل الولي على النبي ، واستمرار النبوة بعد رسول الله ﷺ وغير ذلك .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " أول ماظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية أصحاب عبدالواحد بن زيد^(٧) ، وعبدالواحد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في

أحداً إلا أربى عليه ، قال عنه الذهبي ، وكان طيهاشاً أحمق منحلأ " قتل سنة (٥٨٧هـ) . سير اعلام النبلاء (٢٠٧/٢١) .

(١) ذو النون المصري : ثوبان بن إبراهيم ، شيخ الديار المصرية في وقته ، كان لايتقن الحديث ، ولكنه كان واعظاً فصيحاً عالماً حكماً ، رمي بالزندقة ، مات سنة (٢٤٦هـ) ، سير اعلام النبلاء ، (٥٣٢/١١) .

(٢) طيفور بن عيسى البسطامي ، أبو يزيد ، كان يقول : " لونظرت إلى من أعطى من الكرامات حتى يطير فلاتفتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشرع ، ونقل عنه أشياء مشككة لاساغ لها ، ولكن كما يقول الذهبي : الشأن في ثبوتها عنه فتطوى ولاتروى إذ ظاهرها إلحاد مثل سبحاني ، ومافي الجبة إلا الله ، ومالمحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب . ت (٢٦١هـ) ، سير اعلام النبلاء (٨٦/١٣) ، طبقات الشعرائي (٦٥/١) .

(٣) هو : أبو منصور الحسين بن منصور الحلاج الصوفي ، كان جده مجوسياً ، تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ لسوء سيرته ، ونسبوه إلى الحلول والزندقة قتل مصلوباً بعد أن قطعت يده ورجلاً ، وضرب ألف سوط وأحرقت جثته ونثر رمادها في نهر دجلة سنة (٣٠٩هـ) سير اعلام النبلاء (٣١٣/١٤) ، طبقات الشعرائي (٩٢/١) .

(٤) ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال (ص ١٧١) ، نقلاً عن (الشيخ عبدالقادر الجيلاني وأراؤه الاعتقادية والصوفية لسعيد بن مسفر القحطاني (ص ٤٩٣) .

(٥) أبو نصر السراج ، عبدالله بن علي الطوسي ، كان شيخ الصوفية في عصره ، له كتاب اللمع في التصوف ، مات سنة (٣٧٨هـ) .

(٦) أنظر : السراج و اللمع . ص ٤٢) .

(٧) عبدالواحد بن زيد الزاهد ، كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الالتفات فكثرت المناكير في حديثه حتى قال عنه النسائي ،

الزهد والعبادة ، ونحو ذلك مالم يكن في سائر الأمصار ، ولهذا كان يقال فقه كوفي ، وعبادة بصرية "

ثم قال رحمه الله :

" ولهذا كان غالب ما يحكى من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عباد البصرة" (١) .

فهذا في بيان بداية نشأة التصوف ، أما عن التطور الذي حصل بعد ذلك فيقول ابن الجوزي — رحمه الله — :

" والتصوف طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرون من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب ... " (٢) ثم قال :

" وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة حاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة ... " (٣) ثم قال :

" وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم كلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

وكان أصل تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود هو العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخطبوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم ، وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح ، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع ، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة ، وفيهم من كان لقله علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري ... " (٤)

وفي هذا الذي ذكر الشيخ ابن الجوزي إشارة إلى ما حدث من التطور في عقائد المتصوفة التي انحدرت إلى هوة سحيقة ولم يذكر منها ابن الجوزي — رحمه الله — إلا إشارة بيسيرة ، فإنه في مراحل الأولى اتجه ناحية الانحطاط إلى الجهل والبعد عن مجالس العلم والقعود عن الكسب . (٥)

ثم انحرف أكثر بعد ذلك عندما ظهر عند اتباعه ما يسمى بعلم الظاهر والباطن ، وإعلان سقوط التكاليف

متروك الحديث ، أصيب بالفالج فدعا الله تعالى أن يطلقه وقت الوضوء ، فكان إذا أراد أن يتوضأ انطلق ، فإذا رجع إلى سريره فلعج ، وكان ذا وعظ مؤثر لدرجة أن بعض الجالسين في مواعظه يموتون ، قال عنه الذهبي ، رمى بالقدر وهو من كبار الزهاد ، والكمال عزيز ، ت سنة (١٧٧) هـ ، سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨) .

(١) مجموع الفتاوى ، (١١ / ٦ - ٧) .

(٢) تلبيس إبليس (ص ١٦١) .

(٣) نفسه (ص ١٦٣) .

(٤) نفسه (ص ١٦٣ - ١٦٤) .

(٥) أنظر : طبقات الصوفية الكبرى للشعراني (٥١/١) .

الشرعية عن الأولياء بزعمهم أنهم اطلعوا على علم الحقيقة عن طريق الكشف والالهام .^(١) ثم الفناء والمشاهدة .^(٢)

واستمر التصوف في خط الانحراف حيث تأثر بالنصرانية وقولها بالاتحاد والحلول ، وبالمجوسية وتقديسها للأشخاص وبالهندية وقولها بالفناء والتناسخ ، وبالفلسفة اليونانية وإحادها زندقتهما والقول بوحدة الوجود .^(٣)

ثم إلى دعوى العلم الدني ، والتلقي عن الله مباشرة كقول البسطامي : أخذتم دينكم ميت عن ميت أما نحن فأخذنا عن الحي الذي لا يموت^(٤) وكقول ابن عربي : " والله ما كتبت من الفتوحات المكية حرفاً إلا عن إملاء إلهي أو إلقاء رباني اوفنت روحاني ، أو روح كياني " .^(٥)

ثم بعد ذلك إلى التشيع والتجهم والإرجاء والقدر وذلك كله لبعدهم عن مناهج التلقي الصحيحة وهي الكتاب والسنة .^(٦)

هذه ملامح التصوف وسماته العامة باختصار شديد وأصله ، وكيف نشأ ، وبيان خط انحرافه وبعده عن منابع الإسلام .

المبحث الثالث : التصوف عند السيوطي

من الملاحظ بوضوح ان السيوطي كان يميل إلى الإلتزام ببعض مناهج التصوف المتعددة ، ويلحظ هذا من كلامه في عقيدته ، وفي بعض مصنفاته .

ففي آخر رسائله " علم التوحيد " يقول صراحة : " ونعتقد أن طريق أبي القاسم الجنيد^(٧) سيد الصوفية ، علماً وعملاً ، وصحبه ، طريق مقدم ، فإنه خال عن البدع " .^(٨) وإلى هنا كلام السيوطي مستقيم لأمواخذة عليه فقد شهد أكابر العلماء لصحة طريق الجنيد ، وأنه طريق مستقيم منضبط بضوابط الكتاب والسنة كما قال الجنيد نفسه فقد ذكرت قبل ذلك قول الجنيد عن التصوف بأنه : " ذكر مع اجتماع^(٩) ، ووجد مع استماع^(١٠) ،

(١) أنظر : بان تيمية / مجموع الفتاوي (٤١٧/١١ — ٤٣٩) .

(٢) أنظر : إحسان إلهي ظهير : دراسات في التصوف (ص ٢٣٥) .

(٣) أنظر : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل (٨٢ / ٥) وابن الجوزي : تلييس إبليس (ص ٣٤٥) ، والبقاعي : تنبيه الغبي إلى

تكفير ابن عربي (ص ٢٢٤) .

(٤) أنظر : الشعراني : طبقات الصوفية (٥/١) .

(٥) الفتوحات المكية لابن عربي (٤٥٦/٣) .

(٦) أنظر : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل (٧/٥) .

(٧) سبق ترجمته .

(٨) علم التوحيد — مخ — لوحة رقم (٣١) .

(٩) إذا قصد بالاجتماع : اجتماع الناس على الذكر برفع الأصوات ، والانشاد الجماعي ، فهذا من البدع المنكرة ، وإن قصد به ، اجتماع

القلب وإقباله على ذكر الله فهو ذاك .

(١٠) إذا كان الاستماع للقرآن فنعم ، أما للغناء والرقص والضرب بالطبول والدفوف فهو المنكر الذي لا يقره دين ولا عقل .

وعمل مع اتباع^(١)، وقال أيضاً : " علمنا هدامبني على الكتاب والسنة فمن لم يقرأ هذا القرآن ويكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الشأن"^(٢)

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — يثني عليه ويذكره بخير ، وقد نقل كلامه السابق في عدة مواضع^(٣) .

ثم يكمل السيوطي كلامه فيقول : " فإنه خال عن البدع ، دائر التفويض والتسليم والتبريء من النفس ، مبنى على الاتباع للكتاب والسنة "^(٤) .

وقوله في هذا " مبنى على التفويض " تحتاج إلى وقفة فإن كان السيوطي يقصد بقوله : مبنى على التفويض ، أنه يتعلق بمسائل صفات الله — عز وجل — وأنه يفوض معاني الصفات الذي نسبه السيوطي إلى السلف ونقلته عنه ، فهذا التفويض المنسوب إلى السلف غلط على السلف وغلط على الكتاب والسنة ، فإن السلف لم يفوضوا في باب الصفات ، لكنهم أثبتوها إثباتاً حقيقياً بلاتمثيل ، ونزهوه — جل وعلا — عن مشابهة الخلق تنزيهاً بلا تعطيل ، وفسروا معانيها على مقتضى اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، دون تعرض لكيفيتها في حق الله — جل وعلا — فالكيف في حقه تعالى مجهول والسؤال عنه بدعة^(٥) ، فإن مقتضى القول بالتفويض أن الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم له معنى ، وأن الأنبياء والمرسلين لم يعلموا معاني ما أنزل الله تعالى عليهم من هذه النصوص وحينئذ فيكون ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه ، بل يقولون كلاماً لا يعقلونه ، ومعلوم أن هذا قدح في القرآن وفي الأنبياء إذ كان الله تعالى أنزل كتابه الحكيم وأخبر أنه جعله هدى ونوراً للناس ، وأمر الناس بتدبره وعقله ، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب — جل وعلا — عن نفسه بذكر أسمائه وصفاته لا يعلم أحداً معناه ، فلا يعقل ولا يستدبر ، ولا يكون الرسول — ﷺ — بين للناس منازل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين ، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء والمرسلين — عليهم السلام — وفتحاً لباب الزندقة والإلحاد ، وبهذا يتبين أن قول أهل التفويض الذي ينسبونه إلى السلف من أشرف أقوال أهل البدع والإلحاد^(٥) .

وقد اشبعت هذا الموضوع بحثاً في فصل الصفات " بما يغني عن إعادته هنا .

وإن كان مقصود السيوطي بقوله : " دائر على التفويض " أنه التسليم لأمر الله والتوكل عليه ، والاستعانة به تعالى والتبريء من الحول والقوة إلا به — جل وعلا — فلا شيء ولا محذور بل هو المطلوب ، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون ، (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله)^(٦) أي وأتوكل على الله

(١) القشيري : الرسالة (٥٥٣/٢) .

(٢) نفسه .

(٣) منها في مجموع الفتاوى : (٢١٠/١١) ، جامع الرسائل (١٢٣/٢ — ١٢٤ ، ١٨٦) .

(٤) علم التوحيد — مخ — لوحة رقم (٣١) .

(٥) أنظر : الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي ، التحفة المهدية شرح الرسالة التدميرية (ص ١١٥ — ١١٦) ، ت وتعليق — عبدالرحمن

بن صالح المحمود — دار الوطن ط/ ١٤١٤هـ .

(٦) سورة غافر ، بعض الآية (٤٤) .

وأستعينه^(١)

ثم يقول السيوطي : " ٠٠٠ بخلاف طريق جماعة من المتصوفة كابن عربي الطائي وأضرابه فإنه زندقة منافية للكتاب والسنة " ^(٢) .

ولله در السيوطي في هذه العبارة فقد نطق فيها بالحق وأعلن ضلال ابن عربي وزندقته .

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (١٣٥/٧) .

(٢) علم التوحيد — مخ — لوجه رقم (٣١) .

المبحث الرابع : الأبدال الأوتاد

{ الأبدال } : على قول من يثبت وجودهم — هم رجال تبدلت عوالمهم ، وتخلصت من الشوائب البشرية جواهرهم .
(١) وقد يجعلونهم أربعين رجلاً (٢) أو سبعة (٣) ، كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً آخر (٤) أو أنهم أبدال الأنبياء (٥) ، وأنهم بالشام (٦) .

{ والأوتاد } — أيضاً على قول من يثبت وجودهم — : أربعة رجال مقام كل واحد مقام ركن من أركان الأرض ، واحد بالشرق والثاني بالمغرب ، والثالث بالشمال والرابع بالجنوب (٧) ، كما وجد في كلام هؤلاء أيضاً إثبات وجود " النجباء الثلاثمائة " و " الأقطاب السبعة " ، و " الغوث " بمكة .

ورتبوهم على هذا النحو الهرمي :

- ١ — أولهم " الغوث " وهو على رأسهم .
 - ٢ — تحته " الأوتاد " الأربعة .
 - ٣ — ثم من تحتهم " الأقطاب " السبعة .
 - ٤ — ثم من تحت هؤلاء " الأبدال " الأربعون .
 - ٥ — ثم من تحتهم " النجباء " الثلاثمائة (٨) .
 - ٦ — ثم قاعدة الهرم العريضة ، وهم بقية الأمة من العلماء والمحدثين والدعاة والأولياء والحفاظ والقراء وغيرهم .
- وقالوا في مهمة هؤلاء جميعاً : إن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ، ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة ، والثلاثمائة يرفعونها إلى الأربعين ، والأربعون إلى السبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث (٩)
- والجلال السيوطي — عفا الله عنه — ممن يثبت وجود النجباء والأبدال ، والأقطاب ، والأوتاد ، ذكر بعضهم في مواضع وذكرهم جميعاً في رسالة مصنفه ضمن " الحاوي " بعنوان : " الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال (١٠) .

قال السيوطي : " . . . والسائحون من الأصناف الثمانية المذكورة في سورة براءة (التوبة ١١٢) (١١) : هم الذين اختاروا الحق على كل شيء ، وثبتوا على ذلك ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهؤلاء

(١) السيوطي : معترك الاقران (٢٠٨ / ٣) .

(٢) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوي (٤٣٣ / ١١ ، ٤٤٢) .

(٣) انظر : معترك الاقران ٢٠٨ / ٣ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوي (٤٤٢ / ١١) .

(٥) نفسه .

(٦) انظر : السيوطي : الحاوي للفتاوي (٢٤٢ / ٢ ، ٢٤٣) ، ومجموع الفتاوي ١١٠ / ٤٣٤ .

(٧) انظر : السيوطي : الحاوي للفتاوي (٢٤٢ / ٢ ، ٢٤٣) .

(٨) انظر : مجموع الفتاوي (٤٣٣ / ١١) .

(٩) انظر : السابق نفسه ، (٤٣٨ — ٤٣٧ / ١١) .

(١٠) انظر : الحاوي للفتاوي (٢٤١ / ٢ — ٢٥٥) .

(١١) وهي قوله تعالى : " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود

الله وبشر المؤمنين) .

يقال لهم (الأبدال) وأرباب الكمال ، وهم سبعة رجال ، قد تبدلت عوالمهم ، وتخلصت من الشوائب البشرية جواهرهم فأخذوا بالسياحة في البلدان لطلب لقاء الرجال إذ هي كبيعة الخير ، وفي الباطن لنيل المقامات والأحوال : الواردة من عين الجود بالجلال ، والكمال والجمال (١) .

فهذا كلام السيوطي في إثبات " الأبدال " وأنهم هم السائحون في الأرض للقاء الرجال ، وفي الباطن لنيل المقامات والأحوال فهم سائحون في الظاهر والباطن ، سائحون في الظاهر لطلب لقاء الرجال ، وسائحون في الباطن لطلب المقامات والأحوال ، هل هو لأخذ العلم عن هؤلاء الرجال فهذا لا يظهر لأنهم قد صاروا أبدالاً بمعنى أنهم قد كملوا ، وتبدلت عوالمهم ، وتخلصت من الشوائب البشرية جواهرهم ، فهم ليسوا بحاجة بعد ذلك إلى طلب علم جديد خفي عليهم ، أم أنهم طلبوا لقاء الرجال لشيء آخر وهو الذي عبر عنه بقوله : " إذ هي كبيعة الخير " ، والذي يظهر من هذا أنها بيعة الصوفية التي يحصل من جنسها بيعة بين الشيخ والمريد ، أو أخذ العهد عليه ، ونحو ذلك ، ولا يعلم في الشرع بيعة إلا بيعة الخلافة العامة ، أوبيعة الإمامة العظمي ، فما مستند هؤلاء الذين يبتدعون بيعة المريد لشيخة أو هذه التي يسميها السيوطي " بيعة الخير "؟ ثم إنه لم يقل أحد من المفسرين بأن السائحين المذكورين في آية التوبة هم " الأبدال " فالوارد في تفسيرها ثلاثة أقوال:

الأول : أنهم الصائمون ، وهو قول عامة المفسرين (٢) .

الثاني : أنهم طلاب العلم ، ولأن كل طالب بعلم تنتقل من بلد إلى آخر لطلبه ، لصار جميع طلاب العلم أبدالاً ، وعلى ذلك فلامسوخ للقول بأنهم أربعون رجلاً أو أنهم في بلد معين بخصوصه وهي بلاد الشام .

الثالث : أنهم السائحون في الأرض للجهاد في سبيل الله .

ذكر هذه الأقوال الثلاثة الإمام الرازي في تفسيره (٣) ، وأشار الإمام القرطبي في تفسيره إلى قولين آخرين :

أحدهما : أن السائحين هم المهاجرون . — الثاني : أنهم المتفكرون تجول عقولهم فيما ذكروا (٤) .

وأما ما كان تفسير السائحين في هذه الأقوال الخمسة فلا يدل أحدها على ماذهب إليه السيوطي ، على أن العلامة ابن كثير رجح القول الأول . وهو القول بأنهم الصائمون، ولم يذكر الإمام أبو جعفر ابن جرير قولاً غيره (٥) .

قال ابن كثير : " فهذه اصح الأقوال وأشهرها " (٦) يقصد الروايات التي أوردها عن النبي — ﷺ — في تفسير السائحين بأنهم الصائمون . ثم قال — رحمه الله — : " وليس المراد من السياحة ماقد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهد الجبال والكهوف والبراري فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين " (٧) .

أما عن " الأوتاد " فقد قال السيوطي : " وأما الساجدون فهم الذين اقعدت رسومهم ، وفنيت بالمجاهدة نفوسهم وجسومهم ، وهم أرباب الفناء المتجردون عن كل المناقذ، تخلصوا من رق البشرية لتحقيقهم أنه اللطيف الخبير السميع البصير ، عاشوا عيشاً تاماً كاملاً ، فإن ترك التدبير لله عيش ، كما أن التدبير نصف العيش ، ويقال لهذا الوجه : " الأوتاد " وهم أربعة رجال مقام كل واحد مقام ركن من الأركان شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً " (٨) .

(١) معترك الاقران (٢٠٨ / ٣) .

(٢) انظر الرازي : التيسير الكبير (٢٠٩ / ١٦) .

(٣) نفسه .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٧١ / ٨) (١٧٢) .

(٥) انظر جامع البيان (٣٧ / ١١ — ٣٩) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (١٥٧ / ٤) .

(٧) نفسه .

(٨) معترك الاقران (٢٠٨ / ٣) .

والسيوطي هنا يفسر " الساجدين " في سورة التوبة بأنهم هم " الاوتاد " كما هو واضح من سياق قوله ولم أر أحداً من المفسرين قال ماقاله السيوطي في تفسيرها بل كلهم مجمعون على أن المراد بقوله تعالى ﴿ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ أي المصلون الراكعون في صلاتهم الساجدون فيها .^(١)

والسيوطي نفسه في تفسيره " الدر المنثور " أورد الروايات التي تفسر السائحين بأنهم الصائمون ، والراكعين الساجدين أنهم المصلون الصلوات المفروضة^(٢) فكيف يورد هنا ما يخالف قوله هناك ؟

وكما قلت : إنه قد صنف رسالة في هذا الموضوع سماها " الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال " ^(٣) ، وأتى فيه بتهويل ليس عليه تعويل ، إذ كلها لا تنتهض للإحتجاج ، وهي تتبع من خيال المتصوفة الذين أصاب بعضهم الهوس وهم يلهثون وراء الولاية التي يلوح بها الشياطين لهم على طريق غير طريق رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام — رضي الله عنهم جميعاً .

وفصل المقال في هذه المسألة ما قاله ابن تيمية — رحمه الله — وهو يتكلم عن أهل الصفة وينكر قول من قال إنهم كانوا مستغنيين عن رسول الله ﷺ وأنه لم يرسل إليهم ، وأنه تعالى أوحى إلى أهل الصفة ، في الباطن ما أوحاه إلى محمد ﷺ ليلة المعراج ، وبعدما رد هذه الترهات والزندقة قال — رحمه الله — : " وقد روى أنه بها (أي الصفة) غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي ﷺ قال : " هذا واحد من السبعة " { أي الأقطاب } وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم ، وإن كان قد رواه أبو نعيم في الحلية ن وكذا كل حديث يروي عن النبي — ﷺ — في عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أو القطب الواحد ، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي — ﷺ — ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال ، وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ، وأنهم بالشام ، وهو في المسند من حديث علي — ﷺ — وهو حديث منقطع ليس بثابت^(٤) .

وقد سئل — رحمه الله — عن الحديث المروي في الأبدال هل هو صحيح أو مقطوع ؟ وهل الأبدال مخصوصون بالشام ؟ ٠٠٠ وما قول السادة العلماء في هذه الأسماء التي تسمى بها أقوام من المنسوبين إلى الدين والفضيلة ، ويقولون : هذا غوث الأغواث ، الكبير ٠٠٠ ؟ فأجاب — رحمه الله — قائلاً : " أما الاسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامّة مثل " الغوث " الذي بمكة ، و " الأوتاد الأربعة " و " الأقطاب السبعة " و " الأبدال الأربعين " و " النجباء الثلاثمائة " : فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ؛ ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ باسناد صحيح ، ولا ضعيف يحمل [عليه] ألفاظ الأبدال .

فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : " إن فيهم — يعني أهل الشام — الأبدال الأربعين رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً^(٥) " ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف ، كما هي على هذا الترتيب : ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشائخ وقد قالها أما أثرا لها عن غيره أو ذاكراً .

(١) انظر في ذلك : تفسير ابن جرير (٣٩ / ١١) ، تفسير القرطبي (١٧٢ / ٨) ، تفسير الرازي (٢١٠ / ١٦) ، تفسير ابن كثير (١٥٦ / ٤) ، تفسير السيوطي " الدر المنثور " (٢٩٦ / ٤) ، تفسير أبي المظفر السمعاني (٣٥٢٩ / ٢) ، تفسير الشوكاني (٤٠٩ / ٢) ، أحكام القرآن لابن العربي (١٠٢٠ / ٢) ، تفسير الجلالين (ص ٢٦١) ، مختصر تفسير الطبري (ص ٢٠٥) ، وأخيراً تفسير مخلوف بحاشية المصحف الشريف (ص ١٦٧) .

(٢) الدر المنثور (٢٩٦ / ٤) ، والجلالين (ص ٢٦١) .

(٣) الحاوي للفتاوي (٢٤١ / ٢) .

(٤) مجموع الفتاوي (١٦٧ / ١١) .

(٥) مسند الإمام أحمد (١١٢ / ١) .

وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله ، فصار فيه من الحق مايوجب قبوله و من الباطل مايوجب رده ، وصار كثير من الناس على طرفي نقيض .

قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل

وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق ، وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق لما اخبر به النبي ﷺ عن ركوب هذه الأمة سنن من قبلها حذو القذة بالقذة .

فإن أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في دينهم ، ولهذا يتغير الدين بالتبديل تارة ، وبالنسخ أخرى ، وهذا الدين لا ينسخ أبداً لكن يكون فيه من يدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان مايلبس به الحق بالباطل ، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفاً عن الرسل ، فينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فيحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون .

فالكتب المنزلة من السماء ، والأثارة من العلم الماثورة عن خاتم الأنبياء ، يميز الله بها الحق من الباطل ، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وبذلك يتبين ان هذه الأسماء على هذا العدد ، والترتيب والطبقات ليست حقاً في كل زمان ، بل يجب القطع بأن هذا على عموميه واطلاقه باطل ، فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرُونَ أخرى ، ويقل فيهم السابقون المقربون تارة ، ويكثرُونَ أخرى ، وينتقلون في الأمكنة ، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة ، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد .

وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا اقل من سبعة ، ثم أقل من أربعين ، ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الاعداد ، ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة ، وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ، ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة ، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين ، ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين ، وان كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون افضل منهم .

ثم ان الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان في المؤمنين في كل وقت من اولياء الله المتقين ، بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصى عدده إلا رب العالمين ، لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ، ولما انقضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين ، بل من السابقين المقربين من لايعرف عدده ، وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد ، وكل من جعل لهم عدداً محصوراً فهو من المبطلين عمداً أو خطأ ، فنسأله من كان القطب والثلاثة إلى سبعمائة ، في زمن آدم ونوح وإبراهيم ، وقبل محمد عليه الصلاة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة ؟ ! قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ۝ ٠٠٠ ﴾ ^(١) أي كان مؤمناً وحده وكان الناس كفاراً جميعاً ، وفي صحيح البخاري " أنه قال لسارة : ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك " ^(٢) وقال الله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ ^(٣)

وإن زعموا انهم كانوا بعد رسولنا عليه السلام نسألهم في أي زمان كانوا ؟ ومن أول هؤلاء ؟ وبأية آية ؟ وبأي حديث مشهور في الكتب الستة ؟ وبأي إجماع متواتر من القرون الثلاثة ثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقه ؟ لأن العقائد

(١) سورة النحل ، ب عض الآية (١٢٠) .

(٢) صحيح البخاري — ح رقم (٢٢١٧) الفتح (٤ / ٤١٠) ، وانظر ح / رقم (٢٦٣٥) ، (٣٣٥٧) ، (٣٣٥٧) ، (٥٠٨٤) ، ومسنند أحمد (٢ /

٤٠٤) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية (٢) .

لاتعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة ، ومن البرهان العقلي (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ^(١))

فإن لم يأتوا بهذه الأدلة الأربعة الشرعية فهم الكاذبون بلاريب فلا نعتقد أكاذيبهم .

ويلزم منه أن يرزق الله سبحانه وتعالى الكفار وينصرهم على عدوهم بالذات بلا واسطة ، ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات .

" فأما لفظ الغوث والغياث " فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين ، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ولا نبي مرسل .

ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ، ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة ، والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين ، والأربعون إلى السبعة ، والسبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك ، فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ... ﴾ ^(٢) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أمن يحيب المضطر إذا دعاه ... ﴾ ^(٣)

فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب ؟ وهو القائل تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستحيوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ ^(٤) وقال إبراهيم عليه السلام داعياً لأهل مكة ﴿ ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا إنك تعلم مانخفي مانعلن وما يخفي على الله شيء في الأرض ولا في السماء . الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء ﴾ ^(٥)

وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر " أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائباً ، وإنما تدعون سميعاً قريباً ، ان الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " ^(٦) وهذا باب واسع .

وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم ، لا ظاهراً ولا باطناً بهذه الوسائط والحجاب ، فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علواً كبيراً ، وهذه من جنس دعوى الرافضة انه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به ، ثم مع هذا يقولون أنه كان صبيهاً دخل السرداب من أكثر من اربعمئة وأربعين سنة ، ولا يعرف له عين ولا أثر ، ولا يدرك له حس ولا خبر .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه ، بل هذا الترتيب والاعداد تشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية ، والنصيرية ، ونحوهم في السابق والتالي والناطق . والأساس والجسد ، وغير ذلك من الترتيب ، الذي مانزل الله به من سلطان .

(وأما الأوتاد) فقد يوجد في كلام البعض انه يقول : فلان من الأوتاد ، يعنى بذلك أن الله تعالى يثبت به الإيمان ، والدين في قلوب من يهديهم الله به ، كما يثبت الأرض بأوتادها ، وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء

(١) سورة البقرة ، بعض الآية (١١١) ، سورة النمل ، بعض الآية (٦٤) .

(٢) سورة الأسراء ، بعض الآية (٦٧) .

(٣) سورة النمل ، بعض الآية (٦٢) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٨٦) .

(٥) سورة إبراهيم — عليه السلام — الآيات (٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) .

(٦) صحيح البخاري ، ح رقم (٢٩٩٢) الفتح ٦٠ / ١٣٥ ، وانظر ح رقم (٤٢٠٥) ، (٦٣٨٤) ، (٦٤٠٩) ، (٦٦١٠) ، (٧٣٨٦) ،

وصحيح مسلم (٢٠٧٦ / ٤) ح رقم (٢٧٠٤) ، ومسنند أحمد (٣٩٤ / ٤) ، (٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩) .

فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة ، والجبال الكبيرة ، ومن كان بدونه كان بحسبه ، وليس ذلك محصوراً في أربعة ولا أقل ولا أكثر ، بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض .

(وأما القطب) فيوجد أيضاً في كلامهم فلان من الأقطاب . أو فلان قطب ، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا ، باطناً أو ظاهراً ، فهو قطب ذلك الأمر ومداره ، سواء كان الدائر عليه امر داره أو دريه ، أو قريته أو مدينته ، أمر دينها أو دنياها ، باطناً أو ظاهراً ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر : لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصلاح الدنيا والدين دون مجرد صلاح الدنيا ؛ فهذا هو القطب في عرفهم فقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء ، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقاً .

وكذلك لفظ " البذل " جاء في كلام كثير منهم ، فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ ، فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام ، وكانت الشام والعراق دار كفر ، ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه عليه السلام أنه قال : " تمرق مارقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق " (١) فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام ، معلوم أن الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة مثل عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ونحوهما ، كانوا أفضل من الذين كانوا مع معاوية ، وإن كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما ، فكيف يعتقد مع هذا أن الإبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟! هذا باطل قطعاً ، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدراً .

والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط ، فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله تعالى : ﴿ ولاتقف ماليك به علم ﴾ (٢) وفي

قوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (٣) ومن تكلم بقسط وعدل دخل في قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ﴾ (٤) وفي قوله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ (٥) وفي قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ (٦)

والذين تكلموا باسم البذل فسروه بمعان : منها أنهم إبدال الأنبياء ومنها أنه كلما مات منهم رجل إبدال الله تعالى مكانه رجلاً ، ومنها أنهم إبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات ، وهذه الصفات كلها لاتختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ، ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض ؛ وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم " النجباء " .

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، مثل تفسير بعضهم " الغوث " هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم فإن هذا معدوم العين والأثر شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة .

وكذلك من فسر " الأربعين الإبدال " بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل ؛ بل النصر والرزق يحصل بأسباب من أكدها دعاء المؤمنين ، وصلاتهم وأخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ، كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال : يارسول الله : الرجل يكون حامياً القوم ، يسهم له مثل مايسهم لضعفهم ؟ فقال : " "

(١) صحيح مسلم (٧٤٥ / ٢) ح رقم (١٥٠) من كتاب الزكاة ، رقم (١٥٢) ، ومسنند أحمد (٢٢ / ٣ ، ٤٨) .

(٢) سورة الاسراء ، بعض الآية (٣٦) .

(٣) سورة الاعراف ، بعض الآية (٣٣) .

(٤) سورة النساء ، بعض الآية (١٣٥) .

(٥) سورة الأنعام ، بعض الآية (١٥٢) .

(٦) سورة الحديد ، بعض الآية (٢٥) .

ياسعد ! وهل تتصرون وترزقون إلا بضغفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم" (١) .

وقد يكون للرزق والنصر أسباب آخر، فإن الفجار والكفار أيضاً يرزقون وينصرون ، وقد يجذب الأرض على المؤمنين ويخيفهم من عدوهم لينبئوا إليه ويتوبوا من ذنوبهم ، فيجمع لهم بين غفران الذنوب وتفريج الكرب ، وقد يملأ للكفار ويرسل السماء عليهم مدراراً : ويمدهم باموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر وإما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة فليس كل انعام كرامة ، ولا كل امتحان عقوبة ، قال الله تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وإما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا ﴾ (٢)

وليس في أولياء الله المتقين ، ولا عباد الله المخلصين ، الصالحين ولا أنبيائه المرسلين ؛ من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول القائلين ان علياً في السحاب، وأن محمد بن الحنفية في جبال رضوى ، وأن محمد بن الحسن بسر داب سامري وأن الحاكم بجبل مصر ، وأن الابدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان ، فكل هذا ونحوه من قول اهل الأفك والبهتان ، نعم قد تخرق العادة في حق الشخص ، فيغيب تارة عن أبصار الناس أما لدفع عدو عنه . وأما لغير ذلك ، وإما أنه يكون هكذا طول عمره فباطل نعم ! يكون نور قلبه وهدي فؤاده ومافيه من أسرار الله تعالى وأمانته وأنواره ومعرفته غيباً عن أعين الناس ، ويكون صلاحه وولايته غيباً عن أكثر الناس ، فهذا هو الواقع وأسرار الحق بينه وبين أوليائه ، وأكثر الناس لا يعلمون ، وقد بينا بطلان اسم الغوث مطلقاً ، وأندرج في ذلك غوث العجم ومكة والغوث السابع" (٣)

فهذا كلام شيخ الإسلام بنصه ، وقد أثرت أن أنقله وإن طال ، وذلك لأهميته في هذا الموضوع ، ولأنه حجة في هذا الباب ، وحتى لا يبقى بغده كلام لمتهوك أو لمتهوس يحجب به قرص الشمس ، ورحم الله تعالى السيوطي ما كان أحراره ، وهو الحافظ المحقق ، ألا ينجر وراء هؤلاء المبطلين وإن كثرت الخبث وعمت البدع في أيامه ولياليه

المبحث السادس : الخضر — عليه السلام

العبد الصالح الذي سار موسى — عليه السلام — إليه هو الخضر وهو غير مذكور باسمه هذا في كتاب الله تعالى فهو من " مبهمات القرآن " لكنه مبين في الحديث الصحيح ، حيث بين ذلك رسول الله ﷺ وسيأتي حديثه إن شاء الله (٤) . وفي سبب تسميته بالخضر فقد قال النبي — ﷺ — " إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء" (٥)

والفروة البيضاء قال عنها عبدالرزاق في مصنفه : " الحشيش الأبيض " .

وقال عنها إبراهيم الحربي : " هي القطعة من الأرض عليها حشيش يابس " .

(١) صحيح البخاري ، ح رقم (٢٨٩٦) الفتح (٨٨/٦) ولفظه : " هل تتصرون إلا بضغفائكم ؟ " وعند أحمد : " وهل ترزقون وتتصرون إلا بضغفائكم " المسند (١٧٣/١) ، وفي المسند أيضاً (١٩٨/٥) : " أبقوني ضعفاءكم ، فإنكم إنما ترزقون وتتصرون بضغفائكم " ، وعند النسائي : " إنما نصر هذه الأمة بضغفهم ، بدعواتهم ، صلاتهم ، إخلاصهم " ، أنظر : ابن حجر : الفتح (٨٩/٦) .

(٢) سورة الفجر ، الأيتان (١٦/١٥) .

(٣) مجموع الفتاوي (١١/٤٣٣ — ٤٤٤) .

(٤) ذكر السيوطي في كتابه : " مفحمت الأقران في مبهمات القرآن ، (ص ١٤١ ، — إياد خالد الطباع : أن اسمه : إيليا ، وقيل : اليسع وقيل

: إلياس ، وعزاه للكرماني في " عجائبه " وذكر ذلك ابن حجر في الفتح (٤٣٣/٦) وزاد عليه بقوله : وقيل عامر ، وقيل خضرون ، قال

: والأول أثبت ، ثم جر نسبه فقال : أين ملكان بن فالغ ابن عابر بن شالح بن أرفشذ بن سام بن نوح ... كنيته أبو العباس . أ . هـ .

(٥) صحيح البخاري — رقم (٣٤٠٢) الفتح (٤٣٣/٦) .

وقال عنها ابن الأعرابي : " هي أرض بيضاء ليس فيها نبات" (١)

والذي يبدو لي من الحديث أن هذه معجزة من معجزات الخضر — عليه السلام — على القول الراجح بنبوته

ويبدو أيضاً أنه — عليه السلام — جلس على قطعة من الأرض يابسة وعليها حشيش وعشب يابس ، فلما جلس عليها دببت فيها الحياة ، فاهترت تحته لتصبح خضراء ، أي نبت العشب الأخضر على تلك القطعة ، ولهذا سمي " الخضر " من الخضرة والأخضرار ، وحكي عن مجاهد أنه قيل له الخضر لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله (٢) .

وردت قصة الخضر — عليه السلام — مع موسى عليه السلام ، في سورة الكهف من الكتاب العزيز ، وتبدأ القصة بقوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لفتهاه لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر عجباً * فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً * قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً * فوجدا عبداً من عبادنا أتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا ع(٣) ﴾

يقول ابن كثير : " سبب قول موسى لفتهاه — وهو يوشع بن نون — هذا الكلام أنه ذكر أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الذهاب إليه ، وقال لفتهاه ذلك : ﴿ لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ أي لا أزال سائراً حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين ﴾ (٤)

ثم التقى موسى — عليه السلام — بالخضر — عليه السلام — فطلب موسى أن يتبع الخضر حتى يتعلم منه ، ثم كان من امر الخضر أن خرق السفينة ، وقتل الغلام ، فانكر عليه موسى — عليه السلام — ذلك لأنه إتلاف للأموال ، وإزهاق للأرواح البريئة من غير وجه حق في أحكام الشرع .

وروى قصتهما الإمام البخاري في كتاب التفسير من صحيحه كاملة وفيه قال الخضر : " ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه ... " (٥) .

وفي السبب الذي ذكره العلامة ابن كثير والذي دفع موسى إلى السير لملاقاة الخضر عليه السلام اقتضاب واختصار ، وقد بين النبي — ﷺ — ذلك السبب أو ضح بيان وأتمه ، ففي حديث سعيد بن جبير يرويه عن ابن عباس عن أبي بن كعب — رضي الله عنهم جميعاً — أن أياً سمع النبي — ﷺ — يقول " إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل ، أو قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقفت القلوب ، وليّ ، فأدركه رجل فقال : أي رسول الله ، هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ قال : لا ، أو أنه — عليه السلام — سئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : يارب كيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكث (٦) فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ (٧) وذكر تمام القصة على سياق القرآن الكريم .

(١) انظر هذه الأقوال في فتح الباري (٤٣٣/٦) ، قال عبدالله بن الإمام أحمد في كلام عبدالرزاق ، " أظن هذا تفسيراً من عبدالرزاق " بمعنى أنه

ليس حديثاً مسنداً إلى النبي — ﷺ — .

(٢) انظر : فتح الباري (٤٣٣/٩) .

(٣) سورة الكهف ، الآيات (٦٠ — ٦٥) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٧٤/٥) .

(٥) صحيح البخاري — رقم (٤٧٢٥) كتاب التفسير ، سورة الكهف ، باب (٢) .

(٦) المكث على وزن منبر : زنبيل يسع خمسة عشر صاعاً ، ترتيب القاموس (١٤/٤) ، وفي اللسان (٥٨٣/١١) المكث والمكثلة : الزبيل

الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين ٠٠ وهو بكسر الميم : الزمبيل الكبير كأن فيه كُتلاً من التمر أي قطعاً مجمعة .

(٧) صحيح البخاري — رقم (١٢٢) ، (٤٧٢٥) ، (٤٧٢٦) الفتح (٢١٧/١) ، (٤٠٩/٨ — ٤١٢) ، وصحيح مسلم

(١٨٤٧/٤) ح رقم (٢٣٨٠) ، سنن الترمذي — كتاب التفسير — سورة الكهف (١٨) باب (١) ، وأحمد في المسند

وليس المقصود هنا مجرد سياق القصة ، وإنما مقصودنا أن نبين ماقاله السيوطي عن الخضر اعتقاداً ، وفصل الكلام فيه ، وسأتناول هنا الكلام عنه في مسألتين اثنتين — إن شاء الله — :

أحدهما : هل الخضر نبي أم أنه مجرد ولي ؟

الثانية : هل هو حي الآن أم أنه في عداد الأموات ؟

أولاً : نبوة الخضر :

اختلف العلماء في حقيقة الخضر هل هو ولي أو نبي ؟

١ — فذهب أبو القاسم القشيري في رسالته ، وأبو علي ابن أبي موسى من الحنابلة ، وأبو بكر بن الأنباري ، وجماعة من المتصوفة إلى أن الخضر كان ولياً وليس بنبي ^(١) . وهذا هو الأساس الذي بنت عليه المتصوفة ضلالها في تفضيل الولي على النبي والرسول ، كما قال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي ^(٢)

وعلى هذا القول : الولي في اعلى المقامات ، ويليه النبي ، وأما الرسول فهو في أدنى المنازل ، وهذا رأي باطل والأدلة على خلافه .

٢ — وذهب ابن عباس وهب بن منبه إلى أنه كان نبياً غير مرسل ^(٣) وهو قول جمهور العلماء من المفسرين والأصوليين والمحدثين والمؤرخين ، فقد حكى ابن عطية البغوي عن أكثر اهل العلم أنه نبي ^(٤) . وقال الفخر الرازي : " قال الأكثرون أن ذلك العبد الصالح كان نبياً " ^(٥)

وقال القرطبي : " والخضر نبي عند الجمهور ، وقيل هو عبد صالح غير نبي ، والآية تشهد بنبوته ، لأن بواطن أفعاله لاتكون إلا بوحى وأيضاً فإن الإنسان لايتعلم إلا ممن هو فوقه وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي " ^(٦) وقال أبو حيان : " والجمهور على أنه نبي " ^(٧) ، وقال الثعلبي : " هو نبي في جميع الأقوال " ^(٨) وفي هذا نظر لأن الخلاف مشهور .

غير أنه لم يرد نص صريح بإثبات نبوته ، ولكن سياق قصته مع موسى — عليه السلام — في القرآن يوحى بنبوته ، ويدل على ذلك أدلة منها :

١ — قوله تعالى : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا ﴾ ^(٩) والله تعالى يصف الأنبياء في أشرف المقامات بالعبودية ، كما

(١١٩ ، ١١٨ / ٥) .

(١) أنظر : ابن حجر : الزهر النضر ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (١٩٨ / ٢ — ١٩٩) . وابن كثير : تفسيره (١٨٣ / ٥) ، وفتح الباري (٦ / ٤٣٤)

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوي (٢٢٦ / ١١)

(٣) الزهر النضر ٢٠ / ١٩٨ ، وأنظر : الدر المنثور (٤٢٥ / ١٦) .

(٤) أنظر فتح الباري (٤٣٥ / ٦) .

(٥) التفسير الكبير (١٤٩ / ٢١) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٢ / ١١) .

(٧) أنظر ابن حجر ، الزهر النضر في نبأ الخضر (١٩٨ / ٢) .

(٨) نفسه

(٩) سورة الكهف ، بعض الآية (٦٥) .

قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ ^(١) والعبد هنا في هذه الآية هو رسول الله محمد — ﷺ — وقال جل وعلا — أيضا — : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ۝ ١٠٠ ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ۝ ١٠٠ ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ۝ ١٠٠ ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ ^(٥) وقال تعالى : ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ۝ ١٠٠ ﴾ ^(٦) وقال تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ۝ ١٠٠ ﴾ ^(٧) وقال تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ^(٨) ﴾

فهذه الآيات كلها في حق رسول الله ونبيه ومصطفاه محمد — ﷺ — .

وقال تعالى في حق رسول الله نوح — عليه السلام — : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ^(٩) .

وقال تعالى عن نوح ولوط عليهما السلام : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٠) .

وقال تعالى عن عيسى — عليه السلام — : ﴿ قال اني عبد الله ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١١) وقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٢) وقال تعالى : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٣) ، وقال تعالى عن داود عليه السلام : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٤) وقال تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ وهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ ^(١٥) وقال تعالى عن أيوب — عليه السلام — : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٦) ثم قال تعالى عنه : ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٧) ، وهكذا حديث ربنا عن الأنبياء ووصفهم بالعبودية لأنهم أفضل من حققوا العبودية التامة الكاملة لله جلا وعلا ، وكذلك قال تعالى عن الخضر : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٨) فهو من جملة هؤلاء العباد الأنبياء .

٢ — قوله تعالى : ﴿ ۝ ١٠٠ آتيناه رحمة من عندنا ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١٩) والرحمة من معانيها النبوة قال ابن عباس —

(١) سورة البقرة ، بعض الآية (٢٣) .

(٢) سورة الاسراء بعض الآية (١) .

(٣) سورة الكهف ، بعض الآية (١) .

(٤) سورة الفرقان ، بعض الآية (١) .

(٥) سورة النجم ، الآية (١٠) .

(٦) سورة الحديد بعض الآية (٩)

(٧) سورة الجن ، الآية (١٩) .

(٨) سورة العلق ، الآيتان (٩ ، ١٠) .

(٩) الاسراء ، الآية (٣) .

(١٠) سورة التحريم ، بعض الآية (١٠)

(١١) سورة مريم ، بعض الآية (٣٠) .

(١٢) سورة النساء ، بعض الآية (١٧٢) .

(١٣) الزخرف ، بعض الآية (٥٩) .

(١٤) سورة ص ، بعض الآية (١٧) .

(١٥) سور ص ، الآية (٣٠) .

(١٦) سورة ص ، بعض الآية (٤١) .

(١٧) سورة ص ، بعض الآية (٤٤) .

(١٨) سورة الكهف ، بعض الآية (٦٥) .

(١٩) سورة الكهف ، بعض الآية (٦٥) .

رضي الله عنهما — أعطيناه الهدى والنبوة .^(١) .

يؤيد هذا قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أ هم يقسمون رحمة ربك ﴾^(٢) .

قال القرطبي : " يعنى النبوة " ^(٣) وكذلك قال الشوكاني ^(٤) وقال أبو المظفر السمعاني : " أي رسالة ربك " ^(٥) وبنحوه قال ابن كثير ^(٦) .

وكذلك قوله تعالى في سياق قصة نوح — عليه السلام — : ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده ﴾ ^(٧) قال القرطبي : " أي نبوة ورسالة ، عن ابن عباس ، وهي رحمة على الخلق " ^(٨) .

٣ — قوله تعالى : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ ^(٩) فقد أطلع الله تعالى على علم بعض الأمور الغيبية ، وهذامن علم النبوة ، يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾ ^(١٠) قال القرطبي : " النبوة والخلافة في الأرض والزبور " ^(١١) . وقال ابن كثير : " الملك والتمكين التام في الدنيا ، والنبوة والرسالة " ^(١٢) وكذل قيل في قوله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾ ^(١٣) أي ورثه في مهمة النبوة ، قال السمعاني : " ليس المراد منه وراثة المال ، وإنما المراد منه إرث الملك والنبوة " ^(١٤) .

٤ — لو لم يكن الخضر نبياً لكان غير معصوم ، وهذا معناه احتمال الخطأ في بعض أفعاله ، فكيف يتبعه ويتعلم منه نبي معصوم ؟ وإذا أخطأ في فعل من الأفعال فكيف يقتدي به النبي المعصوم ؟ فاتباع موسى — عليه السلام — له دل على عصمة الخضر في أفعاله ، ولا عصمة إلا للأنبياء .

٥ — إقدام الخضر على قتل الغلام دل على نبوته ، لأن قتل النفس المعصومة لايجوز إلا بالحق ، ولو لم يكن نبياً لما علم كفر الغلام ، وبخاصة ان موسى النبي الذي معه لم يعلم كفر الغلام .

ثم تعليل الخضر لموسى — عليهما السلام — بأن قتله لكفره ، يدل على أن الله أخبره بكفره ، وأمره بقتله .

٦ — قول الخضر : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ ^(١٥) أي لم أقم بهذه الأفعال عن امري الشخصي ، وإنما أمرني بها الله سبحانه وتعالى ، وهذا الأمر الرباني عن طريق الوحي .

(١) السيوطي : الدر المنثور (٤٢٥/١٦) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣١) وبعض (٣٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٦) .

(٤) انظر فتح القدير (٥٥٤/٤) .

(٥) تفسير السمعاني (٩٩/٥) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢١٣/٧) .

(٧) سورة هود بعض الآية (٢٨) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٩) ، الدر المنثور (٤١٦/١٢) عن ابن جريج . وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ .

(٩) سورة الكهف ، بعض الآية (٦٥) .

(١٠) سورة النمل ، بعض الآية (١٥) .

(١١) الجامع لأحكام القرآن (١١٠ / ١٣) .

(١٢) تفسير القرآن العظيم (١٩٢/٦) .

(١٣) سورة النمل ، بعض الآية (١٦) .

(١٤) تفسير السمعاني (٨٦/٤) ، والشوكاني (١٢٩/٤) ، والدر المنثور (٣٤٤/١٩) .

(١٥) سورة الكهف ، بعض الآية (٨٢) .

قال ابن حجر : " وهذه ظاهرة أنه فعله بأمر من الله والأصل عدم الوساطة ، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس ، وتعرض النفس للغرق ، فإن قلنا إنه نبي فلا إنكار في ذلك . . . وكان بعض أكابر العلماء يقول : أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً ، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي ^(١) " .

٧ — عتب الله تعالى على موسى — عليه السلام — عندما قال : " أنا أعلم الناس " فقال له الله تعالى : " إن عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك " فالخضر أعلم من موسى في تلك المسائل ولا يمكن أن يكون من ليس بنبي أعلم من النبي .

٨ — قول الخضر لموسى : " إني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه " ^(٢) .

وبناء على هذه الأدلة فلا مسوغ للقول بأن الخضر ليس بنبي وإنما هو ولي ، فهذا يقتضي تفضيل الولي على النبي ، وهذا أمر خلاف الإجماع ، ولذلك شدد بعض العلماء جداً في الإنكار على من نفى النبوة عنه قال القرطبي : " ولننبه هنا على مغلطتين :

الأولى : وقع لبعض الجهلة أن الخضر أفضل من موسى . تمسكاً بهذه القصة وبما اشتملت عليه ، وهذا إنما يصدر ممن قصر نظره على هذه القصة ولم ينظر فيما خص الله به موسى عليه السلام — من الرسالة وسماع كلام الله وإعطائه التوراة فيها علم كل شيء ، وأن أنبياء بني إسرائيل كلهم داخلون تحت شريعته ، ومخاطبون بحكم نبوته حتى عيسى ، وأدلة ذلك في القرآن كثيرة والخضر وإن كان نبياً فليس برسول باتفاق ، والرسول أفضل من نبي ليس برسول ، ولوتزلنا على أنه رسول فرسالة موسى أعظم وأتمه أكثر فهو أفضل ، وغاية الخضر أن يكون كواحد من أنبياء بني إسرائيل وموسى أفضلهم وإن قلنا إن الخضر ليس بنبي بل ولي ، فالنبي أفضل من الولي وهو أمر مقطوع به عقلاً ونقلاً ، الصائر إلى خلافه كافر لأنه أمر معلوم من الشرع بالضرورة ^(٣) .

فقله : " والصائر إلى خلافه كافر " أي : إن القول الصحيح : أن النبي أفضل من الولي فمن صار إلى خلاف هذا القول كفر ، ذلك لأنه يستلزم تنقص الأنبياء والإزراء بهم ، وإنزالهم منزلة دنيئة لم يردها الله تعالى لهم ، وهذا يؤدي إلى اعتقاد النقص فيهم والجهل وعدم الفطنة ، والبلادة وتقل الفهم ، كما أن مسألة تفضيل النبي على الولي مما علم من الدين بالضرورة ، لا يحتاج المؤمن منه إلى دليل ، فقد استقر في جميع فطر المؤمنين أن الأنبياء هم صفوة البشر الذين اختارهم الله تعالى سفراء بينه وبين خلقه ، ولا يقع اختياره سبحانه لمن يشغل منصب النبوة إلا على من لا يفضل أحد من البشر كائناً من كان ، فإذا كان الولي أفضل ، فكيف يختار الله تعالى لهذا الشأن الخطير الشخص الأدنى دون الأعلى والأفضل وهو الشأن الذي به سعادة البشرية ونورها وحياتها .

ومما سبق من الأدلة وأقوال العلماء يتبين بجلاء أن الحق والصواب هو أن الخضر نبي من أنبياء الله تعالى ، وأن القول بولايته دون نبوته باطل ، وهو مدخل كبير للكفر والزندقة والانحلال من أحكام الشرع الشريف ، وليس معنى قولنا إنه نبي أننا ننفي عنه الولاية فكل نبي ولي ولا ينعكس بمعنى أنه ليس كل ولي يكون نبياً ، فالأنبياء هم أفضل الأولياء بمعنى أنهم تعدوا منزلة الولاية بمراحل بعيدة شاسعة ، فلا مقارنة بين الأنبياء وبين غيرهم ولا مجال أن يقترب الولي من النبوة ، فضلاً عن أن يقال أن الولي أفضل من النبي ، فهذا امر مقطوع به عقلاً ونقلاً — كما قال القرطبي — والصائر إلى خلافه كافر ، ومثله من قال إن الولي لا يحتاج إلى النبي ، أو لا يحتاج إلى الشرع

(١) الزهر النضر (ص ١٩٧ — ١٩٨) .

(٢) انظر هذه الأدلة في " البداية والنهاية " (٣٢٨/١) .

(٣) ابن حجر : فتح الباري (٢٢١/١) ، نقلها عن القرطبي .

الذي أتى به النبي — ﷺ — فهذا الكلام أيضاً — كما قال القرطبي — زندقة وكفر ، وقد حكم عليه بالقتل من غير استتابة ، والحق انه فعلاً يستحق هذا الحكم ، ونسأل الله تعالى الهداية للحق والثبات عليه .

إما الجلال السيوطي فقد رأيت له رسالة في فهرس مخطوطاته بعنوان " الوجه النضر في ترجيح نبوة الخضر " (١) ولم أرها ، والظاهر من عنوانها أن السيوطي يرجح القول بنبوة الخضر ، وأنه بذلك قد وافق الرأي الصحيح ، والقول الذي ذهب إليه جمهور الأئمة ، فالحمد لله الذي وفقه لترجيح القول الصحيح .

ثانياً : هل هو حي أم ميت ؟

الناس في موت الخضر وحياته على ثلاثة أقوال :

١ — منهم من قطع بموته وعدم وجوده .

٢ — ومنهم من ذهب إلى أنه حي .

٣ — ومنهم من توقف ولم يقل بواحد من القولين السابقين .

أما السيوطي فله في هذه المسألة قولان :

١ — رأي ارتضاه وهو القول بأنه حي .

٢ — والثاني التوقف .

ولأدري أيهما أرجح عنده . هل قوله بحياة الخضر كان أولاً ، ثم رأي أن أدلة هذا القول لاتفيد القطع اليقيني بذلك وإن كانت وردت في حياته آثار وأقوال ، ومن ثم توقف في الحكم بحياته أو موته .

أم ان التوقف كان أولاً ثم رجحت لديه الأدلة فكانت عنده ظناً غالباً فارضى بعد ذلك القول بحياته ، وإن ماتحت يدي الآن لايسعني في الجواب على هذا التساؤل ، وسأورد الآن كلا رأييه :

أما قوله بحياة الخضر ، فقد قاله جواباً على سؤال سائل ضمن "الحاوي" قال السائل :

أرى على الأقران والسنظراء	ما أشهر القولين بآمن علمه
وحياته يافأئزاً بثناء	في موت مشهور الحياة أي الخضر
شيخ الزمان وفائق العلماء	قولان مشهوران قالهما الرضا
ببغداد يشهر بين كل ملاء	بقوام دين الله لقب وهو من
فأعجب لـ إذا ياكل الأراء	وأقام برهاناً على فقدانسه
وجزيت يوم الحشر خير جزاء	لازلت معدوداً لكل ملمة

فأجاب السيوطي على السائل بقوله

ثم الصلاة لسيد النجباء	من بعد حمدي دائماً وثناني
أودي قديماً أوحىي ببقاء	للناس خلف شاع في خضر وهل
تسمو على الجوزاء في العلياء	ولكل قول حجة مشهورة
حجج تجل الدهر عن إحصاء	والمرتضى قول الحياة فكم له
عسـ ، هـ ادا سـ ، نقه (٢) بسما	خضر وإلياس بأرض مثل ما

(١) دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها " تأليف كل من : احمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني (ص ١٤٩) ط / ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

، كشف الطنون (٢٠٠١) ، برلين (٢٥٥٨ / ٩) ، هدية العارفين (١ / ٥٤٤) .

(٢) هكذا في الحاوي (١٣٩/٢) بصيغة الجمع والصحيح أن يعبر بصيغة المثلى ولعله من ضرورة النظم .

(٣) الحاوي (١٣٩/٢) .

هذا جواب ابن السيوطي الذي عيسى وإدريس بقوا^(٢) بسماء
يرجو من الرحمن خير جزاء^(٣) "

وفي هذا إشارة إلى اختلاف الناس في موت الخضر وحياته ، ثم بين أن القول الذي ارتضاه هو القول بحياته ، وأما قوله

خضر وإلياس بأرض مثل ما عيسى وإدريس بقوا بسماء

فهو إشارة إلى الأثر الذي يقول : " أربعة من الانبياء أحياء : أثنان في السماء عيسى وإدريس وإثنان في الأرض ، الخضر وإلياس ، فاما الخضر فإنه في البحر وأما صاحبه فإنه في البر "^(١)

وأما توقفه في ذلك فقد رأيته في مقامة من مقاماته بعنوان " طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة "^(٢)

وهي رد على أحد خصومه في عصره ، قال السيوطي ، " وأما الخضر بخصوصه فأئمة الحديث لا يثبتون له الآن وجوداً ، وما يروى في حقه رأوه في ديوان الموضوعات محدوداً ، وأما أنا فلا أقول فيه نفيّاً ولا إثباتاً ، ولا أنطق في حقه بقاء ولا بقاء ولا تاء ، مراعاة لأهل الحديث والصوفية ، ولعدم أدلة باثباته وفيه "^(٣)

وكما قلت فليس لدى الآن ما يرجح أحد القولين اللذين تردد بينهما السيوطي .

أما القائلون بحياة الخضر فقد بنوا رأيهم على كثير من الروايات والحكايات والأقاويل ، وحتى بعض الخرافات والاساطير ويزعمون مقابلته لرسول الله ﷺ — ومقابلته لأبي بكر وعمر وعلي وعمر بن عبد العزيز ، ولقاءه مع كثير من الزهاد والعباد والمتصوفين ، وأنه يجوب الفيافي والقفار والأماكن المهجورة ، ويظهر على عابدين يعلمهم ويطعمهم ويكلمهم وأكثر الناس رواية للأساطير والأقاويل والحكايات المنسوجة حول حياته ولقاءاته هم الصوفيون .

وممن قال بحياة الخضر — عليه السلام — بعد رسول الله ﷺ — من العلماء : الإمام النووي ، وابن الصلاح والسهيلي وغيرهم .

قال النووي : " قال الأكثر من العلماء : هو حي موجود بيننا ، وذلك متفق عليه عند الصوفية ، وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه ، وسؤاله وجوابه ، ووجوده في المواضع الشريفة ، ومواطن الخير أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه : هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامّة معهم في ذلك ، وإنما شد بإنكاره بعض المحدثين "^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن شاهين عن خصيف (٤٣٢/١٦) ، والخبر مقتنه باطل ، لأن المعلوم والمقطوع به من عقيدة أهل السنة والجماعة — أن الله لم يجعل لبشر الخلد ، وأن كل الانبياء — عليهم السلام — أموات سوى عيسى — عليه السلام — بنص القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة المتواترة عن نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان ، أما الأثر الذي ذكره السيوطي ، فإن خصيفاً هذا هو ابن عبد الرحمن الجزري الحراني ، أبو عون ، ضعفه أحمد ، وقال مرة ليس بالقوي ، وقال ابن معين : صالح ، وقال مرة : ثقة ، وقال أبو حاتم : تكلم في سوء حفظه ، وقال يحيى القطان : كنا نجتنب خصيفاً ، وفي التقريب (١٧٢٨) صدوق سيء الحفظ خلط بآخره ورمي بالارحاء أ — هـ . وفي التهذيب (٢٠٢٨) عن أحمد بن حنبل : خصيف شديد الاضطراب في المسند ، وقال أبو حاتم : صالح يخلط ، وتكلم في سوء حفظه ، وقال الآجري عن أبي داود : مضطرب الحديث . أ — هـ .

(٢) انظر : سمير محمود الدروبي : شرح مقامات السيوطي (٦١٦/٢) .

(٣) شرح مقامات السيوطي (٦٩٨/٢ — ٦٩٩) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١٧٦/١ — ١٧٧) .

ورغم أن هذا الفريق من العلماء اعتمدوا على أحاديث وأقاويل وروايات إلا أنه لم يصح منها شيء ، فكل هذه الروايات ما بين الضعيف والموضوع ، ولم تصل واحدة منها لمرتبة الحسن فضلاً عن الصحيح .

ولذلك نقل ابن حجر عن أبي الخطاب بن دحية في رده على السهيلي — والسهيلي ممن يقول بحياة الخضر بعد البعثة — قال " الطرق التي أشار إليها لم يصح منها شيء ، ولا ثبت إجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء ، إلا مع موسى عليه السلام — كما قص الله خبرهما .

وجميع ماورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل ، وإنما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته ، إما لكونه لا يعرفها ، وإما لوضوحها عند أهل الحديث ، وأما ماجاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه ، كيف يجوز لعقل أن يلقى شخصاً لا يعرفه فيقول له : أنا فلان ، فيصدقه " (١)

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد روايات وأقوالاً عن حياته : " وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة ، في الدين ، والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف في الإسناد ، وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي وغيره لأنه يجوز عليه الخطأ " .

ثم قال : " وقد تصد الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي — رحمه الله — في كتابه " عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر " للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ، ومن الآثار عن الصحابة فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدنا ببيان أحوالها وجهالة رجالها ، وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد " (٢)

الراجح الصحيح موت الخضر

المحققون من العلماء على أن الخضر — عليه السلام — عاش حياته كما قدرها له الله تعالى ، ومات قبل بعثته نبينا محمد — ﷺ — وهم يردون أقوال من قالوا بطول حياته واستمرارها حتى قبيل قيام الساعة ، كما قال السيوطي : " لعدم أدلة بإثباته وفيه " (٣)

وممن ذهب إلى موت الخضر قبل البعثة الإمام البخاري ، والإمام إبراهيم الحربي ، وابن الجوزي وابن كثير (٤) ، ومال إلى هذا الحافظ ابن حجر في رسالته : " الزهر النضر في نبأ الخضر " وقد استدلل هؤلاء الأئمة على هذا الرأي بأدلة ذكر خلاصتها الإمام ابن كثير ، ومن ذلك :

١ — قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ (٥) فالآية الكريمة تقرر أنه لا يخلد أي بشر على وجه الأرض ، والخضر من جملة البشر ، فدخل ضمن مفهوم هذه الآية ولا يوجد حديث صحيح يخصص الخضر ويستثنيه من عدم الخلود في الدنيا ، كما صحت بذلك الأخبار عن الدجال ، وتصريح القرآن بحياة عيسى عليه السلام ، فليس ثمة دليل يخصص الخضر مثلها ، وعليه يجب القطع بموته وعدم وجوده لأن دلالة الآية قاطعة بذلك .

٢ — قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (٦) .

قال علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — في تفسير الآية : " ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد

(١) الزهر النضر في نبأ الخضر (٢٠٣/٢) ضمن مجموعة الرسائل المنبرية .

(٢) البداية والنهاية (٣٣٤/١) .

(٣) شرح مقامات السيوطي (٦٩٩/٢) .

(٤) انظر المنار المنيف (ص ٦٧ — ٧٦) .

(٥) سورة الانبياء ، الآية (٣٤) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية (٨١) .

وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه " (١)

والخضر عليه السلام — إما أن يكون نبياً أو ولياً، وعلى كلاً الحالين هو مطالب أن يؤمن بمحمد — ﷺ — فإن كان نبياً فظاهر من كلام علي وابن عباس ، وإن كان ولياً فمن باب أولى أن يأتي إليه ويبايعه وينقاد له ، وإذ لم يحصل شيء من ذلك دل على أنه لا وجود له .

٣ — أن الرسول — ﷺ — دعاربه في غزوة بدر الكبرى أن ينصر المسلمين قائلاً : " اللهم إن تهلك هذه العصابة فأن تعبد في الأرض " (٢) وكان مع تلك العصابة المؤمنة أبو بكر وعمر وخيار الصحابة كما كان معهم جبريل ومعه خيار الملائكة ومعنى ذلك أنه إذا هلكت تلك العصابة فأن يبقى في الأرض من يعبد الله تعالى ، لا الخضر ولا غيره ، مما يبين عدم وجوده وأنه لا يوجد وقتها مؤمن على وجه الأرض سوى هؤلاء الصحابة الذين كانوا مع النبي — ﷺ — .

٤ — قوله — ﷺ — : " أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد " (٣) .

قال ابن عمر رضي الله عنهما فوهل الناس " أي أخطأوا وغلطوا) في مقالة رسول الله — ﷺ — تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال رسول الله — ﷺ — " لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ، يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن " (٤) .

وعن جابر — رضي الله عنه — قال : " سمعت النبي — ﷺ — يقول قبل أن يموت بشهر : " تسألوني عن الساعة ؟ وإنما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منقوسة تأتي عليها مائة سنة " (٥) .

فلو سلمنا بحياة الخضر حتى بعثه رسول الله محمد — ﷺ — وهذا غير صحيح — لزم أن يموت خلال مائة سنة من تاريخ النطق بذلك الحديث .

٥ — لو كان الخضر حياً لكان مطالباً بنشر العلم وتعليم الناس وتبليغهم أحاديث النبي — ﷺ — وتمييز صحيحها من ضعيفها وطيبها من خبيثها ، وكان مطالباً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا لم يحصل .

٦ — ثم ماهي الحكمة من اختفاء الخضر هل هو خائف أم مستح . فإن قيل بالأول فهذا ليس من خلق الأولياء أن يكونوا جبناً ، فضلاً عن أن يكون خلقاً للأنبياء وإن قيل بالثاني فهو جبلة الأطفال والنساء وليس بخلق للأولياء فضلاً عن الأنبياء .

ثم كذلك ماهي الحكمة من ذهابه إلى الجبال والمغاور والكهوف والبراري ؟ ولماذا لا يعيش مع الناس يصلي معهم الجمع والجماعات يعلم جاهلهم ، ويواسي فقيرهم ، ويعطي محرومهم ، ويمسح على رأس يتيمهم ؟ وهل يليق هذا بنبي كريم ؟ بل بولي على طريق مستقيم ؟ بل برجل عامي ذو عقل سليم ؟ .

وفي معرض بيان الأحاديث المكذوبة على النبي — ﷺ — يقول العلامة ابن القيم " ومنها الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد " (٦) .

(١) ابن جرير ، جامع البيان (٣٣/٣) وروى ابن جرير أيضاً نحوه عن قتادة ، والسدي ، ونحوه أيضاً عن ابن عباس ، عند ابن كثير ، (٥٦/٢) وعزا السيوطي في الدر المنثور " (٢٥٢/٣) أثر قتادة إلى عبد بن حميد ، وأثر السدي إلى ابن أبي حاتم .

(٢) صحيح مسلم (١٣٨٤/٣) ح رقم (١٧٦٣) ، واحمد في المسند (٣٠، ٣٢/١) .

(٣) صحيح مسلم (١٩٦٥/٤) ح رقم (٢٥٣٧) .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ، ح رقم (٢٥٣٨) .

(٦) المنار المنيف في الصحيح والضعيف . ص ٦٧ — : تحقيق عبدالفتاح أبو غده ، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب — سورية " ١٤٠٢ / ٢

ثم ساق بعض الأحاديث المكدوبة ثم قال : " سئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق ؟ فقال /: من أحال على غائب لم ينتصف منه ، وما ألقى هذا بين الناس الإشتيطان ، وسئل البخاري عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء فقال : " كيف يكون هذا ؟ وقد قال النبي — ﷺ — : " لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد " وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — فقال : لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي النبي — ﷺ — ويجاهد بين يديه ويتعلم منه، وقد قال النبي — ﷺ — يوم بدر : " اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذ ؟ " (١) .

وأفاض كذلك الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في تقرير الأدلة التي تثبت موت الخضر وعدم حياته ، وهي أربعة أنواع : القرآن ، والسنة ، وإجماع المحققين من العلماء ، والمعقول (٢) وهي في معظمها وجملتها لا تخرج عن الأدلة التي قدمناها وبعد هذه الأدلة وأقوال الأئمة المحققين نقرر ونؤكد أن الخضر عليه السلام — ليس حياً الآن بل مات قبل البعثة بمدة لا يعلمها إلا الله وحده .

لذلك أدعو إلى طرح كل الروايات والأخبار والاقوال التي تتسج حول الخضر من الخرافات والاساطير والأباطيل التي لاحقيقة لها ، والله تعالى الموفق للصواب .

المبحث السادس: تطور الولي

المقصود بتطور الولي عند السيوطي ، أن الولي من أولياء الله تعالى لديه قدرة على التشكل ببدنه في أشكال متعددة كما يقع ذلك للملائكة والجن .

ويصح في عقل السيوطي أن يرى الولي في هيئة بدنية ضخمة تفوق الهيئة المعتادة باضعاف كثيرة ، ثم يرى بعدها على هيئة العصفور الصغير .

ويصح أيضاً في عقل السيوطي أن يرى الولي في مكانين متباعدين أو أكثر في آن واحد ، إما بضخامة جسمه ، وعظم حجمه بحيث يملأ الكون ، أو يكون من باب طي المسافة وزوى الأرض من غير تعدد ، أو يكون من باب تعدد الصور والتمثل والتشكل .

ويزعم السيوطي أن هذا التمثل والتشكل هو عالم المثال ، الذي تثبته الصوفية ، وهو عالم متوسط بين عالم الأجساد وعالم الأرواح ، فهو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح ، وبناء على إثبات هذا العالم يتم تجسد الأرواح وظهورها في صور متعددة مختلفة من عالم المثال (٣) .

رحم الله الجلال السيوطي ، ماكان أخرى الأمة أن تستغنى عن هذا الهراء والخرافة ، وماكان أحراه هو — رحمه الله — وهو العالم المفسر لكتاب الله ، الحافظ لأحاديث رسول الله ، الفقيه الأديب الأريب ، ماكان أحراه أن يحارب الخرافة التي أتى الإسلام بهدمها ، والقضاء عليها ونقضها ، ولكن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم زلة ، ولكنها زلة كبيرة من مثله ، تؤخذ عليه ولا تؤخذ منه .

وهاهو نص كلام السيوطي مع التعقيب عليه : قال السيوطي : " المنجلى في تطور الولي " قال بعد البسملة والحمد لله : " رفع إلي سؤال في رجل حلف بالطلاق أن ولي الله الشيخ عبدالقادر الطشوطي بات عنده ليلة كذا ، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده في تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا ؟ فأرسلت — يقول السيوطي — قاصدي إلى

(١) نفسه . ص ٦٧ — ٦٨) .

(٢) انظر : المنار المنيف (ص ٦٩ — ٧٦)

(٣) انظر الحاوي (٢١٧/١ — ٢١٨) .

الشيخ عبدالقادر فسأله عن ذلك فقال : ولو قال أربعة إني بت عندهم لصدقوا ، فأفتيت بأنه لا يحسن واحد منهما ^(١)

وناهيك عن بدعة الحلف بالطلاق ، فهي أهون من أختها ، إنما الداهية الكبرى في تأييد تلك الخرافة بالأدلة واعتبارها من الدين ، وينطق السيوطي في تثبيت هذا بأن الذي ينازع في وقوعها يتوهم أن وجود الشخص الواحد في مكانين في وقت واحد غير ممكن بل هو مستحيل ، يقول السيوطي : " وليس كما توهمه هذا المتوهم من الاستحالة فقد نص الأئمة الاعلام على أن ذلك من قسم الجائز الممكن وإذا كان ممكناً فظاهر أنه لا حنث ^(٢) يعني في الطلاق من أحد الحالفين .

تعقيب : هنا يستدل السيوطي على إمكان وجود الولي في مكانين في آن واحد بقوله : " فقد نص الأئمة الاعلام " ، ونصوص الأئمة الاعلام ليست هي الدليل وإنما هذه النصوص يعوزها الدليل الشرعي ، وهو بهذا قد جعل المدلول عليه دليلاً ، وهذا خطأ ومثله في هذا كمثل من يقول : إن الدليل على وجوب الصلاة هو قول الأئمة إنها واجبة ، وإنما قول الأئمة مدلول يحتاج إلى دليل يدل عليه .

وكان الأجدر به أن يقول : إن الدليل على ذلك هو قول الله تعالى ، أو قول رسول الله ﷺ ولكنه لمالم يجد في قول الله تعالى ولا في قول رسوله ﷺ — لجأ إلى الاستدلال بأقوال الأئمة .

وقد ذكر السيوطي أسماء هؤلاء الاعلام فإذا هم من اعلام الصوفية وليسوا من اهل السنة كعلاء الدين القونوي ^(٣) ، وتاج الدين ابن عطاء الله السكندري ^(٤) ، وعفيف الدين عبدالله الياقعي ^(٥) ، ومعهم بعض الفقهاء المائلين إلى التصوف : كالنتاج السبكي ^(٦) وابن الملقن ^(٧) ، وغيرهما . وليس من بين هؤلاء الأئمة من عرف بالسنة المحضة الخالية من شائبة التصوف كالأئمة الأربعة ومن على شاكلتهم ، وهذا يدل على تصوف السيوطي الواضح ، إذا يعتبر ابن عطاء الله السكندري إماماً له في ذلك وهو المعروف بمنائوته لشيخ الإسلام ابن تيمية ^(٨) فارس أهل السنة ومن عادي شيخ الإسلام ونأواه وخاصمة كان في قلبه دخن على الحق وأهله ، ودل على انحرافه وزيغته عنه ، فيكيف يستشهد به على عقيدة ؟

(١) الحاوي (٢١٧/١) .

(٢) الحاوي (٢١٧/١) .

(٣) هو علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي ، أبو الحسن ، علاء الدين ، فقيه من الشافعية ، ولد بقونية عام (٦٦٨ هـ — ٢٣٧٠ م) ونزل بدمشق ثم انتقل إلى القاهرة وتصفى له : شرح الحاوي الصغير ت (٧٢٩ هـ — ١٣٢٩ م) بغية الدعاة (٣٢٩) ، البداية والنهاية (١٤ / ١٤١٠) والدرر الكامنة (٢٤ / ٣) ، الاعلام (٢٦٤ / ٤) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن عبدالكريم ، أبو الفضل ، تاج الدين ، ابن عطاء الله السكندري أو الاسكندري ، متصوف شاذلي ، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، له الحكم العطائية في التصوف ، ت بالقاهرة (٧٠٩ — ١٣٠٩ م) ، الدرر الكامنة (٢٧٣ / ١) ، الرحلة العياشية (١ / ٣٥٧) كشف الظنون (٦٧٥) خطط مبارك (٧ / ٦٩) دائرة المعارف الاسلامي (٢٤٠ / ١) ، الاعلام (٢٢٢ / ١) .

(٥) هو : عبدالله بن اسعد بن علي الياقعي ، عفيف الدين مؤرخ ، باحث ، متصوف من شافعية اليمن ، نسبته إلى يافع من حمير ، مولده في عدن (٧٦٨ هـ — ١٣٦٧ م) من مصنفاته " نشر المحاسن الغالية " ، في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية ، " وروض الرياحين في مناقب الصالحين ، الدرر الكامنة (٢٤٧ / ٢) شذرات الذهب (٦ / ٢١٠) طبقات الشافعية (١٠٣ / ٦) مفتاح السعادة (١٢٧ / ١) .

(٦) هو عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي ، أبو نصر ، قاضي القضاة ، المؤرخ الباحث ، ولد بالقاهرة ٧٢٧ — ١٣٢٧ م) وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها حتى مات بها (٥٥٨ — ١٣٧٠ م) نسبته إلى (سبك) من أعمال المنوفية بمصر ، عزل من منصب قاضي القضاة بالشام ، واتهم بالكفر واستحلل شرب الخمر ، وأتوا به مقيداً مغلولاً إلى مصر ثم أفرج عنه وعاد إلى دمشق فتوفي بالطاعون ، من تصانيفه " طبقات الشافعية الكبرى " ومعيد النعم ومبيد النقم " انظر : الدرر الكامنة (٤٢٥ / ٢) ، حسن المحاضرة (١٨٢ / ١) ، جلاء العينين (١٦) ، الاعلام (١٨٤ / ٤) .

(٧) هو : عمر بن علي بن احمد الانصاري الشافعي ، سراج الدين ، أبو حفص ، ابن النحوي المعروف بابن الملقن ، له " طبقات الأولياء " وغيره ، الضوء اللامع (١٠٠ / ٦) ، خطط مبارك (١٠٥ / ٤) ، الاعلام (٥٧ / ٥) .

(٨) انظر : ماضى في ترجمة ابن عطاء الله السكندري .

قال السيوطي : " وحاصل مذكروه في توجيه ذلك ثلاثة أمور أحدها : أنه من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجنان .

والثاني : أنه من باب طي المسافة وزوى الأرض من غير تعدد فيراه الرائيان كل في بيته وهي بقعة واحدة إلا أن الله طوى الأرض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق فظن أنه في مكانين ، وإنما هو في مكان واحد . .

الثالث : أنه من باب عظم الحبشة للولي بحيث ملأ الكون فشاهد في كل مكان ، كما قرر بذلك شأن ملك الموت ، ومنكر ونكير حيث يقبض من مات بالشرق والمغرب في ساعة واحدة ، ويسأل من قبر فيهما في الساعة الواحدة ، فإن ذلك أحسن الأوجه الثلاثة " (١) .

تعقيب :

أما قوله " من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجنان " (٢) فهذا لانسلمه في البشر وإن وقع في الملائكة والجن ، أما عن الملائكة فقد قال الله تعالى في حق جبريل : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) (٣) قال ابن جرير : " فتشبه لها في صورة آدمي سوى الخلق منهم ، يعنى في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق " (٤) .

وقد جاءت الملائكة إبراهيم — عليه السلام — في صورة بشر وظن أنهم بشر فقدم لهم الطعام فلما لم يأكلوا علم أنهم ملائكة قال تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً . قال سلام قوم منكرون ﴾ (٥) أي مجهولون لانعرفهم قاله في نفسه (٦) ، (فراغ [أي مال] إلى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) (٧) فلما بشروه بغلام ، وهو اسحاق (٨) — عليه السلام — علم أنهم رسل الله من الملائكة ، ولذلك قالوا : ﴿ إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ (٩) وهم قوم لوط — عليه السلام — وقد قال تعالى في آية أخرى : ﴿ فلما رآي أيديهم لاتصل إليه نكرهم ، وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴾ (١٠)

ثم جاءوا إلى لوط — عليه السلام — في صورة شباب حسان الوجوه ، قال تعالى : ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب ﴾ (١١)

يقول ابن كثير : " تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان إمتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة ، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر " (١٢) .

(١) الحاوي للفتاوي (٢١٧/١ — ٢١٨) .

(٢) نفسه (٢١٧/١) .

(٣) سورة مريم ، عليها السلام — بعض الآية (١٧)

(٤) جامع البيان (٦٠/١٦) .

(٥) سورة الذاريات ، الأيتان (٢٤ ، ٢٥) .

(٦) تفسير الجلالين (ص ٦٩٣) .

(٧) سورة الذاريان ، الآيات (٢٦ — ٢٨) .

(٨) هذا قول جمهور العلماء ، انظر : ابن جرير ، جامع البيان (٢٠٨/٢٦) ، والجلالين (٦٩٤) وكلمات القرآن لحسنين مخلوف بهامش

المصحف (ص ٤٤٠) ، وروى ابن جرير (٢٠٨/٢٦) عن مجاهد أنه هذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام ولكنه رجح أنه اسحاق لأن

البشارة كانت بالولد من سارة وإسماعيل لهاجر لا لساره — عليهما السلام —

(٩) سورة الذاريات الآية (٣٢) .

(١٠) سورة هود — عليه السلام — الآية (٧٠) .

(١١) سورة هود — عليه السلام — الآية (٧٧) .

(١٢) البداية والنهاية (٤٣/١) .

وقد كان جبريل — عليه السلام — يأتي رسول الله — ﷺ — في صورة دحية الكلبي^(١) وتارة في صورة أعرابي^(٢) رآه جمع من الصحابة وقد وردت أحاديث عدة تثبت تمثل الملائكة في صورة البشر يضيق المقام عن حصرها ، وهذا إنما أثبتناه وصدقناه وأما به لأنه قد قطع بثبوته في القرآن الكريم ، وفي صحيح السنة النبوية ، ولولا هذا ما أثبتناه ولا قلنا به ، وإنما أثبتناه وأما ، تصديقاً بما ورد في الكتاب العزيز ، وإيماناً بما صحت به السنة الشريفة .

وكذلك تشكل الجن بصور الآدميين قد وردت الإشارة إليه من القرآن الكريم ، وصرحت به السنة الشريفة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، وَقَالَ لَأَغَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ۝ ٥٠٠ ﴾^(٣) وهذا الشيطان قد جاء المشركين يوم بدر في صورة سراقه بن مالك ، على ما ذكر المفسرون وأصحاب السير^(٤) ولكنه لما رأى الملائكة تنزل من السماء عندما التقى الجمعان والتحم الصفان ولي هارباً وتبرأ من المشركين ، قال تعالى : ﴿ ۝ ٥٠٠ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۝ ٥٠٠ ﴾^(٥)

وفي حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — عند ما وكله النبي — ﷺ — بحراسة أموال الصدقة تصور الشيطان في صورة سارق يسرق من المال ليلاً ، وزعم أنه يعلم أبا هريرة آية إذا قرأها في فراشه لا يقربه شيطان حتى يصبح ، فقال — ﷺ — صدقك وهو كذوب ، أتعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال " ذاك شيطان " ^(٦) .

فهذا أيضاً قد وقع وتمثل الشيطان أو الجن بصورة الإنسان أيده الدليل الشرعي في أحاديث النبي — ﷺ — التي سبقت وفي غيرها ، أما وقوع هذا التعدد للصور والتمثل في حق البشر فهذا لم يثبت ، ولم يقع لواحد من الصحابة — رضي الله عنهم — ولا وقع حتى في حق الرسول — ﷺ — ولم ينقل إلينا في حديث صحيح ولا ضعيف بل ولا موضوع — فيما أعلم — أن الرسول — ﷺ — قد رآه شخصان فأكثر في مكانين أو أماكن متعددة في وقت واحد ، مما يدل على بطلان ما ذهب إليه السيوطي من أن الولي يرى في صور متعددة أو في أماكن متعددة في آن واحد .

أما هذا الذي يحصل لبعض الناس فلا يؤيده عقل ولا شرع ، إلا إذا كان يتمثل الجن بصورته في أماكن متعددة ، وهذا هو الصحيح لا غيره ، ولا يضرنا تهويل السيوطي فيم ينقل عن هؤلاء الخرافيين المتعلقين من قلوبهم بغرائب الخرافات وشواذ النواذر من الحكايات التي لا يؤيدها عقل ولا شرع .

وكل مانقله عن القنوي وابن عطاء الله ، وغيرها ليس بشيء وهو هراء لا يؤبه به ، ولا يعول عليه .

وقد وضع شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأمر وأرجعه إلى المخاريق السحرية أو إلى أعمال الجن وتشكلهم وتمثلهم ببني آدم قال شيخ الإسلام — رحمه الله — : " وفي أصناف المشركين ، من مشركي العرب ، ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم ، من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسول ولا مؤمن بما جاءوا به ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء الله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليه

(١) دحية بن خليفة الكلبي ، صحابي جليل بعثه الرسول — ﷺ — برسائله إلى قيصر يدعو للإسلام ، كان يضرب به المثل في جمال الصورة ت نحو (٤٥ هـ — ٦٦٥ م) . الإصابة (١ / ٤٧٣) ، والأعلام (٢ / ٣٣٧) وحديثه الذي فيه تمثل جبريل به رواه أحمد في المسند وابن سعد في الطبقات ، بإسناد حسن

(٢) في الصحيحين من حديث عمر قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ٥٥٠ الخ وهو المعروف بحديث جبريل — البخاري (٥٠ ، ٤٧٧٧) ، صحيح مسلم رقم (٨ ، ٩ ، ١٠) .

(٣) سورة الأنفال ، بعض الآية (٤٨) .

(٤) انظر : ابن جرير : جامع البيان (١٠ / ١٨) ، وتفسير ابن كثير (٤ / ١٦) ، سيرة ابن هشام (١ / ٦١١) .

(٥) سورة الأنفال ، بعض الآية (٤٨) .

(٦) صحيح البخاري رقم (٢٣١١) ، (٣٢٧٥) ، (٥٠١٠) .

الشياطين . قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أنثم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾^(١) وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسول فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش ، أو الغلو أو البدع في العبادة ، ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقتربت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لامن أولياء الرحمن ﴾^(٢) .

وقال : " لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً نيلاً ونهاراً مع غاية الزهد ، وعبدته مجتهداً في عبادته ، ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله — وهو القرآن — كان من أولياء الشيطان ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فإن الشيطان يحمله في الهواء"^(٣)

وقال أيضاً : فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله "^(٤)

وقال أيضاً منبهاً على أن بعض الناس الذين يعتقدون الولاية في شخص ما يعتمدون في ذلك على صدور بعض المكاشفات عنه في بعض الأمور " أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها أو يمشى على الماء أحياناً ، أو يملا إبريقاً من الهواء أو يختفي أحياناً عن أعين الناس أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه ، فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة قد يكون صاحبها عدواً لله فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين ، وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي الله "^(٥) .

وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه المكاشفات " قد توجد في أشخاص ، ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابساً للنجاسات ، معاشراً للكلاب يأوي إلى الحمامات والقمامات والمقابر والمزابيل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف . . . فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وأذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلبس الكلاب أو الفيران ، أو يأوي إلى المزابيل والمواضع النجسة ، أو يأوي إلى المقابر ، ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان " "^(٦) .

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٨ - ١٩) .

(٢) نفسه ، ص ١٩) .

(٣) نفسه (ص ٣٩) .

(٤) نفسه (ص ٣٩) .

(٥) نفسه (ص ٦١ - ٦٢) .

(٦) نفسه (ص ٦٤ - ٦٥) .

ويؤيد ابن تيمية كلامه بماحصل له في الواقع فيقول: "وأعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو لعتاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك" (١) .

وذكر شيخ الإسلام — أيضاً — عن فجور هؤلاء الشيوخ المشعوذين الممخرقين ماينخلع له القلب ويتفطر له الفؤاد ممن يزعمون أنهم أولياء الله ، يقول ابن تيمية : " وشيخ أخبرني نفسه انه كان يزني بالنساء ويلوط بالصبيان ٠٠٠ وكان يقول : يأتييني كلب اسود بين عينية نكتتان بيضاوان فيقول لي : فلان ابن فلان نذر لك نذراً وغداً تأتيك به ، وأنا قضيت حاجته لأجلك فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ويكاشفه هذا الشيخ الكافر ٠٠ قال :وكنت أمشي وبين يدي عمود أسودعليه نور فلما تاب هذا الشيخ وصار يصلي ويصوم ويجتنب المحارم ذهب الكلب الأسود" (٢) .

"وكثير ممن يستغيث بالمشايخ فيقول ياسيدي فلان ، أوياسيخ فلان اقض حاجتي فيرى صورة ذلك الشيخ يخاطبه ويقول له أنا اقضي لك حاجتك ، أو طيب قلبك ، فيقضي حاجته أو يدفع عنه عدوه ، ويكون ذلك شيطاناً قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعا غيره .

وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة ، حتى ان طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخر خائف من التتر ، فذكر كل منهم انه لما استغاث بي رأي في الهواء وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أنني لم أشعر بهذا ، ولادفعت عنكم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثل لأحدهم فأغواه لماشرك بالله تعالى" (٣) .

"فكلما بعدوا عن الله ورسوله ﷺ — وطريق المؤمنين قربوا من الشيطان ، فيطيطرون في الهواء ، والشيطان طار بهم ، ومنه من يصرع الحاضرين وشياطينه صرعتهم ، ومنهم من يحضر طعماً وإداماً ، ويملاً الإبريق ماء من الهواء والشياطين فعلت ذلك فيحسب الجاهلون أن هذه كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم" (٤) .

وقد بين ابن تيمية بعض طرق الشيطان في أغواء الخلق فقال : " أنا اعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الشجر والحجر وتقول هنيئاً لك ياولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنسان ويخاطب بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به أنوار ، أو تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فإذا أقرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله" (٥) .

ومن هذه الطرق الشيطانية التي يفعلها الشيطان لإغواء الخلق " أن كثيراً من العباد يرى الكعبة تطوف به ، ويرى عرشاً عظيماً ، وعليه صورة عظيمة ، ويرى أشخاصاً تصعد وتنزل فيظنها الملائكة ويظن ان تلك الصورة هي الله — تعالى وتقدس — ويكون ذلك شيطاناً .

وقد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس ، فمنهم من عصمه الله وعرف أنه شيطان كالشيخ عبد القادر في حكايته المشهورة حيث قال : كنت مرة في العبادة ، فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور ، فقال لي : يا عبد القادر أنا ربك ، وقد حللت لك ما حرمت على غيرك ، قال فقلت له : أنت الله الذي لا إله إلا هو ؟ إخساً ياعبدو الله ، قال فتمزق ذلك النور ،

(١) نفسه (ص ٨٧) .

(٢) جامع الرسائل (١٩٣/١ — ١٩٤) .

(٣) نفسه (١٩٥/١) .

(٤) نفسه (١٩٦/١) .

(٥) مجموع الفتاوي (٣٠٠/١١) .

وصار ظلمة ، وقال : يا عبدالقادر نجوت مني بفقهك في دينك ، وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك ، لقد فتننت بهذه القصة سبعين رجلاً ، ففيل له : كيف علمت انه الشيطان ؟ قال : بقوله لي : حلفت لك ما حرمت على غيرك ، وقد علمت أن شريعة محمد — ﷺ — لا تتسخ ولا تبدل ، ولأنه قال : أنا ربك ، ولم يقدر أن يقول أنا الله الذي لا إله إلا أنا .

ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هو الله ، وصار هو وأصحابه يعتقدون أنهم يرون الله تعالى في اليقظة ، ومستندهم ما شاهدوه ، وهم صادقون فيما يخبرون به ، ولكن لم يعلموا أن ذلك هو الشيطان .

وهذا قد وقع كثيراً لطوائف من جهال العباد ، يظن أحدهم أنه يرى الله تعالى بعينه في الدنيا لأن كثيراً منهم رأى ما ظن أنه الله ، وإنما هو شيطان .

وكثير منهم رأى من ظن أنه نبي أو رجل صالح أو الخضر ، وكان شيطاناً . . . فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتى من جهله ، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وبعض من رأى هذا — أو صدق من قال إنه رآه — اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول .

ومنهم من يقول هذه رقيقة ذلك المرئي أو هذه روحانيته ، أو هذا معناه تشكّل ، ولا يعرفون انه جني تصور بصورته " (١) وهذا والله — الذي ذكره ابن تيمية هو عين الصواب ، وأن من قال بتمثل الولي أو بتشكّله وظهوره للعيان في أكثر من مكان وفي وقت واحد ، فقد خالف المعقول والمنقول .

— أما العقل فيحيل وجود شخص واحد في مكانين في وقت واحد ، ومن جعل ذلك واقعاً ، فقد جعل المستحيل ممكناً وهو باطل .

— وأما النقل ، فلم ينقل عن النبي — ﷺ — نفسه أنه حصل له ذلك ، ولا الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية .

والحل الوحيد لذلك الاشكال هو ما ذكره الشيخ ابن تيمية ان الجن يتمثلون بالشخص ويتشكّلون بصورته ، فإن كان ساحراً دجالاً فقد يقع ذلك بعلمه وبفعله وإن كان صالحاً تقياً فإنه يقع بدون علمه وعلى ذلك فلا تطور للولي ولا تشكّل ولا تمثّل ، بل هي من خرافات الدجالين .

فالحقيقة أن هؤلاء الزاعمين للولاية ويظهرون للناس الخوارق التي يلبسون بها على العامة ويخدعون الطغام يستخدمون الشياطين والجن ، ينقربون إليهم بالشرك فتخدمهم الشياطين يقضون لهم بعض أغراضهم ، ذكر ابن تيمية ، أن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة ، وقد يقلّبون حروف كلام الله عز وجل ، إما حروف الفاتحة ، وإما حروف قل هو الله أحد ، وإما غيرها ، ويذكر أنهم قد يكتبون كلام الله بالدم أو بغيره من النجاسات ، وقد يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان ، أو يتكلمون بذلك ، فإذا قالوا أو كتبوا ما يرضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم (٢) .

فهذا الذي ذكره الجلال السيوطي من خرافة " تطور الولي " هي من هذا القبيل ، ومن هذه الأنواع والأعمال السحرية التي يموه بها الزنادقة على الناس ، لا يخرج عن ذلك .

وأقول : يرحم الله السيوطي فهذه إحدى زلاته التي اكتشفناها بعد طول البحث معه في كتبه ورسائله ومصنفاته ، بل هي زلة عظيمة من مثله ، فالرجال العظام تبدو زلاتهم عظيمة حتى ولو كانت في حق غيرهم صغيرة ، ولعل الله تعالى يغفرها له بسبب ما قدم من خدمة للدين جليّة ، في جانب اللغة والتفسير والحديث وعلومها ، وكذلك الفقه وأصوله والتاريخ والرجال ، ولعل دعاء ناله واستغفارنا له يكون سبباً آخر لمغفرة الله تعالى له والعفو عنه ، إنه جواد كريم .

(١) مجموع الفتاوى (١٧١/١ — ١٧٣) .

(٢) انظر السابق نفسه (١٩ / ٣٥) .

الخاتمة

بعد ان عايش الباحث، ويعايش ايضا القارئ هذا البحث فإنه يخرج منه بالتائج التالية :

- ١- السيوطي مكثرت من التأليف، ولهذا الإكثار من تصنيف الكتب أسباب كثيرة ووجهية ذكرت خلال البحث .
- ٢- دعوى السيوطي لنفسه بلوغ مرتبة الاجتهاد ، ليست دعوى مبالغ فيها بل هي حقيقة يدل عليها ذلك الكم الهائل من المصنفات والمؤلفات العلمية والتي اصبح الكثير منها معتمدا لدى العلماء والدارسي والباحثين وطلاب العلم كما انه شهد له بالإمامة في الدين ، وهذا مما يدل على بلوغه تلك الرتبة .
- ٣- ولكن مع الإقرار ببلوغ السيوطي تلك المثلة والمكانة العلمية ، فإنه ليس بمعصوم من الزلل والخطأ ، شأنه في ذلك شأن جميع البشر — عدا الأنبياء — والمرسلين وان مأخطأ عند الإجتهد فيه فله اجر الإجتهد ، ولا يمنعنا هذا أن نقول عنه ان قد جانب الصواب في بعض المسائل من غير تعنيف ولا تجريح ، مع ماتكنه له قلوبنا وعقولنا من المحبة في الله تعالى ، ومع دعائنا له بالرحمة والمغفرة ، وان يتجاوز الله تعالى عن زلاته وزلاتنا ، فزلاتنا واخطاؤنا وذنوبنا بجانبيها بحار لا سواحل لها .
- ٤- احسن السيوطي في امور عظيمة منها : انتقاده حركة الترجمة التي استفحل امرها في عهد العباسيين ، وكذلك نقده المنطق والفلسفة وعلم الكلام ، واحسن كذلك في الدعوه إلى التمسك بالسنة ، والتحذير من البدعة ، واحسن في كلامه عن توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية وفي كلامه عن النبوات وما يتعلق بها ، وفي تقريره عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، وترجيحه نبوة سيدنا الخضر — عليه السلام — .
- ٥- ويتفق السيوطي مع السلف واهل السنة ، في ان دين الإسلام بني على الإلتباع ، وانه لامصدر لتلقي المعرفة الدينية إلا من جهة الوحيين الكتاب والسنة ، وان مهمة العقل التلقي والفهم عن الله تعالى وعن رسوله — صلى الله عليه وسلم — والخضوع لسلطان الشرع ، وان العقل لا يستقل بالمعرفة عن الوحي ، وفي هذا رد على المعتزلة الذين مجمدوا العقل وقدموا احكامه على النقل ، الذي هو كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — .
- ٦- اثبت السيوطي قدم الصانع ، وحدوث العالم ، واثبت حشر الأجساد ، وهذا كالرّد على الفلاسفة الذين قالوا بقديم العالم وانكروا حشر الأجساد وما اثبته السيوطي حق لا يقول بخلافه مسلم .
- ٧- يتفق السيوطي مع اهل السنة والجماعة في ان اسماء الله توقيفية لا يجوز لأحد من البشر تسميته تعالى بأسماء لم يسم بها نفسه الكريمة ، أو لم يسمه بها رسول — صلى الله عليه وسلم — .
- ٨- السيوطي معتمد بنفسه اعتدادا قد يضل احيانا حد المغالاة ، كما يظهر من بعض كلامه ، ولعل هذا كان احد الأسباب التي ادت إلى وقوع الخصوصية بينه وبين اقرانه من العلماء .
- ٩- ولكن السيوطي مع ماسبق من جوانب محاسنه للعديده — رحمه الله — اشعري المعتقد ، فقد صرح عن نفسه بذلك بجانب ماتبين من منهج خلال البحث ، كما ظهر ذلك من طريقته في تأويل الصفات ، وقوله بالكلام النفسي ، وإيجابه المعرفة الموجبة للظن .
- ١٠- وتظهر أشعريه السيوطي بوضوح تام عندما تكلم عن التأويل ، واختياره المعنى الثالث له ، وهو المعنى المحدث الذي لم يكن في القرون الأولى المفضلة ، وجعله هو الأساس الذي بني عليه دراسة للصفات .
- ١١- قرر السيوطي ان مذهب السلف في الصفات هو التفويض ، بمعنى ان السلف الصالح — رحمهم الله — آمنوا بالصفات دون ان يعلموا لها معنى وراء ففوضوا علمها إلى الله ، وتركوا البحث عن معانيها ، وزعم ان التفويض اسلم وهذا خطأ فأحسن ، وجهل بمذهب السلف الذي هو اثبات الصفات ، والإيمان بما ، ومعرفة معانيها وتفسيرها دون الخوض في الكيفية لأنها غيب .
- ١٢- ذهب السيوطي كبقية الأشاعرة إلى ان مذهب الخلف هو تأويل الصفات حذرا من التشبيه — زعم — كما زعم ان هذا المذهب هو أحكم ، ولكن البحث قد بين ان مذهب السلف هو الأسلم ، والأعلم ، والأحكم .

- ١٣- حكى السيوطي مذاهب العلماء في صحة إيمان المقلب ، ولم يرجح واحدا منها صراحة ، وإن كان المتبادر إلى الذهن أنه لا يخرج عن كلام الأشعري .
- ١٤- لم يتطرق السيوطي إلى فطرية المعرفة ، وهذا يدل على قناعته بأنها نظرية ، وهذا خلاف ما يقوله السلف من أن المعرفة فطرية ، وأن الرسل — عليهم السلام — لم يرسلوا الدعوة للناس أن يعرفوا الله ، بل ليعبدوا الله تعالى الذي استقرت معرفته في الفطر البشرية .
- ١٥- وهو مع تبخره في الحديث وعلومه حتى لقب بأنه حافظ ، أو أنه خاتمة الحفاظ ، فإننا نجد إذا صنف في مسألة ما ، جمع تحتها جميع ماورد فيها من احاديث وآثار صحيحة وسقيمة وواهية ، من غير تحقيق ولا تمحيص ، حتى لقبه بعض الباحثين بأنه حاطب الليل .
- ١٦- السيوطي ينتقد علم الكلام ، ويحرمه ويحاربه ، ويدع من يشتغل به ، ويجعله مردود الرواية والشهادة ، غير موثوق في علمه وفي نفس الوقت يعتقد عقيدة الأشاعرة ، وهذه ازدواجية عجيبة قد اجبنا عليها خلال البحث .
- ١٧- وهو ايضا صوفي ، وتظهر صوفيته من خلال كلامه عن السلوك والأحوال ، فهو يتبنى مصطلحات الصوفية وبعض عقائدهم البدعية .
- ١٨- ومن تصوفه قوله بوجود الأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد ، وهذا كله لا دليل عليه إلا أوهام وتخريصات .
- ١٩- وهو مع تبنيه القول بنبوة الخضر — عليه السلام — وهذا صحيح إلا أنه صح إلى القول بحياته ووجوده بعد وفاة النبي — صلى الله عليه وسلم — وهذا ايضا لا دليل عليه .
- ٢٠- وهو بعد ذلك ايضا يذم طريقة الهالك ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات والنصوص ، ويصفها بأنها طريقة كلها زندقة وكفر ، وهذا ايضا حق لا مرية فيه .
- ٢١- قول السيوطي بنظور الولي قول باطل بدعي لا دليل عليه .
- هذا واسأل الله تعالى ان يرزقنا الإخلاص في كل قول وعمل ، وأن يمن علينا باتباع كتابه الكريم وسنة نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — اتباعا سليما صحيحا نقيا خاليا من البدع والأهواء ، كما كان عليه سلفنا الصالح ، وأن يجنبنا الزلل ، ومزالق الأهواء ، وأن يغفر لي ولوالدي ولشايخي ولجميع المسلمين انه سميع مجيب ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الآيات

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
بسم الله الرحمن الرحيم	١	٧١، ٤١٧
الحمد لله رب العالمين	٢	٤١٧، ١٩١، ٦٠
الرحمن الرحيم	٣	١٢٦
سورة البقرة		
ذلك الكتاب لا ريب فيه	٢	١٦٨
الله يستهزيء بهم	١٥	٦٠
يا أيها الناس اعبدوا ربكم	٢١	٢٨٩
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	٢٣	٥٧٢، ٤٠٦، ٤٠٥، ٤٠٠
يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة	٣٥	٤٣٤
وإن منها لما يهبط من خشية الله	٧٤	٣٦٠
ولما جاءهم رسول من عند الله	١٠١	٢٠٣
واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان	١٠٢	٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦
ولو أنهم آمنوا وأتقوا لمتوبة من عند الله خير	١٠٣	٢٠٨
إن الله على كل شيء قدير	١٠٦	١٠٥
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	١١١	٥٦٧
وقالت اليهود ليست النصرارى على شيء	١١٣	٣٣٩
فإنما تولوا فثم وجه الله	١١٥	٢٦٥
بديع السموات والأرض	١١٧	٥٤٦
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا	١٣٦	٣١٤
ءأنتم أعلم أم الله	١٤٠	٤٣١
قل إن هدى الله هو الهدى	١٤٠	٢٨١، ٢٦٠
ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم	١٤٥	٢٦٠
إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات والهدى	١٥٩	٣١٣
والهكم إله واحد لا إله إلا هو	١٦٣	٢٣٥، ١٩٨، ٩٩٧
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً	١٦٥	١٩٧
إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين أتبعوا	١٦٦	١٩٧
وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة	١٦٧	٥٠٩، ١٩٧

٤١٨	١٧٩	ولكم في القصاص حياة
٤٤٥	١٨٣	كتب عليكم الصيام
٤١١	١٨٥	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
٥٦٧، ١١٩	١٨٦	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
١١٩	١٨٧	حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود
١١٩	١٩٦	ففدية من صيام أو صدقة أو نسك
٢٩٤، ١٣٧	٢١٠	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
٢٨٠	٢٢	إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
١٠٥	٢٣١	إن الله على كل شيء عليم
٣١٣	٢٤٦	ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل
٣٢٤	٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
٢٣٥، ١٩٨، ١٩٤، ١٩٧، ١٠٥	٢٥٥	ولا يحيطون بشيء من علمه
٢٤٢		
٢٤٨	٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم
٣٦٠، ٧٦	٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه
١٠٤	٢٨٢	ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى

سورة آل عمران

٣١٦، ٢٤٢، ٢٣٥، ١٩٤	٢	الله لا إله إلا هو الحي القيوم
٩٤، ٩٠، ٨٩، ٨٢، ٨١، ٧٩	٧	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
١٢١، ٩٨		
٣٢٠	١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو
٢٨٦	٢٦	قل اللهم مالك الملك
٢٤٠	٢٦	تعز من تشاء وتذل من تشاء
٦٠	٣٠، ٢٨	ويحذرکم الله نفسه
٦١	٣٢	فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين
٣٧٥، ٣٥٠	٣٣	إن الله اصطفى آدم ونوح وآل إبراهيم
٣٥٧	٣٧	أني لك هذا
٣٥٥، ٣٥٠	٤٢	وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك
٣٠٧	٤٤	ذلك من أنباء الغيب
٧٨	٥٨	ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم
٢٦١	٦١	فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
٣٢٠	٦٤	فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

٥٧٧ ، ٤٢٤	٨١	وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
٣٦٥	١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
٥٠٨	١٣١	وأتقوا النار التي أعدت للكافرين
٥٠٨	١٣٣	وسارعوا إلى مغفرة من ربكم
٤٢٠	١٣٨	هذا بيان للناس
٤٨٤ ، ٤٨٣	١٦٩	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً
٢٧٠	١٧٣	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم
٢٧٠ ، ٢٥٢	١٨١	لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء

سورة النساء

٢٤٧	٢٧	والله يريد أن يتوب عليكم
٨٧	٤٨	إن الله لا يغفر أن يشرك به
٥٠٨	٥٥	وكفي بجهنم سعيراً
٤٤٤	٦٥	فلأوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما بينهم
٢٦٧	٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
٨٤ ، ٨٠ ، ١٠٥ ، ٩٨	٨٢	أفلا يتدبرون القرآن
٥٠٩	١٢٢	والذي آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
٢٨	١٢٧	ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن
٢٤٥	١٣٣	إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتي بآخرين
٥٦٨	١٣٥	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
٣١٧	١٣٦	يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله
٣١٧	١٣٧	إن الذين آمنوا ثم كفروا
٢١٠	١٤٢	وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
٤٦٨	١٥٩	وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته
٢٥٤	١٩٤	وكلم الله موسى تكليماً
١٧٧	١٦٥	رسلاً مبشرين ومنذرين
٩٨	١٧١	وروح منه
٥٧٢ ، ٣١٩	١٧٢	لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله

سورة المائدة

٢٤٩	١	إن الله يحكم ما يريد
٢١٥	٣	وأن تستقسموا بالأزلام
٥٠٣	٤	واتقوا الله إن الله سريع الحساب
٣٥٨ ن ٣٢٩	١١	وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي

٤١٧	١٥	قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
٤١٧	١٦	يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
٥٠٩	٣٧	يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين
٢٦٨ ، ١٢٧ ، ٦١	٦٤	بل يده مبسوطتان
٤٣٤	٦٧	والله يعصمك من الناس
٣٥٩	٧٥	وأمه صديقة
٣٤٥	٧٥	مالمسيح ابن مريم إلا رسول
١٩٩	٧٦	إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
٤١٢ ، ٤١١	٨٣	وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع
٤٣٤	١١٠	يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك
٤٣٤	١١٢	إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم
٤٤٠	١١٨	إن تعذبهم فإنهم عبادك
٤٤٠	١١٩	رضي الله عنهم ورضوا عنه

سورة الأنعام

٣٤٨	٩	ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً
٤٢٥ ، ٣٢١	١٩	قل أي شيء أكبر شهادة قل الله
٣٧٠	٣٣	فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
٢٧١	٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء
٣٠٥	٤٢	ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك
٢٤٩ ، ٩٧	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
٤٨٦	٦٠	وهو الذي يتوفاكم بالليل
٣٢٥	٨٣	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه
٣٢٥	٨٤	ووهبنا له إسحاق ويعقوب
٣٢٥	٨٥	وزكريا ويحيى وعيسى
٣٢٥	٨٦	وإسماعيل واليسع ويونس
٢٠٦	٨٨	ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
٣٦٥	٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
٣٦١	٩٣	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
٢٢٨	٩٥	إن الله فالق الحب والنوى
٩٨	٩٨	قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
٥١٨ ، ٥١٤	١٠٣	لاتدركه الأبصار
٣٣٠	١١٢	يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً

٤٢٩	١١٥	وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً
٢٢٣	١١٩	وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم
٢٤٧	١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٣٤٧	١٣٠	يامعشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم
٧٢ ، ٧١	١٤٣	ثمانية أزواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين
٧١	١٤٤	ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين
٢٢٣	١٤٤	فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً
١٣٣	١٤٨	هل عندكم من علم فتخرجوه لنا
٨٧	١٥١	قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
٨٧	١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
٨٧	١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
٥٦٨	١٥٢	وإذا قلتم فاعدلوا
٤٧١	١٥٨	هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة
١٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤	١٥٨	يوم يأتي بعض آيات ربك
٤٨٩ ، ١٩٨	١٦٤	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله

سورة الأعراف

٨٩	٦	فلنسألن الذين أرسل إليهم
٢٥٤	٢٢	وناداهما ربهما
٣٨١	٢٢	ربنا ظلمنا أنفسنا
٢٢٣	٢٨	أقولون على الله مالا تعلمون
٦٨	٢٩	كما بدأكم تعودون
٥٦٨	٣٣	وأن تقولوا على الله مالا تعلمون
٥١٠	٤٣	ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها
١٠٩	٥٣	هل ينظرون إلا تأويله
٢٨٥ ، ٢٦٢	٥٤	ألا له الخلق والأمر
١٩٥ ، ٧٣	٥٩	اعبدوا الله مالكم من إله غيره
٣١٨	٦٥	يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره
٣١٨ ، ١٩٥	٨٨	قال الملأ الذين استكبروا من قومه
٣٧٤	٨٩	قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم
٣٧٤	٩٢	ولا يستطيعون لهم نصراً
١٥٢	٩٤	وما أرسلنا في قرية من نبي
٣١٠	١٠٩	قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم

٢٠٢	١١٠	يريد أن يخرجكم من أرضكم
٢٠٢	١١١	قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين
٢٠٢	١١٢	يأتوك بكل ساحر عليم
٢٠١	١١٦	سحروا أعين الناس
٢٠١	١١٦	فلما ألقوا سحروا أعين الناس
١٩٣ ، ٧٣ ، ١٢٠	١٢٧	ويذكرك وألهتك
٢٢٣	١٢٨	وذروا الذين يلحدون في أسمائه
٤٣٤	١٣٨	قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً
٢٩٣	١٤٣	فلما تجلى ربه للجبل
٥١٥	١٤٣	قال رب أرني أنظر إليك
٢٥٤	١٤٤	إني اصطفتيك على الناس برسالتى
٣١٢ ، ١٠٥	١٥٦	ورحمتي وسعت كل شيء
٤٢٥	١٥٨	قال ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً
١٧٦	١٧٣	وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
٢٣٤	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
٩٥	١٨٧	لا يجلبها لوقتها إلا هو
٣٤٧	١٨٨	لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً
١٩٦	١٩١	أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون
٢٥٨	٢٠٥	واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة

سورة الأنفال

٤١٢	٢	وإذ أتيت عليهم آياتنا زادتهم إيماناً
١٨٧ ، ١٨٦	٦	يجادلونك في الحق بعد ماتين
٤١٠	٧	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
٣٣٠	١٢	وإذ يوحي ربك إلى الملائكة
٢٢٨	٣٠	ويعكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
٥٨٢	٤٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم
٣٦٢	٦٢	هو الذي أيديك بنصره وبالمؤمنين
٤٣٣	٦٤	ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
٤٣٣	٦٥	ياأيها النبي حرّض المؤمنين على القتال
٤٣٣	٧٠	ياأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى

سورة التوبة

١٠٥	٧ ، ٤	إن الله يحب المتقين
-----	-------	---------------------

٢٥٤	٦	وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
٢٩٠	١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
٤٠٩	٢١	يبشرهم ربهم برحمة منه
٢٠٦	٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
١٠٥	٤٦	لكن كره الله انبعاثهم فنبطهم
٧٥	٦١	ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن
٤٣٣	٧٣	ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
٩٦	٩٢	ولا على الذي مأتوك لتحملهم

سورة يونس

٧٨	١	الر تلك آيات الكتاب الحكيم
٣٤٦	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم
٢٨٥	٣	مابن شفيح إلا من بعد إذنه
٣٦٥	١٥	قل مايكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي
٥١٣, ٥١٢, ٥٢٦	٢٦	للذين احسنوا الحسنى وزيادة
١٩١, ١٩٠	٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض
٤٠١	٣٧	وماكان هذا القرآن ان يفترى من دون الله
٤٤٢	٨٤	ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

سورة هود

٧٨	١	الر كتاب أحكمت آياته
٤٠٦, ٤٠١	١٣	ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
٥٧٣	٢٨	قال ياقوم ارايتم إن كنت على بينة من ربي
٣٤٧	٣١	ولا أقول لكم عندي خزائن الله
٢٦٧	٣٧	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا
٣٦٥	٤٣	قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء
٢٨٩	٤٤	واستوت على الجودي
٤١٦	٤٤	وقيل يا أرض ابلعي ماءك
٥١٥	٤٦	إني أعظك أن تكون من الجاهلين
٤٣٤	٤٨	يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك
٤٠٩	٤٩	ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك
٣١٩	٥٠	وإلى عاد أخاهم هودا
٣١٧	٥٩	وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم
٥٨١	٧٠	فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم

٥٨١,٣٠٨	٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطا
٣٠٨	٨١	إنا رسل ربك لن يصلوا إليك
٢٤٦	١٠٧	إن ربك فعال لما يريد

سورة يوسف

١٠٥	١	الر تلك آيات الكتاب المبين
١٠٥	٢	إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون
٣٠٧	٣٦	نبأنا بتأويله
١١٠	٣٧	لا يأتیکما طعام ترزقانه
١٨٩	٤١	فيسقى ربه خمرا
١١٠	١٠٠	ورفع أبويه على العرش
١٩٢	١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون
٣٥٩,٣٥٨,٣٥٠	١٠٩	ومأرسلنا قبلك إلا رجالا من أهل القرى

سورة الرعد

٢٨٥	٢	الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
٤٩٦	٥	وإن تعجب فعجب قولهم
٢٦١	٣٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا

سورة ابراهيم

٣٤٥,٧٠	١٠	قالوا أن أنتم إلا بشرنا مثلنا
٧٠	١١	قالت لهم رسلهم افي الله شك
٤٧٧	٢٧	يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
٤٤٠	٣٥	رب إهن اضللن كثيرا من الناس
٥٦٨	٣٧	ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
٥٦٧,٢٥٢	٣٩	إن ربي لسميع الدعاء
١٠٥	٤٧	إن الله عزيز ذو انتقام

سورة الحجر

٤٠٩	١٥	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
٧٠	٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا
٣٠٨	٥٧	قال ماخطبكم ايها المرسلون
٤٣٥	٧٢	لعمرك إني سكرتمم يعمهون
٩٨	٩٢	فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون
٩٨	٩٢	عما كانوا يعملون

سورة النحل

٣٧٤	٢	يترل الملائكة بالروح من أمره
١٩٦	١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق
٦١	٣١	يخافون ربهم من فوقهم
٣٦٠	٣٥	فهل على الرسول إلا البلاغ المبين
١٩٥	٣٦	ولقد بعثنا في كل أمة رسولا
٧٠	٣٨	اقسموا بالله جهد أيمانهم
٧٠	٣٩	ليبين لهم الذي يختلفون فيه
٣٥٣	٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم
٣٩٩, ٢٦٧	٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم
١٩٦	٦٠	للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
١٩٧	٧٣	ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا
١٩٧	٧٥	ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
٤٥٣	٧٧	وما أمر الساعة إلا كلمح البصر
٤٢٠	٨٩	ونزلنا الكتاب تبينا لكل شئ
٢٥٥	١٠٦	إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان
١٧٤	١٣٢	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا

سورة الإسراء

٥٧٢, ٤٣٠	١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
٥٧٢	٣	ذرية من حملنا مع نوح
٤١٧	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
٣٧٥, ١٧٦	١٥	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
٨٧	٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
٨٧	٢٤	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
٨٧	٢٥	ربكم اعلم بما في نفوسكم
٥٦٨, ٢٢٣	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم
١٨١	٤٤	تسبح له السموات السبع والأرض
٤١٣	٤٦	وجعلنا على قلوبهم أكنة
٣٢٣	٥٥	وربك اعلم بمن في السموات والأرض
٥٦٧	٦٧	وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه
٣٦٩	٧٥	إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
٤٩٣, ٣٦٩, ٩٧	٨٥	ويسألونك عن الروح

٤٠٨, ٤٠٣, ٤٠١	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن
١٢٦	١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن

سورة الكهف

٥٧٢	١	الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
٤٩٦	٤٧	وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا
١٢٦	٥٨	وربك الغفور ذو الرحمة
٥٧٣, ٥٧٢, ٥٧١, ٣١٢	٦٥	فوجدنا عبدا من عبادنا
٥٧٣	٨٢	وما فعلته عن امري
٤٦٩	٩٢	ثم اتبع سببا
٤٦٩	٩٣	حتى إذا بلغ بين السدين
٢٥٠	١٠٩	قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
٣٤٥, ٢١٠	١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم

سورة مريم

٣٣٠	١١	فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشية
٤٣٤	٧	يا زكريا إنا نبشرك بغلام
٤٣٤	١٢	يا يحيى خذ الكتاب بقوة
٥٨١, ٣٥٤	١٧	فأرسلنا إليها روحنا
٣٥٥	١٩	إنما أنا رسول ربك
٥٧٢	٣٠	قال إني عبد الله
٣٦٠	٤١	إنه كان صديقا نبيا
١٩٧	٤٢	يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
٣٠٧	٥١	وكان رسولا نبيا
٢٥٤	٥٢	ونادينا من جانب الطور الأيمن
٢٩٢	٦٥	هل تعلم له سميا

سورة طه

٢٨٦, ٢٨٥, ٢٨٢, ١٢٩, ١٢٤, ١٢٢, ١٠٥	٥	الرحمن على العرش استوى
٢٥٩	٧	وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى
٢٦٣	١٤	إني أنا الله لا إله إلا أنا
٢٨٢, ٢٦٧, ١٢٩, ١٢٤	٣٩	ولتصنع على عيني
٢٥٢, ٢٥١	٤٦	إني معكما أسمع وأرى
٤٠٥	٦٣	قالوا إن هذان لساحران

٤٠٤	٦٥	قالوا ياموسى إما أن تلقى واما ان نكون اول من القى
٨٦	٨٢	وإني لغفار لمن تاب
٢٤٢	١١١	وعنت الوجوه للحي القيوم

سورة الأنبياء

٨٠	١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
٧٣، ١٢٠	٢١	ام اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون
٧٢، ٦٧	٢٢	لو كان فيها آلهة إلا الله لفسداتا
٣١٩، ١٩٥	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول
	٢٨	يعلم ما بين ايديهم وما خلفه
٥٧٧	٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
٥٠٤، ٥٠٣	٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
١٩٧	٥٤	لقب كنتم أنتم وآبائكم في ضلال مبين
١٩٧	٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله
٢٣٩	٨٧	لاإله إلا أنت سبحانك
٤٦٩	٩٦	حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج
٤٩٦، ٦٩	١٠٤	كما بدأنا أول خلق نعيده

سورة الحج

٦٩	٥	لكي لايعلم من بعد علم شيئا
٦٨	٥	وترى الأرض هامدة
٤٦٥، ٢٤٥، ٦٧	٦	ذلك بأن الله هو الحق
٤٩٥، ٦٧	٧	وان الله يبعث من في القبور
٢٧٠	١٠	ذلك بما قدمت يداك
١٤٥	١١	خسر الدنيا والآخرة
٢٠١	٧٧	ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا

سورة المؤمنون

٣٤٦	٢٤	ماهذا إلا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم،
٣٢٠	٤٤	ثم أرسلنا رسلنا تترأ
٣٤٥	٤٧	أنؤمن لبشرين وقومهما لنا عابدون
١٩٢	٨٤	قل لمن الأرض ومن فيها
١٩٢	٨٥	قل من رب السموات السبع
١٩٢	٨٦	قل من بيده ملكوت كل شئ

ما اتخذ الله من ولد

سورة النور

٣٠٠	٩	والخامسة أن غضب الله عليها
	٢٥	يؤمنذ يوفيههم الله دينهم الحق
١٣٣	٣٥	الله نور السموات والأرض
١٧٤	٥٤	وإن تطيعوه تهتدوا
٤١٠	٥٥	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
٤٣٠	٦٣	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا

سورة الفرقان

٥٧٢	١	تبارك الذين نزل الفرقان على عبده
٢٦٢	٣	واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا
٣٥٠ ، ٣٤٥	٢٠	ومأرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام
٢٤٣ ، ٢٤٢	٥٨	وتوكل على الحي الذي لا يموت
٢٨٦ ، ٢٨٥	٥٩	ثم استوى على العرش
٣٨٠	٧٠	إلا من تاب وآمن

سورة الشعراء

٣١٨	١٠٥	كذبت قوم نوح المرسلين
٣١٨	١٢٣	كذبت عاد المرسلين
٣١٨	١٦٠	كذبت قوم لوط المرسلين

سورة النمل

٥٧٣	١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علما
٥٧٣	١٦	وورث سليمان داود
٢٠١	٢٤	وجدتها وقومها يسجدون للشمس
٢٠١	٢٥	ألا يسجدون لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض
٢٠١	٢٦	الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم
١٩٦	٦٠	أنبتنا به حدائق ذات بهجة
٢١٥ ، ٩٥	٦٥	قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله
٤٠٩	٧٦	إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل
٤٧٣	٨٢	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
٢٢٢	٨٨	صنع الله
٢٢٢	٨٨	صنعت الله — شاذاً —

سورة القصص

٣٥٨ ، ٣٥٣ ، ٣٢٩	٧	وأوحينا إلى أم موسى
٣٨١	١٦	رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي
٤٠١	٤٩	قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه
٢٤٦	٦٨	وربك يخلق ما يشاء ويختار
٩٨	٧٨	ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
٥١٠ ، ٢٦٥ ، ٩٥ ، ٦٠	٨٨	كل شيء هالك إلا وجهه

سورة العنكبوت

٣٥٠	٢٧	وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
٤١٢ ، ٣٩٩	٥١	أو لم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
١٩٢	٦١	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
٢٤٨	٦٢	إن الله بكل شيء عليم

سورة الروم

٤١٠	١	الم
٤١٠	٢	غلبت الروم
٤١٠	٣	في أدنى الأرض
٤٩٦	٢٧	وهو الذي بيدي الخلق ثم يعيده
١٨٢ ، ١٧٦	٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفاً

سورة لقمان

٧٣	٢٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
٢٥٠	٢٧	ولو أنما في الأرض أقلام
٤٥٣	٢٨	ما خلقتكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة
٩٧	٣٤	إن الله عنده علم الساعة

سورة السجدة

٢٨٥	٤	الله الذي خلق السموات والأرض
٢٤٧	١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
٩٧	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم قرّة أعين

سورة الأحزاب

٤٣٣	١	يا أيها النبي اتقي الله
١٩٠	٤	والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
٤٤٣ ، ٤٣٨	٦	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

٣٢٤	٧	وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
٣٦٣	٢٢	وصدق الله ورسوله
٤٣٤	٣٢	يانسأ النبي
٣٥٧	٣٣	ويطهركم تطهيراً
٤٤٤	٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
٤٤٠	٣٧	فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها
٤٢١	٤٠	ولكن رسول الله وخاتم النبيين
٤٢١	٤٠	ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم
٤٣٣	٤٥	إن أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
٤٤١ ، ٤٣٣	٥٠	يا أيها النبي إن أحللنا لك أزواجك
١٢٧	٧١	أو لم يروا أن خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً
٦٩	٧٨	وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه
٦٩	٨١	أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم
٢٤٦ ، ٢٤٢	٨٢	إنما أمره إذا أراد شيء أن يقول له كن فيكون

سورة الصافات

٤٣٤	١٠٤	يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا
٣٧٦ ، ٣٦٠	١٨٠	سبحان ربك رب العزة عما يصفون
٣٧٦ ، ٣٦٠	١٨١	وسلام على المرسلين

سورة ص

١٨٨	٥	أجعل الألهة إلهاً واحداً
٥٧٢	١٧	واذكر عبدنا داود ذا الأيد
٣٨١	٢٤	فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب
٤٣٤	٢٦	يادادود إنا جعلناك خليفة
٩٨	٢٩	كتاباً أنزلناه إليك مبارك
٥٧٢	٣٠	ووهبنا لداود سليمان
٥٧٢	٤١	واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه
٥٧٢	٤٤	إنا وجدناه صابراً
٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ١٢٢ ، ٦١	٧٥	لما خلقت بيدي

سورة الروم

٤١٢ ، ٧٩	٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتاباً
٢٦١ ، ١٠٥	٢٨	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

٣٦٠	٣٣	والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
٤٨٥ ، ٤٨٦	٤٢	الله يتوفى الأنفس حين موتها
٤١٣	٤٥	وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
٨٧	٥٣	إن الله يغفر الذنوب جميعاً
٢٨٣	٥٦	يا حسرة على ما فرطت في جنب الله
٢٧٢	٦٧	والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة

سورة غافر

٣١٢	٧	ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً
٢٨٦ ، ٣٧٤	١٥	رفع الدرجات ذي العرش
٥٠٣	١٧	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
٣٦٥	٣٣	يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم
٢٨٦	٣٦	يا هامان ابني لي صرحاً
٢٨٦	٣٧	أسباب السموات
٤٨٤	٤٦	النار يعرضون عليها غدواً وعشياً
٦٩	٥٧	لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس
٢٤٣	٦٥	هو الحي لا إله إلا هو
٣٢٢	٧٨	ومنهم من لم نقصص عليك

سورة فصلت

٤١٤	٢	تزييل من الرحمن الرحيم
٣٥٩	١١	ثم استوى إلى السماء
٤١٤	١٣	فإن تولوا فقل أنذرتكم صاعقة
٥٠٩	٢٧	فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً
٢٠٠ ، ٥٠٩	٣٧	ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر
٣١٣	٣٣	ومن أحسن قولاً ممن دعى إلى الله
٨٤	٤١	وإنه لكتاب عزيز
٨٤ ، ٤٠٩	٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
٣٤١	٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق

سورة الشورى

٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤	١١	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
١١٨ ، ٢٥١ ، ٢٧١		
٢٢٣	٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين

٣٦	٣٩	والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون
٣٦	٤١	ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
٣٣٤، ٣٣١	٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
٤١٧	٥٢	وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا

سورة الزخرف

٣١٢، ٣١٠	٦	وكم أرسلنا من نبي في الأولين
١٩٠	٩	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
٢٨٩	١٣	لتستوا على ظهوره
٥٧٣	٣١	وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
٥٧٣، ٣١٢	٣٢	أهم يقسمون رحمة ربك
١٠٥	٥٥	فلما آسفونا انتقمنا منهم
٤٦٨	٥٧	ولما ضرب ابن مريم مثلا
٤٦٨، ١٦٦	٥٨	ماضربوه لك إلا جدلا
١٩٠	٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم

سورة الأحقاف

٣٥٢	٢٩	وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن
٢٤٦	٣٣	أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض
٣٢٤	٣٥	فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل

سورة محمد

٤٥٤، ٤٥٣	١٨	فقد جاء أشراطها
١٠٥، ٩٨	٢٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها
١٠٥	٢٨	ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله

سورة الفتن

٤٣٧	١	إنا فتحنا لك فتحا مبينا
٤٣٧	٢	ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك
٤٠٨	٦	واعدهم جهنم
٢٨٢، ٢٦٨	١٠	يدالله فوق أيديهم
٢٩٦	١٨	لقد رضي الله عن المؤمنين
٤١٠	٢٧	لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين

سورة الحجرات

١٠٥	١٨	لقد رضي الله عن المؤمنين
-----	----	--------------------------

٢٢٣	١	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
١٠٥	٩	إن الله يحب المقسطين

سورة الذاريات

٨٠	٨	إنكم لفي قول مختلف
٨٠	٩	يؤفك عنه من أفك
٢٥٩	٢٣	فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون
٥٨١	٢٤	هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين
٥٨١	٣٢	إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين
٢٢٨	٤٨	والأرض فرشناها فنعم الماهدون
٢٠٣	٥٢	كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول

سورة الطور

٥٠١	٢١	والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان
٤١١, ٦٧	٣٥	أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
٤١١, ٦٧	٣٦	أم خلقوا السموات والأرض
٤١١	٣٧	أم عندهم خزائن ربك
٢٦٨	٤٨	وإصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا

سورة النجم

٣٧٧, ٣٦٩, ٣٣١	٣	وما ينطق عن الهوى
٣٧٧, ٣٦٩, ٣٣١	٤	إن هو إلا وحي يوحى
٥٧٢	١٠	فأوحى إلى عبده ما أوحى

سورة القمر

٤٥٢, ٣٨٥, ٣٨٤	١	اقتربت الساعة وانشق القمر
---------------	---	---------------------------

سورة الرحمن

٤١٩, ٢٦٠, ١٢٦	١	الرحمن
٤١٩, ٢٦٠, ١٢٦	٢	علم القرآن
٢٤٤, ١٢٩, ١٢٤, ٦٠	٢٧	ويبقى وجه ربك
٢٨٢, ٢٦٦, ٢٦٥, ٢٦٤	٢٦	كل من عليها فان
٩٨	٣٩	فيومئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان
٥٠٣	٤٦	ولمن خاف مقام ربه جنتان
٣١٠	٦٨	فيهما فاكهة ونخل ورمان

سورة الواقعة

٤٩٦	٥٧	نحن خلقناكم فلولا تصدقون
٤٩٦	٥٨	افرايتم ما تمنون
٤٩٦, ١٠١٨	٦٢	ولقد علمتم النشأة الأولى
٢٢٨	٦٣	افايتم ما تحرثون
٢٢٨	٦٤	عانتهم تزرعونه أم نحن الزارعون
٤٥٢	٨٣	فلولا إذا بلغت الحلقوم
٤٥٢	٨٤	وانتم حينئذ تنظرون
٤٥٢	٨٥	ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
٢٤٠	٩٦	فسبح باسم ربك العظيم

سورة الحديد

٢٤٤	٣	هو الأول والآخر
٢٨٥	٤	هو الذي خلق السموات والأرض
٥٧٢	٩	هو الذي ينزل على عبده آيات بينات
٢١٤	٢٣	ما أصاب من مصيبة في الأرض
٥٦٨	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
٣٧٥	٢٦	ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم

سورة المجادلة

٢٥٢, ٢٥١	١	قد سمع الله
٥٠٢	٦	يوم يبعثهم جميعا فينبئهم بما عملوا
١٣٣	٧	إلا هو رابعهم
٢٢٥	٨	ويقولون في أنفسهم

سورة الحشر

٦١, ٩٦	٧	وما أتاكم الرسول فخذوه
١١٦٥	٩	ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
٤١٢, ٤١١, ١٠٥	٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
٢٣٣	٢٢	هو الله الذي لا إله إلا هو

سورة الممتحنة

٣٩١	١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
٤٣٣	١٢	يا أيها النبي إذا جاءكم المؤمنات
٣٠٠	١٣	يا أيها الذين آمنوا لا تولوا قوما غضب الله عليهم

سورة الصف

١٨١	١	سبح لله ما في السموات وما في الأرض
٤١٠	١٣	واخرى تحبونها نصر من الله
٣٦٢	١٤	فأيدينا الذين آمنوا على عدوهم

سورة الجمعة

١٨١	١	يسبح لله ما في السموات وما في الأرض
٣٤٥	٢	يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
٣٣٦	٥	مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها

سورة المنافقون

٧٥	٨	يقولون لمن رجعنا إلى المدينة
----	---	------------------------------

سورة الطلاق

٤٣٣	١	يا أيها النبي إذا طلقتم النساء
٢٤٩	١٢	أحاط بكل شيء علما

سورة التحريم

٤٣٣	١	يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
٢٧٠	٤	صغت قلوبكما
٥٧٢	١٠	ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

سورة الملك

٧٤	٣	ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
٢٥٩	١٣	واسروا قولكم أو اجهروا به
٢٤٩	١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
١٨٦, ١٢٦	١٦	ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض
٢٨٦	١٧	أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا

سورة الحاقة

٣٧٧, ٣٦٥, ٣٦٣, ٣٦١	٤٤	ولو تقول علينا بعض الأقاويل
٣٧٧, ٣٦٥, ٣٦٣, ٣٦١	٤٥	لأخذنا منه باليمين
٣٧٧, ٣٦٥, ٣٦٣, ٣٦١	٤٦	ثم لقطعنا منه الوتين
٣٧٧, ٣٦٥, ٣٦٣, ٣٦١	٤٧	فما منكم من أحد عنه حاجزين

سورة المعارج

٢٨٦	٤	تخرج الملائكة والروح إليه
٢٥٢	٦	إنهم يرونه بعيدا

ونراه قريبا

٢٥٢ ٧

سورة نوم عليه السلام

الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا

٣٥١ ١٥

سورة الجن

وأنامنا الصالحون ومنا دون ذلك

٣٤٩ ١١

وأنه لما قام عبدالله يدعوه

٥٧٢ ١٩

سورة المزمل

يا أيها المزمل

٤٣٤ ١

سورة المدثر

يا أيها المدثر

٤٣٤ ١

سورة القيامة

لا تحرك به لسانك لتعجل به

٣٦٨ ١٦

إن علينا جمعه وقرآنه

٣٦٨ ١٧

فإذا قرأناه فاتبع قرآنه

٣٦٨ ١٨

وجوه يومئذ ناضرة

٥١٤,٥١٢ ٢٢

إلى ربها ناظرة

٥١٤,٥١٢ ٢٣

يسأل أيان يوم القيامة

٤٥٣ ٢٦

سورة المرسلات

فقدرونا نعم القادرون

٢٤٥ ٢٣

سورة النبأ

عطاء حسابا

٥٠٢ ٣٦

وعنب وقضبا

١٩٠ ٢٧

وزيتونا ونخلا

١٩٠ ٢٨

وحدائق غلبا

١٩٠ ٢٩

وفاكهة وأبا

١٩٠ ٣٠

سورة التكويد

وإذا الوحوش حشرت

٤٩٦ ٥

إنه لقول رسول كريم

٣٠٨ ١٩

سورة المطففين

يوم يقوم الناس لرب العالمين

٥١٠ ٦

كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

٥١٤ ١٥

٥١٩	٢٢	إن الأبرار لفي نعيم
٥١٩	٢٣	على الأرائك ينظرون

سورة الأعلى

٣٧٦,٣٦٨	٦	سنقرئك فلا تنسى
٣٧٦,٣٦٨	٧	إلا ما شاء الله

سورة الغاشية

٩٦	٢	وجوه يومئذ خاشعة
٩٦	٨	وجوه يومئذ ناعمة

سورة الفجر

٥٦٩	١٥	فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه
٢٩٤,٢٩٣,١٣٧,١٣٥,١٣٣	٢٢	وجاء ربك

سورة البلد

٤٤٨	١	لأقسم بهذا البلد
٤٤٨	٢	وأنت حل بهذا البلد

سورة الضحى

٣١٣	١١	وأما بنعمة ربك فحدث
-----	----	---------------------

سورة العلق

٥٧٢	٩	أرأيت الذي ينهى
٥٧٢	١٠	عبدا إذا صلى
٢٥٢	١٤	ألم يعلم بأن الله يرى

سورة البينة

١٩٢	٣	إن الذين كفروا من أهل الكتاب
-----	---	------------------------------

سورة الزلزلة

٣٢٩	٥	بأن ربك أوحى لها
٥٠٣	٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
٥٠٣,٥٠٠	٨	ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

سورة العاديات

٤٩٦	٩	أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور
-----	---	---------------------------------

سورة القارعة

٥٠٤	٦	فأما من ثقلت موازينه
-----	---	----------------------

سورة العصر

إن الإنسان لفي خسر

٢ ٢٦٩

سورة الكوثر

فصل لربك وانحر

٣ ١٩٨

سورة الإخلاص

قل هو الله احد

١ ٢٥٣

ولم يولد

٤ ٨٦

ولم يكن له كفوا احدا

٥ ١٤٤,٥٧٩,٥٧٨

سورة الفلق

ومن شر النفاثات في العقد

٤ ٢٠٢

فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

الألف

رقم الصفحة	الحديث أو الأثر
٧١	"إنما جعل الإمام ليؤتم به..."
٣٣١	"أكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج مني إلا الحق..."
١٢٦	"ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء..."
١٢٦	"احتج آدم وموسى..."
٢٥٤	"إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن..."
١٢٩	"إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن..."
١٩٥	"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..."
٢١٠	"أنا أغنى الشركاء عن الشرك"
٢١٤	"إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها"
١٦٥	"إياكم والركون إلى اصحاب الأهواء..."
١٦٨	"إن أصدق الحديث كتاب الله..."
١٨٤	"إنك ستأتي قوما أهل كتاب..."
١٧٧	"أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان..."
١٧٧	"ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم..."
١٧٩	"إني خلقت من عبادي حنفاء كلهم..."
٢٢٧	"إن لله تسعة وتسعين إسما..."
٢٣٥	"اسم الله الأعظم في ستة آيات من آخر سورة الحشر..."
٢٣٥	"إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث..."
٢٣٨	"إن اسم الله الأكبر يارب..."
٢٣٨	"إذا قال العبد يارب يارب..."
٢٥١	"اربعوا على أنفسكم..."
٢٦٨	"إن الله لا يخفى عليكم..."
٢٦٨	"إن الله ييسط يده بالليل..."
٢٨٢	"إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن..."
٢٨٠	"افتخرت الجنة والنار..."
٣٠٠	"إن رحمتي غلبت غضبي..."

- ٣٠٠ "إن ري قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله..."
- ٣٢٥ "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة..."
- ١١٨ "اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج مني إلا الحق
- ٣٣٢ "ان روح القد قد نفث في روعي..."
- ٣٣٣ "انزل على أنفا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر..."
- ٣٣٧ "انشدك بالذي أنزل التوراة..."
- ٣٥٥ "إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى..."
- ٣٨٤ "إن اهل مكة سألوا رسول الله أن يرهم آية فأراهم انشقاق القمر..."
- ٣٨٤ "انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين..."
- ٣٨٤ "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس..."
- ٣٨٧ "إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا..."
- ٣٤٠ "أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء..."
- ٣٤٢ "اجمعوا لها..."
- ٣٤٢ "ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فأسرى ثم نام..."
- ٣٤٢ "ارسلك أبو طلحة؟..."
- ٣٤٥ "انت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك ما تأخر..."
- ٣٤٨ "أنا أول الناس يشفع في الجنة..."
- ٤٢٧، ٣٤٨ "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي..."
- ٤٤٦ "إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس..."
- ٤٤٦ "إن الصدقة لا تحل لنا..."
- ٤٤٦ "اخذ الحسن بن علي ثمرة من تمر الصدقة..."
- ٤٤٦ "ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد..."
- ٤٤٩ "إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس..."
- ٤٤٩ "إن كذبا علي ليس ككذب علي أحد..."
- ٤٥٢ "إن يعيش هذا لم يدركه الهرم فقامت عليكم ساعتكم..."
- ٤٥٨ "إن بين الساعة لأياما يترل فيها الجهل..."
- ٤٥٨ "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا..."
- ٤٦٠ "أبشركم بالمهدي..."
- ٤٦٢ "إن الله تعالى ليس بأعور..."
- ٤٦٣ "ألا إنه في بحر الشام او بحر اليمن
- ٤٦٤ "أربعون يوما ، يوم كسنة..."
- ٤٦٤ "اشهد انك الدجال..."

- ٤٦٦ "إذا تشهد احدكم فليستعذ بالله من أربعة
- ٤٦٧ "إذا بعث الله المسيح ابن مريم فيترل.."
- ٤٧٢ "إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها.."
- ٤٧٢ "أتدرون أين تذهب هذه الشمس.."
- ٤٧٣ "إن الله عز وجل جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما لتوبة..."
- ٤٧٣ "إن الله ييسط يده بالليل..."
- ٤٧٣ "إن العبد إذا وضع في قبه وتولى عنه أصحابه.."
- ٤٧٦ "إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال..."
- ٤٧٩ "إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة.."
- ٤٨٣ "أرواحهم في جوف طير خضر.."
- ٤٨٤ "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي.."
- ٤٨٨ "إن الميت يعذب ببكائه عليه..."
- ٤٩١ "إن الميت ليعذب في قبره بما نبح عليه.."
- ٤٩٢ "إذا مات الإنسان انقطع إلا من ثلاث..."
- ٥٠٠ "إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بالشفاعة.."
- ٥٠٢ "أهون أهل النار عذابا أبو طالب.."
- ٥٠٥ "إن الله سيخلص رجلا من أمي على رؤوس الخلائق.."
- ٥٠٨ "أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء..."
- ٥١٠ "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة..."
- ٥٦٥ "أيها الناس اربعوا على انفسكم..."
- ٥٦٩ "إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء..."
- ٥٧٠ "أن موسى قام خطيبا في بني اسرائيل..."
- ٥٧٨ "أرايتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها..."
- ٤٥٥ "إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل..."
- ٤٥٥ "ألا إن الفتنة ها هنا..."
- ١١٨ "إني لا أقول إلا حقا.."

(الباء)

- ٤٧٢, ٤٥٥ "بادرُوا بالأعمال ستا..."
- ٤٦٢ "بينما أنا نائم أطوف بالكعبة..."
- ٤٥٧ "بين يدي الساعة تسليم الخاص..."
- ٤٥٤, ٤٥٣ "بعث أنا والساعة كهاتين..."

التاء

- ٥٢٠ "تعلموا انه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت..."
٢٨٠ "تحتاج النار والجنة..."

الهاء

- ٣٩٣ "حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار إلى أهله..."
٢٦٥ "حجابه النور..."

الخاء

- ٣٩٣ "خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مخرجه..."
١٧٩ "خمس من الفطرة..."
٣٥٦ "خير نسائهم مريم..."

الراء

- ٤٥٥ "رأس الكفر من هاهنا..."
٣٨٣ "رأيت خاتم النبوة بين كتفيه..."
٣٩٣ "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر..."
٢٧٣ "رأيت ربي في أحسن صورة..."
٤٧٩ "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه..."

الشين

- ٤٩٩ "شفاعتي لأهل الكبائر من أمي..."

العين

- ٤٩٨ "عرضت علي الأمم"
٣٩٢ "عطش الناس يوم الحديدية..."
١٧٩ "عشر من سنن الإسلام..."
١٧٩ "عشر من الفطرة..."
١٦٨ "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين"

الغين

- ٣١٣ "غزا بني من الأنبياء..."

الفاء

- ٧٩ "فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه..."
٢٩٤، ٢٧٣ "فيأتيهم الجبار في صورة..."

الكاف

- ١٥٦ "كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم..."

- ٥١٣ "كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوم الناس.."
- ٤٦١ "كيف أنتم إذا نزل ابن فيكم.."
- ٤٧٧ "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام سأل عن..."
- ٤٢٢ "كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء.."
- ٣٥٤ "كامل من الرجال كثير.."
- ١٧٩ "كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم.."

اللام

- ١٩٩ "لعن الله من ذبح لغير الله.."
- ٢١٤ "لا يورد ممرض على مصح.."
- ٢٣١ "لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه.."
- ٢٣٦ "لقد دعا الله باسمه الأعظم.."
- ٢٨٠ "لا يزال يلقي فيها وتقول هل من مزيد.."
- ٢٨٠ "لا تزال جهنم تقول هل من مزيد.."
- ٣٢٥ "لا تفضلوني على موسى.."
- ٣٢٥ "لا تفضلوا بين الأنبياء.."
- ٣٢٥ "لا تقولون أحدكم إني خير من يونس بن متى.."
- ٣٢٧ "لا تخيروا بين الأنبياء.."
- ٣٨٦ "لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه.."
- ٣٩٦ "لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع.."
- ٤٣٢ "ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة..."
- ٤٣٢ "لما كذبتني قريش حين اسرى بي إلى بيت المقدس.."
- ٤٣٢ "لما أسري برسول الله فأنتهى إلى سدره المنتهى.."
- ٤٣٢ "لقد رأيته في الحجر وقريش تسألني عن مسراي.."
- ٤٣٢ "لا تخيروني على موسى.."
- ٤٥٨ "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله..."
- ٤٦١ "لا تذهب أو لاتنقضي الدنيا حتى يملك العرب.."
- ٤٦١، ١٧٣ "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين.."
- ٤٧٢ "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها.."
- ٤٧٢ "لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان..."
- ٤٧٣ "لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة.."
- ٣٨٠، ٢٩٨ "لله أفرح بتوبة عبده.."

الميم

- ٤٠٠, ٣٦٢, ٨٣ "مامن الأنباء نبي إلا اعطي من الآيات مامثلة آمن عليه البشر.."
- ١٩٦ "من لقي الله تعالى لم يشرك به شيئاً دخل الجنة .."
- ٢١٠ "من صلى يراني فقد أشرك"
- ١٦٦ "ماضل قوم بعدهدي كانوا عليه.."
- ١٧٨ "مامن مولود إلا يولد على الفطرة .."
- ١٧٨ "مامن مولود يولد إلا وهو على الملة .."
- ٢٩٩ "ماتوطن رجل مسلم المساجد.."
- ٤٣٦ "مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه.."
- ٤٣٦ "مالك ياعائشة اغرت.."
- ٩٧ "مفاتيح الغيب خمس..."
- ٤٣٠ "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار...."
- ٤٥٩ "من اشراط الساعة ان يرفع العلم ..."
- ٤٦٠ "المهدي من عترتي .."
- ٤٦٠ "المهدي منا آل البيت.."
- ٤٦٠ "المهدي مني آجلي الجبهة.."
- ٤٦١ "منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه.."
- ٤٦٥, ٤٦٤ "من فتنة ان يقول للأعرابي رأيت إن بعثت أباك ..."
- ٤٦٤ "معه جنة ونار..."
- ٤٦٦ "من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف"
- ٤٦٦ "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف .."
- ٤٦٦ "من سمع بالدجال فليأمن عنه ..."
- ٤٧٩ "من لقي العدو فصبر..."
- ٤٨٠ "من يقتله بطنه..."
- ٤٨٠ "مامن مسلم يموت يوم الجمعة .."
- ٤٩٠ "مات رجل وعليه دين.."
- ٤٩١ "من ينح عليه يعذب.."
- ٨٥ "مامسئول عنها بأعلم من السائل.."

النون

- ٥٠٨ "ناركم جزء من سبعين جزءا..."
- ٥٠٢ "نعم هو في ضحضاح.."
- ٤٨٥ "نفس المؤمن معلقة بدين.."

٤٨٢

"نمت فرأيت في الجنة..."

الهاء

٤٩٠

"هل ترك لدينه.."

٥١٣

"هل تضارون في القمر.."

٤٨٢

"هي المنجية...."

الواو

٤٢٢

"وإنه سيكون في أمي كذابون..."

٤٦٢

"واما مسيح الضلالة..."

٤٦٢

"وإن بين عينيه مكتوب.."

٤٢٨

"وجعلت لنا الأرض كلها.."

١٢٦

"والذي نفسي بيده مامن رجل..."

٩١١

"والذي نفس محمد بيده.."

٤٥٦

"والذي نفس محمد بيده لاتذهب الساعة.."

٢٥٤

"والله ماكنت أظن..."

٥٦٨

"وهل تنصرون وترزقون..."

٤٥٧

"والله مالفقر أخشى عليكم..."

٤٧٠

"ويلل للعرب.."

الياء

٦٨

"يا أيها الناس إنكم تحشرون.."

١٦٨

"يا أيها الناس إن الله بعث محمدا بالحق.."

٤٥٧

"يتقارب الزمان.."

٤٦٤

"يتبع الدجال من اليهود.."

٣٠١

"يضحك الله إلى رجلين..."

٥٠٠

"يخرج الله من النار قوما..."

٤٦٣

"يخرج من يهودية اصبهان..."

٤٦٠

"يخرج في آخر امتي المهدي..."

٥١٠

"يدخل اهل الجنة الجنة.."

٤٦١

"يترل عيسى ابن مريم..."

٤٥٩

"يقتل عند كتركم ثلاثة..."

١٦٨

"يهدم الإسلام ثلاث..."

فهرس محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
١	ملخص الرسالة
١	شكر وتقدير
١	المقدمة
	الباب الأول
٦	السيوطي عصره وحياته
٧	الفصل الأول : عصر السيوطي
٧	المبحث الأول : الحالة السياسية
١٢	المبحث الثاني : الحالة الدينية
١٦	المبحث الثالث : الحالة العلمية
٢٤	الفصل الثاني : نشأته وحياته
٢٤	المبحث الأول : اسمه ونسبه
٢٤	المبحث الثاني : ولادته ونشأته وحياته
٢٦	المبحث الثالث : طلبه العلم ورحلاته
٢٧	المبحث الرابع : مكانته العلمية
٢٩	المبحث الخامس : السيوطي بين أنصاره وخصومه
٣٩	الفصل الثالث : شيوخه وتلاميذه
٤٢	المبحث الأول : شيوخه
٤٤	المبحث الثاني : تلاميذه
٤٤	الفصل الرابع : مؤلفاته وآثاره
٤٤	المبحث الأول : بيان الأقوال في عدد مصنفاته وأسباب كثرتها
٤٨	المبحث الثاني : بيان أشهر مصنفاته في مختلف الفنون
	الباب الثاني
٥٩	منهج السيوطي في البحث والاستدلال
٦٠	الفصل الأول : منهجه في دراسة العقيدة
٦٠	المبحث الأول : سمات منهج السيوطي في تقرير العقيدة
٦٥	المبحث الثاني : منزلة العقل عند السيوطي

الصفحة	الموضوع
٦٦	المبحث الثالث : الأدلة العقلية
٧٨	الفصل الثاني : موقفه من التأويل
٧٨	المبحث الأول : في بيان المحكم والمتشابه
٨٩	المبحث الثاني : هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه؟
١٠٠	المبحث الثالث : هل تعتبر آيات الصفات من التشابه؟
١٠٨	المبحث الرابع : معنى التأويل
١٠٨	المطلب الأول : التأويل في اللغة
١١٠	المطلب الثاني : التأويل في الاصطلاح
١١٤	المبحث الخامس : التأويل عند السيوطي
١٣٣	المبحث السادس : اتهام السيوطي للإمام أحمد بالتأويل
١٣٣	المطلب الأول : اتهام السيوطي للإمام أحمد بالتأويل
١٣٣	المطلب الثاني : الرد على السيوطي ومن قال بقوله
١٤٠	الفصل الثالث : موقفه من المنطق وعلم الكلام
١٤٠	المبحث الأول : موقف السيوطي من المنطق
١٤٠	المطلب الأول : نشأة المنطق وتعريفه
١٤٠	أولاً نشأة المنطق
١٤٦	ثانياً : تعريفه ونبذة مختصرة عنه
١٤٨	المطلب الثاني : السيوطي يهدم المنطق ويحرمه
١٥٤	المبحث الثاني : موقف السيوطي من علم الكلام
١٥٤	المطلب الأول : نشأة علم الكلام
١٦٢	المطلب الثاني : تعريف علم الكلام
١٦٣	المطلب الثالث : نقد السيوطي لعلم الكلام
	الباب الثالث
	آراء السيوطي العقدية
١٧٦	الفصل الأول : معرفة الله عزوجل
١٧٦	المبحث الأول : هل المعرفة فطرية أم نظرية

الصفحة	الموضوع
١٨٣	المبحث الثاني : أول واجب على المكلف
١٨٤	المبحث الثالث : إيمان المقلد عند المتكلمين
١٨٨	الفصل الثاني : توحيد الربوبية
١٨٨	تعريف كلمة التوحيد
١٨٩	توحيد الربوبية
١٩٣	الفصل الثالث : توحيد الألوهية
١٩٣	المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية
١٩٦	المبحث الثاني : أساليب القرآن في تقرير توحيد الألوهية والدعوة إليه
١٩٨	المبحث الثالث : مذكره السيوطي من نواقض التوحيد أو نواقضه
١٩٨	١ — الذبح لغير الله
١٩٨	٢ — السجود لغير الله
٢٠١	٣ — السحر
٢١٠	٤ — الرياء
٢١٢	٥ — العدوى
٢١٥	٦ — زجر الطير والكهانة
٢١٧	الفصل الرابع : توحيد الأسماء والصفات
٢١٧	تمهيد
٢١٧	المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات
٢١٩	المبحث الثاني : منهج السيوطي في توحيد الأسماء والصفات
٢١٩	المطلب الأول : الكلام عن ذات الله تعالى
٢٢٢	المطلب الثاني : أسماؤه تعالى توقيفية
٢٢٤	المطلب الثالث : هل القديم من أسماء الله تعالى
٢٢٩	المطلب الرابع : الأسم الأعظم
٢٤١	المطلب الخامس : الصفات الذاتية
٢٤٢	١ — صفة الحياة

الصفحة	الموضوع
٢٤٣	٢ — صفة البقاء
٢٤٤	٣ — صفة القدرة
٢٤٦	٤ — صفة الإرادة
٢٤٨	٥ — صفة العلم
٢٥٠	٦ ، ٧ — صفتا السمع والبصر
٢٥٣	٨ — صفة الكلام
٢٦٤	٩ — صفة الوجه
٢٦٧	١٠ — صفة العينين
٢٦٨	١١ — صفة اليدين
٢٧١	١٢ — صفة الأصابع
٢٧٣	١٣ — صفة الصورة
٢٨٠	١٤ — صفة القدمين
٢٨١	المطلب السادس : الصفات الفعلية
٢٨١	طريقة السيوطي في هذه الصفات
٢٨٥	أدلة إثبات الصفات التي تأولها السيوطي
٢٨٥	١ — صفة الاستواء
٢٩٠	٢ — صفة التزول
٢٩٤	٣ — صفتا الاتيان والمجيء
٢٦٩	٤ — صفة الرضى
٢٩٨	٥ — صفة الفرح
٣٠٠	٦ — صفة الغضب
٣٠١	٧ — صفة الضحك
٣٠٣	٨ — صفة الهرولة

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع	
النبوءات	
الفصل الأول : مفهوم النبوة والرسالة العلاقة بينهما.....	٣٠٦
المبحث الأول : النبوة والنبى في اللغة	٣٠٦
المبحث الثاني : الرسالة والرسول في اللغة	٣٠٨
المبحث الثالث : النبى والرسول في الاصطلاح	٣٠٩
الفصل الثاني : الأنبياء والرسل	٣١٦
المبحث الأول : وجوب الإيمان بهم جميعاً	٣١٦
المبحث الثاني : لب دعوتهم — عليهم السلام	٣١٨
المبحث الثالث : عددهم	٣٢١
المبحث الرابع : المفاضلة بينهم	٣٢٣
الفصل الثالث : الوحي وطرقه	٣٢٩
المبحث الأول : الوحي	٣٢٩
المبحث الثاني : طرقه	٣٣١
الفصل الرابع : طرق إثبات النبوة	٣٣٥
المبحث الأول : أهل السنة يشتهون النبوة بطرق كثيرة	٣٣٥
المبحث الثاني : طرق إثبات النبوة عند السيوطي	٣٣٦
١ — أخبار الكتب السابقة	٣٣٦
٢ — شهادة الخصوم	٣٣٩
٣ — المعجزات	٣٤٢
الفصل الخامس : صفات الرسل	٣٤٤
ديباجة	٣٤٤
المبحث الأول : أنهم بشر	٣٤٥
المبحث الثاني : أنهم رجال	٣٥٣
المبحث الثالث : أنهم صادقون	٣٦٠
المبحث الرابع : أنهم معصومون	٣٦٤

الصفحة	الموضوع
٣٨٢	الفصل السادس : نبوة محمد ﷺ — وخصائصه
٣٨٢	المبحث الأول : دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ
٣٨٣	المطلب الأول : معجزاته — ﷺ
٣٨٣	المعجزة الأولى : خاتم النبوة
٣٨٤	المعجزة الثانية : إنشقاق القمر
٣٨٦	المعجزة الثالثة : شفاء عين علي بن أبي طالب ﷺ ببركة بصاق النبي ﷺ وإخباره بفتح خير
٣٨٧	المعجزة الرابعة : إخباره ﷺ عمن أبلى بلاء حسناً في القتال أنه من أصحاب النار
٣٨٨	المعجزة الخامسة : شفاء ساق سلمة بن الأكوع من الضربة التي ضربها يوم خيبر
٣٨٨	المعجزة السادسة : إخباره ﷺ عن الشاه المسمومة
٣٩٠	المعجزة السابعة : نعيه ﷺ قواد جيشه في غزوة مؤتة إلى أصحابه قبل أن يصل خبرهم إليه .
٣٩٠	المعجزة الثامنة : إخباره ﷺ عن الظعينة التي حملت كتاب حاطب ابن أبي بلتعة إلى قريش .
٣٩٢	التاسعة : نبع الماء من بين أصابعه الشريفه
٣٩٦	العاشرة : تكثير الطعام القليل
٣٩٩	الحادية عشرة : القرآن الكريم — المعجزة الخالدة
٤٢١	المطلب الثاني : أنه خاتم النبيين
٤٢٣	المبحث الثاني : خصائصه — ﷺ — الشريفه
٤٢٤	الأولى : أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به
٤٢٥	الثانية : عموم بعثته إلى جميع الأنس والجن
٤٢٦	الثالثة : أنه ﷺ رحمة للعالمين
٤٢٦	الرابعة : أنه ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً
٤٢٧	الخامسة : أنه أعطى خمساً لم يعطهن نبي قبله
٤٢٨	السادسة : أن كتابه معجز
٤٢٩	السابعة : اختصاصه بالفاتحة وخواتيم سورة البقرة
٤٢٩	الثامنة : اختصاصه بليلة القدر
٤٣٠	التاسعة : اختصاصه بالإسراء
٤٣٢	العاشرة : أنه سيد ولد آدم ، وأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يجيز على الصراط...

الصفحة	الموضوع
٤٣٣	الحادية عشرة : أنه أول من يفيق من الصعقة
٤٣٣	الثانية عشرة : أن الله تعالى لم يناده في القرآن الكريم باسمه الجرد بل بلقبه
٤٣٤	الثالثة عشرة : تحريم ندائه باسمه على الأمة
٤٣٥	الرابعة عشرة : أقسام الله تعالى بحياته ﷺ
٤٣٦	الخامسة عشرة : إسلام قرينه من الجن
٤٣٧	السادسة عشرة : أن الله تعالى غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر
٤٣٧	السابعة عشرة : تحريم نكاح زوجاته من بعده ﷺ
٤٣٩	الثامنة عشرة : منزلة الوسيلة في الجنة
٤٤٠	التاسعة عشرة : أن الله تعالى يرضيه في أمته ولايسوؤه
٤٤٠	العشرون : أن المرأة تحل له بتحليل الله تعالى له من غير عقد
٤٤١	الحادية والعشرون : أن له النكاح بلفظ الهبة وبلامهر
٤٤٣	الثانية والعشرون : تزويجه من شاء من النساء بمن شاء من الرجال بغير رضاهن ورضى أبائهن
٤٤٤	الثالثة والعشرون : وجوب قضاء دين من مات من المسلمين
٤٤٦	الرابعة والعشرون : تحريم الصدقة والزكاة عليه ﷺ
٤٤٨	الخامسة والعشرون : إباحة القتال له بمكة المكرمة
٤٤٩	السادسة والعشرون : الكذب عليه ليس كالكذب على غيره
	الباب الخامس
٤٥١	اليوم الآخر ومقدماته
٤٥٢	الفصل الأول : مقدمات اليوم الآخر (بعض أشراف الساعة)
٤٥٢	تمهيد
٤٥٤	المبحث الأول : العلامات الصغرى
٤٥٤	الأولى : بعثته ﷺ
٤٥٥	الثانية : ظهور الفتن
٤٥٦	الثالثة : كثرة المعاصي وكثرة الاشرار
٤٥٦	الرابعة : توسيد الأمر إلى غير أهله
٤٥٧	الخامسة : الحرص على الدنيا والتنافس فيها

الصفحة	الموضوع
٤٥٨	السادسة : رفع القرآن والعلم
٤٥٩	المبحث الثاني : مآذكره السيوطي من العلامات الكبرى الأولى : ظهور المهدي المنتظر — عليه السلام
٤٦١	الثانية ظهور المسيح الدجال
٤٦٦	الثالثة : نزول المسيح عيسى ابن مريم — عليه السلام
٤٦٨	الرابعة : يأجوج ومأجوج
٤٧١	الخامسة : طلوع الشمس من مغربها
٤٧٣	السادسة : ظهور الدابة
٤٧٥	الفصل الثاني : الحياة البرزخية
٤٧٥	المبحث الأول : معنى الحياة البرزخية
٤٨٢	المبحث الثاني : الكلام على مستقر الأرواح وما يتعلق بها
٤٩٥	الفصل الثالث : يوم القيامة
٤٩٥	المبحث الأول : البعث
٤٩٧	المبحث الثاني : الشفاعة
٥٠٢	المبحث الثالث : الحساب
٥٠٤	المبحث الرابع : الميزان
٥٠٥	المبحث الخامس : الصراط
٥٠٧	المبحث السادس : الجنة والنار
٥١١	المبحث السابع : رؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة
٥١٩	هل يرى النساء ربهن تعالى في الجنة
	الباب السادس
	موقفه من البدع والتصوف
٥٢٥	الفصل الأول : موقفه من البدع
٥٢٥	المبحث الأول : تعريف البدعة
٥٣٥	المبحث الثاني : الفرق بين السنة والبدعة
٥٣٨	المبحث الثالث : أقسام البدع عند السيوطي
٥٣٨	القسم الأول : ما يعرف العامة والخاصة أنه بدعة محرشة إما محرمة وإما مكروهة

الصفحة	الموضوع
٥٤٨	القسم الثاني : ما يظنه معظم الناس عبادات.....
٥٥٥	الفصل الثاني : موقفه من التصوف
٥٥٥	المبحث الأول : تعريف التصوف.....
٥٥٧	المبحث الثاني : نشأة التصوف
٥٦٠	المبحث الثالث : التصوف عند السيوطي
٥٦٣	المبحث الرابع : الأبدال والأوتاد
٥٦٩	المبحث الخامس : الخضر — عليه السلام
٥٧٩	المبحث السادس : تطور الولي
٥٨٦	الخاتمة
٥٨٨	فهرس الآيات
٦٢١	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار
٦٣٠	فهرس الأعلام
٦٤٠	فهرس المراجع والمصادر.....
٦٥٥	فهرس الموضوعات